

AMERICAN LIBRARY IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00980 2293

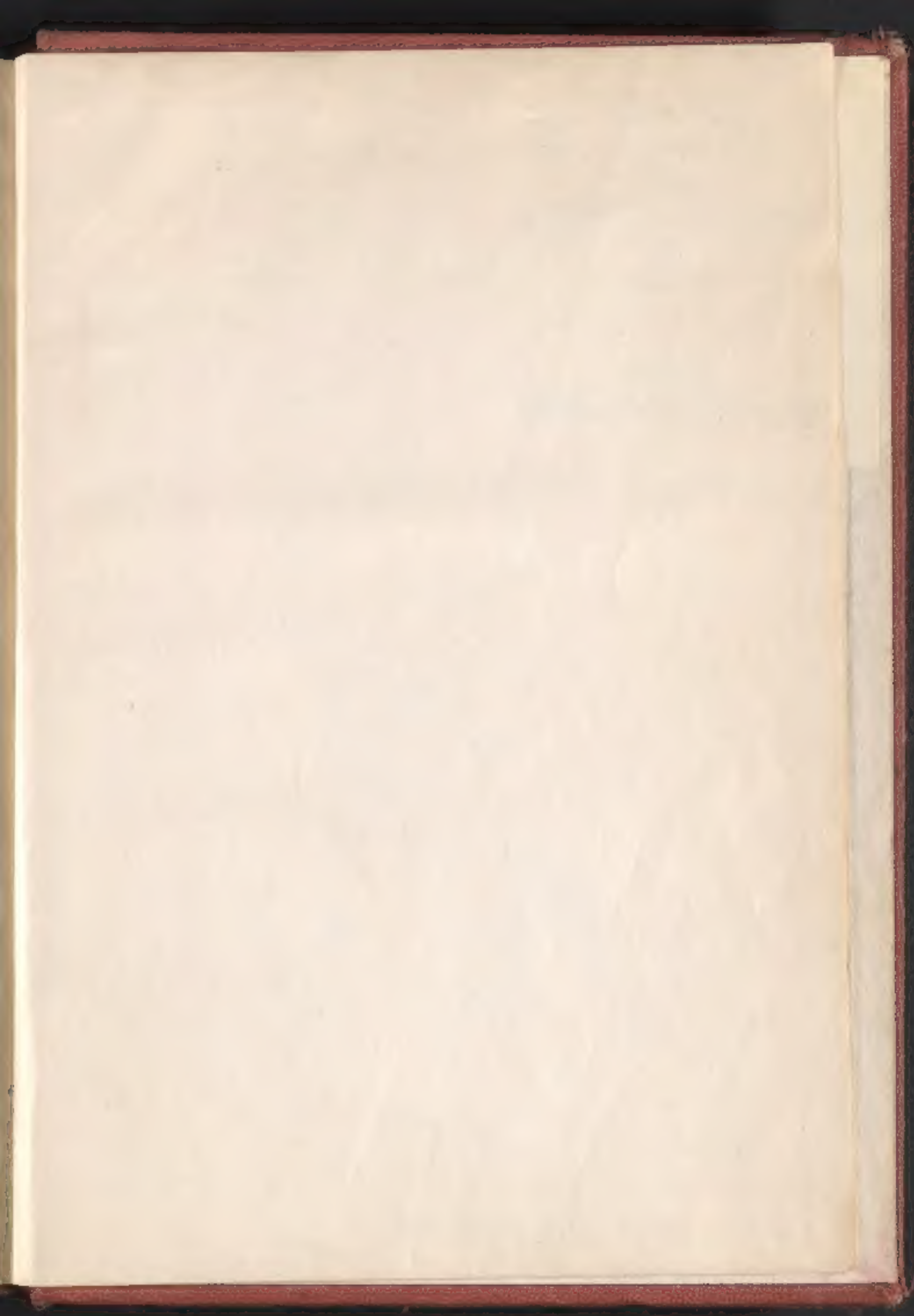
00-B 215



FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الأمريكية بالقاهرة

2201 1000



شعر الحربي في أدب العرب

في العصرين الأموي والعباسي
إلى عهد سيف الدولة

تأليف

زكي المحاسني

دكتوراه في الآداب
للساه في الحقوق

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

Pg
7541
M3
1947

OCLE
23499058

B12394828
1375371x

مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

مكتبة
الشيخ
الشيخ
الشيخ

مكتبة

مكتبة
الشيخ
الشيخ

مكتبة
الشيخ
الشيخ

مكتبة
الشيخ
الشيخ

مكتبة
الشيخ
الشيخ

إليك يا صاحب الرولة نصرى بك البخارى

أهدى هذه الرسالة فهى نفحة من تشجيعك ، وثمره من غرسك ،
أمرت بإيفادى إلى جامعة فؤاد الأول للحصول على الدكتوراه فى الأدب
العربى فى عهد وزارتك الأخيرة للمعارف السورية ، بعد أن طال تحناني
إلى تحقيق هذه الأمنية ، وما ابتغيت إليك وسيلة ، ولا شفيع بى لديك
سوى الحق .

إن رسالتى لتتحدث بمنزل مجدك الحربى ، ففيها أبطال الشعر ينشدون
أهازيج الحماسة فى ملحمة العرب ، لتخليد الفروسية ، وتمجيد الحرية .
فاسمع من خلال صحائفها صايل السيوف ، وحممات الخيل ، وخفقات
البنود ، ترجع بك الذكرى إلى ماضيك الحربى الأغر ، يوم كان يلمع
السيف بيمينك .

فإليك يا رب السيوف فى زعامتك ، وراعى العلم فى وزارتك ، أهدى
هذه الرسالة اعترافاً بالجميل

زكى المحامى

القاهرة أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧

الحمد لله الذي جعل العلم نوراً

والعلم نوراً لا يطفى ولا يخبو ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم

والعلم نوراً لا يطفى ولا يخبو ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم

والعلم نوراً لا يطفى ولا يخبو ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم
ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم ولا يظلم

والعلم نوراً

والعلم نوراً

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

معيد كلية الآداب ومدير جامعة فؤاد بالنيابة

١

كان للعرب في الجاهلية شعر يسجل وقائعهم ، ويشيد بحروبهم ، ويردد ذكر معاركهم التي دارت بين عشيرة وعشيرة كحروب الأوس والخزرج ، أو بين قبيلة وأخرى كحرب داحس والغبراء ، بين بني عبس وبني ذبيان ، أو بين جماعة من القبائل وأخرى كوقائع البسوس بين بكر وتغلب ، أو بين شعب من العرب وشعب آخر كحروب اليمن وعدنان .

سجلت هذه الحروب قصائد كثيرة وقطع وأبيات كملقات عنزة وزهير والحارث ابن حلزة وعمر بن كلثوم . وقصائد أخرى تأتي على الإحصاء كقصائد بشر بن أبي عازم ، وثعلبة العبدي ، والأخنس التغلبي ، والحارث بن ظالم المري ، والحسين بن الحام المري ، وعامر بن الطفيل العامري ، وأبوقيس بن الأسلت الأنصاري ، وكتب الأدب العربي تفيض بأشعار الحروب الجاهلية ، وأخبار وقائعها .

وقد جمعت أخبار أيام العرب فكانت قصصاً حربية تجمع النثر والنظم . ولو استقصيت ورُتبت ووصلت لكان منها قصص حماسية طويلة فيها النثر لسرد الحوادث ، والشعر في مقامات البطولة . وهذا الضرب من القصص ، في رأيي ، أقرب إلى الطبيعة من القصص المنظوم كله الذي لا يفرق بين ذكر حوادث متتابعة ، وبين الإعراب عما تجيش به نفس البطل في مآزق الحرب ومقامات النجدة .

٢

وكذلك زخر الشعر العربي الإسلامي بوصف الحرب . وللحرب بعد الإسلام حروب

امتدت مبادئها من حدود الصين إلى بحر الظلمات وإلى جبال البرانس أو ما وراءها، ومرت
عصور والحرب تنشب بين الحين والحين في جهة من هذه الميادين أو أخرى، ويحل المحاربون
هذه الوقائع، وعنى بتسجيلها وتفخيمها والتحويل فيها الشعراء المداحون يشيدون بما أثر
بمدوحهم من الملوك والقواد، ويطنبون في وصف شجاعتهم وبطولتهم وشجاعة جنودهم وقبائلهم.
ومن يرد أن يتبع قصائد الحرب في مظانها فليطلبها في أبواب الفخر والمدح من دواوين
الشعر العربي. ففي مدائح مسلم بن الوليد وأبي تمام والبحري صفحات رائعات من شعر
الحرب، سجلت وقائع خلفاء العباسيين وقوادهم كبنى المهلب وبنى يزيد ومحمد بن يوسف
الثغري الطائي.

وناهيك بمدائح أبي الطيب التي خلدت معارك سيف الدولة والروم، وأشادت ببطولة
الأمير العربي، وكأنها تطلع عليك بغير الوقائع، وصيل الخيل، وصيل السيوف،
وصياح المحاربين، وهي تمثل الحماسة العربية في أروع صورها، والبطولة العربية في
أهول مظاهرها.

ولا تنس قصائد ابن هاني في وقائع الفاطميين في البر والبحر.

٣

والشعر الحماسي العربي في حاجة إلى دراسة تكشف عنه، وتنظم بعضه إلى بعضه، وتحللي
ما حوله من الأحداث وما تقدمه وتلاه من أسباب وعواقب. ليرى فيه القارئ صوراً
من الشعر في إطار من التاريخ، ومظاهر من الحقائق في معارض من الأخيلة والعواطف.
فيرى الشعر، على صنع الخيال ونهويله، معرباً عن حقائق التاريخ، مبدئاً عن طباع الإنسان
وأخلاقه، ومقاصده وعزائمه. وشعر الحرب على فطاعة موضوعه وقسوته، فيه عواطف
إنسانية عالية من النجدة والقداء والإبثار والدفع عن الضعيف وحماية الجار والدود عن
الأوطان والعقائد والأعراض. فهو جدير بعناية الإنسان من هذه الشواحي إلى ما يعتز به
الناس ويفخرون من القوة والغلبة والسيطرة والتسلط.

٤

ولما التحق الأديب الفاضل الأستاذ زكي المحاسني بجامعة فؤاد الأول لينال درجة دكتور
في الآداب، اختار لرسالته — واستحسن اختياره — شعر الحرب في الأدب العربي،
وهو موضوع طويل واسع، إذ كان تاريخ العرب يؤدي بهذا الشعر في أربعة عشر قرناً وفي
مواطن مترامية من الصين إلى الأندلس. فلم يكن بد من أن يجد الموضوع ويقصر بحثه على
شعر الحرب في بعض العصور. فاقصر على العصر الأموي والعصر العباسي إلى منتصف

القرن الرابع . وتناول الحروب الخارجية حروب الروم وغيرهم ، وقبلاً من الحروب
الداخلية بين الأحزاب والدول في البلاد الإسلامية

وقد عكف على بحثه عكوف الباحث المحقق المشي لا يسمع مما دون العادة
ولا يسكن إلى الدعة ، ولا ينوء به التعب ويدان حتى ينظر أشتات موضوعه وجمع
أطرافه ، وفصل أمور في حوارته الكبرى حتى وقف ضويلاً على المنحمة العرسية الحديثة ،
والخامسة الرائعة ، حروب أمير العرب سيف الدولة ، وشبهه في حروبها بـ **الطبيب**
الذي ، فأفاض في البحث إفاضة جمعت بين المصادر العرسية ومصدره فيه في الأوردة ،
فأحسن في هذا كل الإحسان

وقد أخرج للأدب العربي سفيراً حديلاً أرجو أن يكون فتحه عاثة شبيهة في الشعر
الحماسي ، حتى يواصل هذا الموضوع ويحكي لأقراء واصحاً متصلين به لا يذكرون محاسن
فضل السبق ، وله من ثناء الحسن كما طموحه وصره ودأبه وجدوى بحثه على
الأدب العربي في

القاهرة

عبد الرهّاب عرام



فاتحة الكتاب

باسمك اللهم قد احترت موضوع هذه الرسالة شعر الحرب في أدب العرب ، في العصرين
الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة ، وهو موضوع يتناول البحث الفني في شعر الحرب
الذي قاله العرب في عصور مجدها تصف فيه بأمن أنصالح في حرمان الوعي وفروسياتهم
في رحلات القتال ، وبلادهم في شرف أيامهم الأولى ، وأشد حروبهم الأواخر ، حين كان
بعضهم يعبر على حصن أو يختار حدود بلاده مفتوح في صدر الإسلام ، أو يحارب جيوش
البيزنطيين في زمن المعتصم أو عهد سيف الدولة .

وقد عنيت في هذا الموضوع باستحلام مظاهر احتماسة في شعر العرب في لفترة التي أبحثها
منذ منتصف القرن الأول للهجرة حتى منتصف القرن الرابع ، وهي مساحة الزمن الذي غنى
فيه شعر احتماسة كمرآة لتسخر ، فتوجبت إلى تلك العناية أن أعرض شعر الحرب عند
العرب في معرض شئ أجيء بها حيناً مكسوة بالسياسة وآو به مخوفة بالتاريخ . إذ لم أجد
الفن وحده راصياً باحتصاصها وما كل أدب عرب ولا شعرهم في زمن من أزمانهم يعبر
عن قصداً تاريخياً ، إن كل قصيدة من قصائدهم مربوطه بخات يمتد إلى التاريخ ويمس
من قريب أو بعيد . وقد كانت منازع الأحرار وسطوه التاريخ على شعر احتماسة مبرزة
في العصر الأموي أقوى ما كانت عليه في العصر العباسي . ولذلك هذا الموضوع رسالتي في العصر
العباسي منسباً إليهم انهم منتصف أوفى من احتماسه بالتاريخ ، لأن شعراء العصر العباسي كانوا
قد تحرروا من رفق التقليد التاريخي واضطربوا منذ شار وأبي حواس في أجواء الفن الصافي
ولا أعنى بذلك أنه لم يكن لحوادث تاريخ سلطان عليه . وإنما أقصد إلى أنهم أصبحوا في طور
من الأدب يقلل انهم يصلهم التاريخ في وعنه وعيانه ، لكن سدى قصائدهم وحتم كان لوجه
الفن ، فكلم من هرق في شعر احتماسة والحرب ، أو لمجر والطبع بين قصائد نفحول كما مرردق
وصاحبيه جرير والاحطن وقصائد أبي تمام والبحتري والمنتبي شعراء الخمسة الأخيرة . وإن أولئك
كانوا مسوقين بعضا السياسة والتاريخ ليقولوا ما قلوه فكان ذلك مزاج قصائدهم ، وهؤلاء
على ما كانوا عليه من صفة نسب التاريخ أو عاتيه . كانوا يخرون شعراءهم في مصادر الفن
يطاردون بها قناتص الصور الجميلة وروائع الخيال في تحاسيبهم المعنوية والمقطعية .

وإذا كان شعر الحرب في الأدب العربي هو أقوى ما نظم لشعراء وأبى على ترادف
الاحتمال لأنه يتصل بالامة فيصم بمجد ما صبا إلى عيرة حاصرها ، وهو وحده سجل خرها
وعنوان ناسها وأناشيد بطولتها ، فقد احترت أن أكتب رسالتي فيه . وسدد عريمتي بذلك
هذه الحرب العالمية الثانية التي وصعت بالأمس أوزارها على مراكب الإنسانية الحديثة

ومارال دهاقين ساستها إلى اليوم. بعد اندحار أعدائهم، يتعاودون ما بينهم حرباً في حيا بالنعوس وهم يقسمون الأسلاب والمعاصم، وهاجت عندي الحرب المحاصرة بويل آلائها، وطش دهايتها، تلك الحرب العربية العائرة التي انحدرت شعر العرب وصعأها وبحلى لوفائتها وكان أبطالها الكماه لمناجيد، أحلاس الخيل وأعلام الشجاعة، يجمعون إلى الفروسية والبطولة فنون الشعر وسحر البيان.

وقد اتحدت لبحنى النهج الجامعي في التبريز والتفصيل والترقيم، معتمداً على التحليل والتركيب حياً والمقارنة والنقد حيناً آخر لاستكشاف الطواهر الأدبية الحماسية وربطها — لإداعة الأمر — بأسبب الساسنة أو التاريخ. وبطرت إلى موضوعي الذي أثرته وارتضته فوجدت الشروع فيه من العصر الأموي يستدعي التمهيد له بالملاحم والقصص الحرب في الآداب العالمية والعربية، وبعد أن استقصيت ما عند الأمم كافة — في لقديم والحديث — من ملاحم وقصص حرب، نقبت عن الملحمة العربية، وعرضت بالبحث والدرس إلى عرب الجاهلية، فتناولت طائفة من أروع حروبهم التي كانوا يسمونها أياماً ووقائع، وخرجت من ذلك بعد الاستقراء والاستقصاء إلى أن العرب أمه حرب في فطرتهم. وكان طبيعياً أن أحصر في أعقاب هذا التمهيد إلى لغة الحرب لأهل لغة الشعر الحربي الذي أكبت على دراسته في موضوع رسالتي. فتبعت هذه اللغة من شعرها الأول متقرباً أبعاطها وقد رددتها في غالبها إلى الحرب منذ عهد امرئ القيس إلى زمن شوقي.

وحين أقبلت على دراسة الشعر الحربي في العصر الأموي، وجدته بصورة احسان العربية في أصدق مصهرها وأروع بيتاتها، مسكوناً عليه لودن من العبقرية، أحدهما عرق صميم في مادته وإله وحشوته وأسه، والثاني إسلامي ديني في روحه وبواعثه وثوائه وآثرته. وملكت شعوري سهولة الحوارح التي رأيتها بنز فروسية أبطال الأساطير الذين حدثنا عنهم هوميروس، وروى قسراً لأخراش الشيعه لى شاعت في حنهم وقد فهم. معترأ بحجاسة الأمويين ومعجبا بشعراء الغنر والهجاء.

وكان هجى في بحث شعر الحرب في العصر الأموي حصعاً نتيارات الأدبية في التواريخ الحزبية والسياسية، إذ كان الشعراء قد ذهبوا شيعاً متحيزين حسبما دعت الأيام والبيئات، وعلى مقتضى الأمالب التي كان يدها الساسة والحكام، ووفق التبايد القبلي وعصبية النسب التي كانت بين النجابه والعد، به والعنينة والقبسية.

وفي العصر العباسي عابنتى الطريقة الفنية التي يقتضيها الشعر العباسي وحده لضعف السياسة يومئذ وتوزع السلطان، فكنت أحاول ما استطعت أن ألفت أعنة الشعر الحماسي الفني إلى

أسباب التاريخ ودواعي السياسة ، حتى أوجبت على زمن المعنصر وسيف الدولة فأحصعت البحث لنص إذا خرجت من دواوين البحري وأي تمام ولحنى وأي مرام ، حوادث البطولة وأوصاف الحروب التي سكنت التاريخ عن كثير منها أو تعاقب .

وطرت ومن سبقني إلى هذا الموضوع وجدت المتقدمين من العرب قد عاجزوه لا يسيل لحن وإنما فعلوا ذلك لغاية التاريخ وفي مطالب انعه لتفسير كلماتها أو للإعراب في مناقشة وجوهه ، كما فعل أبو زكريا سري في شرح حماسه أي تمام وما صنعه أبو لفتح عثمان بن جني في إعرابه لشواهد الحماسة الطائية (١) أو بعده النعوى . وقد استطاع الخالديان وهما شاعران أديبان كانا في بلاط سيف الدولة أن يصنعا كتابهما الحماسة احادة المعروفة بالأشياء والنظائر (٢) وقد أوجدا فيه روحاً فنية بدائية للبحث والتفكير في بعض أبيات الحماسة

وكان هؤلاء السابقون لمعالجة شعر الحماسة وأصراهم من المؤلفين القدامى مولعين بجمع الشعر الحماسي مما لحظت يد أن يتحيروا أحسنه ، لا يعتبرون فيه تنصيف أو تنسيق ينتمى إلى التاريخ أو إلى الفن وكان دأبهم أن يبرروا اختيارهم في مجموعات لا يربط بين أجزائها رابط سوى وحدة الموضوع .

وقد عثموا كلمة الحماسة على كل شعر وجدوا فيه قوة وروعة ، وجرالة وأسراراً ، ولدانزي أبا تمام الطائي بحشد في كتابيه ، الحماسة السكري ، ورو كتاب الوحشيات (٣) المعروف بالحماسة الصغرى ما رافقه مما قيل في روائع الشعر منذ العصر الجاهلي إلى زمنه ، في أبواب يخرج فيها من الحماسة إلى الغزل والوصف والمدح ودم النساء وذكر لشيب وغير ذلك من أبواب الشعر وفنونه وقد فعل ذلك أمثاله كالحاجي الدين جاد في أواسط القرن الرابع للهجرة .

وهم في عظامهم هذا قد مستعموا معنى الحماسة ونسبوا من شمولها وآفاقها ، ولا أنسى ما سرده أبو عبيدة في نقائص جرير والعرزق وما شرحه أبو تمام في نقائص جرير والأحطل . وكل ذلك لا يخرج عما صلف ، وإليه يزيد ذكره أيام العرب وروايتها رواية تاريخية تغير نقاش أو تحيل شأن لكثير من أدباءنا الأقدمين .

إذن لا أستطيع أن أجدي في الآواش من سجع مثل طريقتي أو أجرى التأليف في شعر الحرب فيما جهت وأجريت ، لأنني وقعت عند كلمة الحماسة بمعناها الحربي (Bravoure) أي الشجاعة والبأس والصرب والطعان . وأنشأت رسالتي على الحماسة الحربية عند العرب في

(١) مخطوط لم ينشر .

(٢) مخطوط لم ينشر (وقد عرضت لها بالتفصيل والوصف في هذه الرسالة) .

(٣) مخطوط لم ينشر وصفته في هذه الرسالة .

مظاهرها التاريخية واعنية منذ صدر الاسلام إلى أيام أبي فراس الحمداني . وأحييت في ذلك أن أعالج ضرباً من البحث ما عولج قبلي في ميسمه القبي أو التاريخي ، متوصلاً بذلك إلى ذكر حقائق ونصوص صحيحة ودقائق تاريخية وفنية ، تلقى نوراً جديداً على الحروب العربية البيزنطية طوال القرنين التاسع والعاشر الميلاد . وقد كان لي في ذلك شرف البحث وسبق النسطور في لغة العرب مستعينة . لوثائق البيزنطية التي وضعت في القرنين العاشر والحادي عشر بأيدي المؤرخين البيزنطيين وفيهم سیدرسوس وليون الشماس ونقلها إلى العالم الحديث علماء التاريخ أبي علي أمثـل الأستاذين العصبين وشرحهم ، وواسيلييف ، وهذا ما تتطلبه الرسالة الجامعية من اشكال في الموضوع واستجلاء للنصوص والحقائق التي لم يسبق كشفها ونشرها ، وبذلك عرفت بما عند البيزنطيين عن العرب بما حلا منه تاريخنا

أما المؤلفون المحدثون فقد أجدت من عاج فهم موضوعي . وقد وجدت الأستاذ المرصعي من أدباء المهنة المثة بمصر قد صنف احامسة الطائفة تصنيفاً خاصاً وشرحها ، وأتم رواية آياتها في كتابه . أسرار احامسة . وكان من حظ الأدب المعاصر أن يضع فيه الأستاذ أحمد الشايب كتابه عن تاريخ الشعر السياسي في الأدب العربي إلى منتصف القرن الثاني للهجرة . وقد أخذ بتدوير البحث حتى مضى إلى ثماره ، عارضاً كتابه كله في معرض السياسة . مستنداً بالشعر على الميول الخرية ودرجات السياسة في عصور الأدب العربي ، وابط الشعر لسياسي بأطوار الزمن وعوامل الحصرة . وقد أفدت من دراسته الجديدة وقدرة له لإنارة الطريق أمام الباحثين ، وكنت أود لو سـج الشعر الخماسي فنصنف فيه كما صنف في الشعر السياسي ، إذ ليس كل شعر سياسي شعراً حميماً .

وكانت عاينتي من هذا الموضوع ، أن أدحيه رواية شاعرة من روايات أدباء العرب ، ومن نكس في أمسية في هذا الجهد فلا أكتـر من أن أسعد بها في بحث يحيى . جديداً ، وفي هذا حاجة الجاهد وغبطة الباحث ، ولقد قال أبو العباس النامي في دأى الطبيب .

وكان بقي من الشعر رواية دحيها أو أصيب . فمن لي أن أهول ، وقد اتسعت في عصرنا آفاق الثقافة وأماذ البحث . ما أكثر الروايات الشاعرة في أدباء المعاصر بقاء اندراسه الجامعية الحديثة . وذلك مما يحمرني لإعداد دراسات جديدة في الأدب الخماسي أرجو أن يكون هذا الكتاب سيلاً بها ، وما توفيق إلا بالله .

تمهيد

الملاحم والقصص الحرى

(١) الملاحم فى آداب الأسم القريم والحريّة:

قلت حين انتهيت من قراءة الإلبادة ، وإنت عني حياء أثيل نقش هـ مروس
آداب أمته . .

فكانت الملاحم فروسية وأدبا فى سجل واحد ، الآداب أسوها وسيحها ، والحرب
موضوعها ومعانيها ، وكأنه بات لزاما على الأمة أن يتبحر لها رها شاعر من بينها ، يعرف
تاريخها وأساسها ويحقق فيه بهواها وينظم من أجبها ، أشودة حربية ، تنقى عن الرمان ،
يتداولها الناس جبلا بعد جبل ، يحشد فيها كبريات الحوادث التى تعاورت على هذه الأمة
ويحشر اليها سيرة حرب مأبمة سمك فيها الأبطال دماءهم ليدروا بها غارهم ويكسبوا غارهم ،
ويكتبوا عدوهم ، ويحفظوا عليهم ديارهم وأموالهم

ومن عجب أن يخلق الإنسان وحب الحرب غريزة فيه ، منذ كان على الأرض إلى اليوم ،
وقد وجد فطرة الدم يلها نزوة امتص ، وكان من مقدور صباغته ، وقضاء حلقه أن ركبت
فيه نوازعه التى تجعله على حب الحياة فكانت الأثرة فى نفسه داعية لظله أو ظله ، فهو إما
هاجم على غيره أو مهجوم عليه ، وكل ذلك من اندفاع فطرى كالأحباء خصام أو جلاذ ،
وحرب أو قتال ، فدا أاد القوى الضعيف أو صاح الحصان ، بات الشر مستترا إلى حين ،
ثم ثار أو أنطوى فى حنايا النفوس .

وما عرف الدهر قوما سكنوا الدنيا ، ولم يغتنوا ما يشبه ، أو لم يحاربوا جيرانهم فكان
لأذن حتما لزاما أن تنشأ حوادث حربية فى الأمم . لها صلة بمصيرها وحاضرها ، تنضم فى عصونها
فطبع الوبلات ودامى الذكريات وتلف فى ثناياها روائع المشاهد وخوارق الصور ، لبطولات
رجلها وسائتها الذين على صفحات ملاحمهم يياص مجدها وفى روايه شجاعتهم وقد عزمتها ،
وبترداد سيرتهم نشوة حياتها . وقد أجب شعراء تلك الأقسام داعى شعورها فكانوا صدق
لصباحات مجدهم العابر ومآثرهم الخاصرة ، فأوحى إليهم أن ينظموا الملاحمة ، التى سكبوا فيها
نحيب أكبادهم وسطروا فيها كل خلال العظمة التى ورثها أمتهم . فعمدوا إلى أهدح الخطوب

التي أنزلوها بحصومهم وأروع المعارك التي دافعوا بها أعداءهم في الحصار ، أو لاجوهم بالحديد والنار ، شغلوها موضوع الملاحم . ولم يدحر هؤلاء الشعراء وسعاً في تسجيل الحرب ومراحلها ووصف أطلالها وصولاتهم ، وكيف أداروا عمار الواقعة حتى كتب لهم النصر ، ولأعدائهم الخذلان .

ولم يأل هؤلاء الشعراء جهداً في الإيجاء بالحكمة العالية وبالموعظة الباقية ، يجعلونها ديدناً لأحكام الحوادث وسعراً لإفالة نعمات ، ولم يدعوا سبيلاً في أن يبرجوا أخبار الحرب بأطوار الحب وحققات القيوب في الخصام بحفاتها في انعماء ، فانسحوا من لواعج الشوق ولهفات البعاد فقصوا لعمري وامتدحوا حديث محمود الحوادث وكانت ترفيها للحسن من التأثير ، لأحرار التي تبعث سيرة النبيلات وسبيلاً للأعراء بقراءة الملاحم .

وقد ألهم الفن أولئك الشعراء الأفضال ليس نظموا الملاحم أن يجعلوها أناشيد من صحيح الشعر مختلف ألوان سحره ، فهو إما مقطعات من الشعر مسرودة أو أغان محبوكة آخذ بعضها بركات بعض ، أو فصول إذا انتهى منها واحد كان تمام الآخر حتى يكون الختام

وكان من سر جلودها وأسباب بصرتها أن تصنع شعراً تهيش الدهر ، تتعد منها النساء تزيماً لتزويج الأطفال ، ويحس منها الرجال أناشيد العزة والفخر ، ويحد فيها المحاربون مشاراً للحمية ، والأدباء شاحداً للفرانج ، ويتنعم ألقابها الشبان إذ يحذونها هدهدة في جوانحهم للهوى والشباب والأمل المشهود

فكانت ، الإلياذة والأوديسة ، أعنى الملاحم المكتوبة على أن الإلياذة أم والأوديسة بنتها . وكان من فصل الإلياذة على الإغريق أن يحمل هوميروس عليها مكتوباً على الورق كما كتته هي على الحجر .

منظومة هوميروس صفة عشر ألف بيت من الشعر ، متسلسلة الحوادث ، في موضوع واحد . هو ما جريات الحرب الطروادية وذلك أن نفراً من اليونان جمعت عليهم أخلاف الرزق في أرضهم وكانوا يسكنون ديلوبير ، وجزءاً من اليونان الوسطى ، فزحوا قبل اثني عشر قرناً من الميلاد عن ديارهم هاريين من جور الوطن . فكانت وجهتهم الشمال الشرقي من آسيا الوسطى . فزلوا على شعب قوى الشكيمة ، صعب المراس هو الدرونيون ، أو الطرواديون ، (١) فحاصروه وراء أسوار مدينته العصماء طروادة ، (٢) .

(١) كتب « صغبات بحارة من الأدباء يونان العظماء » بالفرنسية تأليف موريس كروازي الطالعة السابعة لأرمان كولان باريس سنة ١٩٢٢ ص ١٠ .
(٢) إبيروس .

وكان ملكه الظل ، بريام ، ذا حفاظ على مجد قومه ، فآثر الصمود للعداة الذين أجهدهم
البلاء في الليل والنهار دون أن يستطيعوا دكا الحصن أو فتحا لآبوابه . وانجدهم الارتداد
بدون معتم ، وما وراءهم إذا ارتدوا سوى الجوع والدمار .

لقد جعل هوميروس موضوع ملحمة هؤلاء المناجحين ومن نزلوا بساحتهم . وأدار حوادث
هذه الحرب بين أبطال أقوام من كلا الجانبين . فكان من الهداة المناجيد في فريق اليونان :
أغاممنون وآشيل وعولس وديوميد وأحاكس وهيس . وفي أبطال الطرواديين : ريام وولده
هيكتر وبارس وهكوب وأندروماك .

فاستحر الخصام بين الجانبين من رحل جلال المناضحين بالنبال ويصطفقون بالعمد
والسيوف ويتطاعنون بالأسنة . ونساء يؤرن النخلة أو يخصصن على حماة الدمار . ووقع
الحلاف بين امرأة أنفسهم فكان من حمة أسبانه فتاة حسناء سبأها آشيل فعاله عيبها أعمنون
وابترها منه . فخرده الفتى آشيل عن الحرب وظل قاعا تحت حيمته حتى كاد جيشه يتدحر ويكتب
على قومه الحمية والعار . وكان له صديق من خنصاته الأصمباء جعل يسترضيه ليرجعه الى
الحرب فلم يرص ، وآثر حب الفتاة المعصومة منه على حب الصغر لقومه ودرء العار عنهم ، وما
يش منه صدقه أحد لآلمته فندسها وسلاحه لخملة ، وصاح في وجه الطرواديين فردهم الى
أسوارهم ولكنهم قتل . وإد بلغ مقتله آشيل توفد الحرس عليه في قلبه فاحرق حب الفتاة المسلوقة
وطهر ذلك الممؤاد . فب آشيل إلى سلاحه فلسه وثار في وجه الأعداء ثورة مخنونة فردهم على
أعقابهم وعيهم السور إلا هيكتر ، فقد طن حرجه وحده فانقص عليه آشيل . وكان ريام
أبو هيكتر وأمه بنظران اليه من شرفات الحصن وقلباهما يحققان من شدة الحزح عليه .
لحمل آشيل على ألد خصومه وطعنه في مقتله . فآله المطعون إن مات أن لا يثقل بحمته ، فأنى
واستكبر وربط جثته الى مركبته الطاهرة ودار حول السور أشواط والنساء من قومه نواحيات
عليه من أعالي السور والرجال رماة بالنبل لتصيح آشيل الجبار . وكان الملك ريام وروجه
ساعتئذ في غيبوبة العناء .

هاهنا يشهد هوميروس ، بمقتل هيكتر ، المشيد الثاني والعشرين ، ويندفع على نهاية
الإلياذة فيروي كيف اتحد اليونان الحديعة وسيلة إلى فتح الحصون بجواد هيكل هائل من
خشب . فقتلوا بريام واسترقوا روجته ونهبوا البلد ثم احرقوها واسكفؤوا الى بلادهم ضايين ،
تائهين في عرص البحار .

وكل هاتيك الحوادث لا يقوم بها الإنسان وحده وإنما تشركه فيها الآلهة والأعوان من

أرباب وربات . وهذه الآلهة تتمثل حيناً بشرا سويّاً محارب مع المحاربين وحيناً وحياً يذب في القلوب وينفخ فيها القوة أو أشباحاً تلوح بالتشجيع للمحاربين .

ولم يترك هوميروس ، قومه هدرًا في عرض اليم ، وإنما نظم بعددتها أناشيدها الأوديسة ، قصوراً عما يمتنون بثور مجروحها ، فيجد زوجته قد عدت به في عيانتها فعضت صديقه . وعولس صل السيل في البحر فعصفت به الروح وصحبه على جريرة وحش صحه رافع على هيئة إنسان به نفس واحدة في جبينه . فكاد يأكله وصحبه لولا حمور أسرطه التي كانت معهم فأسكروه بها وفروا بمركب فضته منه الخط وصاعوا في اليم سنين حتى عادوا إلى الوطن . فوجد عولس زوجته مقبمة على اعمد حافظة لعفاف ، فشكت إليه رجالاً أحاطوا بها بترصون ، فقتلهم ، ثم مات هو مقتولاً في معركة يد ابنه الذي كان يحمل أنه أبوه .

تلك أناشيد فيلاديه هوميروس ، النصر كان يشدها قبل مولد المسيح بتسعة قرون^(١) يستجدي ٣ فيكسب حبر يومه على نحو ما كان يعمل شعراء الإغريق الأقدمون الذين جعلوا لشعر سيدلائكسب ثم حفظ بعد موته كثير من الشعراء المنشدين أشعاره فأنشدوها مثله . وشاعت في عرص البلاد اليونانية وطوها حتى كان عصر الكتابة فكتبت . وعاليها اليونان فادع ب سبع مدن أن هوميروس ، ولد فيها منها إرميرودوس وسلامين وأثينا^(٢) .

واختلف علماء المرحمة في صحة الإلياذة وحقيقة نسب أناشيدها واسكر بعضهم وجود هوميروس ، وسفه هذا البعض علماء آخرون^(٣) وفروا بوجوده ووجود أناشيده . وعمت الإلياذة الآفاق فترجمت إلى كل اللغات الحية ونقها شعراً إلى لغة الضاد المرحوم سليمان النستاق سنة ١٩٠٤ .

وقال نمران هذه الأناشيد أسطورية لما فيها من ذكر الآلهة والأحياء والحوادث واستحالة الإنسان هباء أو تحسد الخيال إنساناً . وقال آخرون بل هي حقائق لسع عليها الشاعر رداء من الأساطير . فان هيرودوتس ، المؤرخ الذي ولد بعد هوميروس بأربع مائة عام كان يستشهد بأشعاره على حوادث كثيرة من التاريخ وإن يكن هوميروس قد اخترع كثيراً من الحوادث الأخرى ، فهو بهذا الاعتبار أول المؤرخين في قومه^(٤) بشعر الحرب ، وخلدت

(١) الإلياذة ترجمه استاق من ١٩ ، حسب التحقيق في قطع من المرمز موقوفات به اساق يونانية عتقة مجموعة في مكتبة أكسفورد .

(٢) رسالة عن الإلياذة بترجمة جوركان بالفرنسية طبعة الكلاسيك لهايتيه بباريس من ٧

(٣) كروازي في كتابه السابق من ٨

(٤) الإلياذة البستاق من ٥٨ من المدة .

الإلياذة على ترادف الاحقاب وكرور العصور غير مائة بالثكنات التي أنت على الإغريق
الأقدمين وتعاورت باللوى والعصاء على أعقابهم المحدثين . ونقيت منبها في ديار العرب يرتوى
به الأدب ومشجدة تنصقل بها العرائم حتى قال أحد قياصرة الفريخ المحدثين ، دعوا الأساندة
يكثروا من تلقين شعر هوميروس في الأمانة التي يرسخ في ذهنها وصف صبا الأمم على نحو
مايسطه ، هوميروس . لايسارع بها العجز والحرم . وقال : درست ريتار ، إذا مر على
عهدنا ف عام انقضت جميع تنالين انني من أديبنا ولم يبق إلا كتاب واحد هو
ديوان هوميروس (١)

كيف لا يكتف لها بقدر ما ذكر وقد حوت الى حد ذلك في ربح وانع في وصف المعارك
وحواري البطولة ، وصمت فلسفة وحكمة وآدابا ومعارف حمى في نطق ونطق وفي الحرب
وفي شؤون السياسة وإدارة الحكومة

أما الرومان فقد قدروا انوارا في ملاحمة ونشأ شاعرهم ، فرجين ، مدحمة سمها ، الإلياذة ،
لخرج بها عن طوق هوميروس . فهي لا تسكن يوماً من الأيام في وحه التاريخ ، إنما سمها
بحياته وأوهامه ، فجعل حوادثها معامرات اللطيف ، إلباس ، وهو اندى سميت باسمه الإلياذة ، وكان
أكبر رعيم من حماة الظم وأديبين هب مع صحبه الى قرطاجنة فلكم انهم جاء ، إيتاليا ، هروج
بأشنة ملكه ، وملك بعده فكان من صلبه ، روموس ، ورومولوس ، الدائرة تروى الأساطير
الإيتالية انهما كانا يران من أطباء دثبه حنت عليهما ثم شيا واحتصما على الملك .

ثم إن الأمم العربية التي استببت بالحرب وعرفت العروسة وكان في طباعها حب الجلال
مضت على سنن الإغريق في شعر الحرب فكار لها ملاحمة كبرى . فلدى الأمة الألمانية
ملحمة ، النيبيلونغايليد ، أو قصيدة النيبيلومين ، وهي منظومة حربية كتبت حوالي سنة ١٢٠٠
للبيلاد وتشتمل على قسمين أصليين : سيفريد وثأر كراميد . وكلية فحواها أن الفتى المعوار
سيفريد ، بعد أن دافع صيته بالبطولة واشتهرت في القوم عرواته تعشق الفتاة الحسنة
كراميد تحت الملك ، عوثير ، ملك البورعويد ولما عرف هذا العاهل بهوى البطل أراد أن
يجعل صداق أخته عليه قتل ملكة إيزلابدة فقال له ان أنت اعنتني في حرب هذه الملكة
العاشمة فذكرت عرشها اطهرتك ببغيتك وزوجتك أختي .

لخذ ، سيفريد ، في حربه وقيص له العزم بعد أن أبلى البلاء الحسن أن يحجى ملكة
إرلندة صاغرة إلى مولاة فتال هو بعينه واشترى ببطولته وعظمه عروسة الحسنة ، لكن

ملكة ، ايزلانده ، تأت على الملك ، غوتير ، وآثرت أن تكون في سباياها بين عبيده على أن تكون له عروسا . فحارها عسبا قطامت ثم اطمأت . وحين طلع جمالها على عرشها تصال أمامه جمال كل امرأة في القصر . فكان أسبق الملبحات إلى حسدها ، كراميلد ، روجة سيمريد وعيرتها بأنها كانت خطوة زوجها يوم جاءها أسيره قبل أن ترف إلى الملك . فعصبت الملكة وسول لها كد النساء أن تصبر للثأفة شرا فأرسلت أحد رجبها فقتل من أجلها العتي البريء

خفت روجه ، كراميلد ، التي كان مهرها غاليا أن تثار لزوجها القتل المغدور وأن تسلط كيدها هي على عدوتها الطلوم وكان الملك ، أتيلد ، ملك الهون راغبا بها يتمنى لو كانت له روجا فأرسلت إليه من سعة إلى خطبتها فرصيت به ، وبعد حين استطاعت بما أويست من سحر ودهاء أن تحمل زوجها على أن يدعو إليه الملك ، غوتير ، وزوجته وحاشيته يصحب جميعا إلى الأدبة . وحين حلوا لساحبها وحلوا إلى هانديتها انقص عليهم الجنود من كل صوب فأخذوهم بالسيوف وقتلهم جميعا . وضعت كراميلد يدها عنق الذي قتل زوجها

سك قصة ملحمة دارت حوادث في القرن السادس الميلادي وهي سيرة ناس كانوا يعيشون على صفاة لرس . فبات من ذلك اليوم ملحمة الأمة الحرمية في قديمها وحديثها ، وذاع لها بين ظهرايتها صيت عظيم . وقد ترجمت إلى أكثر لغات الحياة ونقلت إلى اللغة الفرنسية مرتين واحدة سنة ١٩٠٩ و ثانية سنة ١٩٢٣ (١)

وذاع بين الفرنسيين منذ سنة ٧٧٨ للبلاد ملحمتهم التي يحدون على مجدها ويحنون إلى عهدها ، وهي أنشودة رولان التي يقول ناظمها إنه بيم كان لامرأطور ، شارلمان ، عائدا من معراه في شمال اسبانيا في فتح جانب قآب وعسكره محموفين بالحساسة لحمل يحناز بملول جنوده جبال ، البيرينيه ، فهبط على مؤخرة جيشه رلاء الوادي من سبة العابرين وكانوا يسمون روسوفو ، فنهوا قافلته وديجوا عسكره دبح النعاج .

فتغنى الفرنسيون منذ ذلك العهد بمروسة هؤلاء المحاربين ، وجعلوا هذه الواقعة شاحدة لقوام فكانت أناشيدها الأولى وليدة البلاد التي عاش فيها رولان حفيد شارلمان في أواخر القرن الحادي عشر للبلاد على مقاطعتي ، مين ، و ، أنجو ، فسميت هذه الملحمة باسمه ونمت أبياتها وتضاعفت مقطوعاتها حتى صحت مجد فرسة في أوائل العصور في حربها وقتالها .

(١) ملحمة القرن العشرين بالفرنسية لبول أوجه بمادة نيبينو سايد .

وهذه الأشود غدا، شلمان ورولان أعظم جبابرة الحرب في الفصص الحربى الفرنسى .
ولم نلت هذه الأشود الخماسية أن عبرت إلى إيطاليا فكان بحارة البندقية يترنمون
بالخامها ويرددون بالأناشيد مقاضيمها . ولقد كانت موضوعا ووجبا لكثير من المؤلفين
المسرحيين ، فوضعوا روايات تمثيلية جسموا فيها منظر طولة الكارولنجيين ، وعظمتهم
الحربية في عهد البداوة الفرنسية . . . (١)

وعظمت الأمة الإيطالية على مهلة وذاتى التى ظمها عن نفسه ، أنه شهد الجنة واناروكان
مرجبل وتده اليهما في مركب يعوم على نهر الجحيم فأطل منه على شقوة الإنسان الذى ينطلى
وخرج من سياحته هذه أبوهومه وقد هاله ما رأى من مصم أبوجود
وحديث الأمة الاسكندرية على شاء . هـ . جون ملتون ، جمعت من فسيده الاسكرى التى
سمهاا الفردوس المفقود ملحمة هـ . هـ . فى أياها صدى بحما الأذى ، مدسوجاً عليه ثوب دينى
لأن د ملتون ، كان فى ملحمة ييكى ضيعة الفردوس من يد الإنسان لافان . وهبوطه إلى الارض
بعد أن أغواه الشيطان .

والصحيح أن ملتون دى . مكى فردوسه هو المفقود ، فقد أصابه العمى وماتت روحه الأولى
فأخذ ينظم هذه الملحمة من دم قلبه وبكى حظ الإنسان وحظه معاً على الأرض الفانية ،
فأكسنته هذه انقصيده لرائعة بعد موه . كرا لايجى . ولقد أعطى أمته ملحمة الفردوس
المفقود ، فأعطته فردوس الخلود

• • •

وما كان الشرقيون أقل حموه لشعر الحرب من العرب ولادوسهم فى لغزوسية البطولة
وسرد الفصص عن الأهوال ، من عندهم ملاحم كبرى ظموها مزيج من الحقيقة والخيال
ومن الوهم والواقع وجعلوا تردد قصولها تذكيراً بالعجود . وتأريثاً للتأثر وقد للعرعة ، فكان
لليابان والصين منظومات حربية وذاعت منظومة ، الرامابنا ، التى وضعها لشاعر الهندى
هـ . قالميكى ، قبل المسيح بأربعة عصور . وتكاد تكون فى عمرها وعنفها نالية للإلياذة . وهى
قصة مريخا الأسطورة تبيع ثمانية وأربعين ألف بيت من شعر نظم معطمها شاعر واحد
لجعل بطلها ، راما ، ابن ملك أوده الذى رماه أبوه بالنعمة وحسن الخلق لكنه حين اشتد
ساعده وهاض شبابه تعشق أم أخيه هراتا ، فعضب عليه أبوه ، ونفاه من البلاد فهام على وجهه

(١) الموسوعة الفرنسية . كبرى لبرتالو وجماعه المرح ٢٨ ملاء من كتاب عوييه هـ أشود
رولان وكتاب الملاحم الفرنسية .
وزرع الأدب الفرنسى لدوميك طم «رعى سنة ١٩١١ مكية دولابان من ١٣

أربعة عشر عاماً في عانات داودا كما ، ثم عاد ليتولى الملك . وكان للأمير رامادروجة حسنة اسمها ميتا فأحبها ملك الجس في جمرة سيلان واسمه رافانام ، فاحتطعها هب ، رامادروجة طلبها مستعينا بملك القروود حتى قتل ملك الجس واستحضر زوجته وترك على عرش الجس أحد الملوك الذي كان له عوناً على قتل أخيه ونصيراً .

كذلك عاد رامادروحة إلى ملاحم في صغر ثم عرج رامادروحة إلى السماء فغاب فيها . وهذه الملحمة تشير في كثير من موافقها إلى تاريخ الهند العتيقة ، أهم ما تذكره غزوة أرياس لجنوب الهند . وفي هذه الملحمة مشهورة الإياداة في أساطيرها ، فكما كانت الآلهة تمد وأعمشور ، وحمه بالأسلحة فكذلك كانت الآلهة تمد بسلحتها القتلى رامادروحة ، وإن في حلمه مع الجس والقروود مما يحتمل في أساطيرها وحرفاتها مشهورة بعض حوادث الإياداة في صدد الجس والمسوح .

وللمنود ملحمة ثانية هي قصيدة المهابهارته ، وتقع في نحو المائة ألف بيت لغواها تنافس بناء العم على الملك واسمها شطرين في حتمهم يؤدي إلى فناء أحدهما ثم يخلف الآخر بعده ويدركه العناء فيتبعه .

وللعبرانيين ملاحم فاء إصابتهم في تاريخهم نشأت الوطن ، كلهم سفك دماء . وكان من أساطيرهم الفتاة وجوديت ، التي جرت رأس هولوفيرس ، إذ كان محاصراً بيت المقدس بعد أن تسلمت من أبواب السور بيلا ودخلت خيمه الفائد المحاصر وسقته حرأ . هب جمعه في الصباح ، وقد وجدوه مقتولا فمروا ووقع بهم الخدلان فأنصرفوا عن أسوار المدينة . وطم شعراء اليهود هذه الحوادث في شعر يردد عندهم بعد التوراة وقد حوت التوراة جانباً من ملاحمهم ، كسر أيوب ، الذي يذهب بعض الباحثين إلى أن أصله عرقي . وهو يحتوي على ملحمة شعرية عربية في وفاتها وأحبائها ، وأن التوراة نقلت هذه الملحمة إلى العبرية . فذا ثلث ذلك كان عرباً قد سبقوا اليونان والرومان والهند بأعصر إلى وضع الملحمة المثلث التي نفتقدها اليوم في أدبنا فلا نجد لها في قديمه أو حديثه .

ولكن هذا الرأي ما يزال قائماً ، لم تنهض عليه أدلة علمية إلى اليوم . ولم يعد أن يكون طناً من طنون أو اقترصاً .

وإن في مباحي التوراة وتناوحيها لكثيراً من أقوال تلك الملاحم وكفى بالنبي سليمان وأبيه داود أن يضيفا عليها بالشعر سفر المزامير ، وانشودة الأناشيد .

أما الفرس فأجدر بهم أن يكون من حقهم من لواء الملحمة في الآداب الشرقية ، فقد قبض الزمن لهم في العصر الرابع للهجرة شاعرهم الأعظم ، أما الفارسي الفردوسي ، فنظم الشاهنامة فكانت سفر الأمة الفارسية منذ ذلك العهد ، جمعت تاريخ أكرماتها وذكرت أمرهم ووصفت حوادث الخواص في عهودهم ، وكانت بذلك حاربة على مشيخ من يدعي سائر الملاحم التي سبقتها فهي تروي أحداث ما يقارب أربعة آلاف عام من عمر الفرس ، حكم فيها أربع دول حتى عهد الدولة الساسانية .

وهذه المنظومة هي التي نبت في تاريخ الفارسي مجد الأمة بعد أن حطمه الإسكندر المقدوني بفتح فارس — فأحييت مجد العجم وأقامت الذكرى لشعائر الدين الراود شتى وقد أدخل مؤلفها الفردوسي شخصه في ثناياها — فكان لذلك منفرداً أيضاً — فهو يذكر نفسه في بعض فصولها عند البداية أو الخاتمة كأن يذكر من روى القصص له أو بنوه فصله في الشعر وراعيه في نظم هذه الحوادث أو يتشكى صدف الجسم وهمة الشبهوحة أو يمدح السلطان محمود بن سبكتكين ، الذي صنف من أوجه هذه المنظومة (١) .

وفي شاهنامة بطر الفردوسي بطولات الفارسيين في الحرب ومكانتهم في السلم وأعظم الأبطال الذين دارت عنهم حوادث هذه الملحمة ، كجيسرو ، و بهرام كور ، ابدك الساساني و بهرام جوبين ، القائد و كيو ، و رستم ، و الاسفنديار ، جبار الأبطال .

ولم يستطع الفردوسي أن يرى شاهنامة من نسخة الفارسية التي كانت شعور كل شعبه معروفاً بذلك مذهب الشعوبية لدى لا يرون من فصل العرب و مدح أحقاره الموروثه فتح المسلمين لبلادهم فرمى العرب بسهم من سهام الشاهنامة فقال رستم (٢) وقد بلغ الأمر بالعراق من شرب ابن لائل وأكن الصمات حتى طلع إلى دج "كبيبيرو" أف - نك يا فلك السماء

وقد عرف العرب شاهنامة بعد عصر الفردوسي ، فوصفها ابن الأثير بأنها شعر يشتمل على تاريخ الفرس وهو عندهم قرآنهم . وقد ترجم إلى العربية خدوها عن الشعر (قوام الدين البنداري) زمن الملك العادل أبي بكر بن تيمور في أو ثل القرن السابع هجري وقد تصرف في ترجمتها مرادها ونقص منها وافق مؤلفها في أثره شخصه فأدخل منه هو في ذكرها . وكان عنده الملك العادل أجدر بأن يذكر فيها من السلطان محمود الذي بطمت من أجله ، فمتدحه بقصيدة مطولة ذكرها في متن الملحمة ، ثم عاد إلى إتمام فصولها

(٢) الشعر الحرى والشعر القصصى

لم يفرق نقد الأدب عربى بين الملاحم والشعر القصصى ، بل مزجوا بينهما فى باب واحد وحسبوا كلا منهما مثل الآخر . على أن الملحمة كما عرفها نقاد الغرب (١) : قصة شعرية لأعمال بطولية حارقة

وفد تضم الشعر القصصى ولكن ليس كل شعر قصصى ملحمة . فى أدبنا وآداب الأمم شعر قصصى كثير يكون فيه رواية حسب ، أو سيرة رديفة كما فعل امرؤ القيس فى كثير من شعره . وكما جرى فى سرد أخبار النساء عمر بن أبى ربيعة . وليس شعرهما هذا من حمة الملاحم ولا يمت إليها بائى سبب فإذا جاز أن نسمى كل ملحمة شعرا قصصيا فليس يجوز أن نسمى كل شعر قصصى ملحمة

والشعر الحرى قديم فى الدهر . فقد كان يسمى الشاعر الحرى فى الأدب الفرنسى فى القرون الوسطى . مغنياً أو منشداً (٢) يمضى من مدينة إلى مدينة على غرار ما كان يفعل الشعراء المسمون البروفير ، فى العرون الوسطى فى أوروبا . فكان يرن هذا الشاعر صوتها على الكبرا والامراء فيكون رتبة بحالهم وموائدهم . كذلك فعل الشاعر اليونانى الأقدم ديمودوكوس . عنده عولس ، ملك جزر ، إيناكه ، وكان صاحب الإلياذة هو ميروس نفسه من هؤلاء الشعراء المرتقبين يشد مقاطع قصائده وحده على مشهد من عامة الناس ليجود عليه السامعون . ولما مات خلف شعره بن أبدي شعراء المكتسبين من أمثاله لعلوه مورد الرزقهم وعلفوا يشدونه أناس على عرار صاحبه . ويذهبون به فى البلاد فيكونون به زينة المحفل . فسباهم أناس الشعراء الهوميريين . وظل جبل هؤلاء الشعراء موصولاً إلى عصر أفلاطون . وكان لهم لباس خاص بألوان مختلفة يرتدونه عند الإشاد وعنى رؤسهم أكاليل من الذهب . وإلى جانب الشعر الحرى شئ فى أرب الإنسان القصص الحى وهو روايات وقصص أكثرها النثر وأقلها الشعر .

(٣) الملحمة فى الأدب العربى

حين نقل العرب فلسفة يونان كانوا فى فتنة من عقولهم وخصومة من جدالهم فتمرغوا بنطق أرسطو وقياس أفلاطون ونقد فيثاغور . وغلوا فى أحكام مزجوا فيها الإلحاد بالدين والسياسة بالنعص . حتى نزلت أغنية من جراء ذلك بعلاء أعلام فجلسوا على النطق وأصابت على أعناقهم السيوف بعد أن تربعوا للشظرة على بسط الحرير وبأيديهم الأقلام لا تقتر عن

(١) كتاب الأدب الفرنسى تأليف جول بيدية طبعة لاروس سن ٢٨٥ .

(٢) Aède ou chanteur

انكثانة . وكان ائامون يؤرث حومة جداهم فيطلع عمامته ويصمها جانباً . ثم يقبل على معشره من الفقهاء ويقول :

— إنما بعثت إليكم للنظر . .

وقال الإسلام من فلسفه الإغريق حتى غدت له فلسفة ، لها أعلامها وأساطينها ، كان سيناً وابن رشد والعارف ، من كانت قضاياهم العقيدية مبنية على قواعد الحكمة اليونانية وكان لها من الفضل أن شاركت في بعث الفلسفة الحديثة بأوروبا .

ورافقت المسلمين الفلسفة فاشتغل بها العرب والمسلمون وطال فيها بينهم المدة بالاستقراء والأدلة حتى عدت شغلهم الشاغل في كل جعل أو كتاب وطغى على بعضهم فساد العقائد ورواها رجمها بحارف أقوالهم ، ونشأ بينهم وإخوان الصفاء ، فشعلت بحالهم الخاصة أبواب القوم وأحاط الإخوان عنهم نطق من الأسرار فكان الحسن والمحسوس والعقل والمعقول ديدن تفكيرهم ونقاشهم . وقد طلت هذه المذاهب الفلسفية والآراء المنطقية تتضاعف بين المسلمين بعضها بعضاً كأعداد الحساب حتى عدت لا تعرف من هول خطرهما وعموضها وقد أحصى أبو منصور البغدادي في كتابه ، الفرق بين الفرق ، والشهرستاني في كتابه ، الملل والنحل ، وأن حرم في الفصل في الملل والأهواء ، ما لم يكن لامة على الأرض مثله من المذاهب في الفكر والاعتقاد .

فداع في الثقافة العربية منذ استهلال العصر العباسي أسماء أولئك للفلسفة اليونان الأقدمين . وظل اسم هوميروس بينهم مستتراً إلا عند من من خدائق اليونانية أو من عرف بأدبها أو ذكر فنونها . وبالأستدلال بأقوال ابن أبي أصيبعة وابن خلدون (١) يعلم بأن هوميروس وإبنيده كانا معروفين لدى العرب بعد نهضة الترجمة في المائة الثانية للهجرة . وقد قال الشهرستاني صاحب الملل والنحل (٢) : « هوميروس ، شاعر وهو من تقدماء الكبار ، الذي يجريه أهلاطون وأرسطاطليس في أعلى المراتب ويستندون بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ومناة الحكمة وجودة الرأي وجرالة المعط ثم ترجم له مقطعات من أشعاره بحمل معقودة الكلم على المواظ والحكم مثل قوله :

(١) إن الأدب الإنسان ذكر لا يست . إن كنت ميتاً فلا تحقر عداوة من لا يموت .
إن الكلام في غير وقته يفسد العمل كله ، (وقال الشهرستاني في آخر هذه الحس وهي كثيرة

(١) أدبه طبع بيروت من ١٠٥٢١ ، سمات لأصب ، لأن أبي أصيبعة طبعه الأولى في سنة ١٨٨٢ ج ١ ص ١٨٤ .

(٢) الملل والنحل ص ١١١ كتاب الملل والأهواء لأن حرم الطبعة الأدبية عصر سنة ١٣٢٠ هـ الجزء الثالث ص ١٩ .

وفي موضوعات شتات من الاجتماع و الأخلاق والآداب . وإن وجود الشعر في أمة اليونان كان قبل الفلسفة وإنما أبدعه أو ميروس ، ١١ .

وقد ترجم الإلياذة إلى السريانية بأيام المهدي أحد المعروفين في بابيه . وهو توبيل الرهاوي غير أن نقل الإلياذة إلى العربية لم يكن لدى المسلمين يومئذ أمراً هيناً ، لما فيها من ذكر الآوثان التي جاء الإسلام بتحطيمها . كما ترجمه الرميثون بلنقش و "تصوير" . وكان جل الأدب اليوناني عمره حين بالوثنية حُرمت العربية يومئذ من ذرة الأدب الإغريقي القديم وديوان أخباره لم يكن فيها فلس من هذا الشعر العزيز في وصف الحروب وما إليها من أخبار ، لا طال كما حلا أدنا القديم من القصص التثبيتي وكان شائعاً عند اليونان على يد سوفوكلي ، وأمثاله وكان شأنه في الوثنية شأن الإلياذة

ولو نقل العرب هاتيك الأعلاق إلى آدابهم وعشوا بها عنايتهم بالفلسفة لكان في أدبهم من ثمار "تقرايح" أغنامهم عن تشبه إلى أمثالها عند غيرهم . واستأدى أدبهم حالياً من الملاحم ، ولا ينبغي أن نفتهم . فنظمت إليهم أن يكون لديهم ملحمة كالمحمة اليونانية في أمثالها وموضوعها وحديثها . إذ ليس شرطاً في كل ملحمة أن تختص بالإلياذة أو سواها من ملاحم الأمم المتبقية أو الحديثة

وسنرى أن كل شعر طال أو قصر ، وقد وصفت فيه المعارك ، وسردت فيه أخبار البطولة وروبت فيه ملاحمات الجلال ، هو من شعر الملاحم

على أن ليس يحسن قصص الشعر ملحمة ، بخلاف في آداب العرب ما لا ينقص جملة من هذا قصص الكثير . ولكن علام لم يعمد العرب لأثر واللاحقون إلى نظم ملحمة كبرى غير في آلاف الآيات كإلياذة وأشاهنامة فتجمع درج الأمة العربية وتحدد مجدها الإسلامي في حروبها وسلبها . وسكون قدوة حسنة ومفيدة . على حين يجد تاريخهم بملوءة ، وغير والأعوان . ويكاد يكسب السكائب وقائعهم عديد من الدم ، فقد عرفوا انقراض العرب من سحيق جاهلية حتى عصورهم الأخيرة

فمن هذا الريح الحافل ينادي شاعر الأمة العربية لمطوئهم الكسرى ، ويحمل الأدياء على تسجيله وتصويره ليكون للمعاصرين وللمن يأتي بعدهم كتب خير ، وسر مجد ، يتلوه الأبناء بعد الآباء

(١) وذكر بعض في ك . . . ربح الحكماء . . . وأحد الحكماء . . . أن حين من إسحق كان يشهد أشعار بروم لأوميروس رئيس شعراء بروم ، أحد الحكماء مع سعادة نصر من ١١٩ ، تاريخ الحكماء . طبع أوربا من ٧

أما العرب في جاهليتهم فلم يحاربوا قوماً خارجاً عنهم ، ثم عرف التاريخ أنهم جبروا جيشاً لمحاربة فارس والروم إلا بعد الإسلام . وإن يكن في حروب المناذرة والعساسنة ما لا يشفع لهم بالتقصير في نظم الملاحم العنية ، وإلما كانت حروب الجاهلية بين قبائلها حسب ، ولو كان أمر الملاحم العنية لديهم مألوفاً بلورثنا عنهم كثيراً منها .

ولعل حبهم للقافية الواحدة يجرى عليها روى القصيدة ، ومقدم في الملحمة إذا كانت تقتضي آلاف الآيات ، ومن لهم بروى واحد يجرى به الكلام ألقاً في لغة العرب أو في أية لغة في الأرض ، على أن الشعراء الجاهليين لم يحاولوا إلا في قليل ريادة أبيات المطولات على المائة بيت .

وقد استعرب ابن الأثير في خاتمة المثل السائر ، أن لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها ، وتشعب فنونها وأعراسها ، منظومة كالشاهنامة ، على أن لغة المعجم بالنسبة إليها كقطرة في بحرهما ، وكان ابن الأثير يرى أن المعجم يفصلون العرب في الإسهاب . . . وينتج لي ذلك أن ميل العرب إلى الإيجاز ، وعلوم في اختصار الكلام ، والتزامهم مقاطع الخلل الضيقة التي تحمل عرير المعاني ، قد يكون السبب الذي صرفهم عن نظم الملاحم وقصر منظوماتهم — مهما رادت — على تلك المطولات التي ألقوها .

وإني وإن قلت إن الأدب العربي قد حرم الملحمة المشبهة بملاحم الأمم المشهورة التي أسماها الملحمة المثلثي ، فإن أعداء الشعر الجاهلي لدى قائله أتمناه في أيام العرب ، ملحمة كبرى ، ولكنها مقطعة الأوصال قد شترك في وضعها من لا يحصى عددهم من الشعراء ، وما أجد على من صير في هذا الرأي فإن ملحمة هوميروس ليست له كلها ، وقد أسكر النقادة « وولف » وجوده (١) ورغم غير « وولف » من العلماء النقادين ، أن اسم هوميروس عنوان لحسب للطائفة الشعرية التي جمعت من أفواه الأقدمين دون معرفة قائلها ، وسميت بالإلياذة (٢) . . . وإن في المنعقات الجاهلية العشر ، وفي سائر ما نظم أشعراء الجاهليون ، لما يتنحل منه ملحمة عرصة كرى قيات في الجاهلية . لأن خواطر أصحابها أشعراء متفارنة ، بل تكاد تكون متحاذية ومتشابهة . وقد يصول الشبه بين كثير من خواطر الشعراء الجاهليين فتبدو صورهم العنية متماثلة كل التماثل . فلدى طرفه من العبد مقطوعات في معان جاء بمثلها امرؤ القيس كما أن لديه أبياتاً هي داتها عند ضريحه تتغير قواها حسب ، وإيم في وحدة معاشهم وطبيعة

(١) نعمة من البداة هوميروس ترجمة حوركان ص ٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٤ .

أرضهم المتشابهة . وانسائط آفاق الرمل بين أعينهم وتظلم تحت الخيام . وعيشهم الراتب على المدر والحجر وفي الور ، لما طبعهم جميعا على غرار واحد . فألف بين منال معانيهم وحواسهم . وصروب تصورهم مع اختلاف قليل في أساليبهم . على أن البصير في أساليب المعلقات العشر ، واجد فيها شها في السح والمعنى ، مما يساعد على الإحاطة بهذه النظرية التي أقول فيها ما احتمال التأليف ملحمة عربية جاهلية ، تؤخذ من الشعر الجاهلي فتتجنب من مقاطع وقصائد ، لكل شاعر . تمثل هوسية الجاهلية . وتذكر حروبها وأيامها بالتسلسل والترتيب ، وتسجل ذكر أبطالها وطولهم الفدقة التي ما كان الأدب اليوناني القديم يبرهن فيها عند ذكر أبطاله وتصوير عاداتهم وحوارق بطولاتهم وسداد آرائهم في الحرب وطرائق حذعنهم في المعارك والمبارزة والحصار والمناجزة ، فلعرب في جاهليتهم وإسلامهم مواقف قل مثيلها عند الأمم المحاربة القديمة . وفي تسمير الجاهليين للحرب ليل نهار ، وعاداتهم المباحة التي ما حملوا معها الموت . ما لا يقل عن مثله عند غيرهم من الأمم التي عاصرتهم . أو تقدمتهم في الزمن .

وإذا كانت ملحمة اليونان تقوم على عقل عولس . ودهاء أعمامون وطولة آشيل . فإن للعرب الأقدمين عنزة الفوارس من شدة العسى الذي ملا ديار الحروب الجاهلية . وشغل الناس إلى اليوم بقصة أهواله وصروب شعاعته . وعند العرب حساس من مرة وكليب من ربيعة والحارث بن ظلم ، وفي آل عس وذبيان وبكر بن وائل وتعلب وغيرهم من بطون العرب وقيلها لما يكاثرون به الأمم .

ولن يكون للعرب ملحمة واحدة مقصورة على الحروب الجاهلية . فإن تاريخهم الحربي الذي به إليهم الأمم المخاورة وأحافها مهم ونسط سلطانهم على القلوب . قد بدأ منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . فكان للعرب قصة حرب تبدأ من عروات الرسول . ثم تتحدروا إلى حروب الفتح في ديار فارس . وأرض الروم وسائر الأقطار التي بلغ إليها العرب بسببهم حتى تبلغ شتات شملهم وتوزع سلطانهم في أواخر العصور .

ولو أننا أوحينا القصد في هذا الرأي واتهمل في شموله لوجدنا بين أيدينا قصائد عربية لا يذهب بها شيء . عن أن تكون جزءا مقطوعا من ملحمة العرب مماثل مثله من أجزاء الملاحم التي لدى غيرهم ، حوى وصف المعارك ، وترجيبة العسكر وهورة العدو . واستجاشة العدة . تلح أسنة فرسانه على صهوات جياده . وتألّب عليه العدو وجمعه . ويدمر عليه بالشدة والبأس ، فيكون الالتحام ويكون الكر والفر . والإقبال والإدبار ، والرمي بالنبل والحجر والطنن بالسيف والرمح والخطب بالأعمدة . . ثم يشكشك القتال عن قهر أو طمر ويندفع

الغالبون فائزين بالمعينة والعمر . ويطوى الخاسرون على تضديد الجراح وإعداد النار .

ولابد للأدب العربي من يوم يهتس به أقوامه إلى جمع ما تشدت من فصائد الشعراء . في وصف الحروب العربية والمعارك ، وما لانس ذلك من وشائج الحياة والموت في السلم والحرب فتؤلف الملحمة الكبرى دعوى ذلك الشعر فيصف شاعرها الموعود في ملحمة بطولة العرب في الجاهلية وجهادهم في الإسلام وما حالج حياتهم من شؤون وشجون وحب وبعصاء وكيد وأخبار وسير ودولات وغيرها تبين فيها بحوات الجاهلية وعبقرية الحامية التي حققت لها قلوب العرب والسياسة الإسلامية . وتشدان العدل ورحمة العايخ . واستطاعة سلطان العرب إلى آفاق المشرق وآماد المغرب . حتى لاحت على الصين أعلامهم وصعقت صغاه الأندلس سنالك غولهم . وعبروا إلى فرنسا فركروا رماحهم في بواتيسه . وقد اتحدوا نحو الجنوب يحوشهم حيث تلالات سمرة وجوههم تحت الشمس الإفريقية .

ولا بأس على باضم ملحمتهم بعد ذلك بالبكاء شفاء للعليل . فلقد علم امرؤ القيس الشعراء البكاء في مثل هذا الشفاء . وكيف لا يبكي على مجد لمرب قد دثر . وعبود لهم بادت وضاعت بين سمع الزمان وبصره . وانقصوا وكأنهم ما كانوا ثم أصار الدهر أحلامهم في أعقاب الأمم حملوا عبء المطمئة ودهمهم الفاتحون

وقد استنطقوا في يومهم هذا وفي أيديهم حفنات من تراب . هي بقية الصرح المرد الذي بناه على الأرض الجدود . وثناء لهم الله . حين سمك السماء ليكون أعز وأطول ولكن يكون هذا البكاء وقد لزمهم الخامد . وتاريخ لنارهم الخالية فيستعيدوا مجدهم الأول . ويكشفوا عن بناتهم الدارس . فيقيموه حديثا ويلحقوا قامة المجد في الأمم التي تسير اليوم قدماً . باذلة في سبيله العقل والروح . والسلاح والنش . والعلوم والفنون وكان الأمل أن ينظم الملحمة العربية شعراء الأندلس . الذين أضلهم آفاق ترجمهم بالمرنجة فيكون منهم شاعر ينظم الملحمة الأندلسية . لتاريخ خطوه بدمهم وبلاد فتحوها . البحر من ورائهم والعدو من أمامهم . وقد حلقوا في المشرق أجساد أهلبيهم الأمويين صريعة مجزوزة الروس أدبرت عليها صنوف المثة . فكأوا أشجع في كل ذلك من اليونان الذين حاصروا طروادة وأحس عقي

ولكن أديهم الأخبارى احمد بن عبد ربه قد هتس ببعض هذا الشرف . وكان يود أن يكون سهمه به أعد وأسد . فنظر إلى أعظم ملوكهم . أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد أول من تسمى بالخليفة . وتطلع إلى عزوانه فوجد أنه ^(١) لم يكن مثل هذه العرافة لملك من الملوك

في الجاهلية والإسلام ، فنظم أرجوزة في أربعمائة وخمسين بيتا ذكر فيها حروبه مع الإسبان
وفنوحه وأيامه ووقائع مع بني قومه حسب السنين من سنة إحدى وثلاثمائة حين اختلفوا
ودبّ بينهم شقاق على الولاية ، وعصى منهم بعض الأعوان وشق عصا الطاعة بعض المماليك .
وإني لأعدها منحة صغرى على الرغم من سهوله أسفوها ولبس شعرها وفهاهة بحرها
ولو أن أدب الأندلس ابن عدريه أصل نفس شعره فبدأ قصيدته منذ عبد الرحمن بن معاوية
فانح الاندلس لجاءت ملحمة الصغيرة أوفى بالغرض

(٤) العرب أمم حرب

لم تخل أمة من حرب ، وهي إما أن تكون لها مع الجور أو مع من في الدار ، ولقد اتلى
الدهر الشعوب وفق شرعته التي منحتها الطبيعة ، فكتب عليهم أن يقتلوا ما بينهم حتى إذا كانت
العبدة لم يبق على مربي . هب من ملك الرمام خرج بالحرب إلى من كان في جواره .

كذلك صرب لنا التاريخ الأمثال ثم نجد أمة أصبحت غابة أو معلوبة إلا كانت الحرب
شعلها الشاعل . فلقب كان الإسبارطيون في سجال حرب مع الأثينيين ، في أيامهم
وأهوامهم وهم أبناء جلدة واحدة ولغة واحدة .

وقامت الحروب الأمريكية بين أهل الشمال وأهل الجنوب حينما من الدهر . شاب لموها
الأطفال ، وشعلت الأمة المرسية حروبها الأهلية فكانت ثورتها الكبرى أهدح مداح الإنسان
لأخيه الإنسان ، في دار واحدة وحرم واحد . ولأمر احتدمت الحرب الأهلية في رحاب
الصين وبلاد الإسبان

وكان لليدوان قتال مع جيرانها والبعده عنها وكان مثل ذلك للأمريكيين والفرنسيين
وأصراهم من الأمة مما يعيا بذكره المؤرخون .

ولا تنزيت إحد على العرب القدامى أن يقتلوا ما بينهم أحر قتال ، وأن تكون الحرب في
دارهم محالاً وهم الأمة الوحيدة التي عاشت زمناً مدبداً مشغلة بنفسها غنية عن جيرانها .
وكانت في بهرة الحلقة من أمم متحضرة .

في مرامي شمالها ، بلاد الفرس وديار الروم وفي شرقها الهند وعلى عريها أرض النيل .
وكان ما لها الأنعام تسومها المرعى في واد عبر ذى زرع ، وسهل يحاطط السراب فيه
السكّان فبدأ جف ضرع الأرض وأنى أهبها وقطعانهم على الماء الذي خلفته الآهطار
والأعشاب التي أنبتتها الدمن ، ارتحلوا عنه يضربون في محافل الصحراء ، حتى يرى رائدهم
جمعة ينتجعونها . فإذا بلعوها وقد بلع منهم الجهد ، عرفوا قيمة الماء وفداحة العطش وأدركوا

أن بالكلية حياة الماشية ، هالهم أن يدمر عليهم جلا عاصم فيشركهم في ماء سبقوه إليه أو
كلأ أحرزوه دونه مبدعوه . فإذا أتي فائقه وسقط في الموقعة القليل أو الجريح ، فيكون
ذلك مولد النار وتكون بعده العدة للانتقام .

وكان طبعيا بعد انحسار المقاتلين أو انكسار العادين أن ينصرف كل فريق إلى أحلامه
من قبائل العرب وطلوهم أو أن يكون للقتيل أو الجريح أشباع وأنباع في القبيل والبطون
فينصر كل فريق لنحده وبقه وتكون حرب جديدة ، ويوم آخر مشهود .

وكان يحلمهم على هذا القضاء غير النعم والمال . فلقد نشأت حروبهم من جراء الحفاظ
على الشرف فإذا سبي عاشق معشوقته هال أهلها العار ، هبوا لدفعه وعسله وشب من ذلك
القتال بين أهل العريقتين وتوالدت منه وقائع وثارات

وكانت إجارة المستجير تكفي للبخارة في سبيل إيوانه أو الخمر بدمته وكان يتفق
أن يستجير القاتل بأبي المقتول وهما لا ينعمان فإذا بلغ الأب الخمر هدر دم الله لدمه عنده
لا تخمر وشرف لا يهان وكانوا يوقدون نار الحرب في سبيل حق مهضوم أو حدة يثتت
ولم يكونوا راغبين في الشهرة والرعاية وحسب التسلط ، وإن كثيرا من ساداتهم وعصاريهم
شئوا الحرب من جراء الإمارة . وكانوا كغيرهم من الأمم تتعلب فيهم القوى على الضعيف
ولا يهمني لديهم الثمن إلا بمجد السيوف .

وكانوا لا يذنبون غصبا ولا يفسلون دما إذا وجدوا على أنفسهم بذلك غصاصة ولم
تكن الديات عندهم سوى كمكفة دموع وإرضاء لصعاف ، وإنما كان النار لديهم شعارا
للحروب .

فإذا قتل رباح بن الأسلم الغنوي شاسا بن زهير بن حديفة العبسي ، ثارت قبس فكان
يوم الردة ، وداقت فيه قبس قهرا وويللا . هب خالد بن جعفر ومعه رهطه شو عامر بن
صمصعة ، وصحر بن الشريد فارس الهرات ، ومعاوية الأحيل جد الشاعر ابلي فقالوا عيسا في
يوم الثقراوات . ولم يهدأ جأش خالد بن جعفر حتى قتل رباح الغنوي ، قاتل شاس العبسي
فتسلل بعد هذا اليوم الحارث بن ظالم داعية السياسة الجاهلية ، هزل ضيفا على الأسود بن المنذر
أحى الثمان بن المنذر ، فوجد معه في الصبيان حالدا قاتل زهير سيد قومه ، فقتله غدرا وهو نائم
ومضى هاربا تنبؤ به البلاد حتى لجأ إلى معبد زرارة ، فأجاره فقال شو تميم لمجد كيف أويت
هذا المشؤوم وأغريت ثنا بن المنذر ورهط خالد بن جعفر ؟ فأبى أن يجيبه إلى خصر الدمة
وبقى على حفاظ العهد حتى أوردته مالك بن خالد ومعه شو عامر حرب ، يوم الزحران ،
فأسروه وأمانوه هزالا وكسروا قومه بني تميم .

وقد تمت هذه الوقعة يوما عبوسا سماه المؤرخون «يوم شعب جبلة» لعامر على ذبيان وتميم، دبرت فيه الخيل وحجكت للعبة فيه الخطط، مما أعده على غشاة الدابة من روائع الأحابيل بين أشباهها التي ينسها المحاربون إلى اليوم.
يقول أبو عبيدة معمر بن المثنى «يوم جبلة أعظم أيام العرب»^(١)، ويعمل أما عبيدة بقصد واقعة ذلك اليوم وما كاد هم جانب من الخصمين وما لى فيها من الهول الجاسب الآخر لأن من أم العرب ما دام سبي متظولة وكان أروع من هذا اليوم أسوأ فح خطما، لكن ما اتحدني من الحكمة والحكمة، سداد الرأي والحيلة وحسن التنفيذ، كان لا نظير له على قرب ما أخذه بين يدي الأبيات الحربية، وكان حدوثه قبل أربعين عاما من الإسلام سنة ولد الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولت أن «فاعة رحر ح» حرب على «لقيط بن زرارة» حيفا ومذلة، فتناوله الشعراء باعتدال، لا «فرصة» و«درة» أخيه مبدع، إذ كان أسيرا في بني عامر فلم يفده بدية الملوك وقد لا يريد منه حتى على مائة بعير عملا بوصاة أينا، فبالأسير الأمر واثني على نفسه بحرو ولا يدور منه، ولا شرايا حتى مات هزالا. هيب أخوه لقيط من بعده وكان الألم حامرة بما فرض في حنف، فاصطاد يوث العرب على بني عامر وعيس، فأطاح النعمان بن المنذر بعشيرة الخوول على ملك هجر سبي وإمال، وجمع أخلاقه وكان في جمعه بنو دبيان وعداوتهم التي عيس سبب حرب داحس وبرعاء وخططان. وعليهم سنان من أفي حارثة المري ولهم هرم أجواد وبنو أسد حلفاء خصمان وبنو تميم ومعاوية وعمر بن ولدا ملك هجر ومعهم حمير، وحسان بن زينة تكلى أخو النعمان لأمه ومعهم جيش من النعمان وقد علس بنو «مر وعيس» حقة هذا الخوول وكثرة هذا العدد فاستشارت قيس بن زهير وكان شديد الرأي فقال «طب الأحواس من جعد» وكان رجا هوارن^(٢)، «لأرى أن يرنح بعض الأموال حتى يدح وشعب جمه»^(٣) فليس تقوم دوسها من وجه واحد، فوسم داخلون عبيد الشعب، وإن عبيد حن «ه» حانس فيفتح عبيد الجبل «لأرى أن ترمي بالإبل فلا ترعى ولا تسقى وتنعس ثم تحف الدراي ورا» ظهورها وأمر الرجال فتأخذ أذنانها بأيديهم فإنها تنحدر عليها «هي تحي إلى مناعا وور» ولا يرد وجوها شيء وتخرج الفرسان في أثر الرجال أسير حنف الإبل فيها تحط ما لقيت وتقبل عليهم الخيل وقد حطموا من عل.

(١) العقد الفريد ط ١٣٥٢ ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٥.

(٣) يجمع ما استعمله لحاط أسكرى ١٠ ص ٢٢٩. «قال الأصمعي هي هبة حمراء طويلة لها سم عظيم واسع وبها كان اليوم المنسوب إليها» وفي المعجم المحيط شعب جبلة موضع بحد.

وكان في رهط قيس بن رهمير وشو عامر وشو عيس أحلاف عامر ، وبنو كلاب
وأحلافهم بنو صعب وأبناء صمصعة ورهط المعقر البارقي . وأحلافه بنو نمير وأقبال بجيلة
دون قيس .

وعطش العامريون وأحلافهم إليهم ثلاثة أخماس أي اثني عشرة سنة ولم يطعموها شئاً
فلما دخل لقبط عليهم الشعب بجمعه ، كما توقع الحصيف قيس بن زهير حل العامريون عقل
إليهم فقبلت تهوى ، هذقت كل ما قبعت من جمع العدو فانزمو لا يلبون على شيء . وقد
قتل لقبط بن زرارة وأسر أخوه حاجب وقتل ناس كثير من صحبه ورهطه

واطلق المعقر البارقي وكان قد شهد الواقعة بصفت نشعره هذا اليوم المشهود . ويذكر من
كان فيه من الرجال الذين دفعهم ملوك وكانوا كالجوار عددًا وكيف كان العامريون
لا يأبهون بالأمر وقد أعدوا له عدنه لجمعوا بطريون . فظهر الذي سيكون لهم حتى أصبحت
أعداءهم ، كئائب تصرب الهامات ، وطبيع ينصها تحت عجااجة يهوى فيها عمارس لسلحه
على حصمه ، كأنه بار كاسر قد انقص على قنيصة فقال (١)

مع اصبح أم رالت - قبل - الأده	أس آل شعناء اخمول البواكر
فليس عليها يوم ذلك قادر	وحتت سليمي في هصاب وأيكه
كما قر عينا الإياب المسافر	فأثقت عصاها واستقرت بها التوى
وحسار في جمع الربات مكار	معاوية بن الجون ذبيان حوله
وجانثت نيم كالصخور بخاطر	وقد رجعت دودان نيفي لئارها
جراد هفا في هفوة متطائر	وقد جمعوا جمعا كأن زهاءه
رجال بأطراف الرماح مسدع	فروا بأعشاب البوت مردم
وأعبيهم تحت الخبيك حوارر	كأن العام اندو ناص عليه
إذا عص نازيق النها والحناجر	من الصاريين الهام يمشون مقدما
فلم ينج في الناجر منهم مفاجر	صربنا جميل البيص في عمر لجة
كما انقص بار أقم الریش كاسر	هوى (رهدم) تحت العجااجة (عامر)
مشيح كسرحان القصبة ضامر	يفرج عشا كل ثغر نخافه
إذا اعتمست في الماء فتحاء طائر	وكل طموح في العنان كرها

كذلك خلد ذكر هذا اليوم المعقر البارقي بقصيدته هذه ، وهي لا بالطويلة المملة ولا

بالقصيرة المحلة ، فاستوفى فيها ذكر الواقعة من أولها إلى آخرها .
فقصيدة البارقي هذه ذات ألوان حرية سريعة مختصرة المرد لكنها واعية شاملة وكماها
أن يكون فيها بيت واحد تنمى به الركبان ، وهي تستريح من وعناء الطريق فتقول :
فأبقت عصاها واستغرت بها النوى كما فر عيننا بالإياب المسافر
وكان للقيط بن ررارة الذي تولى تبعة هذه الهزيمة وقتل ، بنت هي ، دختنوس ، زوج
عمرو بن عدى النخعي أشارت عليه قبل أن يقدم ألا يعمل مهرها . ثم بان سداد رأيها حين
دارت عليه الدائرة حس إليها ، وهو يحود بنفسه فقاتل تربيته وتذكر هذه الواقعة (١) :

ألا يا لها الوللات ويلة من نكي	لصرب بني عس لقيطا وقد قضى
لقد صربوا وجها عليه مهابة	ولا تحمل الصم الجنادل من ثوى
فل يعف الأيام من فارس نكي	عليكم حريقاً لا يرام إذا سما
لتحريك القتل قتلا مصعما	وما في دماء الخمس يا (مالر) من بوا (٢)

فنهست دختنوس من كرمها . ووظفت روح الحرب الكامنة في نفسها للنقمة والثأر وعن
عليها أن يقتل أوها أسيراً فيميتته اسراء مائت بن خالد بن جعفر وأخوه . بعد أن حذسا عنه
الماء . وأن يحرم في طوائفه ميتة الأفرام العطاريف بالأسنة والقنا
ولم تكن دختنوس وحيدة في نساء العرب القاتلات شعر الحرب وإنما ثمة كثير مثلها
لهن شعر في يوم مشهود من أيام الجاهلية أو بعض أيام الإسلام :
وظلت هذه الواقعة في تاريخ العرب القدامى مثاراً للمعاخرة بين الظافرين وعارا موروثة
بين المدحجرين ، وتناول ذكرها شعراء كثيرون فيهم النافعة الجمعدى .
وكان جرير وأصحاه المتهاجون في صدر الإسلام ينشئون أخبار هذه الحروب . ليحملوها
ومبينة للتعبير أو المعاصرة كما سيأتى في الكلام على شعر الحرب في عصر بني أمية من
هذه الرسالة .

• • •

وكفى محرب (داحس والعبراء) أن تكون مدحمة كبيرة ، إذ دامت وقائعها أربعين عاما
بين بطون عس وديان ، وكان منشؤها لإفساد السبق بين داحس جواد (قيس بن زهير) ، وبين
العبراء (حمل بن بدر) وقد راصعا الرهان ، وفردا منتهى العاية التي يسعى إليها الفرسان
ثم قادوها إلى رأس الميدان بعد أن أضربوهما أربعين ليلة .

(١) الأغانى السابق من ٢٨ .

(٢) الخمس عدد رجال قتلوا ومثل : مالك الفراءى حبيب قومها ، ولوا ، لكهؤ .

فاكن حمل بن بدر فتيا ما في شعاب يمر عليها الفرسان ، وأمرهم أن ورد داحس سابقا أن
يفزعوه ويردوا وجهه عن غايته . فما شأوف داحس العاية وأقبل على الغنية أهاجوه وعروه
فارتد عن قصده وسبقته الغبراء .

فثارت الحرب بين القبيلتين وأحلافهما من جراء العذر ما سبق . ولم يكن حمل بن بدر
ليعبأ بما تنجح الحرب بعد أن ملا عطفيه من هور كادب . ولكم كل يحمر في نفسه لو عثرت
الغبراء وفاته الفخر بالخيال ، والمكاثرة بأصائلها العرب فعليه على الرهان قيس بن زهير .
وقد قيل في هذه الحرب شعر كثير . وقتل في سبيلها ناس أكثر . كان يرثيهم شعراؤهم
وفيهم عنزة .

ومن شعراء هذه الحرب الطويلة عنزة العبسي وقيس بن زهير صاحب الجواد . والربيع
ابن زياد العنسي ، وعقيل بن غنمة المري ، والربيع بن قعنق . وعمر بن الأسلم وغيرهم .
إذ كان متوح حرب داحس حروبا كثيرة وأياما مجدة . وكان لكل يوم شعراؤه وشهوده ،
وقتلهم وجرحاهم . يمينون في أهليهم وأعقابهم نحويد الوتر . وأخذ الأثر حتى كان اليوم الأخير
(يوم العدير) فأصلح بين البطين عس وديان سيدان من غطارة العرب هما هرم بن سنان ،
وـ عوف بن مرة ، فتحملا ديات القتلى بحوما لهداحتها وكثرها ، وحققا لدماء مكبت أربعين
عاما كان تعاقد على اهراقها مغاوير ، فد وثقوا حلهم في ماء معطر كانت تصنعه امراء اسما
« مشم » جريا على عادتهم في أحلاف الجاهلية عند حلف المستميتين . هي ذلك بقول زهير بن
أبي سلى وهو يحاطب الرجلين المصالحين :

تداركتما عسا وديان بعدما نعاونا ودقوا بينهم عطر مشم

تلك حرب نشدت طويلة مستحرة بين أحياء العرب ، تكسرت فيها النصال على النصال ،
ووقع في ساحها قتلى لا يحصى عديدهم . وكانت من جراء الخيل وعددها والرهان عليها .
وكانت المكاثرة والمفاخرة من أسباب هاتيك الحروب .

وكذلك نشبت الحروب بين العرب من جراء العرض والدفاع عن كرامة المرأة أو سلب
المال . وقد يكون المال ستارا تنفذ منه أحقاد الصدور ، كما كان من « حرب السوس » بنت
منقذ بن تميم وقد اضطرعت فيها قبائل بكر وتعلب وهم احوان وأبناء عمومة ، ونقيت ذكراها
إلى أواخر العصر الأموي .

كل ذلك بسبب باقة مشنومة للسوس بنت منقذ . وكانت حالة جساس بن مرة المشهور

نازلة في جوارده وحماه . فشردت ناقة لها احتلظت بإبل كليب بن وائل ، وكان ناغيا غيورا
وجيارا طالما لقومه فاحترم الناقة بسببه فعادت إلى صاحبها ، هبت السوس إذ رأت دم
الناقة حالط لبها ففرت حمارها وصاحت في العرب . وادلاه . وواجراه !!
وكانت إذ أصبح هذا الصوت تزعم أن حمى ابن أختها حساس قد يبيع . وإن جساسا
كتب عليها وعلى بنيه لويل و لذل . فأثرت جساس ابني ذهب إلى كليب فطاعنه وقصم عليه
هوقع كليب على الأرض يمحض . جلته فذل . لقتله جساس . أغثنى بشرة مده .

وقد وصف لك أحد شعراء هذه الحرب وهو عمرو بن الأهم فقال

وإن كليبيا كان يظلم قومه فأدركه مثل الذي ترون
فلما حشاه الرح كعب ابن عمه تذكر ظم الأهل أي أوان
وقال لجساس أغثنى بشرة وإلا فخر من رأيت مكاني

فهب شعر المهيل أحو كليب فهين من يوم ذلك فصائده في رثاه أحبه وأحد يحص
العرب على الأحاد ثأره . لا يهدأ قرره ولا يحمد حصبه . حاما جهده أن يأخذ ما ثار مهما
تفدح الحرب ونعمه بلازمه . ويكثر فلاما حتى شان محامها الأجمة في بطون الأمهات فقال:

كعب أهدا ولا يزال قتيلا من بني وائل ينقى قتيلا
فسوا رزم كليبيا سقاها ثم قالوا ما ل محاف عويلا
كذبوا والحرام والحلل حتى تسلب الخدر بيضه والحجولا
ويعت الجنين في عطف الرحم — ونزوى رماحنا والخيولا

وكرر على الخيل وم السوس أماما شدادا . قتل فيها أبطال . ومثنت لساء ورجل . وقيل
فيها شعر كثير . لو ألف منه لجاء ملحمة أية ملحمة .

ثم كانت أيام الفجار . وقد شهد محمد صلى الله عليه وسلم آخرها قبل مبعثه بست وعشرين
سنة وكان من أربع عشرة سنة مع أعمامه . وقد شارك في هذه الحرب فكان يناول أهله
النبل . وانه يذكر ذلك لأعمامه رضوان الله عليهم فيقول (١) .

كشفت أبيل على أعمامى يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة . .

وكانت أيام الحجيج للعرب أشبرا حرما . يأمن بعضهم فيها من بعض . هذا وقعت فيها

(١) في رواية الصدوق لا يصدق ١٠٠ من ١١٠ طبعة لجنة النشر الثقافية الإسلامية بمصر
سنة ١٣٥٨ — أن الرسول قال لا حصرة مع محموق ورميت فيه بأسهم وما أحب أني لم أكن فلت .

الحروب سموها حروب المعارك وهذه كذلك جرت وقائع وأياما ، كثر فيها قول الشعراء
فوصفوا مناجزة القتال وحر الطعام وهمة الخيل وحبط الهامات وضرب النحور
وطول مشاهدة العرب للمعارك أكث شعراءهم دقة وصفها وحسن تصويرها ، وهل كانت
المعارك في حياة العرب إلا منظر عظيم ومدار خرمهم ، يردونها ولا وجه أمامهم سوى الموت
لقد رخص كل شيء لديهم من حطام الدب ، ولم يكن من حطامها بين أيديهم سوى قليل
وغلا لديهم كل ما رافق المروءة والشهامة فكانت شجاعتهم أدعى لهم إلى الحرب على
أنهم لم يطرحوا سداد الرأي وإنما كانوا في حروبهم يفتنون أوجهم ، ليصلوا إلى نهايتها
ولم يكن وصف شعرائهم للمعارك وصفا مطلقا بأحد بالكلام من أوائله حتى ينتهي إلى أواخره
كما تدعو الحوادث ، فليس لديهم فصائد تمسك بأوائها حتى ينبعها منها فربك صورة معركته
منذ بداية الوقعة إلى ختامها ، وإنما هي فترات شعر في لحظات وصف مقتضية بجزأة يقين فيها
الروح العربي لبيان مدى التطوى منذ كان على الاختصار في سرد الصور ، أو الرعد في لتفصي
ومح إذا وجدنا فيها مطوالت في موضوع الحرب ووصف المعارك ، فإننا لا نجد فيها وحدة
متناسقة في الموصوفات المتشابهة وقد يتح لنا بعد عصر الجاهلية أن لا نقصد كامة بصف
شعراؤها المعارك التي شاهدها أو قيت دم ، وبكها قصة ، وصف ذلك حسب الانطلاق
من قيد المعاني والافعال من استقصائها ، صبيح لفة الرابية واتساع المعاني المتوالدة إذ كان
يؤثر الشاعر العربي الخروج من موضوع إلى آخر ، ومن صورة لم يكل وصفها إلى غير هاهنا الصور
على ذلك كان عشرا حرب في جاشتهم وصدر إسلامهم ، مقطوعين على القتال ، مطوعين
على الحرب فدوا سائر الأمم مرط شجعانهم وحبص حماسهم وكانت البطولة مورعة عليهم
بين كبير وصغير وشيوخ وولد ، حتى يكاد نفسه — كما يقدم لإسهاب فيه — لم تعرف في
سيوها واحدا لم يجرح أو لم يكن داحية قريبة أو بعيدة يوم من الأيام أو وقعة من الوقائع
لقد كانوا جميعا يهضون نعب القتال ، وقد فهموه أنه جزء من حياتهم الطبيعية ولذلك بات
عارأ عندهم أن يموت لم يعب على فراشه وكان من كوارث الزمن أن يحود بطل نفسه وهو في
بيته ويموت كمينه البعير ، فكان خالد بن الوليد يقرب عند موته ، لقد لقيت الرحوف وما في
جسمي موضع شر إلا فيه صربة أو طعنة أو رمية ثم هاندا أموت خصف أنني ، كما يموت البعير
فلا نامت أعين الجيشاء ، (١)

هذا عرفناهم ذلك لم يعجب لتسموهم من عادياء العساق حين قد

وما مات منا سيد حتف أنفه ولا ظل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الطبابة موسنا وليست على غير الطبابة تسيل

ولم تكن ممارسة الحرب مقصورة في العرب على أمرائهم وأعيانهم وغطاريهم ، وإنما كانت كذلك من حط من غير هؤلاء السادة . لقد كانت شغل (الصعاليك) ومرام الأعرية السود من العدائين ، ودأب اللصوص السارس وشراد الليل فصعاليك العرب كانوا يسارون بفروسيهم وخوارق بطولاتهم شجاعة السراة المغاوير .

وكان أنظر إلى رعيم الصعاليك (عروة بن الورد) وأعجب وأطرب لروحه الشماء السمحة إنه ليعرو الأعداء ، فيسل ما لهم ليمرقة على جمعه الصعاليك المساكين

كان يردى الصعاليك الذين من دأهم شواغل البطون وارتساد مذاخ الغنم ، ومعاونة النساء في الحى فكان يهاجر بصلبته الحربية فيصف ثلاثاً وجهه نور المحامد وهو في بهرة أعدائه ينالونه بالرجز من كل جانب . ويحشون بأسه في قرنه واستعادته ، حتى إذا نزلت له المنية تلقاها راضياً .

كذلك يقول معلوك الحروب الذي كان عبد الملك بن مروان يفصله بالسباحة على حاتم الطائي :

لحى الله معلوكا إذا جن ليلته	مصاق المشاش آتفا كل بحر
بعد الفنى من نفسه كل ليلة	أصاب قراها من صديق ميسر
بنام عشاء ثم يصبح ناعسا	يحت الحصا عن جنبه المتغفر
بعين نساء الحى ما يستعنه	وبمضى طليعا كالبعير المحمر
ولكن معلوكا صفيحة وجهه	كضوء شهاب القابس المتثور
مطلا على أعدائه يزعرونه	بساختهم زجر المنيح المشهر
فذلك إن يلق المنية يلقها	حمداً وإن يستغن يوما فأجدر

ولم تكن المرأة العريية إذا قامت القبيلة بالحرب ، أو شنت عليه العادة ، أقل من الرجل حمية وحاسة ، وإن تكن دونه بالأس . فقد كانت تشارك الرجال في الحرب في أيام الجاهلية وتمضى مع العراة في المؤخرة ، تصفق بالدوف وتشد أهاريج تحتها على النضال . كما كانت إذا ألجم القوم بالنوم ، تسقى العطاش وتصد الجراح مما بعد لدى العرب سائقة من سوابقهم في الحرب وقد مشى على غرارهم ، عص أم العرب في عصرها هذا في حرمهم القابرة والخاصرة . وكان من أولئك النسوة شاعرات ، يصفن المعارك ويحسن تصوير الأبطال ، فكأن يشارك الرجال في الشعور الحماسي تلقاء الحرب وسكباتها ، وما كس في ذلك أقل إجابة من

الشعراء الرجال في براعة الوصف لجبل والقتال . من غير دخنوس ، هند بنت عتبة ، وقتيلة بنت النصر ، وأروى بنت الحباب ، وبنت بدر بن هفان التي تقول :

لا يبعدن قومي الدين هم سم العداة وآفة الجزر
النازين بكل معترك و"طييون معاقد الأزر
قوماً إذا ركبوا سمعت لهم لفظاً من التأيسه والزجر

والهيفاء القصاعية التي تقول

الحيل نعم يوم الروع إن هزمت أن اس عمرو لدى الهجاء يحميها
وكي شوارع العرب لخرأ وقد أسهم في شعر الحرب أن تكون في الحساء التي دهست
من بينهن بعمود الشعر في رثائه ونفره ، وحماسه وحرية .
وكان المرأة كانت ضرورة لشعر الحرب عند الجاهليين ، وقد ظل هذا الأثر إلى العصور الإسلامية الأولى .

ولهذا نجد كثيراً من شعراء الحرب عند العرب يحاطبون نساءهم ويذكرون كيف يستترهم للحرب والمأثر كفول أو محروم الهشي بقصيدته المشهورة

إنا محبوك يا سلى حيننا وإن سقيت كرام الناس وسفينا
وإن دعوت إلى جلى ومكرمة يوماً سراه كرام الناس فادعينا
ودرح الشعراء العرسا على محاطبة نساءهم في كثير مما يقولون في وصف الحرب .
فأرهر بر هلال التمي حين انتهى من حربه فص على زوجه أمره ، فقال لها وكأنه كان يطلب منها الصفح أو الإعذار :

أعانتك ما وليت حتى تبددت رجالى وحتى لم أجد متقدماً
أعانتك أفنى السلاح ومن بطل مقارعة الأبطال يرجع مكماً
ومن أذكر من تلك السوة اللواقى مشاعل الحرب ؟ فإن منهم تحت قلبي من تدافع ملأ القلوب بالحمة والبطولة .

كن مع الزخوف يهجن مكامل الحماسة ، ويثرن دفائن الأحقاد في صدور الرجال ، حتى إذا هتعت تلك الموسيقى البدوية على فرع الدهوف وغناء النساء ، توفد دم الثأر في القلوب ، هب الرجال وبأيديهم السلاح هبة واحدة على الأعداء ، ينادون نساءهم بالشرى .
أفأذكر ذلك العار من المغوار الذي كسر الصف وقتل الجمع ، ثم هموا به فاستوفوه بعد المعركة وقالوا له :

— أحمر الثام عن وجهك أيها الفتاك المكين . . .

فأصاع البطل قائده خالد بن الوليد ، وأعد سبعة ثم حصر عن وجهه فادأ وجه امرأة
يشع بهاؤه وبسى حماته . فأبى الأبطال حميات الخيول وجلجلات السلاح . فقال لها خالد
من تكونين أيها المرأة ؟ فقالت : أنا خولة الكنديه أخت ضرار بن الأزور من بقايا
الملوك . أنت مع لسرة من قوى . لشد عضدك في حرب الروم . ثم أشدت بين يديه

نحن بنات نبع وحير وصرين في القوم ليس يشكر

لأننا في الحرب نار تسعر اليوم يسقون العذاب الأكبر

وإن في التحدث عن الحساء وقد استشهد أولادها الأربعة في وقعه القادسية هره كريمة
اكل عربي في حية نساء لعرب بطولتهن في معابنة الحرب . وإن في ذكر أسماء بنت أبي بكر
ووصفها لابن عبد الله بن الزبير يوم نهايته وفي إكبتها وهي صريرة لوداعه ومن يدها الدرع
عليه لموقف تمشل تعجر عنه ملاعب الروايات . وإن في تمزيق هند بنت عتبة أم معاوية
لكبد الشهيد حمزة بن عبد المطلب ولو كذا إناها ثم لفظها والحرب مصطبة . لخوراق أهوان
في حوادث الأمم . ولم يكن لنساء يودن أروع منها في حروب طرواده

فمن أردت الشعوب مثل هذه البطولات من نساها . فإن في تاريخ العرب مواطن لأعر
لحر ، وأبعد ذكر لمآثر المرأة وفضلها .

لنساء ما أنح لهن بعد من يجمع أحبارهن المشتتة . فينتج منها سيرة تضارع قصة
(جان دارك) التي تسبح عليها أفلام الكتاب الفرنسيين هذه الصورة الخامسة الرائعة ، وعزروها
منوهم ، حتى عدت عزا للرأه العربية . وغير أولئك كثير من نساء العرب امتلأهن مجد
الامة العربية كانت بطولتهن أشد من بطولة نساء الغرب في حرب الأمم .

ولم يكن اشتعار الامة العربية بالحرب ومعاربها الطويلة . ليصدها عن المعروف والإحسان .

وإني لأعجب لها نيك العيوب الصلاد التي كانت معاصر أصحابها في سبك الدم — حطما على
الحق أو إبقاء على البأس — كيف كانت قلوباً مأوفا الرحمة وشعافها الخناس . حتى ضمت
النقائص .

وقد كان أصحاب هذه القلوب يصلون الرحم ويرعون الدمام ، ويصنون بالعرض ، لهم
شؤون وشجون في الهوى سارت بأحاديثها الركب . وكان تقاتلهم في الجود وإعانة اللبيب
والمستجير أمراً أهدم شرهه تحت الشمس . لقد عمرت قلوب العرب بأرق الأحاسيس
وصمت أشد الأحقاد والمراجد ، فما منعها رقتها لأصحابها أن تكون صلاباً على أعدائها ، وأن
تتشري في الحرب والجهاد . وقد امتاز شاعر الحروب العربية من شعراء الأمم الذين نظموا

الملاحم ، أنه كابد الحروب وعاناها ، وكان وقودها ولطافها ، ولم يقل الشعر وهو عنها بعيد .
أو يسجل وقائعها وليس لها عهد . كما فعل هو ميروس والفرديوس وغيرهما من نظم الملاحم ،
وكان أكثر الفرسان العرب شعراء مجيدين ، وكان الشعر من أدوات حربهم يستشيرون به
الهمم في قلب المعارك ، فيشده أجنابه أو المتمثلون به عند المبارزات وش الغارات ، كما
سيأتى وصف ذلك في شعر الحرب عصر بني أمية وما بعده

حتى إذا حتم الرمن على أبطال الجاهلية سمر حروبهم ، هدأت مسوهم في أعمادها ،
واستراح أطالهم فناموا إلى الأبد . ناعين ملؤوها رؤية الحرب والحيل والسلاح . وسكنت
في صدورهم قلوب طال ما خفقت بالعزة والكبرياء ..

خلا زمهم وفي بطر في سمع الرماح جرس السلاح الذي تنكى فيه فرسانهم ، ويات المرء
إد يقرأ في أعقاب القرون . كيومنا هذا ، أحاديثهم ، وينتقل روائع معاركهم وحوار
فروستهم يحسيهم أبطال الأساطير فتعلمه فيهم الدهشة ، وتتملكه منهم الروعة وتبقى مدوية في
مسالك سمعه أسماء الفرسان المقاحم :

« عنتره العوارس ، وعنتبة بن الحرث بن شهاب وأبو براء عامر بن مالك ملاعب الاسنة ،
وريد الخيل ، وديصام بن قيس ، والاحيمر السعدى ، وعامر بن الطفيل وعمر بن عبيدود
وعمر بن معد يكرب الزيدى ، ، وغيرهم كثير .

لقد كانوا يضطربون ما بينهم وأعرنهم في حروب عبر مجدية ، حتى بعث الله الرسول
محمدًا لخارب يبعثهم بعضاً حتى صفاهم ، ثم دعاهم النى إلى حرب الكافرين والظالمين ، فهبوا
من بعده بدعوة القوة والدين . وهذا كبارهم من ناياء الجاهلية مساعري حرب وصغارهم أشبال
أسود ينهضون بانفصال سخالا بعد سجال .

تلك ملاحم العرب في الجاهلية . كانوا يسمونها أياماً ووفائع . فلما جاء الرسول سمي
حروبه ، امروا ، فكانت معاربه أروع ما شهد العرب في نظام العسكر ، ونس البطولة ،
وحكمة القادة . وطاعة المقاتلين ودهاء التدبير

(٥) لغة الحرب وعمرها

عرف العرب من أدوات الحرب في عتيق عهدهم مثلما عرفت الأمم من هذه الأدوات
في قديمها .

وإن كان لكل أمة عتقة طراز من السلاح ، قد لا يشبه جميعه ما عند غيرها من الأمم ، فإن العرب وقد تمسوا بالحرب أعدوا لها عدتها من آلة الحديد ومطايا النزال . ولقد أحاطوا بأوصاف السلاح وعدة الحرب بمسلم تحط به أمة من أمم الحرب فحدقوا الكلام عليها وأجالوا البيان في وصف آلاتها وأكثروا من العناية بتصويرها وتصويرها ، حتى ألما بدقائقها وأشككها ، وكان هذا الشعر الوصف للعدة والسلاح شغل شعرائهم اشاعل . ودأبهم في استنباط التشابه وتوليد أوصافها واستقصاء روائعها ، حتى صار ما قالوه في أوصاف السلاح وعدة القتال تراثاً أدبياً في شعرنا العربي نكاثر فيه آداب لشعوب

وحق للعرب وهم في باديتهم محصورون أيام الجاهلية أن يحتفوا بأوصاف سلاحهم وذكر حروبهم وعدتها . لأنها كانت تملأ حياتهم في ليالهم وسهارهم . ولو أحصينا ما قال العرب في جاهليتهم في الطعام وأشرب والمسكن وسائر مرافق الحياة أو ما قالوه في وصف الطبيعة وما أفاضوا فيه من التمدح بالمكارم وما بدلوه بين أيدي النساء من الشعر العربي لو جده أن شعرهم في الحرب ووصف آلاتها يشعل شطراً كبيراً من شعرهم قبل الإسلام وبعده .

وإننا إذا تسعنا ألقاط لغة العرب وقصينا جملها وتراكيها ، واستقرأنا تعابيرها في المجاز والاستعارة ، وسائر فنون البلاغة — كما عرفت على رسلها في الجاهلية قبل أن تستولى عليها الكلفة في تناسل العصور الإسلامية — وجدنا أن لغة العرب لغة حرب وصرع ، وطعان وزال في أروع بيائها وأروع تشابها

حتى إذا حدث الحرب وشيع الواصفون والقائلون من ذكر القتال والوقعة وآلة الحرب واندفعوا إلى السه الموقوت لم يتركوا أوصاف الحرب ولا ذكر أدواتها ، حتى في اللهو والطرب عاش السيف في أيديهم يدكرون بلاءه في حر الرقاب وقصم الطهور وقطع الدروع ، فإذا صاروا إلى السلم جعلوا أنسيب بطرات العبد الأملد وجروحا في قلوب العشاق المعاميد أو شهباء به بلاء الصباح أو مسقوا فنون الكلام فقالوا أمضى من السيف .

إلى آخر ما يستطيع المتتبع أن يجده في كلام العرب . وهو غير مباح .

وعاش ارمح في أبدى العرس طعانه في ابرار يلتمع سنانه . فهو أرق كآنياب العول يحترق الصدور ، ويدمى النحور . فإذا أصبحوا في السلم جعلوه قوام الحسن ، وإذا حان البيان قالوا متين العود كأنه ربح قائم وأكثروا في شبه ذلك وأفاضوا .

وكانت النبال للقتال فقرورها ، لاحظ العيون الفوائ وجعلوا من جمع السهام أجمان الفوائ الرعايب . واطلقت الخيل في الحرب فكانت مرسله كالريح فعبثت بهم على جيش العدى ، أو أحتتهم من المهالك ، حتى إذا هدأت الحرب عن ظهورها جمعوها تقطع المعاوز

لبناء المكارم وحدوا عليها كل ما فيه من مودة وعاشوا معها في كل آفة يصور كلامهم
بشباتها الرغاب (١).

ذلك خير ما شاع في عنهم في الجاهلية ، فدا هذه الإسلام ولم يغير من حياتهم تصحيحه
شيئاً — تلك الحية التي كانت لهم مع السلاح والحين — ردوا في الحفاوة بآلة الحرب
ومطاياها ، وذهبوا في الكلام عليها المداهب وأفتنوا العيون ونسب في لعنتهم — في عبود
الإسلام . كلام الجاهلية في الحرب وفنوسها ، وعدسها وآلاتها وتشابيه نقوشها واستعاره
الأوصاف منها وعم ذلك وشاع حتى إذا قرأ شعر العصر العباسي وجددهم لا يزالون
يتمشون تشابه السداه في القتال وإيران على عهد الجاهلية وأقوال حريمهم ونعائير ملهمهم ،
يستطيعون أن يهملوا هذا التراث الذي لا ينفي في أقطابه ، وتر كنه ومعديه ، ورسى عن
بعضه تقليدنا زمرنا كالوقوف على الأطلال ومتجاء داراب الحبيب على كثر يقه الجاهلية
التي كانت عند الجاهليين حقيقة منتزعة من أرضهم وحياتهم

وإذا رأى الثمراء المتأخرون زعماء هذه وشبهه ، شهوة — سده — بهير وجر جره هديره
وإذا شاموا البرق قالوا أنه لمعان السيوف ، وإذا وصفوا العراشة فرووها غصبي الجيد وماد
النبال . وحين تغزلوا لم ينشكوا عن سبهم العن وقد كالهمح كما قال الأولون ،
ومد هذا البلب سحره في شعر العرب حتى بلغ عصرنا فكان شعرنا حتى يومنا ، يتجيدون
ومن دوسهم ، يتأثرون أقوال الأوائل في اصطلاح عدة السلاح وأداة الحرب وذكر الخيل في
شعرهم عند التشبيه والتشبي . ولا يحدون بحسباً عن ذلك لأن نعائير الأقدمين قد نعت أبيهم
بالميراث في مسيرة العصور فلم يستطيعوا أن يتمردوا عيب أو يعدلوا عنها ، أو يتحذروا
منها ، لأنها من تراث لغتهم ، ومجد أمتهم

(١) كنت ابن أبيه ومن عده ربه وعيرها من الخيل ونحوها عند العرب ، وصفتهم ، وعن حفاوة
العرب بها وحسن إسلامها . وقد برز هذا شج على من عند الرحمن المشهور من هذين لأندلسي
في كتابه « حلية الأعراس » وأما أحمد بن محمد بن أبي إسحاق يوسف بن عمر من
حلفاء الأندلس ، وحملته مشتملاً — كما يقول — على : جلاد وكعاج وحل وسلاح ، وما يحرم من صفات
الخيل ويكره ويذم من شباتها ، وجميع ما يختص بأحوال الركوب .

وقد نشر هذا الكتاب الحين « دوس مرسية » ، فصل مرسى في حذر عن نسخة الاسكوريال
الأصيلة أصدرها ، لغويو عراف وحطت مرسى . سكتته لمرسية كانت في ادم المباشر بعد المائة
والألف . وقدم مرسية لهذا الكتاب وبهرسه وجمع خطه . إيماناً ونصيبه في ١٧ صفحة بالمعالمات
على النسخ الأخرى التي عثر عليها منه حقق فيه سنة ١٩١٩ وأخرجه في الطبعة افرقة باريس لبون
حزير سنة ١٩٢٢ ، وعين عصر المؤلف في القرن الرابع عشر ميلادي وما يوفق القرن لشمس المجرى

وإني لأسأل نفسي هل تستطيع لغتنا في أى عهد من عهودها أن تقرأ من تلك التعابير
الحرية التي شاعت فيها منذ كانت إلى اليوم ؟
فأرى أن ومة تمارجنا بالثقافات الأجنبية المعاصرة ستحمل يوما على تنقية لغتنا من
هذا التراث لبعده العهد به ، ولأن أذواق الناس قد تبدلت فأصبحت تمجبه ولا تستسيغه وإني
لأجد الخطر في مثل هذا التطور . فويل لغتنا من يوم تفقد فيها تراثها هذا العزيز الذي
يسكرنا مروسنة أجدادنا الأقدمين ، فيحملنا على أن نحيا حياة مثلهم للذمار ، أباة للصيم على
عرارهم فلا يتلى مرضاه المولدين وركاكة المصفوفين في اللغة والبيان ، فنخسر الخير الجديد ،
ولا نبقى على المزايا القديمة

الباب الأول

شعر الحرب في العصر الأموي

شعر الحرب في العصر الأموي

تمهيد

(١) الحياة الأصوبية الحربية وشعر الحرب :

وحد الأمويون أنفسهم في حياة غير التي عرفها العرب قبل الإسلام ، حياة الأمويين في
تخصر ، وشعرهم في تصور ، ومسامنهم في عقد ، وموجهم في تأرم ، وكانت معاشهم
وصروب مرغمهم ، الخاصة وعامة في انقلاب جديد ككل انقلاب يعترى الأمة حين تخرج
من ديار قديمه القديم ، إلى دار حديثة لا عهد لها من قبل

وقد كانت كل ناحية من نواحي هذه لتخصر بهم اظهور العرق الجديد ، وكان الشعر
أحد الأمور التي طهر حظها في حقبة العصر الأموي . وقد أعد نفسه لمهمة كبرى ، وكأه
كان يستشعر بها قبل أن يهضر بأعنائها الأجسام ، في منظومات حماسه ووصف الحرب .
إذ كان عصر الأموي وما فيه من حروب وقتن وازدحام سياسات ، قد حتم على الشعر هذه
السحيرة الضرورية ، ونبك الخدمة المقررة ، فخص شعر العصر الأموي لسلطان الحرب
والسياسة وقد رده مراث صرح صار اليه من الجاهلية وأى شعر في الحماسة والحرب أشد
وقبداً وأعد أثراً من الحماسة الجاهلية وشعر الحرب فيها ؟

وقد هبأت القرائح الفذة في العصر الأموي أصحابها المومنين لخدمة هذا الضرب من
الشعر الضروري المحتوم ، فنبغ الشعراء الفحول الذين ملؤوا حياتهم بشعر الهجاء والفخر
والحماسة ودعائيات السياسة وذكر الحروب

(٢) الحماسة الأصوبية بين الحرب والسياسة :

١ - تأثير الشعر السياسي في الشعر الحربي .

لا يكاد ياخذ الباحث وصف حرب فله أحد شعراء العصر الأموي ، فأرى خلاله رهط
المقاتلين يتلاحمون بين الحياة والموت ، وألمح لمعات الأسنه والسيوف تفع في النبات والنحور
وأسمع زمارم الجيش تمور في حومة الوعي ، حتى يعكر على صفاء هذه الصورة وبراعة هذا
الوصف أبيات في أواخر القصيدة أو في أثنائها يحاول بها الشاعر أن يعي على آثار قوم

آخرين في اشجاعة والبأس وقد لا يتورع عن إيذائهم الطعنة وسلبهم كل حصال المروءة والنجية التي عرفت فيهم . فهو أسا يسعى إلى إعلاء قومه فيجعل عندهم صفات الكرام والمضائق ويرعها عن سواهم حتى أت كثير من أقوال هذه طائفة من أشعراء منوحا علاؤه محض غيرهم وكلما زاد تهجين الشاعر لأعدائه دمه إياهم . انطلق جناحه في أحواء شتاء على نفسه وعلى قومه .

وقد تآثرت الشعر العربي من فوائحه إلى خواتيمه في شعر الفخر . فوجدته يمتص على هذا المرار في عصر بني أمية . وإذا كان الشعر في وصف الحرب شارب وتلوذ هذه أنظره قدموا شجاعة غيرهم ومدحوا أنفسهم وخطواتهم . وقد لا يطل هذا المدح والهجاء في قصيدة الشاعر الواحد . وإنما يتجاوزانه إلى أكثر من شاعر فيتمى من يمول قصيدة أو أبيانا في ذم خصومه في الحرب وحمد قومه فينتصدي له شاعر آخر يرد عليه دمه ومدح نفسه وقومه ثم يدخل آخرون في الحقيقة يمثل ديدن السابقين . فتصبح معالم الوصف الصادق مشوهة على من جاء يتقري . فيحار متلئسا أي قوم أشجع وأفتك . وأشد بأسا في وقعة . وأي معشر فيهم سجايا الفروسية ، ولأى كتب النصر ؟

وقد يكون دافع الدم أو حافز المدح دميئسا من حلقة أو أمير . أو رعة من حزب أو مذهب أو غيرهم من عصبية أو قبيلة . والشواهد على ذلك كثيرة .

قال المختار أما اسحق ابن عبيد الثقفي لما نادى بالثارات الحسين ! وأحد يقدم الناس لقتل عير رآه ولا تحقيق . انتقاما لسيط الرسول . وجعل ينقض على المناوشين للريرية فيرمى بهم في السجن أو يتركهم يشردون هروبا من بطشه . أمسك فيمن أمسك هم مراقبة بن مرداس البارقي الشاعر (١) فطرحه في السجن فتكلف هذا الشاعر مدح المختار ووصف شجاعة جمعه تخلصا من الضيم وفككا لنفسه من السجن .

وراه في تروير رأيه واصطناع المدح والثناء للمختار بن قال : أيها الأمير إني رأيت الملائكة تقاس على الخيول بلبق بير السماء والأرض ويريد أنها كانت تقال مع المختار . فأمره المختار أن يصعد المنبر . فيحبر المسلمين هذا . فما فعل أدياء وقال ل : إني أعرف أنك لم تر الملائكة وإنما فعلت هذا كيلا أقفك ! فأخرج لوجهك ولا تعمد على أنجح . فما خلا السبيل لهذا الشاعر خرج من الكوفة فقلب ظهر المجن وأفسد نصره . ذكر شجاعة مختار وبأسه وقد تدفع العصبية القبلية الشاعر إلى أن يقول في شعر الحرب أنا أنا بفصل بها قبيلته وقومه على أعدائهم ومناوئهم . ومن يذهب غير مذهبهم في السياسة وقضية لعة . كالدي كان

(١) تاريخ الطبري الطبعة الحسينية ج ١٧ ص ١٢١ . والمقدط ١٣٥٣ ج ٢ ص ١٥٦ .

من أمر زفر بن الحارث بعد وقعة مرج راهط ، وذلك بعد أن التقى مروان بن الحكم بالضحاك
ابن قيس المهري وعامة صحبه فقتلوا مرج راهط (١) قتالا شديداً فكشف عن مقتل
الضحاك وجاءت من صحبه وانهرام بقيتهم ، فكان زفر بن الحارث الشاعر الكلابي في المنطقتين
فأوت قيس إلى امرته وكان من أسراة الأغنياء تنزل به الأجناد فيرودها بالعتاد والطعام ،
وكان له عمان وحشم وهو موضع مشورة وصح سحاريين ، فذكر حرب مرج راهط وتحضره
لثأر وجعل يتوعد عداته المروانيين فقال :

أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا	أرى سلاحى لا أبالك إتنى
مقيد دى أو قاطع من لسانيا	أتانى عن مروان بالغيب أنه
إذا نحن رمنا لمن المنايا	في العبس منجاة وفي الأرض مهرب
ولا تفرحوا إن جتكم بلقائيا	فلا تحسبوني إن تغيب غافلا
وتبقى حرارات النعوس كما هيا	فقد يفت المرعى على دمن الثرى
وترك قتل راهط هي ما هيا	أذهب كلب لم تتلها وما حنا
وتأثر من لسوان كلب نسانيا	فلا صلح حتى تشحط الحيل ما غنا

قال هذا الشعر وفي عهده بقعة دجينة على من حاربه في وقعة المرج . وقد صدق في كذبه
عن حرارات النعوس بأنها مهما دفنت فأنها تبى كما هي فكان بيته هذا حائراً من حوافر بطش
الهاشميين بالأمويين آخر حكمهم وانكسار شوكتهم فذكروا به قتلاهم وموتاهم من آل البيت .
وما داع شعر زفر هذا حتى نهض للرد عليه جواس بن فمصل لشعر من وره ورويه بمدح
شجعان قومه وبتهم لشجاعة زفر فيقول :

على زفر داء من الداء باقيا	لعمري لقد أبقت وقعة راهط
سيوف جناب وانطوائ المداكيا	دعا سلاح ثم أحجم إذ رأى
إذا شرعوا نحو الطعام العواليا	عليها كأسد الغاب قتيار حدة

وشد مع جواس عمرو بن المخلاة الكلى على زفر بقوله (٢) :

بصرة عين ما تحف شجر ومها	بكي زفر القيسى من هلك قومه
تجاوبه هام القفار وبومها	بكنى على قتل أصيب راهط
وولت شلالا واستبيح حريمها	أبجنا حتى للحي قيس راهط
بحسرة نفس لا تنام همومها	فت كندا أو عش ذليلا مهضما

(١) الطبري ج ٧ ص ٢١ . ولأعلى ط ١٢٥٢ ج ١٧ ص ١١٢ . ولقد ط ١٣٥٢ ج ٣ ص ١٥٢ .

(٢) الطبري ج ٧ ص ٤٢ .

إذا حطرت حولي قصاعة بالقنا تحبط من المصعبات قرومها
 خبطت بها من كادني من قبيلة من ذا إذا عز الخطوب يرومها
 فكان شامتا بنفس واندحارها في حرب المرج واقطاعها وتشنت شملها رجالا وساء .
 ومعا حرا بقومه قصاعة قد شد بها عزمه واقعد بها بالمرصاد لي يكيد له من الأعداء . وطل
 زهر بقول الشعر ملاحيا للأمويين والأمويون يحبون بدم قيس عيلان مثل هذا البيت الجارح:
 جاء بقيس في الرحاء ولا تنكي أحاسا إذا ما المشرفة سلت
 وقد قرأت هذا الشعر في وصف حرب المرج أصاع على وجه الحقيقة في شجاعة المروانيين
 أو الزبيريين ، لأن هذا الشعر ما قيل لوجه الحرب خصب وإنما قيل مع ذلك لوجه السياسة ،
 فأفسدت هذه باختصاصها المصيبات ودفعتها الرعات صورة الشعر الحرق المجرد الذي يصبو إليه
 الأدب النحوي ذلك الشعر الذي يهب الشاعر نفسه له حاصة من شوائب الإحزن ، فيصف
 براعة الأبطال حيال الفرسان ، والنحام الجمع ، ساكناً على كل ذلك تعابير العربية في
 أدوع قوالها

ولا أستطيع أن أعلو فأدعي أن شعر الحرب في أدب العرب لا يحتل من رتبة السياسة ،
 فإن ثمة شعراً كثيراً قد تكون السياسة داعية إلى قوله لكنه هو في حد نفسه شعر قيل لوجه
 الحرب وحدها ثم يتصد إلى تكدير شجاعة الأعداء وربما بالحب والعار . وهذا بحده كثيراً
 في أشعار الجاهلية إذ كان من أمانة شعرائهم الحريين أن يعترفوا لخصومهم بالسطو والبأس
 والخذلة والمروءة ، وأن ينصعوم وهم يمدحون أنفسهم ، فلا يدموم ولا يجر دهم من صفات
 العروسة الحقة التي يعترفون لهم بها . وكان بذلك شعرهم الجاهلي أصدق وصفا للحرب من شعر
 الحرب الذي بعد الجاهلية ، إذ داخلته السياسة فصار لونه من ألوان أصحابها . وأحسب أن ذلك
 ليس بصائره ، لأن حياة العرب وحالة دول الإسلام كانتا تستدعيان مثل تلك الألوان في
 شعر الحرب لكثرة ما تحاذب الشعراء من أهواء ومنازع بعضها ديني وبعضها سياسي ، وسواء
 أكان هذا هو السبب الذي نعت عليها أم داك فإن منها قصائد في شعر الحرب يعز بها الأدب
 العربي لما فيها من دقة التصوير وراعة الوصف ومثابة الديباجة

ب — تهاثر الهجائين وتقصيرهم في شعر القروسية

حين وقع للمردق شعر رقيق لجريز أشده وردده ، واستحبه الطرب ، وهو الذي قال في
 جريز وقاله الله ما أحب ما جيتنه وأشرد فافينه والله لو تركوه لأبكي العصور على شبابه
 والشاة على أحبابها ولكنهم هروه ووجدوه عند امرأش ما بما وعند الجراء قارحاً ، (١) .

والذي أريد من هو المراد في قوله (لو تركوه) فأقول لو تركوا المرادق وصاحبه ،
فد ، فهو في الهاجى ، فقلوا شعرا قد يكون فيه من وصف الحروب وأيام العرب التي شهدوها
أو كات في رسمه مائة أدب محسن أباى ولو كان ذلك ، فخلصوا من السياسة
فبلا ، فترعوا شعرا خدود فيه فروسه الأنظر لدي اظلمه عصر بن أمية ، كأهم من
تسبح الأساطير ، روى عن حورق بصرلانه وروائع شجاعتهم وإقدامهم في الحرب
والجود بأنفسهم فيها

سكن هؤلاء الشعراء ، وكنا عصبة كبرى ، تألب بعضهم على بعض من جراء العصبية
التي كانت في أعرقهم من ميراث الجاهلية ، فتراشقوا أكثر من أربعين عاما بالمثالب
والمقارع ينصح رأسه رعا ، عصبة بعضا ، بهجاء ما عرف أدب العرب فورة مثل فورته في
جاهلية أو عباسية ، ولست تعرض لقول الاستعصاة لتعليل أسبابه ، وبكى أن أقول إنه
سجل في تكوينه ثلاثة عوامل

الأول : الآثار الشعرية وغيره الشاعر على شعره وهو عنده أعز من ولده .

الثاني : العامل السياسي .

الثالث : العصبية القبلية .

أفلا يكفى سدايل على الأول ما قاله مالك بن الأحطل لأبيه بعد أن انحدر إلى العراق
يستطلع طبع جرير والفرزدق في نهاجيهما ^(١) إذ وصف الشاعر بن بقوله وجدت جريرا
يعرف من بحر والفرزدق بنحت من صحر فقال الأحطل لدى يعرف من بحر أشعرهما
وفضى في تفضيل جرير على الفرزدق بقوله

أني قضيت قضاء غير ذي جنف

ان الفرزدق قد سالت نعامته

وما سمعت ولما جاني الخبر

وعضه حية من قومه ذكر

وهو يرص بذلك جرير وكان سبب انجاء بهما ^(٢) وإلى لأعجب لجرير إذ لم يقبل
حكومة الأحطل فقال إنه نشوان لا تحوز حكومه ، كما قضى بشر بن مروان ، على حين إن
الأحطل قد قصه على الفرزدق ، وأحسب أن صاحب الأعرى قد أخطأ ومعه الرواة الأقدمون ،
فإن منابع الخواصات بين جرير والأحطل والفرزدق يقضى أن يكون جرير قال بيته المشهور .

يبدأ بعده إن نشرأ قد قضى

الا تحوز حكومة النشوان

بعد أن انحدر لأحطل إلى الكوفة بعد أسفه فاعتز به شيخ من شعراء الدارمين بمال
وكسوه ومصبه وشمه فلا يعين على الفرزدق وليهجو جريرا ويفضل الفرزدق عليه ، فلعب

(١) لأعز من ولد . ك . ب . ص . هـ . س . ٩٣٨ ، ج ١٢ ص ٦١

(٢) الاعلى ط التقدم ج ٧ ص ١٧٦

رأيه هوى الدار وحسد نصيحه فاقب موصلاً مدبر في ومستقطب جريز فباح جريز وفان فيه
بيته الذي ينكر فيه حكومته لأنه دشوان ، فهو في كل ساعة يقرب حكماً ويبدله في ساعة أخرى
وهذا هو المعقول في وضع هذا البيت بعد انقلاب الأحطل لا فور عودته منه من العراق
وشهادته تلك بحق الشاعر .

وكيف كان أمر هذه الحكومة الشعرية فإن أدنى أغنى به منها أن الغيرة والتحاسد على
أمارة الشعر أشعل نار الهجاء بين هؤلاء الشعراء .

وكي دليل العامل الثاني ما كان بيده حمقاء بني أمية وأمرؤها في سبيل إهلاك لميسبه
وكبت روحها وشده شكيمتها وأعت في عريمتها أيركات وفي أي امرى . طهرت فراح شاعرهم
الأحطل كلما مدح عد الملك بن مروان محاً قيساً بمثل قوله

فلا نعا الله قيساً في صلاحه ولا لها بني دكون إذ عشروا

وقد يهجو من أجلهم كليباً ومضر كلها بمثل قوله :

أما كليب بن يربوع فليس لها عند التعارط إيراد ولا صدر

قوم شامت إياهم كل محريسة وكل فاحشة ست ها مضر

فيكون من جراء هذا الهجاء أن يرد جريز على الأحطل بقصيدة مثلها من وزنها ورويها ،
وأن يكون بينهما المناقصات التي سار يذكرها ركبنا الأدب القديم وشملت الرواة
القدامى والمؤلفين المعاصرين :

ودليل العامل الثالث تلك الفرعات القبلية التي كانت متأصلة في الجاهلية وقد أورثها
الأمويون لقرب العهد بينهم وبين أهلها العائرين ، فكان بحال التعالي بين هؤلاء الشعراء
المتهاجين هو انفتك والتحرش بالأنساب والتعمير بمشاد فرطت من الآباء والجدود .

فإذا نحن المرزوق على جريز بأن آباءه كانوا سادة وأمرأه ، وآباء جريز كانوا رعاة فقال :

ناح المسلوك وخمهم في دارم أيام يربوع مع الرعيان

أجاب جريز بنقيضة مشدداً فرع من ، لأحطل ادعاء الحكومة في السياسة والشعر ، وغيره

بمقتل كليب بن ربيعة من أجل رافة اليسوس ، فقال لأحطل ولقومه :

فدعوا الحكومة لسمو من أهلها أن الحكومة في بني شيبان

قتلوا كليبكمو بلفحة جارهم ياخزور تغلب لستموا بهجان

ولعل الأحطل دخل حرب الهجاء بعد مراحل منها كانت ناشئة السواف بين المرزوق
وجريز من جراء العصدة القبلية والتحاسد على الشعر . حتى مثلاً العراق شعرهما يتساوان به
ويتنابران بالانقباب إلى أن ساع حرمهم الشتم فأهاج الأحطل ، وبعده حتى منهم على مرلة

شعره فأرسل الله — كما قدمت — معرفه عن كثب بحرهما الصحيح .

وهبت حربهم بين هؤلاء الثلاثة شعنت الناس في أقطار العرب كلها . وكان الشعر في إبان عظمته الأموية والتفات القوم إليه ، وفيه صروب الدعوات السياسية .

فالأخطى معرط في الدعوة لسروايب شعر شديد الصمغ لأعدائهم حتى مات يحشى بأهـ كل قاص ودان من بطن بغضا للحبيبة ودوته . وعرف القوم أن شعره في نفس عبد الملك ابن مروان ومن أسحر وأحمر ، هرب جابه وحيف شعره ، فاهى إلا قصيدة يقولها فيمحق بها القبيحة مخفاً ويدري أخبار أسوء فيها ، حتى كأنها صحيفة سياسية تصدر عن بلاط عبد الملك كالصحف السياسية التي تصدر في عهدنا عن حزب أو بلد من البلدان .

والمرزوق دمتق ، مصمر لحب الشيعة ، فكان يتمدح بحصال من يريد من الأمويين ، هيا أن يخرج من شعور الشيعة حتى وقعت الواقعة بينه وبين هشام بن عبد الملك فنقص عن شعره دفتته ، وجر عليه إظهار تشيعه أن حس بين المديونة وبين التي إليها تهوى قلوب الناس . ومجها هشام وغيره ، الحول من يسكن من هشام إلا أن أطلقه بعد أن مدحه ، فصاعا لمجائه .

ورح جرير يترامى على عتبات الحبيبة المرواني متوسلا بالحجاج حتى أكل من فتات الموائد الأموية بعد شيع الأخطى ورده .

ففتت في أعقاب الرمن وأنا أنظر إلى دخر زاهر من شعر هؤلاء الثلاثة : كيف فرطوا في شعر الحرب ونحيفوا على اصحاء والتراشق ببال الكلام وكان لكل شاعر منهم صحت بنضجون ما بهاء دونه ، فكان ذلك شعرا مأثوره الشتم والمثلية وهجر القول وخشنة ، فهتكوا بالقصيد الأعراض والحرمات ، وأهجموا أسرار الأسر من مصمر أستارها . وقد أشبهتهم بالمتشاكين في بدروب من الأوشاب بقرعون السبة بالعمنة ويتجادلون باللسان

ولقد شعر أولئك شعراء ، زمنهم وشعوا أنفسهم حتى لم يهدأ لأحد منهم جفن . فكم لينة أرق المرزوق عينه فيها وهو يعجب من رفاق آخر ليليل عنه الصباح وقد نظم ثمانين بيتاً في هجاء جرير ، وكما كان مثل هذا الحيف وشبهه لجرير والأخطى ، حتى هدأت أجسادهم في انزوى . ولم يشف العليل ، فنقد من جرير نقر المرزوق فتعنى لو عاش طويلا فريد في هجائه فقال .

مات المرزوق بعد ما جدعته ليت المرزوق كان عاش قليلا

وأنسب أن هؤلاء الشعراء الأعداء ، وقد وهبتنا إياهم العربية في فورة عظمتها وبأس سلسلها وفيه . ونها امرأه قبل أن يتدخل في بيتها عجمة . لو أنهم سكبوا خيالاتهم الرائعة ، وقرائعهم الشرارة نصيبه عن حروب العرب فوصعوها من أول وقعاتها إلى عهدهم ، ولم يكتفوا نبات يحشروها بين شعر المدح والفخر والهجاء لمناسبات تدعو إليها إحن السياسة

ونوازع القلوب لآتونا المدة التي مقدها وللوب إلى اليوم عليها فلا نخدها
 وإما وإن عتدنا عليهم ذلك هم يكنى الدب ذبيهم وحدهم ، وإنما كان جرم المجتمع الذي
 احتواهم وساقهم في نياره الجارف في عهد كثرت فيه السمات وتوالدت فيه الفتن ، وأعمت
 أهل التحل بنحلهم ، فسدت الطريق الواضحة إلى الشعر الحر الممشود . وأصابت هؤلاء
 الشعراء المهاجرين كوارث خاصة شعنتهم حتى عن أنفسهم ، وكان أوفر نصيباً من هذه
 الكوارث العرزدق . أمم تشرد يومه بوار قبل أن يطبقها ، وبعد أن هركت خرجت مراراً
 منه إلى ابن الربير وكان يملك على الحجاز والعراق ثم ألم يقص مستقره زياد بن أبي سفيان
 حتى هرب على وجهه في البلاد . وكان شأنه شأن النابغة الذبياني حين نغم عليه النعمان بن المنذر
 هراح في دارات عسان يتقلب على العصا ، وكان حبة من الرقش تساوره في فراشه . فقال
 العرزدق مثل مقالته في اعتذارياته (١) وسار في سببه حيث يقول :

أباني وعيد من رباد هو أمم وسيل اللوى دون مهض التهاشم
 هبت كأي مشعر خيرية سرت في عظامي أو سحتم الأراقم
 وآوى بعد لأى إلى سعيد بن العاص في المدينة فأجاره على رباد وما هدا في ظل
 سعيد قال (٢) :

ألا من مبلع عنى رباداً ممعة يحب بها البريد
 بأى قد هربت إلى سعيد ولا يسطاع ما يحمى سعيد
 ولكن لم تهدأ عنه في متناه بياض الفجاء . فظنت نصل إليه من الشام والعراق في
 قول جرير :

إذا دخل المدينة فارجموه ولا تدنوه من جدت الرسول
 وظل يتقل بين مكة والمدينة حتى مات رباد . هو يكبد بسترخ من حرب رباد حتى سخا
 الحجاج فأهاجه ووقع معه في حرب أشد إحافة له وأكثر مراره عليه .
 لست أجور على هؤلاء كل الجور ، منهم لم يألو أجهداً في ذكر الحروب التي قد يكون
 بعضهم شهداء أو وقعت في رمنه أو رويت له أخبارها — كما سيأتى في فصل الكلام على شعر
 الحرب عندهم — وسكنهم لم يبروا بوصف معاركها ولم يبدلوا من أنفسهم تصوير وقائعها
 والتحام جيوشها واستحاشة عدتها . وما كان من مصانحها وحوائبها . وإنما كان يرو بهم
 شيطان الشعر نزوات بين القصائد والآيات فيكتفى العرزدق في معارض محته أن يسوق

(١) الطبري ج ٦ ص ١٤٠ .

(٢) المصدر سابق ص ١٣٩ .

أهجر ومعه طرف من زكر الحرب وأيامها بديعة عند قومه وجيشهم واجب . فقول في
 حر قصيدته التي يهجو بها يزيد بن مسعود وخولة الدحداحية ، وكانت رجوت بهجوه ، ثم
 هرب منه إلى سبأ ، فكان من حربته هذه أن قال ١ :

وكأ من رئيس سدره رمحنا يبعج بجيعة من دم اجوف أحرا
 ونحن صحننا أختي يوم فراقه ونحن منعنا يوم عينين متفرا
 ونحن حذرنا طيناً عن جبالها ونحن حذرنا من ذرى الغور جمعرا
 "دع حرير نصي له الصوى إذا ما اغتدى من منزل أو تهجرا
 به كوكب إذ دارت الشمس واضح ترى فيه منا دارعين وحسرا

ولا يقع في حديثك أنه الفارس المم الذي شهد كل هذا . وإنما هم أهله وجدوده وآخرهم
 أبوه المدي يقول فيه بعد ذلك

أني يوم جاءت فارس بمجنودها على حمضي رد الرئيس المورا (٢)
 غدا ومساحي الخيل تفرع دونها ولم يك في يوم الحفاظ مقصرا
 فأذكرني وهو يفاخر بحرب أبيه وهروسيته ، شعراً لبيكتور هوجو ، وحر فيه هروسية
 أبيه ويطول له في حروب المعرب فقال في أوله :
 أن دات المعوار دور الانسامة الحلوة .

وم يكن هوجو حرياً ولم يحس إلا شعر "عرب الوصف" ، وكان شعراً كالفردق وإذا
 صناعة وديباجة مثله

ولم يك الفردق شجاعاً حتى يصابه شعر الحرب . فقد كان يمر منها جهده ، وفي مهربه
 من زياد . وكان معه دليل اسمه مقاعس (٣) تعرض لها سبع في الليل فربيع الفردق وشهد
 بحبسه بمي ديوانه من الأعراق .

وحلاصه القول إن شعر الهجاء في عصر بني أمية شغل فحول الشعراء عن شعر الحرب
 كوحدة موضوع . وهم إن شعلتهم اشتتت حلال فصائد المديح والهجاء ، لكنهم كانوا
 بصغور الحرب وأيام العرب في سوانح تلك الفصائد ، لا في قصيدة خاصة موقوفة على
 ذكر الحرب

(١) ديوان الفردق ، ص ١٠٠ ، ذكري ص ١٠١ ، سنة ١٨٧٥ ج ١ ص ٣٥ .

(٢) حمضي ، ص ١٠٠ ، ذكري ص ١٠١ ، سنة ١٨٧٥ ج ١ ص ٣٥ .

١٠١ ص ١٠٠ ، ذكري ص ١٠١ ، سنة ١٨٧٥ ج ١ ص ٣٥ .

(٣) ذكري ص ١٠١ ، سنة ١٨٧٥ ج ١ ص ٣٥ .

ج — الشعر الحربي في العصر الأموي ومن هم شعراءه

لقد امتلأ عصر بني أمية بذكر يات الخطوب ، ما حدث منه فترة يرف عليها جناح الله . حتى نجحت فوره يسيطر عليها شبح الحرب ، وقد تداولت رفعة لبلاد عربية الأصيلة والأقايم الإسلامية اعنتوحه ثورات لواقع وقت جواحه . كانت تستشري فأحد كاشر ، يباس والأحصر وتهك الحرث والسيل . وسر أن صرب انشراح مثلاً لشده الحروب وانصبب الدم اركي كالدي صرب في عصر الأمويين وما فيه . في فسحة من ار من تببع مائة عام من قتل عثمان بن عفان إلى هلك مروان بن محمد

فهذا عثمان يحمل برده . مصرح بالدم . مقتول في سبه في المدينة بعد حصار حسين ليلة في طمأ وبلاء وحده وشجار . لا يبدأ عثمان في حده حتى يهض عائشة اب أني بكر صائحة في الأباطيح ندعو أعوانها إلى التآمر . ومعاوية مترص ينظر . وعنه علي مسجس . تنقاه بدأ عنه تهمة هذا الدم المسفوك بالحجة ، حتى إذا بس دفع عن نفسه كحد سيف ، فخرج إلى بيعته المسلمون فاستمسك معاوية في شام ودعاه عن نفسه في بيع . الخلافة . و على أرض الحرب ومهد لإسلام حلفاء يضطربان . كل منها يدرع بحجة من لسياسة وانشر يقف انشراح أمها حتى اليوم مكتوب اليدين . مكوم الله . عمت عليه وجه الحق . وفحل في أسس الأئمة غرض الديبا قبل ثواب الآخرة . فحذر الأبطال القدامى والمسيون المحدثون إلى يوم الخيل عند البصرة . فداهم في رحام حرب تحده هم فيها عائشة عن حمل . هودجه الذي هي فيه كالقنفذ مدة صبح الشمال . واعترك المهاجرين والأبصار وأنسكوفه والبصرة في حومة لاهية . وانكشف القتال عن فور علي وصحبه واسكدر عائشة وجمعها وقد هدا على الأرض أول رأس كريم هو رأس الزبير ، فطرحة فانه ان جر مور (١) من يدى علي . وأسف لبروة صاحبه . وراحت زوجته تعول مثل قولها :

ثكلتك أمك إن قتلت لسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد

وحل يوم الحمل يحمل ذكرى تهول الرحال وتشب اشباب في قول من يقول .

شهدت الحروب وشيبتى فلم تر عيني كيوم الحمل

ومات في طي الزمان رجز إسلامي عتق يهدر مجلجلا في سمع الأبطال الجعاة الذين

استساقوا سفك الدم يقول :

(١) قس عدراً بعد شهاده المركة لهائلة وقد أرسل الأحنف بن قيس من جر مور عليه نعله من ظهرة وهو يمشي وأحد حاتم وسلاحه (انظرى م أور ح ٦ ص ٣٢١٨ في حوادث سنة ٣٦ للهجرة .

نحن بنو ضبة أصحاب الجبل
الموت أحلى عندنا من العسل
شئ إن عمال بأطراف الأسل

هذات وقعة اخيل فب مدونة كبر عصف . فلما السبل والجبل . دعوى انثار لعثمان
وقتي يوم الخيل الارباب . ويهبط ما كن من المواجد على انثار والقتل فأسكر على
د بعته . وأهاجت تلك الأيام الحرب نشي البواعث . فأطال الشيعة من خصاص الفتة
وركبوا من الحرب . ومحم على المسلمين يوم عصب هو يوم صفين . فهذا هو حرب
مستمرة . ولقاء مبيد عند الرصافة تكسرت فيه القنا على اقنا واحمر وجه الموت ومال
مير ان الطفر فشالت كفة معاوية . فلجأ إلى المكر والمرواة . فغادع عليا برفع المصاحف
والاحتكام إليها فأبى عليه التحكيم فأس من صحبه حصيعون وأبطال مفاوير خلعوا طاعته
وخرجوا عن حكمه فسهام الناريخ (الخوارج) . وسموا أنفسهم بذلك فكانوا عصابة ثالثة
تحارب علياً ومعاوية .

وانحسر يوم صفين عن علي وقد خدع معاوية وقد ظفر فقتل علي بعنه غرضاً مع
مع معاوية لسهام الخوارج الذين رأوا تكفيرهما وأناحوادهما ومن سار على غرارهما
من المسلمين .

وكان أول أمرهم أشد عنفا على علي لأنه كان أقرب إليهم حرباً . ولأنهم كانوا من جمعه .
فقد نشز عن طاعتهم وحارب مشورتهم في أمر التحكيم . فكفروا ودعوه إلى التوبة ثم قاتلوه .
فقتل بهم في وقعة النهروان وأطار حياهم كثير المهتم .

واقص أصحاب علي من حوله فوجدوا أسفه وأحزانه على وحدته هذه كأنغام شاجية
في خطاب نهج البلاغة . نطل أبد الدهر معولة . مسفوحة بدموع شيعته .

ونشأت الدولة الأموية بجيها ورجلها وحروبها ووقائعها فإذا نامة الزيريين : عبد الله
في الحجار وأخوه في العراق . وإذا الشيعة منبوذون بصطدhem الأمويون والزيريون
والخوارج . وإذا الخوارج — أحوال الدولة ومردة جسيمها — أهدروا دم الزيرية والشيعة
وأموية وكل مسه غيرهم تحت السماء . وحين استتب الأمر للأمويين ومن بعدهم الروانيين
حكوا السيوف في مقابل الخوارج . فلما انهم الزيريون جمع الأمويون عديدهم وعدتهم
حتى استاصلوا شأفة الخوارج أو كادوا . وما كادو الأمويون يتنسمون الراحة حتى انقسموا
على أنفسهم وحارب بعضهم بعضاً . هبت العاصمية المغدورة من مكائها . فانت عليهم . فكان
ذلك ختام عهدهم الدامي .

ففي وقائع هذا العصر الأموي وفي مقدمته قال شعراء كثير شعرا في الحرب لكل منهم نزعة خاصة من حرب أو فريق، ولكل من هؤلاء الشعراء دعوة في شعره الحربي لهذا الحزب أو ذاك الفريق، أو دفع ومحاماة. وبات المؤرخ الأدبي الذي ينظر إلى هذه لقصائد لا بد له من الأحاد بالسياسة لتوضيح الأدب واكتناء جوهر الشعر الذي يتعلق بالحرب لبصق الشعر الحماسي الذي قاله العرب. وذلك ما أعنى به في هذه الرسالة، إذ يكون هذا الشعر الحربي الذي قيل في المواقف والحروب الأموية عابق في حماسه وفروسيته، وأسلوبه ولغته، ومعانيه وعيانه، ولسهولة دراسته قسمته إلى :

- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| (١) شعر الخوارج في الحرب . | (٢) شعر الشيعة . |
| (٣) شعر الزيرية . | (٤) شعر الأمويين والمروانيين . |
| (٥) شعر المهجائين في الحرب . | (٦) شعر الحروب وراء خراسان . |
| (٧) الشعر في حروب الروم . | (٨) الرجز وأوزان الشعر الحربي . |
- وليست بغيتي أولا سوى الشعر وحده ضمن نطاق الفروسية واحماسة . والوصف والبيان في المعاني والمباني . ولا ضير على الأدب في أن يستعين بمحادث التاريخ لماما، وتيارات السياسة بين يدي الكلام على هذا الشعر تسديدا لبحثه وموضوعه لعل أقرب من العاية المنشودة مستطاع جهدي .

الفصل الأول

شعر الحرب عند الخوارج

لو بحث الخوارج في هذا الزمن ، فشهدوا حرب الإل الكبير والليل وجلاد الأمريكين واليابان ، ما شات بواصهم ولا فحرت أفواههم من هون ما يشاهدون ، وكان لهم رأى في عادات الحديد ورافعات النار من امدافع مضاعفة والدبابات العاصفة والطائرات الراجمة وحسب أن كل هذا أهول لدى معاصره من يحلب الناس فيحاولونه سحر من الجن ومن بحث في موسمه الزرعة لسلاحهم وهو الزرع والسيف والدرع والخن ، ولأن يمينوا عن عن مواك مقديهم لسلحت الجياد وسيكون لهم رأى واحد معروف عنهم منذ منحه صعين حتى . خراج والمهلب ومن خلف من أعدائهم .

دع رأتى هو ، الفداء في الحرب ، وأحسهم لو عاينوا جيوش عصرنا وعنادها لزدحم تهكما واستصارا . ومنوا يوم ذلك على حالهم نو كانت لهم أجنحة يطرون بها في السماء هربهم عن هذه الأرض العاصفة التي لم تقدرهم مدرهم من شجاعة أباهرة والفروسية الأسطورية . ولعنهم يعدرون طويلا حين يعلمهم أن جيوشنا عن ذكرة أيها كانت تنس سلاح دارية من الموت إلى الحيلة مؤثرة تنافية على الفتن ، يرفع جنودها أيديهم إلى رؤسهم علامة الاحتيال وبلوحون بأعلام بخص إشارة لتسليم نجلهم بسواد الدل في أعماهم الدقة

وأنهم معنوا وردوا إلى أيا منا لآثروا العودة إلى التراب الذي تروى بدماهم فيظنون في أطرافه مصمتين ، مطمئنين أعينهم القريرة على مينة العز والإباء ، فإتهم هم الذين قاتلوا ملء الجوارح والجوارح وعشقوا الحرب عشق المتيمين لمعاني ، وما رفعوا أيديهم إلى رؤوسهم صفارا وما لوحوا بالأعلام البيض تخادلا وتسليا .

حتى إذا صاح أخبارهم في الحرب وأشد أشعارهم في الضرب والاطعان فتى مثل في أعقاب الرمن هشت ردمهم في نراها ، فودت لو جمعت عظاما وكسيت حماً ودبت فيها الروح هب من مطاوي المعاد تمتشق الحسام وتهدر كالمحول وبأيديها الرماح وأهواها تصبح ملء الفضاء .

— لا حكم إلا لله .

فإذا حمر نك الثموس روعة أو رهبة وهي في رحم الأعداء وحومة اتصال صاحبها أصحابها زاجرين بقول قطري بن الفجاءة شاعرهم العظيم .

أقول لها وقد طارت شعاعا	من الأبطال ويحك لن ترأى
فبك أو سألت بقدر يوم	على الأجل أدى لك لن تطاعى
فصبرا في بحال الموت صبرا	فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز	فيطوى من أغنى الخنوع البراع
سبيل الموت غاية كل حي	فداعيه لأهل الموت داع
ومن لا يمتبط بسأم وهرم	وتدسه المنون إلى انفصاع
وما للرم خير في حياة	إذا ما عد من سقط المتاع

تلك موعظه قطري بن الفجاءة المأثري . وكان رأس الخوارج وسيد فرسانهم وشعرائهم وقد قامت الحرب في هذه الآيات بينه وبين نفسه التي ملئت دار الكناث وتجمه الصفوف وحومة الوعى . ففرغت وولت موقف في هرة الخلفة بينهم حرب يحاورها شعر الحرب ويقنعها بدليل من الإيمان وحساب الأعمار .

ولم يك قطري خطيب الحرب بينه وبين نفسه فحسب ، وإنما كان خطيبها الأكبر على رؤوس الأجناد ولو أن تاريخه وأخبار صحبه قد كتب بأس منحردون من وارج الثموس والهوى لجاءنا نبؤه الصحيح . ولكن ليس في أيدينا مما سلم من تاريخه سوى حفة صغيرة من أشعاره ، مبعثرة في كتب التاريخ والأدب القديم . فكأن التأليف عصم به العباس اصطلاح على اضطهاد الخوارج ، وعلني على المؤلفين فوصفهم بأنهم لصوص وشداد آفاق . ولكنهم لم يستطيعوا أن يطمسوا حقائق فروسينهم التي يسعى أن تكتب في تاريخ شعر الخوارج بأعر صفحة من صفحات عصوره .

فإذا توزعت البغضاء أخبارهم ، وافقد كل مؤلف سهوله جمع وترتيبها وعز على المعكر الحر أن يلعنهم ، فلا أقل من أن يجمع شعرهم وقد قيل أكثره في الحرب . وهو عن قلته التي وصفت أينما يكسى أن يعطينا صورة صحبه عن فروسته وكماحبهم ، وروعة أوصافهم للوقائع والمعارك .

لقد كانوا علاة في الاعتقاد الديني عقدا أراءهم في التوحيد ، والوعد والوعيد ، والإمامة وكانوا كذلك علاة في حربهم . فست قلوبهم في سلك الدم والتجريب ، وغطت أكبادهم في أحكام الحرب ، حتى استباحوا قتل الأطفال . وعللوا ذلك بإياديه أعراف الظالمين لتلا

وكان ينبغي لمن ضم هذه القصائل لندبه مصنفه . وسك الشجاعة عائقه أن يتسامى عن
الإسفاف وسفك الدماء بغير حق . فقد كبروا في مراحله . دعه يقر صوره عذرة لسبيل .
فليست قنول من يحدون من اعادة بناءهم أنسبه في معتقدات حوارج . وبنام بحبه وحبها
فدعهم شر قتله

وهم في كل ذلك ما جدوا عن تحف حلاه من كبر في رايخ الأمم مقروبه أعماهم
عطائات تقسم لها الأنس . وسكن رايخ عصر ركبات أهدا بحاربون في معسكر
لاعقل من تعذب الأحياء . وحفظه من هؤلاء أو إحراقهم ألوفا وهم أحياء وأموات
وأولوا الحوارج واصحابه انسى صيب الحوارج . فليست سبيلا إلى غرض الحوارج عن
مثاب الحوارج . في ردهم زلفهم . وافتراهم على الأعداء .

وكف رايخهم . فقد بقوا أنفسهم بحبائهم . صابروا . فتنسحبهم المأمون من
كل طاب ما قبل . فكأنهم من غرض منهم غرض على من أبي طاب وشعبته . ثم تقدم من
عده المعيرة والزبير . ثم الملب . والحجاج . وبنام الأعداء إلى رايخه . واهدا في أكثر
الحروب الداخلة إلى شنت رمن أبي أمية . وأن فصل فوفهم موضع انعمه وعباد . حننا
من دهر بني العباس .

إلى لا بدوع من أشعارهم احتاسية ووقائمه في . حروان . والنخبة . وحروراء . ويوم
دولاب . ويوم بولاب . وراهم حننا محمدين وحيثا مشتهين . تنسحبهم الحروب من كل
جانب حتى أجلاهم المسلمون عن أرض العرب فعمروا الثراب في تخوم فارس . ثم جدوزوها
فهم نارحان ثم في أصهار وسابور . واعتصموا بصطخر . وكانوا يفتكون بكل يد زلوه
حشة غدر أهله . حتى أن قطرا . هدم إصطخر على أهلها . لأنهم كانوا بأمره الملب
سرا . ثم صار أمر زعيمهم هذا إلى الاعتصام بطرستان

وكانوا أعرف بعد الحرب من سائر المسلمين . يحسنون بوقى اليديت . ويتفنون صرب
الحصار والتعلت منه . واصطياذ النغلة من الخصم . وكان من أطراف ما عرفت لخصومهم
أنهم كانوا يستعملون أساليب الإراعة والدية في ساحات القتال عند وفوف الحرب أو
الاستحمام . على نحو ما عمل الفرسيون أوائل الحرب بالأمس . فقد كانوا ينصون أوقافا
على أبراج حصون . ماجينو . يدعون بها الأعداء إلى إلقاء السلاح . أو يتندرون بهم .
فيجيبهم الألمان برصاص ابواثق والرشاشات . فقد روى صاحب الكامل والطبري (١) أن
الحوارج في أيام حصارهم كانوا يتوقعون ويحمل بعض الطرفين على بعض . ورعا كانت

(١) الكامل ج ٢ ص ٢٠٨ والطبري ج ٧ ص ١١٦ .

مواقفة بعير حرب ، أو رمي شتدت الحرب بينهم . وكان رجل من أصحابه غائب ، يقال له : شريح ، ولكي دأب هزيمة ، إلى محاجر القوم مع لسانه . دى بالحوارج ورئيسه الزبير بن سبي .

يا ابن أبي الماحور والأشرار كف تروى يا كلاب النار
شد أي هزيمة الهيار بهركم باليس والنهار
ألم تروا جبا ، على المضمار تمى من الرحمن في جوار
عاط الحوارج بك ، فكمن هم غداة من خلال قصره واحتمله أحمه . فطنت الحوارج أنه قد قتل فكروا إذا تواقفوا بهم ما فعل اهرار ؟ فيقولون ما به بأس . حتى أن من عنه ، وخرج إليهم فصاح : يا أعداء الله أروني رأساً ؟ فصاحوا به : قد كنا نرى أنك لحقت بأهلك الهاربة ، في ليل الحامية

٢٥٥

أن بعد الإلماء بشجاعة الحوارج ، واستشرتهم في الحرب ، وصراوهم . أن أسأ بأشعارهم . فقد كان أشعرهم قطري بن الفجاءة ، له في شتيت الكتب مقطوعات أربع وأربع مبعثرة منتقاة من قصائدهم تص إنا . وقد كان أنه تمام سنياً برواية الشعر الخارجي ، مع حصونه بالشعر الحماسي القديم . ثم روى حماسة قطري بن الفجاءة سوى مقطوعتين قصيرتين وبينت ثلث (٢) وأحسب أن أتمام حين حبسه الثلج في همدان فجمع ديوان حماسه من مكتبة صاحبه دى . أن عنده . لم تعمل في رد جسمه نار قطري دى اشجاءه المتوفاه . ثم نحر به سوى تلك الأبيات القلائل ، وأحسب أن شعره .

أما المرد فقد عني به في الكامل . وروى له قصيده ممية في (أم حكيم) وحرب دولاب . واحتج به مؤيد مصري منهل ههنا المعاصرة السيد علي المرصفي في كتابه ورعة الآمل من كتب الكامل . وفي أسرار الحماسة في شرح حماسة الطائي وروى لقطري أصحاب التاريخ كالمسعودي ولفظي مقطوعات من هذه الفوائد . وشعر آخر قاله رسالة إلى ابن جعد بديم الحجاج

كان شعره عدا لهما من البصولة . تموج فيه المرومة والنحوه والإقدام . ههده حرب دولاب (٣) ولم يكن فيها قطري ، رأس الحوارج ، وإنما كان من أعيانهم ومدادهم . فقد تقدم عليه في قيادة أمرهم نافع بن الأرق ، وكان قطري من أبطال هذه الحرب المستعرة التي

(١) حتى مدينة كانوا محاصرين في سوارها .

(٢) شرح ديوان حماسة الطيبة الأولى لمراجع من ٤٤ ، ٦٠ ، ٢٣١ .

(٣) الطبري ج ٧ ص ٨٥ مكان من أرض الأهواز .

حسرا لها من الربير أمير البصرة جيشاً نجياً ، عليه مسم من عبس ابدى وصف الخوارج بقوله
 « إلى لأحارب قوماً إن ضربتهم قد ورهم إلا سيوفهم ورماحهم » . ودامت معركة
 -ولاب عشرين يوماً- . وكان الخوارج قوى عدة بالسروخ والجوش والديس الحيل .
 . ذلك سنة خمس ومئتين للهجرة في حمدي الأحرار^(١) . ويعود نصري عن الخوارج في هذه
 اوقعه وما بعدها^(٢) . وجاءوا وهم أحسن عدة وأكثر حولاً وأكثر سلاحاً من أهل بصرة
 وذلك لأنهم محروا الأرض وجردوها وأتوا ما بين كرم إلى الأهرار^(٣) . وأعدت لهم
 ضرب إلى صدورهم وعليهم دروع وسحرها . وسوى من يرد يشدونها بكلايت من الحديد
 إلى مناطقهم .

وراح الخوارج جزين بمرحون في فرجة النصر ويحمدون الله على الحصار القمى وكأفى
 بهم في أمسة من أمامهم على أرض ميثاء من صواحي الأهوار بعداً عن أعدائهم المزدحمين
 ابدى عنوا الثمر وانصرفوا نحو البصرة . جيسوا تحت تلك الأمسية بصمدون جراحاتهم .
 وبعدون قتلاهم ويترحمون عليهم . ويقرنون أسماء شهداء الم وال . ومن مضى على آثارهم
 من المفتدين المبتهلين . وكان قطري في جمعهم تلك العشية يستوحى شعره . فراح لظفر بلالته
 وذكر زوجته (أم حكيم) ولم يكن سيد فرسان الخوارج يصبر إلى أم حكيم بعد (حرب
 دولاب) لو لم يكن أم حكيم في البطولة مثله . ربح حولها المساة . فلقد كانت من أحمل النساء . في
 شجاعة الرجال . متمسكة بدينها وكانت من القانتين

وتراحم على صباه وهواها فرب الخورج . فخصها أهداهم فردنية متأية عليهم .
 فداها الخوارج بالآباء والأهات حتى قال عنها مبعور رعدون . مارأيت قبلها ولا بعدها
 مشا^(٤) . ولعلها كانت . إدرت عنها حضائها . لا صبو نفسها إلا إلى رجل واحد منها كريم
 لأعراق ركي انقب . كفضري . وكيت غيرة ترضى . وهي إلى ما جمعت من ملاحه نساء . كانت
 صعبة المراس تحمل مع الخوارج على أعدائهم . لقد كانت وهي تحمل على العرسان في الحرب
 تمنى لو أتيح لها فار من أشد منها نائماً وأصب صر^(٥) فطرح برأسها ويريحها من حمله ومن
 لقدام بواحيات الأنوثة نحوه من تعليل وسهين وتمشيط وتزيين . فمولى في رجها
 وهي قتلى :

أحسن رأساً قد مدت حبه

وقد مدت دهنه وسلطه

(١) المصدر السابق

(٢) تاريخه ج ٧ ص ٨٨ .

(٣) الأغنى ط دار المكتب المصرية ج ٦ ص ١٥٠ .

ما في حسن عني منه

فيود ديت نقي / فطري / بولكان / منه هو خدني عبيه

و بعد ذكر في ذلك المساء بعد عشاءه من عشاءه (أم حكيم) فطاف في عيونه حلها المصنوع .
 وطيفهم احسن فحسن بحبه مدح . بعد أن زهد فيها ، وتذكر يياض (أم حكيم) وشفاءها لطفة
 المحزون سقيم ، وأحسبه - كما يعترف - كان إذا شجر بينه وبينها خصام رفع كفه فلفظ بها
 وجهها لصبح . فقدم على خاطره من هذه من دمه في صبحه . ولطم وجهها ، فغالبته الندامة .
 وتمي بولكانت شهر فلك في يومه . ذات . واسرح حده فراح نصف لأم حكيم حرب دولاب
 وما نعت بكر روثل حن يدق عني ولأردني من راحل وطفة عني وجهه حتى انعرق
 من شيوخ الأردن . وجرث خيول نحمه على نهم . ثم ما جئت على عند انفس شفرات
 السيوف . وعني أحلام فسة يحصب وقصة سيم . ثم ما جئت على حبال الطوز ولطفه
 دم صه . كدجراح وصبر من فومه املاات من الساحة . فتمصص أحراره ومواجهه على
 مقتول كرمه محب . على كان به أبا وحمي . أو كان أبا لأم حكيم أو شقيقاً . أو بعد كان
 ما فعر لآل في لآله في هذه الواقعة فتروعه حيث يصعب حدها معولة ونهكي سبيه . وقد يكون
 هذه الحسامه أم حكيم عسها قدر سقط ديت البص صرير في دولاب . غريباً عن موطنه فجمع
 فسادة عني في هذا . لا سراب . ثم يعاوده خيال (أم حكيم) في زحام هذا الهول فيتبعني
 لو كان . تسبه وقومه وهم يسبحون حتى الكفار في و ذلك الخوارج فسان افسان باعوا
 الإله بنوسهم . يسألوا يوم القيامة جنات عدنه ، وحظوة فردوسه الأعلى .

كديت كان (قصري) بعد حرب دولاب يقول (٢) بشعره :

معدت في الحياة لواحد	وقى عين من لم انق أم حكيم
أحمر ت لغير لم ير مثلها	شده لدى ث ولا لسقيم
معدت في يوم أنص وجهه	عني نائمات الدهر جد لثم
وشهد يوم دولاب أنصرت	صعب في في الحرب غير دمهم
مداه صفت في ماء ك من وائل	وخت صددو حسن نحو بهم
ولكان بعد نفس وول حد	وأحلام من يحصب وسيم
معدت في ماء ك من وائل	يجمع دما من فوط وتقيم
وصاربه حده كرم عني في	أعج بجيب الأمهات كريم

(١) كما يقول شعر من لأراره يوم ذلك .

يري من جاء يعتر في دحين

(٢) الأعاني ط التقدم ٦٠ ص ٥٥

شيوخ الأردن طافية لحاها

أصبت بدولاب ولم نك موطنه له أرض دولاب ودبر حبيب
هو شهدت يوم ذاك وجبت نبيح من نكتار كل حريم
رأت هبة ناعو لأنه شوسهم تحنات عند عشده وبعيم

• • •

وكل فطرى من العجاء يؤثر في شعره هذا أن تكون أم حكمه أشبه وهو يصارع
الأنطون وهذا شعر رعب على أكثر شعر ثنائى الأنطون من عوم أشرب إلى دث في
تمهيد الرسالة من أن حب الشعراء الشجعان للحدث عن محبوباتهم في شعرهم الخوف مهدد
لبطولتهم — وقد عرف العرب الجاهليون والإسلاميون ذلك من شعرهم فمما كان هؤلاء
الشعراء أحاسنهم يتمنون له شهادته بأثرهم في نراك وطعن . . . كوكب قوس شعر عظم
إدالم بمسكوها . نحل اجسوم ووسامة الوجوه وملاحاة السمات .

وقد كلف من الغريبين بتصوير أمثال هذا التعاطف الروائيان كوكبه ورأسين من شعراء
الأدب الكلاسيكى في فرنسا، فبما كثرا من رواياتهما اثبتية عنه فكانت نساء الرواية تكلف
تشجاعة الاتصال أكثر من كلف مجاهلهم . وكان الأنطون يدلون من مضمار فروسيهم كثيرا
من ادراقت لبتملكوا بذلك قلوب النساء كما في رواية « نساء » بمر كوكبه . من الحسناء
وشيمه بنت الكونت كوما . صمحت عن معشوقه قبل أن يخطبها بروسيتيه ، وانصاره
في الحرب على قبائل المغاربة في حروب الأندلس

وكيف جاء وصف فطرى لحرب دولاب . وبلا لا يستطيع أن يفسد . كذا مما وصل
إلينا من شعره . ومن يدري ؟ ففعل قصيده « أم حكمه » كانت فطرى من ذلك نص . وحكمه في
أبياتها ، وكفى مما بلغنا منها . أن صور هولئك الحرب التي هلك فيها قوم من قوام
الخواج هو باع من الأبرار . فبقى لنا منها صورة محصورة . . . حكمه وصحة وصوحا يمكن
الخيال من تمثلها على وجه الأكمل

لقد أسهبنا في القول والحنين إلى الحب المات ، ثم سكت عن دولاب سميل بوصف ،
وحتمهم . بالدموس الدينى عند الخورج منذ عداة تحكيم . وهو امتياحه دم كل من لسن
حارجيا منهم ، ويعبره . نسيه الله في نديا يشالوا من لده بعيم . قد دوس جرائه وثوانا
قد عد فطرى محاربه حارجين على لسن . فوصفهم . ككافرين ومعد في أثر له من
شعر قبيل هذه النزعة التي يمرح فيها كل (حارجى) فروسيته بديمه

تقد كال شعر فطرى صورته الحقيقة فيه وعقله ، وكان صدى لكل حارجى مجاهد متعبد .
إن قلبه قد امتلا بحب الحرب . واستولى على عقله جندل اتدين وفقه العقيدة . وكان يقول أن

بند من أصحابه وجن كان جعد ، فيكون سميراً للحجاج وندمه ١١ . وأن يقعد عن مشاركتهم
في حرب الحجاج وأخاه . فإرسل إليه شعراً يعاتبه فيه . وصف هذا الشعر مجاهدته للفرسان
وحصره على سيوف في حرب الموتى صميرة ، والتزام ابن جعدة لباس الخبز عند أمير
لا تأمر بتقوى الله . وحقه رسالته لشعره هدد ساموس الخوارج وشعرهم الدين في نواب
الآخرة (كما عدم) . نحو الغاية القصوى بعد جهادهم للكفار فكتب إليه

لشعر ما بين من جعد وبيننا	إذا نحن رحننا في الحديد المظاهر
جعد وسار الموت . كنا	صبور على وقع السيوف أبوات
واح بحر الخبز عند أميره	أمير بتقوى ربه غير آمر
فمر نحونا تنق الجهاد غنيمه	نفدك ابتاعاً راحاً غير خاسر

وإلى لأجد بين شعره هذا وبين قصيدته بأمر حكيم ما أبعد من الفرق بين شعر يجمع عليه
خيال المرأة بهجة لسبك وحلاوة القلوب ، وتزيده حوله الفروسية رصانة التعبير وجرلة اللفظ
وشعر يقول قائمه بوارع من لزمته فسوده روح نطقه والموعظة ويطغى على ما فيه من
وصف لبظولة

على أن أما جعد قد عمل فيه هذا الوارع فمهر الحجاج ولتحق بالحوارج ففان معهم
وساطد بروحه أرواحهم . فكان في النهار يهجم مع الخوارج هاجم الموت ، وفي الليل يتعبد
ربه ما كبراً كالنساء الممولات . لقد ترك الحجاج هارياً إلى عصبه الخوارج تركاً للحجاج
رقعة فيها شعر منه هذه الآيات .

وأقبلت نحو الله الله وانقأ	وما كرتي غير الإله بفارج
في عصه . أما النهار فيهم	هم الأسد أسد الغيل عند التهاج
وأما إذا ما الليل جن فإتهم	قيام بأنواع النساء النواشع

قد بعد في آله وصف الخوارج بكلمتين لا تالفة لهما وهما :
« الفروسية والدين »

أما شعر قصدي في الحرب مثل ما تقدم منه ، فيه هذه الروح التي تزجر المتخاذلين ،
وتنصح بالقتل . لأن الحياة راثية . وشرف الموت على حد السيوف أعز وأبقى . فهو في
أبيانه القليلة المأثورة بصور شجاعته وأسمه وعول .

لا يركس أحد إلى الإحجام	يوم الوعى منحسوا حمام
فقد أراى للرماح دربنة	من عن يمين ميرة وأمدى

متعرضاً للذوت أصرت معاً
أدعو السكاه إلى العون ولا أرى
حتى نخطبت بما تحذر من دى
ثم انصرفت وقد أضدت ولم نص
شبه الحروب مشبه الأعلام
بحر نصرتي على عمام عمام
أهراق سرحى ذو غلب جسامي
جمع الصغيرة فارجع الإعدام
وأين اسقضي فطرنا في شعر حربه
فمن كان هذا كل ما قام — وهو ما لا ذهب إليه —
فلقد حال اندفاعه إلى الحرب وحوماتها ، عن القول في صفاتها ، أن الخطوب حملته
ومعشره على غواربها فكان آخر نصر لم في يوم سولاف (١) بعد شهر من فابع المهيب ،
وقد استوا منه بويل وصلاة ، ولك صار الأمر فيهم إلى قطي حابه أصحبه فجمعوا بيته بعد
أن ما بهوه بالخلافة ورعوه بأمر المؤمنين (٢) ثم تناهت عنه امرأته والامكسار في يوم
(سبي وسيلري (٣)) فلحاً صحبه «شعر يروحون به عن أنفسهم كقول واحد منهم

وكانت تركنا يوم سولاف منهم أنساري وقتي في الجحيم مصيرها

وحين شردت قطرباً جنود المهيب انقض عنه النخاريون إلا فئة من الرحمن ونضع عشرة
امرأة فمثر حتى سقط على منحدر ، فاندس إليه قسيوه ، وحالجه عطش فد وموه على سلاحه
بشرة ماء ، فأق قاتدروه عثراً فقتلوه ، وأدعى كل فارس أنه صاحب رأسه ، سكته مات
مبته ظن ، وراذ على الطولة أنه كان الشاء الخارجى الأول ، ادى وقف شعره
على الحرب

وشعره في بين الأدب — كما أجده — متفاوت انه سة فقصيده في أم حكيم في
ذروة الشعر الحرى ، بل في عداد الجياد بما قال شعراء العرب من شعر رفيع صوع ، بحكم
ايبان ، حلو المعنى ، م شعر كذابه ، ولا بدت أسانه فكأنه صنفه ، نعة السبع من الحر ،
إنه جمع بين من انكلمات مرلة ، وحقبة الحر ، وصلاة احسنه . أما شعره انفيه فمداونة بين
الجرالة والرقعة ، ولكنها جميع لا تنص إلى حوشه في أم حكيم ، من سكت الممه اتى قالها
في حرب دودان نعمه إسمية مصبوغة ، ممة ، مادة الهوى ، فورة وحاسة

• • •

قرنت عمران بن حطان بقطري . فوجدت عمران أصل من قطري . ثم وجد علوا في

(١) مكان بتاحية الأمور .

(٢) ذكر أبو ركريا لتبري في شرحه لبيعة قطري في حاسة الطائي أن القوم سلخوا على قطري
بالخلافة ثلاث عشرة سنة (نسخة مراكش ص ٦١) .

(٣) منزل من منازل الأهواز .

(٤) الكامل ج ٢ ص ١٩٩ .

فكرة الخوارج وصراف إليها، سكنه ذوبه في الشجاعة والبأس، فإن قطريا أحكم الخوارج
شجاعة وادعاء هو على قلة شعره الخرقى من سكب فيه خلاصة فنه، قد أمسك بعنان شعر
الحرب وادعاء الخوارج، فسرهم في شوط واحد. أما عمران فقد انحط مليا في شعر
الحرب، من حده يدوسيه وسودنه، ولعل من جعل مدحبه يربى على شجاعة وحربه
من العرب، فكان من بقعة حبر عصف عن حرب وحضوره^(١)، وقصر على لدعوة
بلسانه، على أنه كل حدث شهد برعة شراره، فقد روى عنه أنه كان مشعورا بطلب لعم
وحدث من أن يمشي به

وكان هو وادعاء يصفه بخرج فرد بين القبان مستحميا، منشد لسيا كادبا، يوصل
الآلاء عليه، ولم يحد من إلى أيدينا شيء كثير من شعره الخرقى حين
كانت به في الحروب، وروى القيرواني في زهر الآداب أن الحجاج أمسك به ثم
أصفه وادعاء سراه إلى معاودة الحرب وقالوا له لم ينحك إلا الله، ورجع من حبه معنا،
فقد من دم وادعاء شعره في صوته وصيحه نوحا، مكنه ترك آيات من شعر
الحرب مدحبه بدم رجته يذكى المرة، تظهر فم شجاءه على من رأى طالب، وأنى
على قلبه من البرح من ملجأ الذي قد فرب

صره من على ما أرب	لا تسع من دى هرش رصوا
لا أكره فيه ثم حبيه	وى امره عند الله مبرا
الله الذى ترى منك	كمه مهجة شر الخلق إنسانا
أبى عنه شفاء بصره	من جناء من الآثام عريانا

من شعره في أن شعره في الحرب قد فقد أكثره ولم يصل إلينا سوى تزر ضئيل
منه، وادعاء من رباح خراس، بعد الخلو من منه والحرب لوجهه، فقد تمك في هذا
الشعر الحجاج بن يوسف لم يصم حاشا، لخص من عرلة الخروبة، وادعاء دارك،
الخوارج، من تحت آية كوفه، وجه شيب خراجى، وم ينج الحجاج سوى
عبد الله بن رسل، من بعده على حرب شيب ويخرج منه شعره في حصنه قصر عمران
بالبحر خراج فرب

أبى على وفى خروب بدمه	رمده كحل من صغير أنصاف
هذا إلى ربه فى أبى	من كى فبك فى جنه حى صائر
صعب ربه أقيه بقودس	تركك مداره كامس الدار

(١) لأعرس ١٦ من ١٤٦.

وهو في حروب الخوارج ذكر عرلة هذه وقيل بها كانت طلة شاعره ولها مآثر في الحرب
فأين شعر عرلة الخارجية في الحرب ؟ وما حقه تلك امر ومية في قصيدها وكانت شاعره
كما يقولون . وهذا كانت عزاله صيده غلب كروجهما ، فقد غمى على مسجد سكوفة وجعل
وصحبه بقل المصلين فيه .^(١)

كانوا في طعناهم عداهم والخوارج كس من هاج أحدهم ينفذه في ربه ولم يكن همه نهب
والسلب لوجه امر . وإنما كانوا أساءه تميز على وجه مدحهم وشبه دهم ، قد أخذوا شد
السيوف سبيلا إلى نشر فكرهم ، وإهلاك أعدائهم الذين يرون كفرهم ، حتى طغى عدوهم
بالعنف والظوع على كثير ، وجرا إليهم شعراء بخاريين كافتل مرح من حكيم وكان له ساطع
في شعره فروسيته ، يد يقول

فلبست للحرب العوان ثياب وشفت مار حرب وهي وقسم
وكان هذا الشاعر من أصحاب المروانيين فمدح برئ من نهب الأزدى ثم انه ، ولا عجب
بالمهت وأولاه مدح الأزد كلها ، سكن الخوارج وجنوا بسنن إلى قلبه خروجه إلى مدحهم
فهام به وهب نخوهم ، وحسن اسمهم ، حتى قال فيهم .^(٢)

نه در نشره لاسم إذا المكري مال بالطلأ أرقوا
يجمعون الخن وإن علا بهم ساعة شقوا
على أنه مع حبه الخوارج ، أنه كان يرى ربه^(٣) فيس في ديوانه شعر يصف فيه
خروجه ويصور معاركه التي كانت أكثر مما في حروب له حدة وأروعها في عهد بني أمية

• • •

ونمة شعراء خوارج أثر لبعضهم شعر طوي . كعمر بن الخطيم قاله • يوم قديد •
وهو مكان قريب من المدينة خرج فيه الخوارج وقتل الخوارج^(٤) ، وهم راعم هم
بالحرب خوارجي عصمت وشاب شاعره وهو لا يفتون في الخوارج شوكة ، وتوافقوا
حينئذ بدأ انقراضهم وهو حجة فتوا • رجلا من الخوارج ، فصاح أبو حزة الخارجي
شيخ هذه الواقعة^(٥) ، شكم بأن فقد حين فادته ، فشفت المركة ، وكها سمير نفس فيهم
نحو من سيعان^(٦) .

(١) الطبري ج ٧ ص ٢٣٣

(٢) ملحق ديوانه نشر كرايكو طبع لندن سنة ١٩٢٧ القصيدة رقم ٣٧

(٣) الأغانى ط دار الصداقة مصر سنة ١٢٨٥ ج ١٠ ص ١٥٦ .

(٤) المصدر السابق ج ٢٠ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) الطبري ج ٩ ص ٢٠٩ .

وقد شهد عمرو بن الحصين شعر حوارج هذه الحرب فقل قصيدة في وصف معركتها
وصفا دقيقا . وصور الحوارج في تفهم وشجاعة بغير

مأوش كثر في جوانبه	تسرع كف حواطب
تدهمو وراممو من الكع	و ساجد منصرع أو ناح
ومرئين من معاب حرروا	حصل امكارم ألقا
منه في حق لحد كنهم	أسد على حق الطون سلاه
حتى ورس حياض مكة فمستأ	يحكيون و ده بجم القارب
سائل يوم (قديد) عن وقعاتها	تحرك عن وقعاتها بعجائب

وإني أرى من نخب هذه الأبيات من القصيدة الخارجية الحربية . أنها لم تخل من ثلاثة
أوصاف شامة بوصف بها جانب كبير من شعر الحرب عند الحوارج وهي :

(١) وصف القروسية ، والباله ، والعتك والتعاق في الحرب .

(٢) وصف التقوى والتعاق في العبادة

(٣) وصف أخلاق الحوارج في سلامة العيوب وخصال المكارم

• • •

ولم يقدم الحوارج على كثرة عددهم شعراء كثيرين لولا ضيعة أخبارهم وأشعارهم
لأنما عهدهم قصير .

كان من شعرائهم يرس بن حبيش لضي ، وكانت له مهاجرة مع زياد الأعجم الذي كان يعمده
بخرجيته ومناجاة مرثى لمراق

وعنه شعر . من حوارج يؤثر فيه سوى بنين أو الأربعة . ولم يقدم الشعر الحربي
عندهم . حتى زعمائهم فيهم كانوا شعراء وكانوا يفرجون بالشعر عن خواطر
موسمهم . كما فعل جيل بن طرس الذي دعوا في شوقه إلى الحرب :

حبيب ماني من عراء ولا صبر	ولا إنية بعد المصابين بالنهر
سوى مهضت في ككث حبه	إلى الله ما تدعو وفي الله ما تقرى

ونحن من هذا الشعر كله الذي قاله الحوارج أنه تم على الفحولة والجزالة وجاء بالقول
الحكم لسكر حظه من تاريخ الأدب كان قليلا . بل لم يكن له حظ من ذلك قط ، فاصطلح
عليه رواية الأدب . راية على أهليه وإهمال لروايته . ولو أتيح لهؤلاء الشعراء الحوارج أن
يكون مؤلف الأدب في تلك الأعصر لبي جمعت فيها الأخبار أدبيا خارجيا أو أنه يترع

نزعهم لجاءنا من أشعارهم الكثير ، لأن فيض قرائنهم في شحنة الوعي كل عريرا فكان
ارتجال الشعر عليهم هينا ، فكيف بالذات في نظمه ، والتطويل في أنفاسه
على أن فناءهم في الحرب لم يفض على أشعارهم ، فإن موت الفراء والعنهين في كثير من
وقعات هذا العصر لم يمح آثارها ، ولم يمسها إلا بقليل من الصيغ مع بدرة التدوير في
تلك الأيام

أما أولئك الشعراء الذين أتاح لهم الحظ حسن الذكر وجمع لشعر كالكميت والعرزدق
وكثير — فذلك من حسن حظوظهم لدى التاريخ ، ووفى لأدب نعتهم ، الذين كانوا في
أكثرهم شيعة ، فلم يتركوا لذويهم شاردة إلا قبدها والعباسيون علوا في انحصاء لخصومهم
في عصر التأليف ، وكانت العصبية القبيحة علانية عليهم — وأما العرزدق وأبراهم — تركوا
الشعر الفزير ، فإن قومودهم عن الحرب ، وتمرعهم لشعر ، أعاهم على تلك العرارة — ولأن
رواة هذا الشعر أدركوا عصر العبس — أعمرهم ، وكانوا يحجون هذا الشعر ويقدررون قاتليه
فأملوه على جامعهم — ومن سخوارح — وهم المشورون الكفر ، المصطهدون في كل صقع
مثل ذلك وقد أفندهم القتال شرفهم من كل جانب ، فلا أوتوا طعنا ، فقا ، ولا شعرا مروا
كثير — وحير ريبيل أو رده على إهمال أمرهم أن قصرا ربيعهم وكبير شمعهم ، كان حصه
من أبي الفرج الأصماني ، في ثلاث صفحات

• • •

وفصل الخطب في شعر الحرب عند الحمو ح ، أنه صورته ثورة عاصفة العناد . حاجنة
العباد ، تستبج دم من لا يؤمن بها ، وكانت تنحد أسلح سبلا في شره كثورات الأفوام
وفتتها العارمة ، وقد امتدت ثورة الحوارح من سائر أمتق بأنها كانت ذات مثل العليا لوجه
الدين وحده ، ولم يصعها صبع بأمر الدنيا كحروب الهاشميين والامويين وثورات الشيعة
وقد ردد هذه لثورة اديسة شحاعة حارقة ، وعضولات جبارة نادرة (١) ، كن حاديا
أشعارهم الحربية وكنتهم كتبوها على شعار السيوف التي كانوا يكسرون جفاها ، ثم
يصممون بها في هجمات الحروب ، وشعارهم أبدا :
— لا حكم إلا لله . . .

(١) جاء في معلة الإسلام ما عرسية (ح ٢) في مادة Kharijite من 958 (أن مروسية الحوارح
كانت في أهوالها كصوم من ضروب الأساطير) .

الفصل الثاني

شع الحرب في ادب الشيعة

۱۔ یہ مہربانی، انجمنوں، اداروں سے مدد و
۲۔ ان کے لئے جو ان کے لئے

فقد كان لهؤلاء سجونهم فلا يجدونهم وكان سبب سجنه على أسرار أكم الأثر في
مهمته هو حتى في المعاهد من شعبة ، وهو أنفس عمل مدونه على لأبصار ، كان
بأنه كان من روادهم في الحبس ، وكان لهم ، حتى سبب هذا الاستغفار
مفصل من أسرار من حبس شعبة ، وحسن سجنه ، فقد ورد على المغيرة في المسجد
: هو من سجنه في

— ۱۱۱ —

وحجر هذا من جميع حجار من عدى صاعة الامويين ، وتألب حوله جمع من الشيعة ،
 كانوا اول السائمة انهم في عهد امية ، والامم الى ان هب حجر برجان مستشرين
 فنة بنوا الامم من : كوفه ، حجارهم ، فدمرو عسيرة امصار العراق ، وكان شعارهم
 هذه الاسات

[illegible]

وكان شعراؤه في هذه الغزوات والحروب الداخلية ، يسجلون صورا من المعارك ،

ويتناولون وصف الحرب لشعرهم فيعززون تلك الأشعار مدحهم ومقاصدهم ونحو حور حلال ذلك على شهادتهم وأتمتهم الأبرار .

والشبيعة الدس كبتوا ثورتهم في حذر صلو عبه مند ما عني* كانوا يصوبون نصر أشرو إلى خلافة بني أمية . فسامات معاربه هبت أحقادهم من مكانها ، كجمر سفت لريح عن وجهه الرماد .

وشاء ما يخ الفس الداحية في عهد بني أمية أن تكون الكوفة وكر نوره ، وانصره مبعث الفتنة ، فكانت تولد منها شرارات خروب ، ويصدر عنها الوحى في حمة عصا طاعة وكذلك كان ، فقد أرسل أهل الكوفة من شياع عني* إلى ولده الحسين ، أن عسده إليهم ليبياعوه على الخلافة ، ففعل غير سامع لنصح عبد الله من مطيع بدي ، وهه عسده الكوفة فقال (١) له : وإن الكوفة بلدة منة ، مه بها فتن* نوك ، وحسن احوك ، واخشن طعنة كادت تأتي على نفسه ،

وه يصنع الحسين لناخه ، وإلما رك داه ، وحسبه كان يحرف ن يفساه الناس بما تنفوا به أحاه الحسين . فناديه وهو عائد إلى مدنة بعد ن دجن وحمامته في طاعه معاوية ، فنادوه :

— يا مذل العرب (٢) .

• • •

فما جرد بنو أمية عبيد لله من ردا على أشبهه ، بهنن لشبيعة نهضه رجل واحد لنصره الحسين ، حتى كان الرجل يترك ماله ويهب ومعه زوجته يدع عن سبط ارسول ، كالدي فعل عبد الله من عمر الكلى . فقد هجم عليه في إحدى الوفائع في المدع عن الحسين فارس من حشد الأمويين ، وهه مكن بيده اليسرى ونصار أصابع كفه ، فم عليه الكلى فصره حتى أتمه وهو يشد قوله .

إن أنكروني فإنا من كتب
حسى يني في عثليم حسى
إني إمرؤ ذو مرة وعصب
ولست بالخوار عند الشك

(١) الطبرى ج ٦ ص ١٩٦ .

(٢) الطبرى ، النسخة الأوربية . (V.II ص ٩) .

في رعيه لك أم وهب
صع فيهم مقدماً والصر
صرب علام مؤمن بالرب

ونارت له وهب امرأته . صرب وراة وبيده محمود تصح به وتقول :

— هـ هـ آي وأمي ، فاس دون لطيف من رية محمد .
فأقبل إليها بردها ورجرها لتعود نحو اسماء ، فأحدث تحدثت ثوبه ثم قالت له :
— لن أراعتك دون أن أموت معك

وم تنصرف عن زوجها حتى رجرجها الحسين .

وكان عمره من فرطه لأصاري يقابل دون الحسين ، ويترأ من الخوارج وهو يقول :

قد عمت كسبية الأعداء في ساحي حشوره الدمار
صرب سلام بين مكس شاري دون حشر مهني وداري

وكان البطل من أشعه محمود بنفسه في الحرب والموت يشرح في صدره ، وهو مجتدل

وعينه عاتفة الحسين ، فما صرع مسلم بن عوسجة أول أصحاب الحسين أكب عليه الحسين

وه رمي ، فمات رحمتك بك . وما منه حبيب بن مظاهر وقال له ، عز على مصرعك

ولولا أو لاحق بك لاله لآردك أن توصي ، فقل مسه ، هو يلفظ نفسه الأخير :

أوصيك بهارحك الله . وهوى مده إلى الحسين وهو يقبض .

وكان في الحسين على الحسين ، وصحبه ثمر بن ذي الجوشن في ميسه الجيش الأموي فتلاقى

الجنود حتى عثرت حمول وصارو رجالة كلهم . وغلت الخفاة في نفس حبيب بن مظاهر

فهجم على بعض من أصحاب ابن زياد فصر ووجه فرسه ، سيف فشب ووقع عنه ، فأقده

الأمويون أصح . فمات حبيب .

أنا حبيب وأني مطهر

أنتم أعداء الله وأكثر

وحق أعلى حجة وأظهر

فما سقط هذا البطل هدم موته حيناً ، فقال إني أحتسب نفسي وحياة أصحابي . فأخذ

الحرب بن يزيد يقول .

آليت لا أفشل حتى افتتلا

ون أصاب اليوم إلا مقبلا

أضربهم بالسيف ضرباً مقصلاً لا ناكلاً عنهم ولا مهلاً

أضرب في أعرافهم بالسيف — عن خير من حل متى والحيف

وتسابق أطال الشيعة يدودون عن الحسين . وسهام أعدائه تهوى على جانبهم فكلم صرع
دونه واحد حل مكانه آخر ، يدفع عنه صدره . ونحوه من أجله بروحه ، حتى كانت بونه
زهير بن القين ، فقال بين يديه وهو يصد هجمات المناوشين :

أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

أقدم هديت هادياً مهدياً

واليوم تنقى جدك انفا

ورحمناً والمرضى علب

وذا الجناحير الفنى كنيا

وأمد الله الشهيد الخب

فلما استمر على الحسين الجمع من كل جانب ، وكان الحسين مغواراً يصد
عن نفسه ذات اليمن وذات الشمال ، خف إليه صاحبه يزيد بن المهاجر الكندي ، فثنا على
ركبته بين يديه ، وأحد يمين بالثب من يمينه ، وشبه يمينه .

أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

يا رب ابن الحسين ناصر ولاس سعد بارك وهاجر

وما زال ينفض دونه بالثبل حتى قتل .

فتقدم على ابن الحسين يدفع دون نفسه ، مصرع وهو يقول

أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

نحن ورب البيت أولى بالثب

والله لا يحكم قبنا ابن دعي

فهبت لمقتله أحبه زينب الله فاطمة بنت الرسول . وأكبت عليه بكبه . ولم يرل الحسين
يفقد صاحباً بعد صاحب من حماته ، والبدلين المهيح في سببه . حتى بنى ثلاثة رهط أو أربعة
وقد روى رواية مصرعه أحد أعدائه — عبد الله بن عمار — الذي قدم ليطعنه بالرمح
فلما حكم مقاتله ، رجرت نفسه عنه ، فأكفأ بعداً يشهد آخر ساعات سيد الشهداء ومسيط
الرسول ، مقترباً في أرض العراق ، وقد قتل صحبه الأحيار والعصر عنه دعائه ، فجعل يشهده

وهو يكر على أعدائه بمئة ويسرة . فقال عنه . فوالله ما رأيت مكسورا قط قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناحاً منه ولا أجراً مقدماً . والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله إن كانت الرحالة لتكشف من عن بينه وشبهه اكشاف المعزى إذا شد فيها الدثب . (١) .

حتى شد عليه الأمويون شدة واحدة وكانوا يحاذرون قتله . قلوبهم العلاط كانت تطلبه وأيديهم كانت تحشى أن تلوث بدمه . حملوا عليه من كل جانب . فصرست كفه اليسرى وصرب عاتقه . فناء وكيا . وحمل عليه . سنان بن أسس بن عمرو النخعي . فضمنه بالرمح . ثم أراد آخر أن يحتر رأسه فضعف وأرعد فزل سنان بن أسس فدمعه وأحد رأسه . بعد أن ضرب جسده بالسيف

وأك هؤلاء المحاربون على ثيابه وثقله ومتاعه فنبهوها . فصبغوا بطونهم الآثمة بالشنار . ولوثوا فروسهم العاثمة وصلادة حروبهم بالنؤم والعمار . حتى أنهم لم يتعمقوا عن نساء الحسين (٢) . فإن كانت المرأة تمارع ثوبها عن طهرها حتى تغلب عليه فيذهب به بها . . ولقد كان أنظار الحسين أشرف نوسا . وأعر كرامة وأوى دماما . ولقد كان في أصحابه سويد بن عمرو بن أبي المطاع مصروعاً من صربة رمت دمه . فوقع بين الفتى مشحناً . ثم وجد إفاة . فسمع القوم يقولون . قتل الحسين . فبدأ معه سكين بعد أن أحد الأعداء سيقه . فبجثوا . ونهض من حشرجة الموت فقاتلهم بسكته حتى قتل .

وبلعت النعمة واستشراء المنه في هوسهم أن داسوا بأفراسهم جسد الحسين . حتى رصوا طهره وصدره . وجمع د ثمر بين ذى الجيوشن . اثنين وسبعين رأساً من روس الشيعة . فأرسلها إلى عبيد بن ربيعة فوضع رأس الحسين بين يديه . وجعل ينكت بين ثنبيه . فهاج هذا المنظر ربيعة بن ربيعة . وكان شيخاً — (فانفضح باكياً) وهو يقول عبيد الله ابن زيد . وأعل هذا التصيب عن هذين الثنتين . فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شقي رسول الله صلى الله عليه وسلم على هاتين الشقيتين يعلهما . وكاد يهيم عبيد الله بقتله . ثم أهدى الرأس المحرور ليريد من معاوية . وأدحت عليه نساء الحسين بحللات بالسواد

• • •

ومضت هذا الفصل المروع من مصرع الحسين لأستعين به على بسط الشعور في تقدير

(١) الطبرى ج ٦ ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٠ .

شعراء الشيعة في هذه الواقعة وما بعدها من وقعات الانتقام ، ولكي أرى أية روح حماسية متدفقة بالشجوة والألم كانت تدب خلال شعرهم الحربي حزناً على مصرع الحسين ، وأجدني بعد هذا الفصل من مصرع الحسين ، متكلي على الشعر الذي قل في حربه ، وما قصدت إلا إليه بلمحة التاريخ الذي رافقه .

إن شعر الحرب لدى الشيعة المحاربين كان قليلاً وقصيراً على هذا النحو الذي أوردت . ويجمع بين البيتين أو الثلاثة من الرجز السهل الذي كان أعين العرب قد تعودوه في كثير من حروبهم ، يقذفون به ، وهم بين أيدي القتال . وفي مواضع الأعداء . وقد وجدت هذا الشعر الحربي يقسم معانيه قسمين :

(١) شعر يصف بطولة أصحابه (فارب كلت) يعرف المحاربين نفسه وحسبه ، ويذكر بطولته لوجه اعتراضه بالفروسية . على نحو ما أشرت إليه في التمهيد وعند الكلام على شعر قطري (فهو فارس لوجه الحرب) .

(٢) شعر يجمع بين زعة الشيعة إلى الحرب ، وفكرة السياسة التي دعهم إلى الحرب ، ويذكر اعتقادهم الديني الشيعي

فهم من قرطه الأنصاري يعلن في شعره أنه ليس (من الخوارج الشراة) وأنه يحارب فداءً للحسين ، (فهو فارس لوجه الحسين)

أما حيث من مظاهر فيه بعد أن يذكر بطولته وولاءه بنوه بأن الشيعة على حجة صحيحة ظاهرة ، وأن الأمويين على حجة كاذبة حقة ، وهو يومئذ يدرك إلى قضية الخلافة ، وما إليها من الجدل والخوض ، في أمر التحكيم ، ولكي في نوبة يريد من الذين تظهر الرعة الشيعية ، صاحبه مارة ، ويبدو اعتقادهم الديني الخاص بأن جعفر بن أبي طالب الذي قتل في عروة مؤنه بعد أن قصعت يده طارحاً حيناً إلى الجنة ، وسيعود في حر اندهر يملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وبغياً .

ثم يذكر (أسد الله الشهيد الحنفي) ، وهو عند الشيعة المهدي المنتظر ، محمد بن الحنفية ، بقم بجبل رضوى عنده غسل وماء .

ولما صار الارتحار في وقعة الحسين إلى أنه على رأس (رأيه السيئ) (في طام الحكم) فقال :

نحن ورب البيت أولى بالنبي

نالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وأراد بذلك ، أن الخلافة بعد النبي هم وارثوها ، لأنهم أولى بالنبي من غيرهم ، بعد أن

كان هو الولي . وحلف باهدا ألا يترك مريد يحكم في الأمة لأنه من رجل يدعى الخلافة
(وهو معاوية) .

فكان الشيعة في شعر حرسه هذا أهل فروسية من الخوارج . وكثير دعوى مهم . وقد
مرجوا السياسة ما بين يديا كل الخوارج بعداء عن نزعات السياسة الجذبة ولم تكن السياسة
الجامحة في يوم من الأيام مطلباً لهم . وإنما كانوا يقيمون رفع كلمة الله . لقد كانوا أديبا محاربون
من يحد الدس وسيرة بن الدنيا . ولذا حاربوا كل الفرق والنحل (وكانوا حصوماً للشيعة
والزبيريين والامويين) على السواء . لأن هؤلاء — في رأيهم — قد اضطهروا على المفاسد
وأقاموا على قتال وصول إلى الحكم واستندوا بالإمارة والخلافة .

أما الشيعة فكانوا يدعون إلى سياسة عنفت إلى جانب رأيهم الديني . ولم يكونوا يريون
وإذا فكرة عبد ك الخوارج . إنما كانت فكرتهم دينية . من جهة لوجه المنفعة . بهم يريدون
أن ينصروا آل أبي في مدة الخلافة ليصبحوا أمراء على الناس . فلذا كان بنو أمية أشد
عليهم . وقد وصفوا بما كانوا مع الخوارج . لأن الخوارج كانوا أهل ثورة وللسوا
أهل نكف . أما الشيعة فكانوا هم ثورة . طيب في وقت واحد .

وتنحدر الآن إلى شعر أبي في عهد بني أمية . الذين كانت شعورهم صدى لحروب
الشيعة مع الأمويين . وبلغت أوج حشمتهم عسفة وسكن سويسهم في خدشات أحرامهم
التي لا يسي . وقد حشمت حواش شعر الحرب في تلك الحرب بقا في قول أمراء الكميته
أن ريد أنسدي " إيد يس من حق شعر شعبي سواه أن يقدم عسفه قول الأهل . فليس
كانت منه النداء وسدده في أن حصل كشاعر كبير يعرض شعنه في ارحمة الاموية وفي سره
الحققة من تعهد لدى كان موره لوصف الامويين لشيعة . ولست إذن من رأي المعلنة
الإسلاميه امكتونة بالعربية في يدعي انه أول من قام بالثقة . وأحد عنها هذا الرأي
من كتب عن الكميته هذا . لأن المعالنه في إيد سلطان لاموي لا يتفق وهذا الرأي
العائل في سوه .

(١) السيادة العربية والشيعة في عهد بني أمية تأليف فان فلوتن — الترجمة العربية طبعه بمساعدة عصر
سنة ١٩٣٤ من ٦٩ . ومعلمة الإسلام بالعربية (II. p. 959) بحث (مقولات الخوارج في السياسة
والدين كتبه Dellavida) .

(٢) في معلمة الإسلام بالعربية في مادة Kumait ج II من 1181 أن الكميته أول من قام بالثقة .
ولد سنة ٦٠ ومات سنة ١٢٠ هجرة بالكوفة .

على أن التعصب للعدائية قد علا في نفسه هيج البلية حياً حياً بقصيدة مدهية سائرة ،
عنصب نفسه غرضاً لسام الهاجين . فرد عليه شعراء في حياته ، ولم سلم في مماته من ردود
هاجين ، ومعارضاتهم لمدحه ، كما فعل به دجيل الخزاعي وابن أبي عيثة .

لقد شغل الكهيت نفسه ودحاً من عمره . تفرغ فيه لمذبح الهاشميين ووقف عليهم قسماً
عظيماً من شعره . لعل قليله الذي وصل إلينا ووجدناه كثيراً . جزءاً من ذلك ، فقد
قيل (١) إنه لما مات أحصى شعره فوجد حقه آلاف ومائتين وسبعة وخمسين بيتاً . ومن
لا يعنى من كل هذا الشعر برعته الشيعية ولا دعوته للإمامية ولا مبادئه الأموية بالفتح
بأعدائهم الألداء ، وإنما الذي يشغلنا هو شعره الحرقى . فهل كان له شعر حارب في أدب
الشيعية وما قيمة هذا الشعر ؟

في القصائد الهاشمية قصيدتان رائعتان من أحسن شعره في الحرب وأجمله . أولاهما
يصف فيها شجاعة أئمة الشيعة وفي مستهلها يصف أبطال شيعته بقوله .

همو الأسد في الوعي لا يلدأق بين نخيس العرين والآجام
أسد حرب عيوت جرب بيل مقاويل غيرما أفدام
سده دادة عن الخرد البص يوم صار كالأيام
لا كعبد المنيك أو كرسد أو سيد مد أو ككشام

ثم يتناول ما شطر ثلث من هذه القصيدة الهاشمية الممدوح يخصص على من أنى طالب إمامه
الأعظم ، ويدرك بعده سيف الحرب والخوارج والأمويين فيقول

جرد السيف تارتين من الدهر على حين درة من صرام
في مريدن مخطئين هدى الله ومتقسمين بالأزلام

ثم حين حين كل شيعي إلى الحسين والها متجعماً ، ويص إلى أعماق قلبه ينصح . من آلام
الشيعية التي لا تهدأ سحيس البياض على مبدل الحسين ، هو صف وقتله في لحظة خاطئة فقال .

وقتل ، ظف عودر منه بين عود أمه وطعم
قتل الأدعياء إذ قتلوه أكرم الشاربين صوب الفاء

ثم اعين الملا تشيعه وميله إلى هؤلاء الأئمة الممدودين ، واشتياق نفسه إلى لقائهم ، حيث
كانوا شريدين فقال .

فهمو شيعتي وقسي من الامة — حسي من سائر الاقسام

ليت شعري هل ثم هل آتينهم أم يحولن دون دالك حماي

قلت للنسي وأن أخلص من الكلام على هذه القصيدة ما أشجع الكميث لكنه لف
بالأسدي لصفة الأسود فيه فقد هجم شعره هذا اندى يصف به حرب أئمة الشيعة وبأسهم
وصلاته عاريتهم في وجه الأمويين ، في حين كان غيره من الشيعة شعراء أو أهل محلة أو ذوى
عزة منتردين من حدة انتقامهم لحماية لأرواحهم ودرمة ، وأحسب أن من قالوا بتقيته لم يلتفتوا
إلى هذه القصيدة

وم يكثف الكميث بلوجه الوصفية في فنه ، وإيما أراد عليها رقة الصنعة في مص أبياتها
والجرس الكلامي والتراوح في سبى الحروف ، فمن فنه مع سهولة التعبير إيراد كميثي (الحياة
الكافة) ، وكرار ربة السجع ، في لنت الواحد انتهى ل . فأتبع سجعاً موسيقياً في مص أبياته
وكان ساقى الطاقى للسجع في شعر — فقال (أسد حرب لوث جدد) فطاق في فنه
البلاعي مصافقة به انبعا بقوله (هابيل مقاريل) ، وراقته هذه الديباجة فراح بعد بيت
يقول مفاوير ، مساعير ، معازيل ، تنابيل)

قلت للنسي . أفلا فرد الكميث ، وهو في هذه المعلقة من انشيع الصادق والشعر الرائع
قصيده محصورة بمقتل الحسين يكون سيرة الصل الشهيد ؟ ولم أك لأفني منه ، بقصيدته اللامية
في مص الحسين لأنها — على طولها — لم تكن محصورة بمقتله وكان في طوقه — وهو
الطويل أنما من المصائد — أن يرك في أدب الشيعة . بل في الأدب العربي كله أخلص
قصيده في مقتل الحسين ، يجعلها لشعة مأتمهم . وهم الذين ماراهم من القصيد الاما وصف
لهم مقتل الحسين وأحبال أحبابهم آل البيت . وكم كان أحسن الكميث لوجعها ملحة
تبدأ من يوم خروج الحسين من الحجاز بدعوة أهل العراق ، إلى يوم مصرعه ، إن قنع
بذلك ولم يجعلها من امتنع على من اتى طالب عن المباينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم
أما وقد فاتته هذا ، فلا خير عليه بعد ، فيما ترك من بلايته "شاجة" . وهي في صميم الحرب
الشيعة وفيها يقول عن قتلة الحسين (١)

لأجوافها تحت أمحاجة (٢) ، رمل

كحدآن يوم الدجن تعلو وتسفل (٣)

ومن عجب لم قصه أن حيلبه

عما هم بالمستلثمين عوابس

(١) الهاشميات الطيبة السابقة ص ٧٠ .

(٢) أي لأجوافها تحت تراب الوقيعة صوف .

(٣) المستلثمون لابسو الأثامات وهي الدروع والحدآن طيور كواسر .

محلن عن ماء الفرات وظله
كان حسيناً والبهليل حوله
يخض به من آل أحمد في الوعي
فأر غنذولا أجل مصيبة
يصببهم الرامون عن قوس غيرهم
حسيناً ولم يشور عليهم متصل
لأسيافهم ما يختل المتغل (١)
دما طل منهم كالبيم المحجل (٢)
وأوجب منه نصرة حين يخلد
فيا آخرأ أسدى له ألى أول (٣)

ثم يصور الشاعر نية قتله ومتاعه بعد موته . ويعرج لهيماً على وصف رأسه المحزون ولوعة الشيعة عليه ويحتم قصيدته في مقتله تنوعد للأمويين يوم نار موعود .

فيا رحمه للكبت . ما كان أروع شعره في الحرب . وما الصق بالخزاة حماسة قصائده ! وهو مع كل ذلك لم يكن فارساً بحسبه . وإنما كان فارساً مغواراً بروحه يهجم بها في المخاطر والمهالك على الموت . فأبر اندفاعه في ساحه الوعي من محمته على الأمويين بالتحفيز والدم والشمس ؟ حتى كاد له خالد بن عبد الله القسري عامل هشام بن عبد الملك على العراق وجاء به إلى هشام الذي أهدر دمه وأراد الفتك به .

ثم ما هي إلا الأعياب السياسة التي كشرت مثل ألى عن ألبها وكأنا نضحك ففسدت بسعرها ودهانها على الكبت (تشيعه) .

والذي أجده أن هشاماً كان يستطيع قتل الكبت وهو غير هباب . إذ ليس لكبت من يحشى شو أمة دفعه عنه أو الاتهام له . ولكن حصافة هشام مكنت شاعر الشيعة لحوته من شاعر هجاء الأمويين إلى شاعر مداح لهم . وكان ذلك أجمع عند هشام وصحبه من قتل الشاعر هدرأ . فكسبوه بإحسانه وأغدقوا عليه العطاء حتى ترك تشيعه . واضطرح بين أبدى الأمويين يفتد بهم ويقول لهم :

فالآن صرت إلى أمة والأمور إلى المصائر

وقد حذر المال أعصاب التشيع عند الكبت وعند أله معه . ولما قيل لأبيه في ذلك قال : لا أريد مكرمة فعلها ابني ، (٤)

(١) يشع دم الحسين المسموح بأسيافهم هدرأ . عن لدى يسلمه فاصمه كما يشاء . وقد حتى ، ٩

(٢) فيه لإقواء .

(٣) بهذا البيت إشارة سببية إلى أن قاتل الحسين من نورون مدفوعون وكذلك ظهر حين سارعوا

في شرف قتله وجز رأسه .

(٤) الأعاني ط التقديم ج ١٥ / ١٢٢ .

ولكنه مع هذا الانقلاب في التشيع إلى حجة بن أبي العدر من الأمويين فكان قتله
على أيديهم صريحا بأسوف

• • •

وقد نسبت غيره شاعرا شيعيا يكون شبه حماسيا في شعره وصفا للحروب الشيعية ، فوقعت
على أعشى همدان ، وقد كل صنع فصيحة بائية مطولة في حرب (عين الوردية) كانتها الناس
فكانت ، إحدى المكتبات كنسكنس في ذلك الزمان ، (١)

فن وصفه لهذه الحرب وما لقي الشيعة من الهول يقول :

فلا فوا من الوردية الجيش فاصلا	إليه الخسوف يبصر فواض
بمائية تدرى الأصم واردة	بحيل عناق مفردات سلاه
خامو جمع من الشام بعده	جموع كعوج البحر من كل جانب
فأرحوا حتى أهدت سراهم	فلم ينح منهم ثم غير عصائب
وعودر أهل الصر صرعى فأصبحوا	نعاورهم ربح الصبا والجنائب
وأصحي (الحاسي) الرئيس محلا	كأن لم يعامل مره ويحارب (٢)
وعمرو بن بشر والوليد وغالد	وزيد بن بكر والحليس بن غالب
ومن كل قوم قد أصيب زعيمهم	وذو حسب في ذروة المجد ثاقب
أولوا غير صر بصرى إمام رفعة	وطعن أعرف الأسمه صائب
فأحير جيش العراق أهله	سقيم روايا كل نسيم ساكب
فوق يفتلوا فاقبل أحكم مبته	وكل فني يوما لإحدى الشواعب

وحين بلغ عبد الملك بن مروان ملك الشيعة في هذه المعركة صعد المنبر فحمل بحمد الله
وبثني عليه أن أهلك من أهل العراق كل (ملفح فتنة ورأس صلاب) وأنه لم يسبق بعد هؤلاء
أحد عنده دفاع أو امتناع .

ولم أجد أعشى همدان على محزون رثائه وحس أدائه إلا دون الكيفية في شعر الحرب
وليست فصيحة هذه (مع أنها من المكتبات كما كانوا يقولون) إلا مرثاه عادية . إذ لم تصور
الأعشى حرب عين الوردية ولا السب الذي من أجله قامت (نورة الشيعة) في الكوفة
فندوا أنفسهم إلى مقارعة المرويين ولا وصف التفاء الجيشين ، وكان أكثر عدداً من كل

(١) الطبري ج ٧/٢٨٠

(٢) هو سليمان بن صرد الخزاعي قائم في هذه الحرب .

(يوم) للشبعة وأعدائهم قبله . ولعل تشبعه سد عليه وجه أوصاف الحرب فاشتعل باليكاء والرائاء . شأن الشبعة جميعاً في أدبهم المسود المحروون . تشعلهم الدفعة المهرافة على علي والحسين وآل البيت عن مظالم الص في إنداع لوصف وحس التصوير .

ووجدت شعراء الشبعة سوى الكميث من الذين عاشوا في عصر بني أمية . كان أكثرهم يحشى بطش الأمويين فاستمروا في طلال والتقية ، فحسوا بني أمية كما فعل (أمين بن خرم) فقد كان شاعراً شيعياً مسلماً ١ . أو شعبهم اجمع . لم يعطوا (التشيع) كل هوامهم . كما فعل الفرزدق ، أو عبدوا الحمد وانزوا ولا كنفاء به . والعراء في عبدتهم كما فعل كثير غيره (٢) . بعد كان . غالباً في التشيع مذهب مذهب تكبيبية وبقول بالرجعة وشناسح . وأحسب أن آل مروان لم يحشوا شره إذ كانوا . يعصون بمذهبهم فلا يغيرهم ذلك له لجلالته بأعينهم ولطف محله في أنفسهم (٣) .

وهو على الرغم من أنه أشاع في أدب (اشعة العالمة) مذهبهم الذي الخاص إذ أدخل عليه (الصكرة الكيسانية) في التماسح ورجعة المهدي الذي يقول عنه .

تغيب لا يرى فيهم زماناً
برضوى عنده عمل وماء
فيه بالرغم من إفرطه في هذا الرعم الشيعي . فقد شغله الحب وشعب قلبه هوى عره فوقف عيبها أكثر شعره . فبين منه شعر الحزب ورحمات المرسل وحومات الهوى التي دارت دوائرها على الشبعة في زمانه . من فؤاده . كياً على حجر عرة وقطعتها وأهلاً في رسومها يشد تائيدته الحلوة المشهورة :

خيلت هذا ربع عزة فاعقلا
قلوصيكما ثم أبكيا حيث حست
وراحت عرة نمت به وتصله نثار انقطعة . حرمت هومة الشبعة في زمن بني أمية من عرر أشعاره كان أجدرها لو حدثت حزن الشبعة الدهين . وضماً سيوهم إلى نارات الحسين .

(١) الأمان الطامة الأوزية ج ٢١ ص ١٣ .

(٢) الأعاني طبع دار الطاعة ج ٨ ص ٣٧ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

الفصل الثالث

شعر الحرب في أدب الزبيريين

جرحهم المؤرخون العيون هم يقصوه ، وكان في أفواههم ماء . إسمهم رعموا جميعا أن عائشة أم المؤمنين عت لحرب على* ثارا لهم عثمان ، حتى كان يوم الحمل ومعه الزبير بن العوام وفيما تهب عائشة للحرب عى وقد كان يحبه الرسول ويؤثره . لو لم يكن أشار على* على الرسول صلى الله عليه وسلم بتسريح عائشة بعد حدث الإفك ، لإشارته تسرح . وحاو على قبل معركة أحسن أن يفصل الزبير بن العوام عن أرو عائشة فلم يسمع ، لأن ابنه عبد الله كان ممسكا باحتدادة فقال على . (١) ، مارال الزبير رجلا منا أهل بيت حتى أدركه ابنه عبد الله فلفته .

وليس يبعد عندى . بعد هذا ، أن تكون عائشة رضى الله عنها ، وهى امرأة من النساء ، قد بقي في نفسها ألم دفين وحبسه مكبوتة على على حين شار طلافها بعد حديث الإفك . ولم تكن عائشة إلا امرأة من النساء حوت في نفسها ما يحلج كل انش من حفاظ ، وفيها الغيرة . وفيها الكيد . ولقد كان الرسول يبلو منها غيرة كلما أراد الذهاب إلى نية لسانه . وأرى أن انهزامهم في وقعة الحمل تسلل إلى من احبها أسماء أم عبد الله بن اوسم هم نستطع أسماء أن تحارب بنى امية نفسها إذ كانت مكهوفة وكان في نفسها من الخاسة وابطش والعروسة وحب الانتقام ملو وروح على جيش من الأصا زاد عنه ، فسكنت حرارة قلبها ونقمة نفسها وموجدتها بلاءية في انش عبد الله بن الزبير . وكان عبد الله داهوى في الخلافة وتطلع إلى التمرد بالإمرة في ديار الإسلام كلها . سم سمحت فيه (روح الانتحار) وهو مشرف عليه . وكانت به مضيرة مخنوم من لقتل والمثنة وعمرى إنها لأروع من مسرحية إذ تحود امرأة مسنة أحسن بنيتها بعد فقد أخيه ، فتدفع به إلى الحرب وقد حوصر وانفض عنه جمعه سكا في ثملته داخلا عليها بعد أن حاصره الحجاج حسين بلة بمكة ثم راسله بالأمانة ، فقال لأمه في الساعة الأخيرة يستشيرها : (٢)

(١) المصدر السابق ص ٩٩ .

(٢) الطبرى ج ٧ ص ٢٠٣ و ملاعب النساء لأبي الفضل صفور ص ١٠٨ من ١٢٠

— يا أماء ، خداني الناس حتى ولدي وأهلي ، ولم يبق معي إلا اليسير من بيس عنده
من الدفع أكثر من صر سعة ، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟
فتجيبه : (١)

— « أي - أي » ، لا أفضل حطة تخاف على نفسك منها مخافة القتل ، مت كر بما ، فقال :
— يا أمه ، إني أخاف أن يمثل بي بعد القتل ، فأجابته :
— وهل تتألم الشاة من السليخ بعد الذبح ؟ ،

وكأنت تنصحه أن يلبس ثيابه مشمرة وأن يخرج إلى القتال بغير درع وكأنت بعد
حننا أنه إنما يخرج للاستحار وأن رأسه سيرفع على الرماح ، كما رفع رأس أحبه مصعب من
قبله وأنه سيصلب ولكن عيون نوره في مصعبا كان جاحدا لم تقبل المسألة والإبقاء على
عبد الله ، فدفعته بيدها إلى الموت ، وكأنت كمن وقعت على شعاهاوية فدفع فيها إنسانا يتردى
وما أحسبها أنه مات بموته علقها من مقاتلين هجموا على أمها عبد الله ، وهم يتهاورون قتله
ويصيحرون به منهكين .

— يا ابن ذات النطاقين !

ومن بدري ؟ فرمما كانت العرب سبية في مصعب تدعوها إلى الحرب عند أعانت الرسول
وصاحبه أباه ليلة الهجرة

ولعل مقتل طلحة بن عبد الله في وقعة الجمل ، وكان طلحة عضدا لأختها عائشة ، أتى في
مصعبا نعمة على قتله مروان بن الحكم — على ما في أمس الحرب من كرون المواجه والثار —
فشجعت أمها عبد الله ومصعبا على محاربة عبد الملك بن مروان ، فكأنت الصعنة الذهبية من
أسباب صلابتها في متابعة القتال حتى الساعة الأخيرة

وإني أنصور كيف جاءها الخبر في مقتل المصعب أختي عبد الله ، فقد كان تطلا من المناجيد
عليها وهت حربه وجاهه بحبه ، فنه عبد الله بن طهيد واحتر رأسه (٢) ، وجاء بالرأس إلى
عبد الملك بن مروان وهو يقول :

طبيع ملوك الأرض ما أقسطوا ن
وليس علينا ، فتمهم محرم

(١) إن إصرارها على المعى في الحرب وتد صهر سكسوسها فيها دليل آخر على روحها ، في
الموت دون روبة ومقتل .

(٢) العقد ط ١٣٥٣ ج ٣ ص ١٦٠ .

وتسبح الحيا على تمثيل مقتل عبد الله بن الزبير الذي كانت أسما تسبح خبره
ويروى لها . . .

لقد كان عبد الله بن الزبير مكبر القبط ، ثاب الصرعة صرب رجلاه أدمه فقطعه —
حين صارت حوت موته — وهو يقول هذا من قننه عثمان ورب الكعبة وأحاط به الناس
فتكاثروا عليه ينوشونه من كل جهة ، فبرز بدفعه السيف حتى أخرجهم من المسجد ورجع
إلى البيت العتيق وهو يقول

أني لابن سلى أنه غير حائذ ملاقي المفا ، أي صرف نيمها
فست بمبتاع الحياء سبب ولا مرق من خشية الموت سدا
واقتم جماعة مقبلين عليه وهو يقول :
قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

ثم حمل على امر قادمين حتى سمع بهم (الحجوة) فرماه بحارب من الخراج بأجرة ، ولعلها
بعضت عليه من المنحشق ، فوفقت على وجهه وأدمته وكان أصر منه يمسح بها وجهه
ويبرها على حنته وهي محصة بالدم فيقول .

ولسنا على الأعقاب تدمي كلومنا وسكن على أقدامنا تظفر الدما
ثم عاد إلى صحبه وقال لهم :

ألقوا أعماد السيوف ، ونص كل منكم سيده كما يصبون وجهه ، لا ينكسر السيف
بد أحدكم فيقعده كالأه . . . ثم قال

يا رب إن جنود السلم قد كثروا وهتكوا من حجاب البيت أستار
يا رب إن صعب الركن مضطرب فاعت إن جنودا منك أنصارا
ثم شدحه بخاروه بالحجارة فصرخ .
مسجد الحجاج لله شكرا

أما حين أسما أم الصربع فغيرها يرون الموت سبب لقد شهدته مصلوا كما أمر
الحجاج فقالت له كلتها المشهورة :

و أما أن لهذا الفارس أن يترجل . .

وأرادت بذلك التكم والتندر بالحجاج ، وإيهام على فروسية انشا حتى بعد موته ، إنه
يشف الحجاج أن يسمع جنده دم الزبيرين ، وإعما قام ينشئ نفسه ، فأك على عبد الله
ابن الزبير ، فجز رأسه داخل مسجد الكعبة ، (١) . ثم أرسل برأسه ورأس عبد الله بن

صفوان ورأس عمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة فنصبت بها — إحياء القوم — ثم ذهب
بها إلى عبد الملك بن مروان^(١)

• •

وجاءت وفاة الشعراء الربريين فصرت بهم قد أجد أصولهم للمعهد من (عبيد الله بن
قيس الرقيات) . فقد كان (ربري الجوى)^(٢) مدح عبد الله بن الربري مدح قصائده في
سبيله وفي حربه . وكان يعادى معه عبد الملك وقت قتل عبد الله هرب . وهو إذ لم يقو على
رثائه خشية من بني أمية فإن في شعره لمجالاً لوصف البطولة في عرقها بتاريخ الربريين .
وكانت وشيته تحمله على حد سبب . فيسمى لو أن قومه لم تنكهم هم نفس فيكون من
قريش خير ملوك الناس

قال يحرر شعره ويتمدح بالربري . ويصف فروجه مصعب في العرق ثم حذر الشاميين
للبيت تحرقه . ثم يملك هشمة وبين هذه الحرب المأجدة . فيسمى لم انتهت شام وفيها شو
أمية عده طباشرة . تدهل المرء عن منه وأصاحب عن دونه . وصارح بني أمية العداوة . ثم
عطف منه على الخيل — وإن لم يكن مصعب — فإن مدحه يعصف كل "شوب" وعبد الله
اس قيس الرقيات كان رابر فرش في الإسلام مما يعني أنه بمصر في ثم وريش إلى
ملات السهل والجبل :

إنه يكر في هذه قصيدة انقضية من الربري وأحد مصعب . ومثل آخر يعني
ادعى شيرة آخر أمره فهو^(٣)

والربري متى أجب رسول الله في حشر والبلاء .
ولدى بعض أس رومة ما وحي — لشياطين ونسوف صه .
أأح العراق يصرب بالمنصل — صبا وفي "صراب عسلاء .
إنما مصعب شهاب من الله — نخلت عن وجهه "تصـ" .
مكة منك قوة ليس فيه جذروت ولا به حكرية .

ثم يصف حريق البيت في معركة مكة . ودعوته إلى تعويض الدولة الأموية في عقر
دارها بقوله :

(١) الطبري ج ٧ ص ٢٠٥ والسكامل في التاريخ لابن الأثير ط أوربا ج ٤ ص ٢٩٠ .

(٢) الأغاني ط التقدم ج ٤ ص ١٥٥ .

(٣) ديوان عبد الله بن قيس الرقيات ط قبا القصيدة رقم ٣٩ .

ليس لله حرمة مثل بيت نحن حجاجه عند الملاء
حرقته رجال لحم وعك وجداء وحير وصداء
كعب نومي على الفراش ولم تشمل الشام عارة شعواء
تدهل الشيخ عن بيه وتبدي عن براها العقيلة العمداء
أما عنكم بي أمة مزور — وأنتم في نسي الأعداء
إن قلبي بالصف قد أوجعتني كان منكم ثم فنتم شعاء

ولنترك مصعباً مطولاً آدم في العراق ، وعبد الله بن الزبير فياص الروح في الحرم
بصرح عبيها الصدى في حنادس الليل ولتأثر اس قيس الرقيات فنجد قد اتخذ الليل جلا
وهو والأمويون يحدون في طلبه . وهذا هو بعد حين في فلسطين يرل صيفاً على أهل له من
بي كنانة ، فيجد في أكنافهم أمنة وراحت . ويخامره الحنين إلى داره البعيدة فيذكر شروده .
ولعله كان يحن إلى اليربوس في قصيدة يعرض بالحاسة ووصف الحرب وما أحسبه (كان
جباناً) كما اتهمه راوي ديوانه (١) أبو جعفر عمرو بن حبيب حسبما أورده الدكتور
Rhodokanakis ناشر ديوانه . ولا أدل على طلاق هذه التهمة من شفاعته قيل أن يشخص
عبد الملك إلى حرب مصعب حين حمله مصعب مناطق ملأى بالمال وقال له خذها فهي لك
واطلق حيث شئت فيقول فقد له الشاعر لا والله لا أرى . وظل معه حتى قتل ،
فانطلق وحده عائداً إلى الحجاز (٢) .

وإن شعر اس قيس الرقيات — إن ذلك — فياص «حاسة ومعا» العروسية . ولا أدل
على ذلك نصاً من قصيدته الشامية التي قالها في فلسطين بعد أن استقرت فيها نواه . وكانت
معه زوجته فتاجها باستهالة غزل ثم قال : (٣)

هزئت أن رأيت في الشيب عرسى لا نومي دواني أن تشيا
إن يشب مفرق فإن وريشا جمعت بها الخروب حروما
فاطمني فالحقى بقوى إني لا أرى أن أقيم فيكم عريبا (٤)
فانزلى في بني كنانة تلقى فيهم العز إن دعوت قريبا
فأرى الدهر قد تغير بالناس وقد كانت الشعوب شعونا

(١) الطبعة السابقة ص ١٩٣ . (٢) الأمان ط التقديم ج ١٥٦/٤ .

(٣) ديوانه قصيدة رقم ٤٤ .

(٤) وردت في ديوانه (قومك) وأعده تصحيحاً صوابه (فأنرى قومي) لأن القوم كانوا أهله
في فلسطين وكان هو في الحجاز نازلاً في قومها فرأى فيه بعد مقتل الزبير عريبا مصافاة أهل الحجاز بني
أمية بعد مقتل عبد الله بن الزبير .

ثم أثار النسب عزته بقومه فقهر بفروسيته فقال :

خلق من بني ككتانة حولي بفلسطين يسرعون الركوبا
من رجال تفتي الرجال وخيل رجم بالقنا تسد الغوبا
لا يبالون من أقام إذا ما كشفوا بالسيوف يوما عصيا
ذاك خير من البليخ ومن صوب ذئاب على يدعون ذيبا (١)
إن قوم القتي هو الكز في دياه — والحان يسرع التفلبا
وهو في هذه القصيدة وإن جرح حديث الفروسية عن نفسه، لكنه أفصح به عن قومه.
أما وصفه فروسيته هو وعذارته وحضوره القتال، وذكره أمانه وأمانه فلم يعدم منه
شعره صورة حماسة حية مزيجها حينئذ مقرب إلى محبوبته الحجارة التي أنت دوما المفاوز
وعيون الأعداء. إنه يقول في هذه القصيدة (٢) :

حبذا الحج والثريا ومن بالحيف — من أجلها ومضى الرجال
فطنت مكة الحرام فطنت وعدني نوات الأشمال
إن تريني تمير اللون من وعلا الشيب مرقق وفدالي
هلال السيوف شين رأسي وطعاني في الحرب صهب السبال
واغترابي عن طامر بن لوى يبلاد كثيرة الأقتال
وملوك فارقتهم أفردوني وصروف الأيام في ولسال
ثم يصف أفراسه مع قومه وقد ركبا :

عدوا بهن في شش الثيل — رفاقاً كنهن ممان
أدرك لدحل فتية من بي — عمرو صر انصوم من موال
لو رأني الله انويعه (يعني) إذ تلف الأطلال بالأطلال
حين بقي أحك بالأميل انسر — وشعث كنهن السعالي
لشي نفسك انتقم بي عمك — حين لدماء كالحرايا
طل من صل في الحروب ولم — بطس على ولا دماء الدوالي
وبى مالك من حسل ثارنا غير خر لنا وغير انتحان

(١) البليخ، صبيح الملح وعي به العراق، وصوب القنات يعني من حل الحجارة من الروايتين بعد
مقتل صاحبه ابن ابراهيم وهو يرعد روحته بالعراق والحجاز.
(٢) ديوانه ص ٢٠٧.

وأصبنا بعد الرجال رجالا وحبنا الأموال بالأموال

... ..

ذلك ابن قيس الرقيت ، إنه لم يأن جهداً في وصف قتال الريريين وإقدامهم وحملهم أنفسهم على متون السيوف وصمودهم لجيش الأمويين الناجح في أعرى والحجار ولم يك مقتصرا في وصف نفسه وشركته هذه لغروسة وذلك البأس في القتال والحروب .

كان كعبه من شعراء السابقين والمعاصرين ، فنبه لنفسه في الموصوع الواحد طويته في أشات الفكر وأن في شعره وصف حصار الحجاج لمكة حمس بيه ، وأن تصوير المعركة الباجرة في الحرم ، وكان الجاهلون سمو حرب الحجار باسمها لأن المفتاحين استباحوا الحرم ومكة فهاجوا فيها كالدن صنع الحجاج والحصين بن عمر صاحب المشجق الذي كان يقذف الحجاره على بنت ولم ير أن الذكر الحجاج في مكة حتى كان ابن قيس الرقيات كان يحشى أن شب جبار عراى والحجاج بن يوسف

وكف دار عليه الأمر حين اشعاره حمسه كثيره وحده ، صور لنا جوار من حياة الحجاز المضطربة على كف الحروب ، كما صور في نفسه وشركته في الحرم وبنار

وسرى في حده من شعر الحرب عندى منه ، حال هذا الشاعر وحسن غيره من الشعراء قدس م ستغنوا ، مد على نفسه إرانا لمسور لإداب الجديد لى أمة وهو المصاعه ، ضو من الجوخ ما على شهده العائين في صاح الوغى ، تحقق قلوبهم بالأحرار على مداهم مدحه ، وحق لستهم مدح أعدائهم الأمويين ، أنحب السطان ، لإقاء على نفسه ورحمة الثوب ، بعد أن اعوز السؤال ، فكاد كالارض جده لمخره تنمى الرى حتى من اس ماء

... ..

ووجع الحجار ثم طضع في ودهه وعلى أحده حراس قيس الرقيات في رحام المعارك ومحرا من ، ثم لم ينحب الحجار شاعرا يبكى بعد ابن الرير على الملك الدائر والعرا الزائل والدم المسفوك في أكناف البيت العتيق !

بى ، إن هذا عمر بن أبى رسة المحرومى . ولكن ما أكثر حمل الشعر الخامس لدى عمر بن أبى ريبه فهل أبقت النساء مكاناً في قلب عمر يحقق باحبة وببص بالمرودة في هجمات الحوادث الجارفة بادم الصيب ، في أباطح الحجار ، عند أم القرى وعلى دارات يثرب .

لقد كان ابن أبي ربيعة مشغولاً بالحسار ، موكل العينين باحتلال ، يتبعه حيث يجده ،
فيجد في أثره إلى سوقه التي تزدهم به في موسم الحج .

قرأت ديوانه قصيدة قصيدة وبنياً بيتاً ، ثم أحد أئراً لشعر فيه شميم الرجولة فكان
ابن أبي ربيعة لم يكن معاشياً للكبريات الحوادث في بلاده ، من لعله كان في معرب عنها ، وفي
ملهاة بالرعايب يسيل تحناً ودلالاً ، وهو نياه بحمله على النساء . بينما كان على كثر منه يسهل
دم الفطاريف من رجال العرب فيخضب أرض العروبة المقدسة

وهو إذ يسجل مره واحدة حادثة تبعث اشجو ونصرح النعمة من ظالم ، لا يسي أن
يحملها سبيلاً إلى الغرل والدعاة .

فقد عرف أن مصعب بن الزبير بعد أن قتل اختار من عبيد الله الثقفي ، أحضر روجه
فسأل إحداها — أم ثابت — عما تقول ، فاختار فقالت أيها الأمير أقول فيه الذي تقول
فأطلقها . وسأل الثانية وكانت — عمة بنت ثعلبة بن شير — فقالت رحمه الله ، كان عبداً
صالحاً ، فحسبها وكتب إلى أخيه عبد الله إنها ترعم أن اختار بي مرسل ، فأمره بقتلها
فوكل مصعب أمرها إلى جندي من صكره فخرج بها بيلايين الخيرة وسكوفه بصرها بالسيف
وهي تصيح يا أبا عبد الله ، يا عترتاه ، ثم تشجعت فماتت فلهذا الحدث المادح من
الروعة في نفس ابن أبي ربيعة أكثر من ثلاثة أبيات كان همه فيها العرب لحسب فقال

إن من أعظم الكبار عندي فسل حسناء رده عطون
قلت باطلاً على غير دس وبه درهم من فسيل
كتب القتل واقتل علينا وعلى العاسات حر اليرول

وبت شعري أي قبل وقتل كتب عن ابن أبي ربيعة شيء لم يجد غير سيف المحور
يقتل به أخلاق زمنه ، حتى أفسد لشعره رث الحديث ، وحتى هجاء أو العباس الأعلى
الشاعر وغيره (بشكوله في الهجاء واشتداله في قول الخن) .

ولعله على عن وصف مواكب "المسان" (مواكب الحسان) فقد وهو يمدح أسرار
النساء بمكة ، في عائشة بنت صدقة ، وكانت تهرب من فاته فرصدها وهي ترمي الحجار فما
رأته قالت يا عاسق فراح مكر (موكبها) فيقول .

ولقيتها تمشي مهدى موهف ترمي الحجار عشة في (موكب)

تلك مواكب ابن أبي ربيعة في دهر امتق وفلاق ، وحروب الحجار واحتدام الخماسة .
فلبت جده (حديفة) أورثه بعض مروسبته . فقد كان حديفه يحارب برمحين يوم عكاظ في
الجاهلية حتى سمي ذا الرمحين ، فكان إذن قد كسب الفريشيون في عمر شاعر حروهم . ومؤرج
معاذهم ، إلى جنب ابن قيس الرقيات ، في عصر بني أمية .

الفصل الرابع

شعر الحرب في ظل الأمويين

لقد انقسم الشعراء في ظل الدولة الأموية ، من كان هوامها وعصيتهم لها قسمين :

(١) شعراء محضوا بني أمية ودم وأصغروهم هوامهم ، صدقوا في وصف حروبهم وتصوير معاركهم ، ومدحوا بما كانوا يرون بني أمية أهلاً له من المكارم وجميل الذكركر وسطة السلطان . نجاء شعرهم فيها سبياً من الملق ، وكان أحسن هؤلاء الشعراء قولاً وأصدقهم وصفاً من شهدوا تلك الحروب وكانوا في المقاتلين .

(٢) شعراء اصطنعوا المودة لبني أمية وادعوا لهم المولى ، ولكن قلوبهم مع غيرهم من الخوارج أو الشيعة أو آل الربيع أو غيرهم من شق عصا الطاعة على بني أمية . وكان شعرهم فيهم يروح منه التصنع وبشبع فيه الملق . وكان بنو أمية إما عارفين بهواه ، فأعصموا دونه الجفون إبقاء عليه ، وتوخيا للمافية ، أو كانوا مخدوعين فيه .

وقد اشتركت في بني أمية الحوادث ، واصططحت عليهم الكوارث ، ولكنهم صدقوا لهجات المحبوب من كل صوب واستطاع ساستهم والمخلصون من قادتهم أن يسبوا دفة المركب الأموي في هذا البحر المتلاطم حتى بلغوا به الشاطئ . ولكن شدة ما تنكرهم الزمن قد يسعدهم راحته . فيهم ما تبعوا شاطئ الأمان ، حتى وجدوا عليه أمهاتيين ولعباسيين متربصين بهم آخر الدوائر .

وكانت بؤنة أولئك الشعراء في هذه الحروب والفتن ، وفي أشد تلك الفتن أن يقولوا شعراً مزيجاً مدح الماتحين والعارين من بني أمية ، وذم المستدحرين والمتعدين من أعدائهم الكثير ، يصف جوابات من تلك الحروب ومشاهد من هذه المعارك دون الاستهانة في تصوير القتال على النحو المشهود . وقد كان في محال القول هؤلاء الشعراء سعة ، وفي العراق كل لا يحنو في سنة من السنين أو في شهر من الشهور من حدث كبير أو فتنة صغيرة . وإلى لاشبه ما يبركان المكبوت لانزاع فيه النار ، تجد لها متنفساً من الشقوق ، أو فرجة تنحدر منها . وأحسب أن الحجاز والعراق ، كما دارت الفتن ، وإقليم فارس وما

والأما كان ساحة التوسع في الفتوح الناجحة، وتغور لزود كانت مبعثات ومحولات حاضرة
حيناً، وماجحة حيناً، تبحر من المتاعب أكثر مما تبحر من المكاسب.

وكانت هذه الأمصار كالأعداد في معانها وقلائد بصر بصرها في بعض، كما بصر
عدد الحساب، فيتوالد جرم من الكوارث — ولم تكن جيوش الأمويين في ذاتها سليمة من
عوامل الانقسام والفساد — فما يكاد الجيش يفصل بأمر خليفة إلى حرب الأعداء،
حتى تشيع فيه روح التحسد بين فواده وأجنده، وحتى يثور بعض رجاله على بعض ويخلع
باسمه آخريين فينحاربون وينهبون، ثم ترسل رؤوس العصابة هدايا إلى الخليفة، كالذي
كان في حروب (قنينة بن مسهر) وهو في حراس، حين جمع بيعة سبيان بن عبد الملك،
وكوثوب الأمويين على أمراء أجندهم المهلبين، وحسبهم لهم وقتل يزيد بن المهلب.

١ — كعب الأشقر

شاعر الحروب الأموية

من شعراء الفرق الأولى، أي الشعراء المحضين لبني أمية، (كعب الأشقر الأزدي).
وقد كان شاعراً من أمراء الذين شاركوا في الفتوح واحتملوا في القتال نصيباً، فقد شهد
حروب الأزارقة — وحين أمكنت الحرب المهلب بن أبي صفرة من رقاب الخوارج أرسل
كعب إلى الحجاج، بطعمه طلع النصر (١) غناء الحجاج في داره، فأشده في حمل حاشد
قصيدته الرائية الكرى (٢). وهي عندي أكرم قصيدة قالها شاعر فارس، في عصر بني أمية
جعلها مخصوصة لوصف المعارك ومشاهد البطولة ومواقف القتال وسكناها في موضوع حماسي واحد.
وقد بلغت أسانها أربعاً وثلاثين بيتاً، بدأها — كعب الشعراء الأوائل — «لغزل ثم
عطف مسرعاً إلى مدح المهلب أبيات حلص منها إلى المودع، فوصف كيف نقت العدو
بالحمية وارتفعت النساء واضطربت حل الخوارج، فاعتصموا حلف الجسر، ثم وصف
جيوش الأمويين وقد لبست لباس الحرب وعبرت الجسر إلى الخوارج، ترف عليها ألوية المجد
فوق أبطال كايوت، ظلوا يلحقون بالخوارج إلى سائر الجنود، فصدوا هم فيها وكانهم
أطال من الجحش واشتبكوا معهم هنالك في معركة أفتت من الفريقين رجالاً حتى ترك الخوارج
الحرب وتساروا بالمكر والخديعة ما وراء تلك الأصقاع — فأتبعهم جيش الأمويين مرحلة بعد
مرحلة يقاتلهم ويهزمهم، حتى كانت (الموقعة تناصرة) في قاع من الأرض صف فيه الجماع

(١) الأهدى ط التمدد ج ١٣ ص ٥٤.

(٢) الطبري ج ٧ ص ٢٧٠.

كطودين، مثنى الأمويون إليهم كما في مائة أصين، كأنهم فضع من الليل، وكانوا يحفون بقائدهم الأردى
فتصارب القوماء بالسلاح في مار مستعرة من الحرب وفي حومة موت، ما فيها إلا الصوارم
والأسنة، حتى وقع الخوارح صرعى، فاستهم الخيل، ثم عادرهم لتطير تفرى لحوهم
كواسرها، فان كان هذا آخر وصف كعب لأشقرى الشاعر البطن، المعركة الملب مع
الخوارح، حتم قصيدته بمدح الملب ورائد الأرديين قومه قسطنطين من الفجر والحامد
والشرف والبطولة.

وقد تحيرت من هذه المصحة الرائعة هائلة من أبيات قن فيها شاعرها الفارس .
يا حمص ، في عداق منك الصفر
وعلقك يا كعب بعد أشب عابية
واشدت الحرب والبوى وحل لنا
تلبسوا لقراع الحرب بزتها
ساروا بالوية للجد قد وفعت
فبلى هنالك لا عقل ولا قود
نابت كذا لما تردى مسومه
عموا جنودهم بالفتح إذ نزلوا
لاقوا كعب لا يحون نهرهم
صعل بالفتح كطودين بيها
يمشون في البيض والأمان إدوروا
وشيجنا حوه مناملسه
سوسه معاصج مخمسه
في (مك) بحس نفس بساحة
في كل يوم تلاقى الأرد مقضه
والأرد قوى حيدر نهم قد علو
حي بأسيا فهم ييقون بجدمو
لولا الملب للجيش الذي وردوا

وقد أرفت هآدى عبي السهر
واشدت فيه عن الأهواء مزدجر
أم تشمر في أمثاله الأزر
فأصبحوا من وراء الجمر قد عبروا
ونحن موت في الوعى وقبر
منا ومنهم دماء سفكها هدر
حون الملب حتى نور القمر
(تكررون) فاعروا ولا تطروا .
فيهم عني من يفسى حرمهم صهر
كأرق يسع حتى يشخص البصر
مثنى لروامل تهدي صمهم رمر
حي من الأرد فيما سهم صهر
ونبت ثم من صم بقنا كسر
أنحر نحن روه الحج ينعفر
يشيب في ساعة من هولها الشعر
إذا قروهم يوم الوغى خطرنا
إن المكلم في أمكروه بتدر
أنهار كومان بعد الله ما صدرنا

ولستطيع أن أحلل (من الوجهة الفنية) هذه القصيدة الحربية النادرة في أدب العرب
عصر بني أمية تحليلًا يتناولها بأجمعها على الشكل الآتي :
وما يتعلق بمعناها .

١ — سار فيها شاعرها على عرار شعراء الجاهلية وصدر الإسلام ومعاصريه ، من يبدؤون القصائد بذكر الحبيب ووصفه ، والتشويق إليه — وقد لا يكون هناك من حبيب .

٢ — مزح فيها مدح معشره وهجاء أعدائه بوصف المعركة ، فسار في سبيل أمثاله ، من قالوا شعر الحرب فمرجوه بمدح معاشرهم ، وهجاء أعدائهم

كان أفضل من غيره من شعراء بني أمية الذين وصفوا الحرب ولتتل نطق صبيح ، فقد توسع في الوصف الحربي وتوالت أبياته فيه ، لا يند بينها بيت شارد إلا قليلا .

٤ — وصف العرب في حروبهم بما هم أهله فلم يمار (في تفضيل شجاعه الأمويين وطولتهم) وإنما (مدح شجاعة الخوارج أيضا) ووصف بطرتهم وفروسياتهم ، وفأسيهم في القتال ، على الرغم من مجرهم لأعداء الأمويين ، وكان هذا الشاء أكمل من غيره من الشعراء الأمويين في إظهار ذلك .

٥ — وصف لبوس جيشه ومسلحته والدخامه بأعداء وصف استعان على تحسيمة بالإحاطة وتنازع لصور . فقد وصف الصعين فشبههما بالطودين مما يحسن بالحسن ويحسم بالدهن . وجعل البرق تشبها لسعال السيوف بينهما وجعل الحرب باردا وذكر تكسر السلاح لكل أداة بحاربها . وذلك للتدليل على شدة الهول في تحسيم الصنك . ثم ذكر كيف دامت الحيلول القتلى وفي هذا إشارة صارحة إلى انحطاط العدو وهزيمته ، ووقوع قتلاه ، تحت سنانك الخيل ، صلبة الجسم لكواسر الطير .

٦ — ذكر المعذرة في القتال من أنه ثار وقصاص . فقال إن هذه المعركة (فتى بقتلى فهو قصاص) .

وما يتعلق بمباها من الوجهة الفنية .

١ — أن يحرها ، المبسط ، من أحسن الأنبحر شعر الحرب ، لا ردواح نهاعبه وتردادها بما يكسبه رنة موسيقية حماسية .

٢ — جاء رويها على الراء وهو لروي السى آثره كثير من الشعراء في شعر الحرب ووصف المعركة . كراتبة عمرو بن الحصين في حروب الخوارج ، ورتبة أي عام في رثاء بطولة الطوسي .

وإن أنماط القوافي معروا وعمروا ، وطهروا ، وانتصروا ، ومكروا ، كلها ألهاط حربية تشد أزر الروى في طويل نفس القصيدة وحسنها .

٣ — خاتمة ألهاطها مع سلامها من الحوشى والغريب ، وسلاسة أسلوبها . وأحد بعض أبياتها يحجز بعض ، يجعلها في حيار الشعر الحربي بوصف القتال في الأدب العربي .

٤ — لم يسقط ضوؤه منسباً حصص أمانتها عن مبرلة بعض ، فقد بدأت مخلقة في جو من البلاغة . وطلعت كذلك ثم كانت حائمتها في مثل هذا المضاف لرفع .

٥ — لا يجد النقد المعري سبيلاً إليها ، فإن كتباً كان شاعراً إسلامياً جيد الشعر ، عرف الصليبية إلى لا يعرف ضعف إنسان . وقد شهد له بالتقدم الفرزدق^(١) ، وكان بعد هذه القصيدة نابعة شعراء الأردنيين ، وكناء أن شهد له الحجاج بالشاعرية فقد قال له بعد إرشاد هذه (الملحمة) وهو معجب : « أشاعر أنت أم خطيب ؟ » .

• •

وهو طرب الخواص لهذه القصيدة الكعري . وطلب إلى كعب أن يصف له بني المهلب ، فأوصى بكلام من « نشر الخرق » ، جزل مرسل . فحذره الخواص بمساكن كثير ، ورسله إلى عبد الملك بن مروان ، يستنشد الرائية الكعري ويحججه عليها .

وكان هذا الشعر الأردني خوراً بأردنه التي تمرست بالحروب ، داهياً بها حتى فصلها عن مواسمها وشجاعيتها على فريش . ومن به على الأمويين في تعدد الأزد على الخوارج المعتصمين في ديار هرس ، وقسمه (عبد رب الكبير) الذي حلق بيعة قطري ، ودعا إلى البيعة لنفسه وانقسم عن صاحبها^(٢) ، غارت الأمويين حتى في حروبهم ، وكان سلب هذا الانقسام دسيس دسمة المهلب بين الخوارج حين انقسم عليه أمرهم وأعينته شوكتهم . ثم استطاع المهلب أن يتفرع بكلبيهم واحداً بعد واحد فكانت له العلية على الخوارج في عهده . ولم يكن يستطيع عليهم علاناً ، حتى نابعه على الموت أشجع رجل جيشه

ذلك طرف من شعر كعب الأشقرى في حروب بني أمية لخوارج وقد وصف المعارك التي شارك فيها نفسه وشهدها وأحسن ذكرها . ووصفها وصفا دقيقاً رائعاً على نحو ما تقدم مثاله ولا خلاف في أنه كان كما ذكرت أحسن شعراء بني أمية إيمانهم حتى كان عبد الملك ابن مروان يعير الشعراء به وينقص أمدحهم ، وهو يعرف أن فيها رورا وصفاً ، فقال لصديق منهم^(٣) : يا معشر الشعراء ، تشبهون بالأسد الآخر والجليل الوعر والملاح الأجاح ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى في المهلب وولده ،

وقد اشتعل كعب الأشقرى بملاحه الشعراء ومهجتهم . فاني دهره . يباد الأعمى بنوته

(١) الأغانى ط التقدم ج ٣ ص ٥٤ — ٥٥ .

(٢) الكامل ج ٢ ص ٢٣٧ .

(٣) الأغانى الطبعة المأخوذة ج ١٤ ص ٦٠ .

ويكويه . ولو نزع كعب وطأ عمره ترك في أدشا امر في ترانا دنا في شعر الحرب قل
أن يكون صريعه عند غيره من الشعراء الذين عاصروه ، كما كان يملك طول النص ودقة
التصوير ورفعة الأسلوب والتقرب من وحدة الموضوع مع الموضوعية (الشخصية) والمشاركة
في الحرب

الأعشون الثلاثة في الحماسة

(١)

لاضير على الأعشى في الحرب إن افتقدوا إليها النظر ، فإن صائرهم كانت تمتد العيون
لقد عرف أعشى بن تعلق (١) حروب قومه مع بني شمان فكان يحث جمعه عليهم . و يثب
إلى لطاها القاعدين . فرجر أنا مسمع ما كما حين أوري در الحرب ثم فقد عنها فقال فيه .

جزى الله شيانا وتيماملامنة	جزاء المني سعيها وفعالها
أنا مسمع من تشكر الحق نفسه	وتعزع عن لمعرف يعرف صلاحها
أأوردت نار الحرب حتى إذا بدا	لنسلك ما تحي الحروب فعالها .
رعت وقد جردتها ذات منظر	فبح مهب حيث ألفت حلالها

وكل في شعره أقرب حماسة إلى القبلة منه إلى نزعة أموية . ويعل نزعة الأموية قد
أتبع لها من ينحرفها في نفسه محرراً ، ولم يعض شعره بحماسة أموية . وأعلل ذلك بتحم وجه
لقيه به عمر بن عبد العزيز حين جاءه مادحا ، فلم يحرمه ، وقال له : « ما أرى لشعراء في بيت
المال حقاً ولو كان لهم فيه حق لما كان لك لألك امرؤ بصري . » ولولا أن الوليد بن عبد الملك
كان قد أكرمه قبل عمر بن عبد العزيز ، لراح يذم الأمويين .

(٢)

وتعصب أعشى ربيعة (٢) للروايبين فكان مرواني المذهب ، يذم الروايبين ويحرض
عليهم الأمويين ، ومع ذلك لم يسل من الجحاح الجبار حتى « عذر » إليه بشعر حماسي فيه
تهديد فقال : (٣)

(١) وهو النعمان بن عجمي من تلمذ بن وائل .

(٢) هو عبد الله بن خارجة .

(٣) الأغاني السابقة ١٦ ص ١٥٧ .

أبيت كأتى من حذار ابن يوسف طريد دم ضاقت عليه المسالك
ولو غير حجاج أراد ضلاني حنتى من الصيم البوف الموانك
وفتيان صدق من ربيعة نصرة إذا اختلعت يوم اللقاء التباذك
بحامون عن حسنة سيفهم وأرماحهم واليوم أسود حالك
وكان مفود أيدى من ، قد فع من "الكوفة والبصرة لما اتهمهما الحجاج بإظهار المعصية
وشق عصا الظعنة ، فاستن سحيمة بقوله : أيها الأمير كل من المصيرين قد والله اجتهد في
ذلك ، فآثرته إلا بصرك ، استنهم جرعوا وصبرت ، وكفروا وشكرك ، وعمرت إذ
قدرت ، فرضى عنه وقال له بجهز إلى عبد الملك يسمع منك هذا .

(٣)

أما أعشى همدان (١) فقد وفى حق احسانه عليه ، حين وصف وقعة (عين الوردية) (٢) ،
وبكى شجاعه قبلها .

وأحب من أمية لم يكو نوا راضين عنه يومذاك ، لأن قتي بن عير الوردية الذين قال فيهم
قصيدته ، المكتمة ، كانوا من أعدائهم الناشرين عليهم . لكنه كفر عن جريرته فاستجمع
مروان بن الحكم في الشام ، فم ينل عنده خطأ ، فتحول إلى حمص وكان عليها النعمان بن
شبر فاعتناه . ولكن أربحيته أبت عليه إلا الوفاء للأمويين — بعد أن ملأ قلوبهم عليه
غيطاً في ساقته من التشيع — فخطه قصيدة في مدح الحجاج وبنى أمية وهب لبشدها الحجاج
في حمل أقامه الحجاج ليحاكم فيه أصحاب ابن الأشعث بعد أن هزم رئيسهم وقتله في وقعة
(دير الحجاج) سنة اثنين وثمانين للهجرة (٣) . وكان أعشى همدان قد هزم مع النافرين وشارك
ابن الأشعث في حرب الحجاج . فقام به الحجاج وهو يرسف في قبوره ، وأحصره مجلس المحاكمة
والتكيل فقال له ، والحدقه الذي أمكن منك ، :

فهو الشاعر المشكود غير وجل ولا هيب من وعبد ألى محمد وتهديده . فأشد قصيدة
يتمدح فيها مروسة الحجاج ، ناكثاً عهد ابن الأشعث ، ومصوراً وقعة الأخيرة والحداله وما
خامر جمعه من الندامة فقال : (٤)

(١) هو عبد الرحمن بن الحارث الهمداني .

(٢) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٨٢ .

(٣) في رواية المسعودي أن وقعت ابن الأشعث مع الحجاج بقت بعا وثمانين وقعة (تاريخه ج ٣

ص ٧٣) .

(٤) الأعاني السابقة ج ٥ ص ١٥١ .

أبى الله إلا أن يتم نوره ويطلق نار الفاسقين فتحمدا
 وينزل ذلا بالعراق وأمله كما نقصوا العهد الوثيق المؤكدا
 وما لبك الحجاج أن سل سعة عينا هوى جعنا ونبددا
 وما راحف الحجاج إلا رأيه حساما ممتقى لجروب معود
 فكيف رأيت الله فرق جمعهم ومزقهم عرص السلاذ وشرذا
 مما مكثوا من سعة يد سعة إذ صحنوها ليوم حسوا بها عدا
 ليهي أمير المؤمنين ظهوره على أمه كانت معه وحسدا
 فما أسرع قلب أعشى همدان عني أمية بناء مخلصين ونبي يديه في
 حريمه ، طم منه أنهم سيأخضونه بالرحمة ، وقامه كيد الحجاج وصلاته عوده ، وجبرونه ،
 قضى في مدحهم لبني مروان بقول :

وجدنا بني مروان خير أئمة وأعظم هذا الخلق حليما وسؤدا
 إذا ما ندرنا عواقب أمرا وجدا أمير المؤمنين المسددا

ولعله أدرك سوء المنصير فأرعى عن الشعر تعطف به قلوب بني أمية على المملوكين ،
 ويستحث رحمتهم وإشفاهم على قوم تنوح بساؤهم عليهم وهم حاطات الدموع بكحل العين
 وأبر سجيمة الحجاج وقلبه من شعر الشعراء ؟ لقد أهل دهر لعرب الجاهل الذي كان
 فيه شاعر كالساعة يستل سحائم النعمان فيرصى عنه بعد إهدار دمه ، وأدرك العرب دهر
 منقل بالترات ، مصبوع بالدماء والنقم ، فلما فرغ الشاعر من إشاد هذه القصيدة النائية ،
 عجب من حصر لأعشى همدان ، وعظموا عليه قلب الحجاج ، فقال لهم جبار بني أمية :

— إيه ، هيات . . . وصاح

— يا حرسى^٥ ، اضرب عنقه

الفصل الخامس

الفروسية القبلية

من شعراء (الفروسية القبلية) جماعة الشيباني (١) . فقد كان شاعرا سوريا من شعراء الدولة الأموية ، مدح بني أمية وأحزوا له المعطاء ، لكنه لقي من هشام بن عبد الملك عدائا فبات في عهده طريدا . أما آخره بحماسة فومه فكان دليلا على نزاعه القبلية في الفروسية ، وهي عنده وعند أسراده أفضل من المدح بعروسة الأمويين وبطولتهم .

أما الشعر الذي ظهر في شعره البرعة فببينة بوصوح وانترام وحفاوة ، فهو الشاعر القطامي (٢) . وبنى لأعده مثالا شعراء الفروسية القبلية ، وأرى شعره أصبح دليل على شعر الحرب الذي سكبته صاحبه على فومه ، لم يجعل لغيره نصيبا في شرفه ، وقد ذهب القطامي بعمود هذا الضرب من الشعر الأموي

كان شعرا فارسا كما يدل على ذلك شعره ، شهد حروبا قبلية وسمت شعره بميم قبلي صرف . ونكشف لي هذا الشاعر عن برعة عصبية جاهلية ، لم يذهب بها العهد الأموي ولعل بصرايته وفته من انتشارل عن هذه العصبية الجاهلية التي رهد فيها المسلمين ، دينهم الجديد . والذي يشعلني من أمر هذا شاعر شعره الحرقى القبلي ، وقد وجدته موهورا في ديوانه (٣) الذي وقف عليه المستشرق الألماني (بارت) وكتب له مقدمة تحليلية ربط فيها القراءة بين القصص والشاعر الأخطى ، وكان ثابعا عند بارت أن القطامي كان نصرانيا وأسلم ، مستندا على روايه أن لفرح الأصهباني التي يقول فيها (٤) ، وكان نصرانيا وهو شاعر إسلامي مقل ، فكان تفسير الأستاذ بارت يؤول أن القطامي كان نصرانيا ثم أسلم فأكر عليه دها به في هذا التفسير الأب لويس شيخو أنيسوعى في كتابه (٥) ، شعراء النصرانية ، ولو لا أني أحب أن أجزم نصرانته لأعلن مذهبه في شعر الفروسية القبلي وعدم تأثره بالإغاء الإسلامي ونفى

(١) هو عداقة بن الحارث

(٢) هو عمير بن شبيب بن عمر بن عيسى .

(٣) ديوانه ط لندن سنة ١٩٠٢ لبارت .

(٤) الأمان ط التقدم ج ٢٠ من ١١٨ .

(٥) شعراء النصرانية في دولة بني أمية من ١٩٢ .

العصية القبلية بن المسلمين . لما عرضت لقول بارت والأصماني وشبحو . وقد رجح عندي
مذهب الآب لويس في هذه الناحية .

لقد جرت حروب لقوم القطامي مع فبسيين ، وأعطى قومه قصداً كبيراً من شعره طم
في ديوانه ، وكان لا يقر لأحد بالفروسية سوى قومه حتى فن في المذهب :
وما جعل الله المذهب درسا ولكن أمراً أهديل لفوارس
وأهديل من بني تغلب .

ويظهر هذا الخس احتمالاً لإعارة القصة جلياً إليه في قصيدته لعينة (تصابع) التي ينص
فيها جنسه بالبطولة والشجاعة وثقاف السيوف فيقول فيها (١) .

كس الناس كهم لأم ونحن لقله علت ارتفاعاً (٢)
هكل قية طروا إنب وحلوا يئنا كرهوا الوقاعا
هم يئبنون منا سيوف شهرناهن أياها تباعا
ثم صرح (بابعداء وانصرية) والصعاش التي لا تحمد في صدور بعض القبائل على
بعض فقال :

وكنا كالحريق أصاب غابا فيخبو ساعة ويهب ساعا
فلا تبعد دماء بني نزار ولا تقرر عيونك يا قضاعا
ثم ذكر شركة قبيلته في الحروب و (الملاحم) والوقائع ومآثرهم الحربية حتى التي كانت
في الجاهلية يوم الكلاب فقال

ولو تسخير العلماء عهد ومن شهد (الملاحم) والقراعا
تعلب في الحروب ألم يكونوا أشد قبائل العرب امتناعا
رمان الجاهلية كل حي أبرنا من فصيلتهم لماعا (٣)
هو وردوا لملاب على تميم بموج ييلع الناس ابتلاعا
بعد كل القطامي من علاة لقبلة . وكان من معالنه هذه وإلحاق عصيته بهول شعره
قيمة العشرة وحظه فيها وبلاء ورويته (٤) فيقول وهو يهاجر شعره الحربي

فلو أني هانت على عشرين لسبت عروض واستحلت محارم
ألم تر للبنيان قبل ييوته وتبقى من الشعر البيوت الصوارم

(١) القصيدة رقم ١٣ .

(٢) أي بنو العلات وهم لأب واحد وأمهات شتى .

(٣) أبرنا أي أهلكنا فصيلتهم . لما أي شيئاً بعد شيء كالملاع من دمع .

(٤) القصيدة رقم ١٤ .

وأحسبه عاش جرارا أديال المحار ، مزهوا بقليلته مفديا هرسا قومه الذين مزجوا
كؤوس منايهم بالشرف في (يوم المرونة ويوم سر الثرار) ، مصورا عراتهم وأيديهم
السيوف مصلته تنقص كالشهب ، ما تعرف حمدا منذ سلت للحروب ، حتى إذا روى وجده
هذا الوصف للسيوف المقاطعة ، ويرى أن الحرب الواقعة والرماح المشاحرة التي تفرى الدروع
عاد إلى بحيرة لقصة قندر ونوعد . وكل ذلك قاله لؤفر العبي ، غير هياب ولا وجل ، على
حين كان أميرا سند رور من عليه صاحب قريقتاء وسيد العرب فأطلقه . وما ذلك إلا لتأصل
الروح القصة في نفسه . وأصدى لانه في هروسيته . حتى راح هو في دوره بمن على زفر
أصا فيمول ١٠

من مبلع زفر العسي مدحته	من القضاى قولا غير أفناد
إلى وإن كان قومي أسس بينهم	وبين قومك إلا صرته الهادى
من عليك بما استيقيت معرفتى	وقد تعرض منى مفتش نادى
لولا كثنائب من عمرو صوبها	أردبت ياخير من يتدوله النادى
إد لانرى العين إلا كل سلوية	وسخ من سيد الردهة العادى
إذا الفوارس من قيس بشكنهم	حولى شهود وما قومي بشهادى
ثم يكون تهدده وعصيل قومه بقوله :	
أسع رسة أعسلاها ونسبها	أنا وقيا تواعدنا لمعاد
ولو كنت قسوى مارأيتهمو	في طالعين من (الثرار) نذاد

وبين شعر الحرب عند قضى أنه سلح جرأ كبيراً من حياته مشغولا بالحرب العوان
بين قومه بين علب وبين قيس عيلان (٢) فان قصائده في غير الغزل لا تخلو من ذكر الحرب
والسلاح والاعتزاز بشجاعه "قبيلة" ويدل شعره إلى ذلك على أنه بلا الحرب وعانى أهوالها
ولولا ذلك لما وقع أميراً يد رور من الحارث الكلابى حين طفر زفر على التغلبين في حربه
إيهم . وشعر القضاى وإن جرى في الحرب ولم تصده لسياسة ، من الأخطل داهية السياسة
وهو حال أقصى كال كعبلا في أن يستعل بزعمته لقبالية وثورته العصبية الواقعة ، وعصى بها
في سبل السياسة ، فيحارب به تميسيين مع علب . وقد كان التغلبيون يناصرون عبد الملك
ابن مروان ، بخلاف القيسيين الذين حاربوا مع عبد الله بن الزبير .

(١) القصيدة رقم ١١ .

(٢) الشعر و شعر . بين فتنة صفة أوربا من ٤٥٣ .

الفصل السادس

شعر الحرب عندهم الهجائيين

(١) ممانسة الأخطل

عمل الأخطل أعظم فروسية ومعاونة للحرب من صاحبيه لهرردق وجير ، إذ كان أكثر تصويراً للحرب وحفاوة بها للصيقة إلى مروان ومناخته عن دعوائهم ، وبث سياستهم ، ولذا نرى وصف الحرب وذكر القتال أكثر في شعره من صاحبيه

وقد انتلاه دمه ، سمروة ، فتوسط الحرب ، وكابد الطعن والضرب ، فذكر (يوم الثرثار) في شعره كثيراً ، وكان ثرثاراً يوماً مضولاً بالدم بين بني تغلب قوم الأخطل وبين قبائل قيسية ، بعد تحاشد التعبيد ، وه بني ثرثار (١) ، قتل فيه عمير بن الحجاب السلي رأس القيسية ، وقد بلغ المتقاتلون ألواء ، فاشتدت الوغمة وأحب احمد الموت ، ومع من بطولة الشجعان فيها أن قاتلوا وهم جرحى ، فكان شعب بر مائل وهو من رموس التعبيد يقابل بعد أن قطعت رجله وهو يقول (٢)

قد علت فوس وحن معاً ، أن المي يقتل وهو أجدم

فل قتل شعيب بن أخيه فمروا دونهم ثم قتلوا حتى قتلوا

ودامت وغمه ثرثار يومين حتى انقضت ميه قيسية وغلبوا على أمرهم فعدتهم تغلب وأسرتهم ، وقرروا معهم بطون ثلاثين امرأة من أحلافهم بن شميم (٣)

لحق للأخطل أن يملأ شعره بذكر يوم ثرثار وأن يكثر به ويصاح ، وقد ظهرت في شعره روح القبيلة فأجاد في وصف الحرب وبطولة قومه ، إذ جاء شعره صادقاً في بطولتهم ومآثر

(١) وقد عظم في الحرية بمدة الماء في الشتاء وهو بين سمير وتكرت كان قديماً مارل لسكر ابن وائل واحتس بأكثره ، وهو تغلب يصب في دجلة من مصلات هر نصيب (ياقوت) .

(٢) الأغاني الطعمة السابقة ١١ ، ٦٠ ، وتكملة شعر الأخطل ونوف الأث صالحاني طبع بيروت عن نسخة طهران الحسنية سنة ١٩٣٨ ص ٢٧ .

(٣) تاريخ الكامل لابن الأثير الطعمة الأخرية ج ٤ ص ١٥٢

تعبين فراح يفت شعره في عصمد الملعوبين . وفيهم تميم ، ويذكر يوم الثرثار وبلاء قومه
فيه ومقتل عمير بن الجباب واحترار رأسه ، ويحذر قومه من الصلح فيقول (١) :

فقد أحبا سعة بني تميم	دهن الشر والد من البواق
ولاء جاب (الثرثار) منهم	وجهمنا ثمة لا يطلاق
ولاق ابن الحرب لنا حبا	كفته كل حارية وراق (٢)
وأصحي رأسه ببلاد عث	وسائر خلقه بحبا براق (٣)
ولا تسترسلوا لدجاء صبح	فإن الحرب شامة النطاق (٤)

ور كرهه جنة عمير صاحبه في الغلاة ، وفي ذلك إشباع لروح النعمة في نفسه ، وإعراب
عن العدووة الصيلة التي كانت مائة ان مناصرة في نفوس العرب بهذه بقوله :

أعشهم فليس لم يتسع أحوكو	عمير بأ كفاف ولا بظهور
تدل على الصبح ربح تصوعت	سلا نفع كافور ولا بعير

• • •

وكان بعد (الثرثار) يوم البشر وهو يوم الجحاف من حكم ومعه القيسية على بني تغلب
وكان المتحرش الأخطل إرأساء إلى الجحاف في محس عبد الملك (٥) وعمر جابه ، وخرج
الجحاف إلى صحبه من القيسية لجمع منهم ألف فارس ، وآلى أن لا يغسل رأسه حتى يوقع ببني
تغلب الذين منهم الأخطل ، حتى جاء ماء لبني جشم من بكر رهط الأخطل ، فصادف عليه
قوما عديدا فأثبت فيهم سلاحه ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأحد الأخطل فيمن أحد ، وعليه
عباءة وسحة فطنوه عبدا ، فلما أطلقوه خشي أن يعرف فرمى نفسه في جب فلم يزل فيه
محببنا حتى انصرف القيسيون فنجوا ، وقد قتل أبوه (غوث) في هذه الواقعة وكانت تسمى
واقعة (يوم البشر) (٦)

فمر الجحاف إلى بلاد الروم بعد أن طلبه عبد الملك فقبى هذا اليوم ولم يزل فيها حتى
حملة عبد الملك ديات لقتلى ، وكان الجحاف شاعرا بوصف هذا اليوم يحاطب الأخطل بقوله

(١) ديوان لأحسن روايه يرمى عن ابن الاعراب وقوف الأب سالماني ط بيروت سنة ١٨٩١

من ٣١ .

(٢) الحيا هنا شدة الحرب وسورتها ، والجازية الكاهنة ، وفي البيت تهكم .

(٣) حباران اسم موضع .

(٤) الشامرة شجرة .

(٥) تكملة شعر الأخطل من ١٧ .

(٦) البشر جبل من هرض القران من جهة البادية (ياقوت) .

أما مالك هل لمنى إذ حصصتى على اقتل أم هل لامي مك لاني
ألم أفنكم قتلا وأجدع أوفكم فنيان ففس والسيوف لصوارم
بكل قى بنى (عيرا) بسيفه إذا قبضت أيمانهم بالقوام
بسكر عليهم ساحا دا علاة نبيص طلاع ثايا انحارم^(١)

وقد وصف ابن الصغار الحارث وبل هذه الحرب ومناخه تغلب بعدها وعمرى تغلب
لموتها حشية العار من أن يعرف الناس القتلى ، فكون كثرتهم سبه عليهم أند اندر فقال :
وهل يرجع الموتى حنير مآثم يكنى قتلى تغلب و تنحارها
وكيف وقد أوقدتم النار فوقهم خرقة تسارها وانتهر

وكان طبعيا أن يسدل الأخطل ثوب ستر على انهزام قومه في هذا اليوم ، فتعاشى
الخصم فيه كثيراً في شعره وتناول هذه الوقعة جرير يعيره بها ويميه وكان مثلها
بالمرصاد^(٢).

وكان بعد اثنتان يوم (الشرعية) وفيه انتصر قوم الأخطل . وكان يوما ساسا وليس
لوجه القبيلة . فقد دفع فيه بنى تغلب الى حرب فبس مالك مسمع وكان يرى الزعة
ومن أصحاب مصعب بن الزبير وملازميه ، وجعل الأخطل يحصمهم في هذا اليوم عصرع
بجاشع المقتول في أول يوم من حرجهم ،^(٣).

وكان النصرارى قوم الأخطل في أمم وحرية ، بحيث يشهرون صلبانهم على الرايات ،
ويغنصمون مذكر قدسهم ، فقال الأخطل في حصه قومه بذكر ذلك .

ويأ بنى تغلب ضرباً ناقصا وانعوا بأطراف القنا بجاشعا
لما رأونا والصليب طالعا ومار سرجيس وسما دوما
والبيص (في أيماننا) القواطعا والحيل لانحن إلا دارعا
حلوا لك (رادان) والمزارها وحنطة طيسا وكرم باعا

فلما وقعت هذه الوقعة بعد اثنتان ، وكان الظفر فيها تغلب أيضاً . وقعت أخبارها
للأخطل أند من وقوع الحر في حلقه فقال :
وسرن من الثنار حمسا إيكو يحبرن أخباراً أند من الحر

(١) العلامة نية جرى الفرس .

(٢) الأعاني طعة التقدم - ١١ ص ٥٦ .

(٣) تكملة شعر لأخطل ص ٣٢ .

وفي ذكر هذا اليوم ويوم (إراب) جعل لأخطل يتصالح على جرير وبغيره لأنه
يربوعى ، وكان شو يربوع أخلاقاً للقيسية التي حاربت قوم الأخطل فأحى الأخطل مياسته ،
وكوى بها جريرا ووصف جيش الهذيل وأخلاقه ، ورسائهم وحيولهم ، وكرم في
الحرب فقال :

وفد سمالككم الهذيل فمالككم	يراب حيث يصم الأقالا ^(١)
في فيس يدعو الأراقم لم تكرر	ورسائه عرلا ولا أكعالا
الحليل سهمة لوجوه كأتاما	حاطر من عمل الوجيب سلالا
فسيقن من عادين كاساً مرة	وأزلن حد بني الحجاب فزالا
فانقضضاتك يا جرير فائما	مترك نفسك في الخلاء ضلالا

ولم يكنف غمر جرير هذه العنزة المنهكة ، وإنما أراد أن يحرق على عادة صحبه الثمراء
المقتدين ، فصب الإقذاع على جرير بعد هذا البيت واتهم بالفاحشة أمه .

كذلك أصاع الأخطل قدرته على وصف المصارك وتصور الحرب لشعراءهم ، فخرج
أماذمهم بروايت من شعر الحرب ، كان يصنع حلالها أبياناً في فحاش أعدائه القمطين ، وأعداء
الأمويين متمسحاً فيما بين ذلك «الأمويين» أو مقتحراً سميه . فماله في جميع ذلك وسواس
السياسة في احترامها ، وكان من قضاها في بلاط عبد الملك بن مروان . وقد بلغ من حذقه في
فنونهم أن كان يتلاعب بقلب الخليفة فيستل منه الرضا عن رجاله العرب وأقوامهم ويمدوهم
سحابة على حرس ، كما فعل حين أوعر صدر عبد الملك على الجحاف من حكمهم (كما تقدم)
وكان يصنى عواقب سياسته ، كما سى جرى له في حرب الجحاف فقهه من اعتبار وتقنياتهم
وفيهم أوجه عدت

وحين عبد الملك عن أن يرفس روبر من الحارث على صدره وثب رمية من محسن نجابه
إلى الأرض ، ثم أطلق بغير رحمة هذه السهم به تصيده «الكبرى»

حرف القمطين واحوامث أو بكروا وأرغتهم نوى في صرفها غير
وفيها يقول .

بى أمية إن . صبحكم	ولا يدين فيكم آمناً روبر
وانحدروه عدواً إن شاهده	وما نعب من أخلاقه دعر

ثم فلك يحدثه في هذه القصيدة بقبس عيلان جميعاً

تلك كانت شواغل الأخطل . حرب فحاش مع جرير الذي كان يسميه بان المراجعة أى

ابن الأثان ومع أعوانه من الشعراء . ومعالجة دسائس سياسية فيما بين ذلك . وشعر مدح
ليس فيه نزعة حزبية أصيلة كالتى تراها عند شعراء الخوارج أو شيعة أو دعة الزيريين
كل ذلك حال يذنه وبين التفرغ لشعر حرب مطول . وخرج حروب التى حوت فى ريمه
— وكان مقامه يقتضيه ذلك كشاعر الحجابة مختص به . فتركنا شعراً تقع
قصائده بطول ، هجاء ، ونحوه .

٢ - فروسية الفرزدق

يقول محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي أن الفرزدق . كان أحسن من لسانه (١) ، وفروى
كتب الأخبار (٢) وشعر الفرزدق أنه هرب من ربيعة بعد أن شاعى فقيهم فاستعدوا سبه ريادة
فلجأ إلى المدينة وعساها بعيد من العاص فأمته ونحوه .

ودعا ربيعة والعصاة واكتسب استعجاباً واستعصم بحوكة ونحوه .

وكان اسم زياد يخيمه ويقبض عليه نفسه ، وقد أقر بذلك حين قال

إذا دسكرت على زياد بكشت من الخوف أحشائي وشامت مفاري (٣)

وكان يخاف الحجاج جبارى أمه ، وورثه كاشم ، تخشى نوار نورته ومصدر سبه

فى الاعتناق فيقول :

أخاف من الحجاج ثورة مخدر صورتي بالاشتاق منه حوادثه

وتحطمت على أقدار شجائه بعمه ، بعد أن رجيه حمله فى حشر عادى عند الله

الفسرى حتى أحلفه نوار . وهو مدحه فرزدق بقصده أوها

عسى أسد أن يلقى الله فى شدة حنى مستحكة فوق سوقى

وإن شاعراً كثر قلبه خوف استعصم . وهو فى سلا من طش ريادة ، متعرضاً لبيالة

للبيث والديث ، وقد تخمس حسن هشام وحسن الفسرى . صاحب شرعة الطم مالك بن

المشدر بن الجارود (٤) ورثه فى قيود .

وإن شاعراً شعرت فيه أساء ، فهو نوار بنت يمين ، وثنية بجاشعية ، وثلة من أيراع

كاست تقبل له نوار . ورجت دقيقة أساقين ، ورابعة اسمها مودة ، وخامسة هى حذراء بنت

زريق أقيسه . وذهبت نوار بأكثر قلبه حتى نكت لحينه فقل

(١) ديوان الفرزدق . وثنية طرس . ص ٢٠ .

(٢) تاريخ مصرى ج ٦ ص ١٣٨ .

(٣) ديوانه القسم الرابع ص ٢٣٧ .

(٤) طبقات الشعراء للحمصى ط أوربا ص ٨٧ .

بكرت علي نوار تنف الحني تنف الجعيدة لجة الحشاش (١)
كل ذلك البلاء قد اصطلح على الرزدق ، وراد عليه احتسابه أولاده من نوار ومكاؤه
معها عليهم ، وكتبته لتشيعة ، إلا نزوات كان يرى عن نفسه بها بين حين وحين . . . ليكفيه
واحد من هذه الخطوب أن يهشم نفسه ، مهما يكن صلد الفؤاد مكين التحمل .
فلنمدر إذن أبا فراس ، فإن أهله وصحبه كنوه باسم الأسد تبمنا لشجاعته ، وهو إن فاته
شجاعة العمال لم يحارب ، ولم يحض المعارك ، بنت يده عندما ضرب بالسيف ، حتى هتجى
بذلك (٢) ، فيه لم يقصر في القول فقد نصب لنفسه عموداً غر يشق عنان السماء ، وراح في
طوال فصائده وقصارها بماخر بطولة قومه ، وقتك قبيلته ، وبأس أيه غالب ، وصمصمة
جده ، وكان ذا قلب بيل ، مرتاحاً للعروف ، وكان مصاباً بالعسوق ، يعرف من نفسه ذلك
وشاع بهذا أمره ، وكان خلقه سلاحاً بيد جرير عليه .

كل ذلك بدل على انطلاق نفسه وانتفاها ، وقد ظهرت هذه (الرعة الانطلاقية) في
حياته السياسية ، إذ لم يمارس الأمويين ولم يمازجهم كغيره من الشعراء الذين على رأسهم الأخطل
ولذا رآه طلي مبعداً عن البلاط الأموي حتى كان عهد سليمان بن عبد الملك ، فأتاه بنشده قصيدة
منها قوله في هذا الدليل :

ما كنت عن معنى لأرحل طائفاً إلى الشام حتى كنت أنت المؤتمر
لجك أغشاني بلاداً بغيضة إلى وروميا بعتان أقشرا

وهو يقصد بالرومي العباسي القشيري المهلب بن أبي صفرة الأزدي العباسي ، فقد عاش الرزدق
يهجو ويهجو زوجته (خبرة القشيرية) معتمداً بنشر من مروان ، وكان شر يحميه من العوائل
فكسب أماديجيه فيه ، حتى كانت أماديج الرزدق في شر أكثر من شعره في سائر المروانيين
ومنهم عبد الملك .

والذي أتفى الوصول إليه عما تقدم عن الرزدق أن نفسه انحلت (انحدالاً سكوولوجياً)
حتى بات يمدح الرجل ويذم في رقة واحدة ، كما فعل مع عمر بن هبيرة الهزاري ، فإن في ديوانه
قصيدة مطولة يمدح ابن هبيرة بعدها قصيدة مطولة في هجائه .

وهو لدى غير هشام بن عبد الملك بالحوول ، وجعله من الموالي فكان الحول أشد عليه
وقه ، بقوله :

يقلب وجهها لم يكن وجه سيد وعيناً له حوله باد عيوب

(١) ديوانه القسم الرابع من ٢٢٦ .
(٢) طبقات الشعراء السابقة من ٩٣ .

فخسه هشام ، وإذا ما الشاعر حين صالحه هشام يمدحه . ويخص بالمدح عبده فيصف
جمالها بقوله :

قد اقسمت عيناك يوم لقيتنا حشاشة نفس ما يحل اقتسامها
فكيف بمن عيناه في مقتلتهما شعاع نفس منها وسقامها
وأنت لهذا الناس بعد بينهم ساء برجتي للحول عمامها

هذا عدونا المرزوق بعد تحليل نفسه من هذه الوجوهات كلها استطعنا أن لا نغفل كثيراً
بشعر الحرب عنده ، فهو إذاً من الأشعث ووصف امرأته ، وإنما يمدح الحجاج ويعلق
جانبه . ولو أنه أطال نفسه في شعر الحرب لترك أحياناً ملاحه تصلح أن تكون له شعراً
حامياً رفيعاً . ولكنه بدلاً من أن يسترسل في وصف امرأته لجيش اس الأشعث فإنه عبر
اس الأشعث بحياكة الأبرار العجائب . ووصف امرأته وصفاً سريعاً لا خير فيه فقال :

وافلت حواءك العجايب بعد ما رأى الخيل نردى من كبت وأشقر
ثم تناول اس الأشعث بهجاء قاصم لاذع ، كله مقذعة دميمة ، لا تدخل في باب الشعر
الذي تحسن روايته لكثرة ذكر العورات فيه . ونحسبه في هذه القصيدة أن يحسن قليلاً
وصف (معركة دير الجماجم) فيقول :

فلب رأى أهل العراق سلاحهم وسياهم كانوا بغاماً منفراً
كان صفيح الحشد فوق رؤوسهم مصابيح إبل لا يبالين مغمراً
أبدي رجال بمنع الله دينهم أصدق من أهل العراق واصراً
كان على دين الحجاج منهم حصايد أو أعجاز نخل تغفراً

ثم تناول الحجاج تكيل لمدح وقرن مرويته وسانتة أهل (بدر) ثم (أنزل
ملائكته) على جيش الحجاج تقديراً معه اكتب ، تنصروا على الأشاعة فقال :

لعبتم مع الحجاج قوماً عزة غلاطاً على من كان في الدين أجوراً
هم يوم بدر أيد الله نصره وسوى من قتي الركي المعجوراً (١)
جنوداً دعا الحجاج حين أعانه هم إذ دعا رب العباد لينصرا

ولكن المرزوق انقلب إذا اضطر استطاع أن يشدداً أياء حلال غره ، يصف فيها
جيشاً عدت رماحه وهو يسير ، له هريم في النهار ورويد في الليل ، ثم لم يلبث أن أعياه الصبر

(١) الضمير في قوله (نصره) يعود على الله أي أيد الله بهذه الحود نصر نفسه والركي الضعيف

فاهلت من هذا الوصف رائع لجيشي الفجر ذا كرا انعمه واهله . فقد وهو يعني لجيش
 ومنتجع دار المصعد كانه
 كثير وهي الاصوات تسمع وسطه
 وادى حال من من اهل حثه
 وادى شد منه لاله شمس له
 وادى حرم عدى من الدار اصعدوا
 وادى من من تميم اهل
 شاعر كنى كرا انعمه واهله . فقد وهو يعني لجيش
 ومنتجع دار المصعد كانه
 كثير وهي الاصوات تسمع وسطه
 وادى حال من من اهل حثه
 وادى شد منه لاله شمس له
 وادى حرم عدى من الدار اصعدوا
 وادى من من تميم اهل

ثم ترك شعر الحرب في هذه القصيدة ، إلى بعد آياته وذكره .
 وقد لم يصعب حرره في هذه القصيدة ، وادى من من اهل حثه
 وادى شد منه لاله شمس له
 وادى حرم عدى من الدار اصعدوا
 وادى من من تميم اهل

و شاعر كنى كرا انعمه واهله . فقد وهو يعني لجيش
 ومنتجع دار المصعد كانه
 كثير وهي الاصوات تسمع وسطه
 وادى حال من من اهل حثه
 وادى شد منه لاله شمس له
 وادى حرم عدى من الدار اصعدوا
 وادى من من تميم اهل

٣ - طولة جبر

هذه ليست التي نسمع موقد ولا صدق شمس على راعه حرره في شعر الحرب من
 حادثة لم يصير في حروب لا تقوم على ما عادت - من ذلك الحسام
 كان في جبهوش حرب امجد بين اداه وكاوا كثر ما يتداكرون الارب وعشم
 المقاصد والسلاح ومهمات الخيل لا مسامحة له لم كثر شعبيه عن شعر وأجبا
 الشعراء وذكر الارب شيء ، حتى موت ، ولا كانت معدود بحروب وبهم وان اداك
 هذا شعر

بروي الاسماء في اعيه ، وادى من من اهل حثه
 وادى شد منه لاله شمس له
 وادى حرم عدى من الدار اصعدوا
 وادى من من تميم اهل

(١) الشاخص الرمال المصرفة .

(٢) المراج الشجر الكبير .

(٣) ط التقديم ج ٧ ص ٣٧ . وصفت لشعراء ط ورا من ٨٨ .

ابن هلال الشكري معيك بالاراقة فيهم قوم عرب يبصرون الشعر ويقولون فيه بالحق (١).
وكان أحد الرحلين عمر بن شبة ولم يكن معه نهبون عبيد، خاف منه الخوارج في
الآداب والخراب قائمة لخرج ورفقه ودنا من عبيدة بن هلال فخرج إليه عبيدة فقال المولى،
وصاحبه بحيث يسمع

— أسألت عن شيء تحوكت بك فيه، فقال

— وما هو سلكك منه شيء قال وفي الرعدة عبيدة أشد من أن يردى؟

فقال.

عنك الله ولعل حريراً ومرتدياً أماني أمدل من هذين سلكي

قالا لا بد من حكايتك، فقال يمد لك ولديك عن ثلاثة ولا سئل قال

ما تقولون في يمدكم إذا خرجت خلفاً - أو - الخوارج ويعدون به وصدق به فذهب ينصرف
فقال له إن يمدك يمدك وقد أتيتك فإني بك، فجمع فقال من يمدني فموت

إني لمدني يا قصير مدوني

وأنحوط حورثي وتحمي مدحت

أجدي فلا مد، فمدت مدحت

وطوي أنفاس مع خط مدحت

فمد لا جري قال فهو داء

ومعه الحادثة على مداح من إمدته حورثي رثية فلا مد ولا مدح
والأدب على الممدوحين أن يمدوا له ما يمدون له إذا ارتكب مدحاً، كما جدي ولا يكون
مثله، وإنما صمد بكسبه إحصاءات يستشعر من نفسه ويكتبه، فمدت مدحت أحدهما إلى
سوءه فمدت الحريز أمدت في شعر الخراب مدحت مدحت في وسف فمدت حسن ملاحقة
على مدو وعصام غرما، مدراها، وفتو مدحون مداد فمدت حورثي مدته هذه
أفلا من ممدوح مدته من بعده مدحت (١) أربع صور متشابهة، وهي

(١) (١) مدح (٢) جري (٣) ممدوح (٤) ممدوح مدون

ولم في ممدوح حورثي حورثي مدح، فمدت مدحت مدحت، فمدت مدحت مدحت
ومدحت حلال حلال لواء شعر في كل ي أمية وهما لأخص ومرتدي، ومعه مدون
شاعرا فيهم أنسطي والبعبث والأدب برمية، مدح على صلالة عوده وفوه نفسه وشجاعته،
فلا عرته إذا قال من شعره في الخراب وأثرت له أبيات كثيرة في الحانسة

إنه كان يفخر بلسانه وكان يفخر بسيفه فيقول :

جرى الجنان لا أماب من الردى إذا ما جعلت السيف قبض ثانيا
وليس لسيفي في العظام بقية وللسيف أشوى وقعه من لسانيا
ومن ها هنا علم جرير أن تمام والمتنبي كيف يفصلان السيف عن القم إذا كان جرير يقول
(إن السيف أجمع من اللسان) .

وكان جرير يشهد العروة ويكون في العسكر (١) وكانت معه تغلو به إلى مشارف
الفرسان والأبطال ، وكان به كان يحس في نفسه (الحس الحرقى المكبوت) وقد طهر فيه هذا
الشعور حين قال الخجاج للمردق وجرير وهو في قصره بالبصرة : إئتيا في لباس آياتك في
الجاهلية ، فلبس المرردق الدباج والخمر وقعد في قبة ، وشاور جرير دهاة بني يربوع فقلوا
له ما لباس آياتنا إلا الحديد ، فلبس جرير درعا وتعد سيفا وأحد رماحاً وركب فرسا لعباد بن
الحصين ، وأقبل في أربعين فرسا من بني يربوع ، وجاء المرردق في هيئته تلك ، فقال جرير
في هذه الحادثة (٢)

لبست سلاحي والفرزدق لعبة عليه وشاحا كرج وخلاخلة (٣)
أعدوا مع الخز الملاء ، وبم جرير لكم عمل وأتم حلالة
وكانت كوام بطولته نصير في ثانيا قصائده هو حين يمدح عبد العزيز بن الوليد والخجاج
وأولاد عبد الملك كان يفاخر بفرسية قومه وركوبهم للحرب فيقول :
بعد علم الحى لمصباح أنسا متى ما بقتل يا للقوارس ترك
وكان يذكر مواعى قومه في أيام العرب . وكل ذلك (مشحذة لبطولته التي كشت
فيه) كقوله :

ويوم بي ربيعة قد لحقنا وردنا يوم ذى نجب كلابا
ويوم الخوهران وأين نيم فتدعى يوم ذلك أو تجابا
ولا يمتز حلال شعره كله عن تزييد فرسية قومه وما أثرهم السالفة كقوله :
أليس قوارس الحصيات منا إذا ما الحرب هاج لها عكوب (٤)
وسار في شعره على غرار أصحابه أهل الهجاء يمزج الممدح بالهجو ، والهجو بوصف

(١) الأغاني ٧/٧٠ .

(٢) الأغاني ج ٧ ص ٦٦ .

(٣) الوشاح الكرجى الوشاح المحدث (المحيط) .

(٤) تمكوت نمر .

الحرب وذكر السلاح والآبام . ويظل أبدأ كما عرفته مولما بأوصاف الخيل وتصوير الفروسية
يجب تشبيه موصوفاته بها وقد تثيره حروب قومه وهم حذماء القيسيين . وقعاتهم مع النعلبيين .
قوم عدوه الأخطل ومنافسه على صولجان الشعر فيقول (١) :

ونعرف حق النازلين ولم يزل	فوارسنا يحمون قاصية السرب
على مقرات من معقل من جنى	وسم العدى والمنجيات من الكرب
ألا رب جبار وطن جبينه	صريعاً ونهب قد حوين إلى نهب
وقد أوردت قيس عليك وخندوف	فوارس هدم الحياض التي تهي
ستعلم ما يعنى الصيب إذا غدت	كتائب قيس كالمهأة الجرب (٢)

واستعمل جرير في أكثر محامته تعبير عدائه ، بحبيبتهم في الحروب والمعارك ، إذ كانت
هراثمهم عنده أكرسبة يستطيع إلصاقها بهم ، فقد قال للأخطل معيراً وهاجياً وهو يصف
مواضع الحروب التي دارت عليه وعلى قومه :

فما لك في قيس حصة نعدا	وماك في عورى تهامة أنطح
وفاصت حجور الورد بالمرح منكم	دماء وأفواه الخنازير كالجح
لقيم بأيدى عامر مشرفية	تعض بهام الدارعين وتخرج
بمترك تهوى لوقع طياتها	حداريك هام أو معاصم تطرح
سما لكم الجحاف بالخيال عنوة	وأنت لسط الراتين تنوِّح

وهو في أماديج لا يتر عن ذكر الخيل فيمدح عبد الملك بقوله :

وقوم قد سموت لهم فدانوا بدم في مينة رداح
ويمدح هشاماً ابنه فيقول :

عادات خيلك أن تبیت عوابسا بالدارعين ولا تراها روّدا

وفي شعر جرير ، أبيات كثيرة تشير إلى حوادث سياسة ، ووقائع حرب ، وقتن كان
يتخذها وسيلة لغاية لهجاء وتعير القبائل — ولم تكن عنده هي العادة .

ومهما نقرر الباحث في شعر الحرب عند جرير فإنه واجده على النحو الذي وجدته عند
رفيقه . بمزوجة أبدأ بالهجاء ولم يكن عاية . فهو يصف معركة (يوم المشر) التي لقي فيها

(١) ديوانه الطبعة الأولى الطبعة بمصر سنة ١٣١٣ من ٢٧ .

(٢) أرى في عجزه مصححاً يسعى أن يكون أصله (كتائب قيس للمهأة الحرب) أى إذا عدت
كتائب قيس — أى من أحلاف يربوع يوم حرر — اقتتل مهأة الحرب التي هي كتائب الأخطل .
إلا إذا صح أن تكون المهأة الحرب مدحاً لكتائب قيس كدأيه عن هراثما من شدة الحرب .

الأحطل الهوان ، وصح حبيب الجحاف وعرف حز سيرة في دواب قومه الغلبين وجريه
في وصفه هذه المعركة يدبر في الكلام بحرف محم حصمه ، لا نغير سطوة الجحاف وفروسية
ففس ، فيقول عن الأخطال (١) :

بكي دوس زاب قة الله دمه	بلا إيمان يبيكي من الله دول
ويك و تحديف يوم تحصه	أردت ناك لمكث ولا رد أنخل
سرى محكم لا كؤن تحومه	قتدين فير ابدال المنفس
ثم شفت صوبه لصبح - تنفره ا	كراديس يمدس ورد محض
وفد قتل اجدف لاد سوه	سوق من حلاس من و حرس ٢
عقب المنسار سدر عسهم	وشعت النوصي حين فصل
سجه من كرا قس ورم	صفوف و ر ما اتحصه او حلو
وم رات سسي تمور رمؤد	بدجده حتى مده دجه أشكل

ثم يختم هذه القطعة الخ بية متحرا وهاجا فيقول .

لنا الفصل في الدنيا وأنت اعم ونحن لكم يوم القيامة أفضل

وم يكن بينك حائنه سنة كرى ولا سحيم في شدة . كما فعل عند مقتل آل المهلب فهنا
هم يمدس عند مكث كركات به قتلات كثره أمت (من قصات) منه وبين امرردق
والأحطل و حير مش من مده مند فس قصيدة التي بدق من مده امير دق ٢١ . عندما
مدح سبي . عبد ملك و د (مقتل فتنة من منذ لسف وكع ، فير عيه ح و نافسا فيها
أفواه يبر مدحجه مده محم . وفت حرد مثله وانما

٤ — خصائص شعر الحرب عند الهجائيين

ألتخص خصائص الشعر الحرق لدى شعراء الهجاء ثلاثة تما من

- (١) كان كلام بني الحرب من لوازم شعر العصر الأموي ، كما كان فيه من الخوب والعتق .
- (٢) لم تصح شعراء الهجاء سعة (ملاحم) ولا شهما ، وإنما اكتفوا بأبيات يصفون فيها
الحرب ويبر صون أئمة تصوير تحت محطه من المعارك

(١) ديوان جرير ساي ح ٢ من ٦٠ و ط ١١٢ — ديوان جرير ح ٢

من ٦١

(٢) ابن حلاس و غرمل بخاريان .

(٣) ديوان جرير ح ٢ من ١٣١ . وردت فيه قصيدة لفرزدق الميمية وقبضتها بعدها من جرير

(٣) لم يكن شمر الحذب غاية عندهم ، وإنما كان وسيلة إلى مدح المضروب ، أو هجاء المخدولين
ولذلك قصرُوا في القيام بقصائده التي كان ينبغي أن يمددوها به ، وأن يقولوها في سببه

(٤) طعنان النهار عنهم ، والنساء ما ستم ، شعابهم عن التفرع سطم شعر حرق مثالي
(٥) فة اشتبارهم باشعة وحل اسلاح جميعهم في شعر الحرب دون لشعرهم العمان
الذين كانوا في الجاهلية وفي الإسلام وعاصروهم

٦. الحمة شعريه وقوة جديده وصلاته عذابه وحاصله شعر شديدي ، كل حين قصد
لإظهار أشعار الحرب في حالها القشبية ولو هم ذوو من نفسه في هذا السبيل شعرا طويلا
في موضوع واحد ينظمونه في الحرب وما إلى ذلك من مقدمات ومنتوج ، كما في الحمة
العربية المنشودة

(٧) شعره ثم يقطعه قومه وهي الساقطة شعر حنانه فقد شاع في وفي شعر
لعرفي من الوجهة النفسية. ثم يأتى قوله بعد الروي وما يسميه موصلا بالخروج
والوصل كقوله

منه هله ره اchied دائرة مشهوره . دغه دغه سخته . عه اقه كاسه سوره فسه
وصبح هذا لصر من نقواق سبه امر رقی لشع خه كنه . كا سوره حبه لاحتل
وجرر غرقى حبه تشبه قوايه ووضوح لصحت له

(٨) شيوخ محط الحرب والكثيرون آتوا بها كن مياقي هذه الجبهة في شعر الحرب ، وخاصة لدى المحاربين ، الخيون والسيوف ، الزمناح مستنصصة تذكر في كل سنة .

(٩) كن شعر مجنون شعر أجامعي الأسلوب ، رداء من عبير هذا أن نكده ، وكلام الحديث يعاير إسلامية كد ، عن حد شاهد أصلا ، لم يغيره ، برعه الجبهة في شعر

(١٠) برعه غنية واندعوى العصرية ومناظرات الأناجيات التي كانت في شعر المجانين ، جعلت

سعر الحرب بينهم متصوره تلك كانت وندوات وانشاطات ، وندتهم وهم في ان العهد
الاموي وفي جاهلية ثم يؤمن فيها حصص الرسول صلى الله عليه وسلم على اطراح سائر اجدهيه ،
(١١) كمن شه الحزب بيني الهجائين كالأبناء الحرسه الموقعه في رماشا ، وكان هؤلاء
الشعراء يحدوا ثمة حبه ، متعاضديه على نحو محقق اتى رعم في عصر ، تروح حبه ، أحادها
وتسبه ، ثم احتشود ، وكانت أموال الخلفاء ، والأمراء ان تسكت ، آلاف يدبير بمقاله هذا
شعر وإداعته ، كالأموال التي ذهب في شئها على صحف ، وكذا لا يكر أحد الشعراء
من هؤلاء المحول يقول قصيدة حتى ، يرددها الناس ويتفاوه في سوق الميراث وفي البوت ، (١٢)

البقيع الساب

شعر الحرب الخارجية زمن بني أمية

(١) شعر الحرب وراء خراسان

بلغ انزع امرى على عهد الدولة الأموية إلى مملكة الصين وحارب أطال العرب في فتوح هاتيك البلاد بمعارك لم تكن حوماتها أقل جحياً من حومات الوعى في قلب فارس وأباطح العراق، ولم تكن جيوش العرب في تلك البقعة متفرعة للفتح وحده، ولو تعرضت له وحده نعمت بسلطان الإسلام أقطار الأرض، ولكن تلك الجيوش كانت مشغولة عن عد المسير للفتح بالإحسان بين القواد والأجناد، وخلق الحفاه والوثوب على الأمراء.

وكان جيش العرب في تلك الأصقاع أكر جيش محشود، فان جيش يزيد بن المهلب بلغ مائة ألف مقاتل سوى الموالى والمماليك و (المطبوعين)، وقد قاد يزيد بن المهلب هذا الجيش ومعه أولاده حتى نغمت أمامه حصون دهبستان بعد أن قتل من أهلها أربعة عشر ألفاً، ثم اندفع على جرجان، ومات يزيد وهو في طرفة هذه الفتوح لأمينه نطل فأنح بين عساكره الذين يحتفون به ويكفون عليه، وإما قتل قتلاً، وأسكر شو مروان حسن ثلاثه وسطوة حربه، وأمن العرب غرواً حتى بلغوا سمرقند والصعد فسقط من أبطالهم في هذه الوقعات كثير، مهم المسبب بن بشر وكان (ثابث قطنه) اشاعر الفارسي على ميسرة الجيش وكان قد تابع المسبب بن بشر على الموت وقد قطعت في إحدى هذه المعارك يد نطل اسمه البحتري (١) وأحد السيف شبهه فقطعت شمل يذبح يديه، انقصوعتين، حتى استشهد، وكان هؤلاء المقاتلون وراء خراسان يحسبون أن القيامة قد قامت في معاركهم من همام القوم ووقع الحديد وصهيل الخيل، فقال اشاعر ثابث قطنه — وقد صرب عطفاً من عطاء الترك يصف في إحدى هذه الحروب استمراء المخازين حتى كادت لساقهم تحاطب المشركين بحاربات فدت نعمى فوارس من تميم غداة الروع في ضحك المقام

قلولا الله ليس له شريك وضربى قونس الملك الهام
إذا لست نساء بنى دثار أمام الترك بادية الخدام (١)

وحين توجه سعيد بن عمرو الحرشي إلى بلاد السعد وقرعة قد جيوش المسلمين وخطبهم
فقال : لستنا نقاتل عدو الإسلام بكثرة ولا بعدة ، ولكن نصر الله وعر الإسلام ، وأنشأ
بصف طولته بشعره ، ويشد عضده بفخر الأهل والقبيلة فيقول (٢) :

فست لصامر إن لم تروى أمام الخيل أظمن بالعواى
وأصرب هامة الجيسار مهم بعضب الحد حودث بالصقال
فا أنا في الحروب بمستكين ولا أخشى مصاولة الرجال

ودوخ سعيد الحرشي ما وراء حراسان حتى بات المعسكر يتناشدون فيه مثل هذا الرجز .

إذا سعيد سار في الانحمار
في رهبج يأخذ بالأنفاس
دارت على الترك أمره الكاس
وطارت الترك على الأحلاس
ولثوا فرارا عطل القياس

وكان النصر قد يمين عن المسلمين فلا يبرعهم القتل ولا يشبههم نور العدو عن الإمعان في
الفتح والجهاد في سبل الله . وكم كان بين أولئك الجنود العرب من معاميد تركوا الهوى من
أجل الحرب . بينهم الشرعى الطائى الذى كان يذكر قتانه هنداً ، وهو منقطع في بلاد نائية
فيصف لها ما يلاقى ومعه في ربوع السعد والشاس ، عند حقان وبيلا وجنودهما الخلال ،
أسفا على قتل العرب في ايدار العميد وقد طمع بهم ملوك برك وأنحنوا بهم الجراح .

تذكرت هنداً في بلاد عربية فيا لك شوقاً هل لشملك جمع
تذكرتها والشاس بيني وبينها وشعب عصام والمنسايا تطلع
بلادها (حقان) جرم رحوم و (نيلان) في سبعين ألفا مقنع
إذا دب حقان وسارت جنوده أنا المنايا عند ذلك مشرع (٣)

(١) بادية الخدام أى مقصده الآدن وفي حديث كأكسك ما ترك وقد جاءكم على يرادين محزمة
الآدن أى معصيتها .

(٢) الطبرى ج ٨ ص ١٦٩ .

(٣) ورد هذا المعنى الطبرى (ج ٨ ص ٩٥) على هذه الصورة وحق الإعراب بصف القافية للعداية
ولعله تصحيح صوبه (أنشد لما عد ذلك شرع ، أو أنفا مديا عند ذلك شرع فتكون شرع صبه
لنانيا) .

والخيل المسورة في واحة شعبي في ذريت بن وندم الجنيب . وبين حواف الخدالة مرة .
أنطق شعراءهم بوصف القهر ونصوير الخدال الذي حقه . فكان من هؤلاء شعراء
الحارثيين ابن عرس بن عدي . فقال في أبيه مطولة يذكر فيها انكسار حبيبه العرب تلقاه الزك في
ما وراء حارسا عية كلاب ولا مود . كاتبا على معشره الخدال . صادقة في شعر
الحرب فمن

من حرمه خيبر من معشر كذاوا من اقدم الحارث
سواء احب به قوا من يديهم مهمل كائنا اشد (١)
صنوا قديما سي است وندم القصب باوارد
حتى مشا يدي سنا من عدي بن ناصر اشد (٢)
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .

في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .

في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .

وراء ابن عرس في أوامر هذه القصيدة في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
قتل الأوف من بني حنظل فدايته . إذ يقول

في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .

وهو جعل شعراء هذه القصيدة ران عدي بن ناصر اشد .
في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .

في حرمه خيبر في واحة ران عدي بن ناصر اشد .

(١) بنو حنظل .

(٢) بنو حنظل أول كان صاحب وهو شاعر باليه ولا مود له .

(٣) النفس الضعيف .

وانه ليبير في نظرة النقد ان أكثر هذا شعر الذي قبله الشعر في حرب وراة حراسا .
أو ما وراه الهر ، وفي فوج تلك الأصابع فراه نسبي كان شعرا سهلا لا يعبى به منه إلى أرق
منزلة من منابر شعر النحوي ، في عصر بني أمية ، فكثير من قوله قبله ، وفي معانيه ، أشد
وفي تراكمه شيء من لركاكة ، . لعل رآخه معدرة في أنهم ، يستقود ، ثم من حرب ، حتى
أن منهم من عرف ، شعر بحكم كثرة قصته ، ومن من حرب في أمية لمجدونه ، كان عرس ،
قد عمن من عنده عن هذا شعر سمع به صدقه وسد حبه ، وكان من شعر بني قن
للحرب حبيب ، وعبد غيب صدق حبيبه ، وأصابه بوعله ، ووحده موضوعه

(٢) شعر في حرب الروم

تقر نفسي وادخلني لعمري بحسبه من نوحث على يدي في يوم الأندلسي الذي
حرف الروم وهو شيخ هذه الحروب ورسول ، وإياه مريض ، بعد كان في حرس ،
سيرة معاوية ومعه ، من حرب الروم ، ومن هذه الحروب كل واحد قد سجد أحد
فما صار جيش حرب على حرس في سرهم ، فمن ، يوم فداء يريد عائده ،
ما حاجت ، يوم ، ما ، فلا حاجة لي بها ، ولكن قد استطعت
في الأندلس من نعم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
(يد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم)
ولكن المنيعة لم تكن ، صبح بطل ، أبواب دهر مائة ومائة ، جيش المدين بعد سير
في أرض الروم ، أسور قد صغرية ، قد مريد مكره ، لرحل نصيح الذي ذكره الرسول
وأمر نكبه ، حجه على سرير ، ومضت ككاتب حملة على موثقم حتى حاور الأسوار
الموعورة ، فأشرف قصر ، جيش يرى سريرا يحمل ونه من مختون ، فليس إلى يدي ،
وما هذا الذي أرى ؟ قال يزيد : هذا صاحب بيت ، وقد سألني تقدمه في بلادك
وحن سعدون وصيته ، أو بحق أرواحنا لله
فأرسل إليه قصر :

« بورك كمال علمك ، فوجي المسيح لا حفظه بيدي ،
ويقول صاحب عقد مريد إن قبر أبي أيوب كان معروفا في القسطنطينية إلى يومه ،
عليه قبصر قبة يشرح فيها .

(١) عهد يزيد ط ١٣٥٣ ، ص ٤٢ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، تاريخ صبري ، ص ٦ ، من ١٣٠ وصلة
تاريخ الطبري ، ص ١٥ (طبعة الجديدة مصر) .

كذلك كرم قصر بطل العرب الشيخ الذي كان يرحو أن يموت على أسوار بلاده . إلى
لأذكر هذه البطولة العربية التي حض عليها الإسلام وأرث بارها الإيمان وباركها الرسول .
أذكرها ، وألوب على الشعر العربي الذي قاله الشعراء في حروب الروم عصر بني أمية ، فلا
أقع منه على ما ينفع العلة من مثل شعر الحرب في معارك الفتن في العراق والحجاز والشام وفي
فتوح المشرق .

وقد كان العرب في عهد بني أمية يعرفون بغير الروم . وكانت جيوشهم التي يغزون بها
الروم تسمى « الصوائف » فهي تجهز في أوائل الصيف لصد الثغور وحرب الكفار . (١)
وقد علت قنة الشعر الذي يصف حروب العرب مع الروم في هذا العهد بما ذكره ابن
خلدون حيث يقول : وكانت الصوائف تعطلت من الشام منذ وفاة معاوية وحدثت الفتن ،
واشتدت لمن أيام عبد الملك واجتمعت الروم ، واستجاشوا على أهل الشام ، فصالح عبد الملك
صاحب القسطنطينية على أن يؤدي إليه كل يوم جمعة ألف دينار . خشية منه على المسلمين
وذلك سنة سبعين لعشر من وفاة معاوية .

وفي سنة ٩٨ م هجرة جهز سديان بن عبد الملك جيش إلى القسطنطينية بقيادة مسلمة أخيه
فبلغها في مائة ألف وعشرين ألفاً . وعبر الخبيخ وشدد الحصار على المدينة ثم صاح أهلها ،
فنقل إليهم الطعام والمؤن التي كانت معه فارتدوا عليه محاربين وأعلقوا أسوارهم ، فلقى جنده
ما لم يلقه جيش آخر . حتى كان الرجل يخاف أن يخرج من المعسكر وحده من البلعاريين الذين
استجاشهم لآلون الطريق . (٢)

وقد كفاى ابن خلدون مؤونة القصص وراء شعر العرب في حرب الروم ، إذ وجدت أن
العرب لم تكن حرمهم حرب جند مع الروم في عهد بني أمية ، بل اشتغالهم بالفتن واستقصاء
المشرق كان عبئاً على سيوفهم قد يريده أمر الروم نقلاً وحملًا . ولعل الشعراء فيهم لم يشهدوا
حروب الروم شهودهم غيرها ، مما أجادوا وصفه وذكر وقائعه .

وكان عبد الملك — كما يذكر ابن خلدون — قد حصص الجناح لصاحب القسطنطينية . فكان
يؤدي له مالا خشية منه على المسلمين في بلاده . وكان قبته معاوية يتبع المسألة مع الروم
، فإذا أتته عن طريق من بطرقة لروم كبد الإسلام احتال له . فأهدى إليه وكاتبه . (٣)

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٣ باب أخبار الصوائف وحصار القسطنطينية ص ٧٠ .

(٢) تاريخ مختصر الدول لبرموروس بن هرون الطبيب الملقب المروفي ابن العدي طبع بيروت

سنة ١٨٩٠ وقوف الأب صالحاني .

(٣) رغبة الأمل من كتاب الكامل المرفعى ط النهضة عصر ج ٥ ص ٣٩ .

ولست أذهب إلى أن العرب كانوا حاضرين في محاربهم للروم ، فإن الشواهد كثيرة على مناجزتهم لهم الحرب منذ أيام الوليد بن عبد الملك ، وأن الحرب كانت سجالا بينهم . وكان كان الروم أيام عبد الملك يؤمنون المسلمين في بلادهم فقد كان من بعد ذلك عمر بن عبد العزيز يؤمن الروم في الشام . إذ يذكر البطريرق أفنديشوس المعروف بسعيد بن البطريرق (١) ، وإن عمر ابن عبد العزيز كتب للنصارى سجلا أهم آمنون على كنائسهم التي بدمشق ، والديار التي خارج دمشق في العوطة ، لا تحرب ولا تسكن . وليس لأحد من المسلمين عليها سلطان وأشهد لهم بذلك .

وطل العرب يعمرون في عصر بني أمية على دفاع الروم ، مما بين أطاكية حتى حدود القسطنطينية ، وكانوا يشتون بها ثم ينصرفون عنها إلى قابل (٢)

هكذا عرفنا ذلك فليكن كله سببا لنا يتفرع شعراء العرب لوصف حرب الأمويين مع الروم كما تفرغوا لوصف حروب العرب للروم زمن بني العباس .

غير أن قبلا من الشعراء الأمويين كانوا يشيرون إلى هذه الحروب الرومية ، والظاهر أنها كانت تشغل شعراء الفتح الإسلامي في أيام الخلفاء الراشدين أكثر مما شغلت شعراء العصر الأموي . وقد وجدت مثالا لذلك (عبد الله بن سبرة الحرشي) وكانت قد قطعت يده في بعض غزوات العرب للروم مرثعا ووصف وقعه يوم فطاس فصور كيف بارره أرطوبون الروم وصره بالسيف على يده فخر أصابعه ونزك أصل كفه . وكان أحسن من وصفه لبطلته ومبارزته ، وصفه لشعر الأرطوبون وقد تهطل دماؤه هدايا بحملة أسود لم يحل طه بياض حول رأس أصلع وهي قطعة تصويرية خربت العرب مع الروم نكاد نقوم بالعدس عن غيرها من الشعر يقول فيها (٣) :

بني يدي عدت منى مفارقة	لم أستطع (يوم فطاس) لها تعا
وقائل غاب عن شأني وقائلة	هلا اجتنبت عدو الله إذ صرعا
وكيف أتركه يسعي عنصله	نحوى وأعجز عنه بعد ما وقعنا

(١) التاريخ المجموع على تحقيق والتصديق للشرق أفنديشوس ط ١٠٠٠ - ١٠٠٠ م بيروت

سنة ١٩٠٥ م ٤٤

(٢) فتوح البلدان لبلاذري طعة الحركة العربية بمصر سنة ١٩٠٩ م ١٧٢ .

(٣) أمالي الذي الطبعة شدية لدار مكتب المصرية سنة ١٩٢٦ م ١ ص ٤٧ وعيون الأخبار ط

در المكتب المجلد الأول الجزء الثاني م ١٩٣ . والطريق طبع أوربا م ٢٠١٦ .

ما كان ذلك يوم لروع من خلق
وبل أمه فارس أجمت عشيرته
كشي من مستنعت منه ظلي
كل يوم يمدني الجدي شط
حاسبه لموت حتى أشف آخره
كأن منه هبات خمسة
وبن نك (أطون) روم قطعه
ولن نك (أطون) روم قطعه
ناب واحد موراً أقيم بها

ولو تقارب من الموت فاكتمنا (١)
حاي وقد ضيعوا الأحساب فارتجعا
حتى إذا أمكننا سيفهما امتصا (٢)
جلى الصياقل عن دريه الطبعا (٣)
فما استكان لما لاقى ولا جزعا
أحم أرق لم يشمط وقد صلعا
وبن فيها محمد لله منتفع (٤)
فقد نكت به أوصاه قصا
صده لفته إذا ما سوا فرعا (٥)

o o o

ولم يقصم حصن الشعراء من كان عليه لوماً أن يتم حواء بني أمية وفيهم الناعمة
الشيعة بقوا أشبه من شهر في حرب لروم فكان في مدح باعة سعد بن زيد بن عبد الملك
ودكر حواء في حصار العرب مذبة روميه وصربيه لأعيا فوله (٦)

أخرى طرده منه وإل ترد
مرب (مرب) ميمون يمشي
وقد حاطت به أطراف من خب
حسب سارده من كل ناحية
فذهب سيمون مقبول ومحب
فتم لفته في ما مصر صاحبه

وعسكر لم يقده من أجوف (١)
وركم من سحر مدحوف
كما أحاط برس نجه اللب
وحن من كل فم فهو مدحوف
ومهم موقوف في نقد مكتوف
ولله به مدحى شه اسف (٨)

ومجد راجع من حرب لروم قد (له) في شهر مدح . وقد مدح سبيل إلى مدح الوليد
ابن عبد الملك فذهب في وجه الجبل التي ذهبت إلى ملكه المدح مدح . صحراء ويقص

(١) كنه — د

(٢) امه — مدا

(٣) شط مراني سيف ودريه من مدح وضع وضع أشد

(٤) لأطيون والأطريون — رقيس الروم

(٥) الجذور الأصل (٦) ديوانه ط دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٢ من ٥٩

(٧) طرقة قسمة في بلاد روم (٨) شراصيف أطراف لأعصاء ويعد ذلك الجورج

بذلك صحراء تدمر في طرفه مختارا أحياء العرب حتى سعى روبر الروم ، فهو يقول للوليد :
 وفي كل عام منك للروم غزوة بعيدة آثار السناك والسرب
 وإن لها يومين يوم إقامته ويوما تشكى نقص من حدر الدرب^(١)
 ولا ينسى في آخرها نخرة الهجاء ، وبعده التشي من جرير ، فيقول له :
 يقولون دب بأجرور وراهب وليس جرير بالمحامي ولا الصلح
 ويدكر الاخطل حرب الروم في سياق عجائنه لقيس عيلان ويعدح الوليد بقصيدة
 ثابتة فعمول

بكفيه الأعشنة لا سؤوم قتال الأعجمين ولا صبور
 قتلت الروم حتى شذ منها عصاب ، ما تحرزها القصور
 وثلك الأحصل معاهرا عرواات الوليد للروم ، وفتح بلادهم شجعانه وجيوشه ، فقال :
 وإن أنعزس الوليد فإنه نمته إلى خير العروع مضاربه
 وما ملعت حيل امرئ كان قلبه بحيث انتهت آثاره ومحاربه
 ونضحي جبال الروم غبرا لحاجها مما أشعلت عارانه ومقابيه
 ولم يكن المؤرخون يحتفون بما قيل من الشعر في حرب الروم ، فإن لم أجد واحدا منهم
 ذكر شيئا من الشعر في عصر بني أمية ، قيل في حروب الروم ، حتى أن ابن خلدون أرح
 هذه الحرب لزمن بني أمية في فصل واحد ولم يذكر فيه بيتا واحدا من شعرهم في تلك الحروب .
 وقد استأنحت لوقعة أرمينية التي كان على جيوشها ، عثمان بن الوليد في أربعة آلاف من
 المسلمين فلقية الروم في ستين ألفا ، هزمهم ونحن فيهم القتل والآس . ولست أناقش هذا
 الخبر لقلة عدد العرب وكثرة عدد الروم ، وإنما لدى بعضي جهة الأدب فيه ، إذ لم يبلغنا أن
 الشعراء قالوا في هذه الواقعة ما يحتفل بروايته . ولست أزعم أن مثل هذه الواقعة تخلو من
 الشعراء واحسب كان من فرسانها فيهم كثير .

إن الرقعة التي جمع بين القسطنطينية وأندلس كانت مسرحا لحرب العرب مع الروم زمن
 بني أمية . ولقد فتح العرب منذ أيام خالد بن الوليد إلى أيام مروان بن محمد بلادا كان فيها
 الصقابة والآلان والفرجة ، ومن هذه بلاد أماسية ، وحرشنة ، وعمورية ، وسلوقية ، وقيسارية
 والمدصصة ، وفيها حصون فتحها العرب كحصن بونق ، والأحرم ، وبولس ، وققيم ، وحصن
 المرأة^(٢) . وفي كل ذلك شاحد تشاعر الأموي يقول في آثار العرب بحربها ، ولعل شعراء

(١) يقصد بالدرب الطريق إلى د ر روم وهو درب الذي رأته صاحب مريه العنق دونه وبكى

(٢) حدد أحمد بن جهمر ليعقوب في تاريخه (ط ١٨٨٣ ص ١٦٧) أن مكة

العرب لذياب الروم - في عصر بني أمية - كانت من حد القرب إلى حد الاسكندرية .

قد قالوا شعرا في تلك الحروب ، ووصفوا هاتيك الاصقاع زمن الامويين ، ولكن لم يبلغنا من شعرهم إلا القليل تنسم فيه روائح ابطولة العربية في ديار الروم . ولسمع في هذه الآيات القليلة ، جدحلات سلاحهم في محاربة الصقالبة ، ومقارعة الارطوبون

فيل

الشعر الحربي والرجز

روح عند العرب في حومة الحرب أن يرغم أبطالهم بيناً أو أكثر . ولا يزيد مثل هذا الرجز على حصة أبيات أو ستة . ولعل الرجز — وهو كما يقول روة الأدب القديم كان أو ما انتدع العرب من أوردان الشعر تنجوه من مشبة الناقه . وفي لغتهم الناقه الرجزاء هي التي تمشي الرجز .

فهو إحد سمل على أسننهم . ولذا تناولوه في الحروب حين المباررة والمناجزة . فكان على شيا السيوف وأطراف الأسنة . ولم تشعلهم عنه فخانق القتال ، ولا مواجهة الهلاك . فكانوا إذا هجموا على العدو ارتجروا والخيول تهوى بهم بحوه . وكانوا يهددون جراحاتهم بلحونه ، في فتنة حجرة بن عدى الكندي ضرب رجل من جدام ، كان في شرطة زياد . عبدالله ابن حليفة الطائي محمود فصرعه فقال هذا البطل رجره وهو يهوى إلى مصرعه

قد علمت يوم الرياح خلقي أني إذا ماقتي تولت
وكثرت عداتها وقلت أني قتال غداة تلك

وكسرت بد عائد من حملة التميمي وبناه . فقال مريجزا وهو في حومة الوغى

إن تكسروا ناني وعظم ماعدي

فإن في سورة المناجد

وبعض شغب البطل المباله

وظاهر أنهم كانوا في معترك الحرب يتفاحرون بطوانتهم ومروستهم وقليم أيامهم التي شهدوها .

يذكرون ذلك في خطابهم للبراءة ، شأنهم فيما أشرت إليه من سوابق هذه الرسالة ، إذا كانوا يحسون وهو آيدى النساء إذا علس منهم أحبار تلك البطولة . وحوادث هذه العروسية ، فلقد حدثوا عن المسيف بن محبة ، أنه كان في يوم عين الوردة ، فانكا شديداً ، ماظن أن رجلاً واحداً يقدر أن يبلي مثلاً أبى ، ولا ينكا من عدوه مثلاً سكا . لقد قتل رجلاً وسمع يقول رجلاً قبل أن يقتل ، فيذكر فيه المرأة التي كان يهواها وهي مباله الدوائب يضاء

صفحة أصدر . ويعلمها آثار بأسه . وفمن شجاسته . وأنه أشجع من الأسد فيقول مرتجزا :

قد عست مبالاة الذرائع
واصحة اللبسات والذرائع
إلى غداة الروع والغالب
أشجع من ذي كبد موانب
طاع أقران مخوف الجانب

وكان نظر من الشيعة صبح بالاثارات الحسين افرى نفسه في المعركة وارتجز حتى
قتل وهو يقول :

أما إن شداد على دير عليّ لست لعنان من أدوى بولي

وم يكن الشعراء الأمويون الذين كانوا يعيدون عن بعض الحروب بأقل رجراً من شهدوها
أو كادوها ، فقد ارتجزوا لقطامي بمدحة يريدون المهبط فتعنى أن يراه قائداً للجهل اللجب
تفيد الأرض من نخته ، ينجو أمامه ذوو النجاة ، ويكون له كل يوم عيد بانتصاره على
أعدائه فقال :

لعل عيني أن ترى يزيدا	يقود جيشاً جحشاً شديدا
تسمع للأرض به وثيدا	لا برما هذا ولا حسودا
ولا جبابا في الوغى رعديدا	ترى ذوى التاج له سجودا
مكفرين خاشعين قودا	وآخرين رجوا وقودا
لا ينقض العهد ولا المهودا	من نفر كانوا مجانبا صيدا
ترى لهم في كل يوم عيدا	من الأعادي جزرا مقصودا

وقد قصد هؤلاء الشعراء الأمويون فصائد الرجز مطولوها وهملوها ، كما فعل المعتز
وأنه رؤبة وأصحاب (العرقه الراجزة) وخرجوا فيها عما ألف شعراء الجاهلية . وكان أغلب
هذا الرجز شعراً حماسياً ، وكأناه أشيد حرية . وما كان ينبغي أن تعد أصحابه مدركبوا
أخيراً . وأحسب أن حمار الشعر هو الرجز المنفرد كرجز النجاة وأصحاب العلوم الفقهية .

واست بسيل الدفاع عن الرجز . كغاي منه أنه كان صدى حرباً لجرس النفوس التي
كانت تقولوه وهي في زحام الطعان ، ومدارج الردى ، فكان كثرة موسيقية تحدد نبراتهما
الطنانة قائلها في ركب الحروب . ولو أحصى ما قال المتباررون والمتقاتلون ، في طویل حروب
العرب وأيامها ، من هذا الشعر ، لجاء حماراً فاصاً نصيب عنه الدراويش . ويتعابا على الراويين .

وهو في جمته شعر حرى دوى بذكر الدماء ، هوارد مصصنة لسلح ، يكاد يكون لراما لكل فارس جلد ، وبطل عنيد .

أما بقية الأوزان في شعر الحرب ، فمن بني ثنية ، فكانت في الأعلى الأوزان الطوال آثار عند الشعراء من لأوزان الفصار ، لاستيعاب آياتها جملة المعاني في الشعر القصير في أوزانه ، صيق الصدر معابه . ولذا نجد أن الكثرة الغالبة في شعراء هذا العصر تفيض قرائعهم على البحر الطويل ثم تنع في البحور ما كان رباعى التفعيل . ثم دق ثلاثيه . وقد قل نظميه شعر الخناسة على البحر . ولعل تعليل ذلك قرب العرب في هذا العهد من جاهليتهم . فكان شعراؤهم يمشون في أبحر الشعر على عرار الأوائل حتى إذا حدث بونه شعر الحرب في العصر العباسي أقبل شعراؤهم على مبيته وحلاوه معابه . فراءه على الأوبى عد طوال البحور صغارها . واقتنوا فيها الآلهين فكل شعر الحرب في ربه أعنه معى وأسهل معى . وأرى جرسا ، فيه القصص الحرق ، وفيه وحدة الموضوع

فأتم

الخصائص العامة لشعر الحرب الأموى

أحتم الكلام على شعر الحرب في العصر الأموى بذكر خصائصه العامة التي ألخصها فيما يلي :

ما يتعلق بالأسلوب :

(١) مشابة الشعر الحرق في عصر بني أمية حماسة الجاهلية . هي كلمة جراحة لفظ . وروعة دساجه ، حتى لا يكاد انقار يستطيع التفرق بين الأسلوبين إذا حتى عليه صاحباهما . وإذا خلا شعر الحماسة الأموية ، بشعر الروم وتطور فهي كقطر الدين وتعاير الإسلام (٢) قد ينحط سبوت شعر الحرق في عصر بني أمية عن أسلوبه في الجاهلية عند بعض الشعراء الأمويين غير محزون .

(٣) اتسام الشعر الحرق في هذا العهد بألفاظ جديدة دينية ، وتعاير إسلامية ، وذكر آيات من القرآن الكريم ، وكلمات لها مصادر من الحديث الشريف

(٤) إطالة الألفاس في القصائد ، مما لم يعرفه الجاهليون في موضوع واحد كالخناسة . فإن في الشعر الحرق الأموى قصائد طويلة في مساق الحماسة . وإن لم يكن الشعر عامة قد تحررت في هذا العهد من تشعب الموضوع وارتدام القول في غير عرص واحد . وقد كان للشعراء العحول من أهل المهجاء الفضل البعيد في إطالة هذه الألفاس ، في الشعر الذي يجري على روى واحد .

(٥) مرص الشعر الحربي مبسطة على فصاحه الشعراء فكان من ضرورة شكله ؛ وهو
نخاسة والدنس ونفحر والعره ؛ أن تحي أشعاره به قويه رصنة ، ذات جرم وجرالة ،
سكون كنه طرودا لقعقة السلاح ، وحميم الحين ، ومقلة الأطل ، واحتدام المعارك .
فيما يتعلق بالموضوع :

(١) اتساع الآفاق الاجتماعية والسياسية في العصر الأموي أعنى الشعر الحربي بالمعاني ،
مكثرت فيه الأجلة وقتت به اسداجة الجاهلية

(٢) كثرت فيه معنى المبالغة في اسطوره والناس لدواعيها الرمنية ، فإن الحروب
الأموية والغزوات كانت تحمل على استب ط المعاني الجديدة في تصوير الحاسة والشجاعة والمقاتل .

(٣) وجود المعاني الإسلامية كاجنة والنار والثواب والعقاب والشهادة ، وما يقتضى
هذه المعاني من تصوير في لمبة الأعداء ، وعالم الآخرة في بعضه المقيم .

(٤) ركوب السياسة عوائق الشعر الحربي ، وبصرها بياض أعراسها الخاصة والعامة

(٥) شيوع المحام خلال الحاسة ، وشيوع المعر خلال الشعر الحربي للعلاقة الوثيقة
بين هذه المعاني .

(٦) ذكر القصصيات من بديعة وعدانة وقيسية وعلمية حتى صار أكثر القصائد
احساسية من هدير الصربين ، وعاصه ما قاله الفحول المهاجرون في حروب قيس وتعلب ،
ووقعات الجحاف ، ورفرف الحارث وقوم الأحنط وجبر ، ومطاولة الفرزدق في
أصوله وجدوده .

(٧) اقتران كثير من الشعر الحربي بمناجيات الغزل شأن شعراء الحامة الجاهلية من
ذكرهم المرأة في أثناء المعر بالشجاعة ، وتشارك العرب في ذلك آداب الأمم الحامسية ،
فقد كانت المرأة قرينة لشعر الحمسى ، مند هو ميروس اليوناني إلى سيرانو دورجراك الفرنسي .
وقد ظل هذا الاقتران بين المرأة والحماسة في الشعر العباسي ، كما أذكر ذلك عند الكلام على
شعر الحروب في العصر العباسي ، في الباب الثاني من هذه الرسالة .

(٨) صفات الملاحم فيه . فإن في شعر الحروب الأموي كثيراً من المعاني الحامسية التي
اقتضتها الملاحم الكرى . وهذا يفتح باب التأميل في سكون المدحمة العربية الكرى من
سدى هذا الشعر بعد أن يكون حتمه من حماسة العصر الجاهلي

(٩) سلطان الدينيغ عنه أكثر من سلطان الفرس ، بخلاف شعر العباسي الذي كان
لعنيت الأثر الأول فيه .

(١٠) كل ما ذكره في الخصائص الفنية شعراء الحروب عند امجدين في هذا العصر ،
يمكن أن يوصف به شعر الحروب عامة في العصر الأموي .

البَابُ الثَّانِي

شعر الحرب في العصر العباسي الأول

شعر الحرب في العصر العباسي الأول

الفصل الأول

تطور الشعر في العصر العباسي الأول

١ - تمهيد الدولة

أدب أبو العباس السفاح في خطبه على منبر الكوفة (سياسة العباسيين) بعد أن بويع بالخلافة، وكأه قال (خطبة العرش) على نحو ما نمر عنه في مصطلح زماننا، لقد خطب قبل موقعة الراب، وكانت الراب هي المعركة الفاصلة بين الدولتين الأموية والعباسية. لقد قال للسليمان في هذه الخطبة الأولى (١).

أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، فأتم أسعد الناس.
وكان الخليفة العباسي الأول مندفعاً في حمة لا تنتهي، فقرر في آخر خطبه، أن هذا الأمر سيظل في بني العباس حتى يسلبوه إلى عيسى بن مريم.

والذي أهت له في هذه الخطبة التاريخية أن الدولة الهاشمية الموعودة قد رأت حلماً يتحقق، وورعها يرمر ثم يثمر، فأسعدت الناس كما قال خطيبها السفاح المير وهي وإن أسعدت من كان يهواها أو يرصاها، وأشقت من شق لها الطاعة، وأوقد عليها الفن. في العصر العباسي الأول وما تبعه من تلك العصور كان أسعد حالا للناس من أعوام الأمويين، في أرواح الفن كانت تفتح كالأفاعي زمن أبي أمية، فهجت قلدا هذه الأرواح المخوفة زمن العباسيين، ومنتصاع هؤلاء في زمان هجودها القليل أن يتسموا الحياة الجديدة التي جاء بها التحضر، فاشتد تمارجهم بالأمم التي فتح أمصارها العرب قلوبهم، وكثر رواجهم بنات هذه الأمم، فساهم حسن هذه الجوارى، حمارها تلك لأعريب، وسكنوا في لقصور.

(١) تاريخ بداية وسهارة لعاد لدين أبي العلاء لا شفي فتوى سنة ٧٧٤. طبعة السعادة بمصر ج ١٠ ص ٤٢. وتاريخ الطبري ج ٩ ص ١٢٦ الطبعة الحسنية.

وأجروا في انقصور المياه ، وانقضى موكلهم وأمرؤهم الصريح بمرده كالجمع في وانقص ،
وبائع الخساء والأمراء من ذويهم من الرؤساء والقواد والتمال حتى سرت روح هذا
التحضر في الشعب . وكان الشعب عامة في سوده وقته ، وفي مقصده لغيره ظها ، يعيش
متبجحاً وكانت تغريه موجات من الضيق حين تشتد الثورات لما حبه ثم تنفرح وبدا
بذخ الخلفاء العباسيين في أكثر عصورهم على وفرة المال التي كانت تنوء به أئمة الإبل ،
وقوافلها قبل من كل صوب ، وتبدأ في ص الصحارى لتسكن في بلاد .

وتحضر العباسيون في زمن لم تحضر في فسحة القصيرة أمة مثاهم ، ففي أول من حسين
عما تحضر العباسيون في عهدهم الأول ، وهو من شطط الخفاء الأمانة إلى معنى لا عهد لهم
بها ، وكانوا على الرغم من الحروب في الشرق والغرب ، يعرفون كيف يحسن الاستيلاء إلى
السرور والنعمة والخصارة حتى كان عهد الرشيد وهو العصر الذهبي للعباسيين ، ثم سعه عهد
المأمون والمعتصم فالتوكل وقد كان انهم حقاً في تلك العهود كمال أسعد الناس كما قال أبو
العباس السماع في خطبته الأولى ، فقد كانوا أسعد الناس (لأنهم يحضروا في الصعام والشراب
والمنس والمأوى . وكان لا متراجهم ناه من أثر عظيم في دولهم ومباهجهم فاستمتعوا
مطالب التطور والتحضر حتى أقدموا التحضر ، وقد بدأ كانت تحت المدة العباسية ، مثل
شر لا بد منه للخير .

ولإنها لكلمة في استهماها الجواب وفصل الخطاب : فإن من سيد عهد الرشيد ؟

٢ - تطور الشعر ونجدده

وكما تحضر الدولة العباسية ، فقد تحضر الآداب عرفت ، ووصف تحضره بالتطور ،
والأمر كما قلت في هذه الرسالة إن مدح التطور بطيحي مدى يتناول فصلاً لعلم يشمل
الآداب والفنون

، بكل لشعر الأموي والحال من العباسيين ، وبداية نفسية الجربة ، ومعانيه البدوية
الموروثة عن الصحراء أصبحت عربية ، أو كادت تصبح مكروحة في عصر العباسيين ولدا
نجد أبا نواس يحسن تلك المياسم القديمة في الوقوف على الأطلال ، ومعناه شوقي للحجارة
فيثور ثورته المعروفة على مفاتيح القصائد ، ويسبح به هذه الثورة إلى شمر تعرف لما تسجوه
في مطالع القصائد من العزل بالمرأة ووصف الدار وأثره العاقبة وهو مع أن يدعو
إلى تطور الشعر في معانيه واستهلاله حديدية في رسم من معناه ومن رثى بعد ، كيف يكون
استهلال القصيد ، فيجعله في ذكر الحرة والحداد والكنودس والدمى

ولم يقتصر الشعر في العصر العباسي الأول على التطور والتجديد . بل لحفته فنون حديثة لم يكن يعسها شعراء الأوائل ولا مارسوها ، منها ما يتعلق بمهايس الشعر واشتقاق بحوره ومنها ما يناط بمعانيه ، كفن الزهد والتصوف ، والشعر التعليمي .
وكثر اعتناء ما شعر وتقوى أهل اللحن في اجتلاب الطرب وشاع الرقص ، وكان للمرس الخطر لأقوى في طبع العرب بهذه الطوائع وأكره الظن أن الأمراء العباسيين الذين استعملهم العرب هم أول من أدخل (الرقص العام) وصروب النهو وانفصاف على العصر العباسي ، وأنجد هذا سبيلا إلى شعر المحن وظهور الشعراء الخلفاء . وفتحت بسبب كل ذلك آفاق جديدة أمام الشعراء ما عرفها أسلافهم . فراحوا ينظمون القصائد والمقطوعات بفنون طريقة وعلى أنماط جديدة . فيها تصوير وإعراق ، وقد زحرفوا النامط كما زحرفوا المعنى

٣ — هل طرأ على الحاسة التغيير ؟

كان من الطبيعي أن يصيب فن الحاسة بصد ما أصاب سائر فنون الشعر في هذا العصر ولكن لو عاينه على تغيير تلك الفنون لوجدنا مصمما قد اصمحل أو بقاعس كفن الهجاء ، فقد أصبح نعا لغيره ، ولم يكن بين الشعراء العباسيين الفحول نهاح كالذي كان بين جرير والاحطل والفرزدق ، وليس بعدل هؤلاء شيء ما كان بين شارب رد ومناصبه من اتهاجي ، ولا ما كان بين البحري وابن الرومي من فديع السباب ، وصار الهجاء صرا من صروب الشعر لا يحتفل به وحده ، كما كان زمن الأمويين . أما العمل لخرح من قدسيته الأموية إلى التبدل وانتهت العباسي حتى صار في العنان ، وصار المديح سوفا لتناجزة بقف أمحاه أياها بأبواب الخلفاء ليؤذن لهم بالإشاد .

وكان شعر الحرب وسط هذه الفنون العباسية الكثيرة . يحصع لتطور ، فإن قرع المراق . وصوله الأبطال ، قد بعيرت عما كانت عليه في العصر الأموي كان الأمراء والعمى في عهد بني أمية عربا أفحاحا ، وكذلك سواد العرب . لقد كانوا أبناء الحرب وأحلاس الحين . كأهم حنفوا من صلوعها يمشون في حلق الحديد مشي احتمال البرق ، والموت هزأة في أرواحهم ، وكان أكثر محاربهم ينفون أنفسهم على السلاح ، لرفع كلبه الله . وقد تغير أكثر ذلك في العصور العباسية . فصاعت السرعة العربية أو ضعفت ، وتجاوزت على شعر الحاسة في العصر العباسي الأول أزمنة اجتماعية وأسباب سياسية ، ورافقت ذلك عوامل أدبية بحثة تتعلق بالالة والبيان ، فانحط شعر الحرب عن الدرجة التي رقى إليها في عصر بني أمية .

وبحمل الأسباب التي دعت إلى ذلك وقوف الفتوح حيناً ، وقصور البطولة حيناً آخر ،
والقواد الأعاجم ، والشعراء الأعاجم

ولست أسكر أن هذه لأسباب التي أدت إلى إعظام شعر الحرب كدس إلى جانبها أمور
أدت إلى تألق معانيه ، وروعة حياته . كنتأثير المدرسة في الحياة العربية

أ - وقوف الفتوح حيناً ، وقصور البطولة حيناً آخر

كان عهد الراشدين ولعصر الأموي مائتاً فتوح الشرق والعرب ، وكان الفتح مسرع
الحماسة في شعر كل أمه ، فهو الذي يمدح حواطر الشعراء ، فتتقد ويجود أصحابها شعر الحرب
الباقى على الرمن ، يتحدثون به بحمد الأمم ، ويسجلون ذكر الفتوح شعر لا يبلى . فلما هدأت
الفتوح في العصر العباسي الأول هدأ معها شعر الحرب وقررت لواعج الحماسة ، وقامت من
داخلية ملأت على العباسيين جو السياسة ، فقام ، فكان شعراؤهم يستجيشون عدة الحماسة من
موصوعات هذه نفس ، كما فعل لبحترى وأبو تمام في فتنة مالك الخرمي ، فانهما أعطيا هذه
الفتنة الداخلية من شعرهما شطراً كبيراً ، قوى الحماسة ، بعيد الأثر في تاريخ الشعر في العصر
العباسي . ولكلها كغيرهما من الشعراء المعجول كما منصرفين إلى المدح المأجور ، والغزل .
والمطامرات ، فلم يكن شعر الحماسة قصدهما الأول في هذا الشعر ولو نزعنا من شعر أبي تمام
مرثياته الأبطال الطوسيين ، وخاصة مرثيته لمحمد بن حميد الطوسي وأشعاره في أبي سعيد اشعري
وفتح عمورية ، لما بقي عنده في سائر شعره الكثير أثر للحماسة الخفة وشعر الحرب ، وقد كان
أبو تمام أجود من غيره في شعر الحماسة ، وأحبه كان خيراً منها إذ أحبها وأحب المختار من
شعرها ألف فيه ، وإلى لأعده فهو شاعر قد صب في قوالب عصره ، ولو انقذت الفتوح
في رمنه لوجدنا صداها في شعره صريحاً ، كما وجدنا فتح عمورية وحروب الروم بما لم يعهد عند
شاعر من قبله

وكيف كان الأمر بين وقوف فتوح أو انقطاعها . كان من الأسباب التي فعدت شعر
الحرب في هذه الفترة

ب - القواد الأعاجم

لم ييسح التاريخ بكل الحوادث وقد ناح الشعر بمكنمه لتاريخ فقد مدح أبو تمام
(الافشين) بعد أن علق على (مالك) وجاءه مفبداً إلى المعتصم ، فأدحل المعتصم
الشعراء على الافشين ، وحملهم على مدحه ، وكان أبو تمام فيهم . فقال أبو تمام فيه شعراً ناه

احمسه كعود جف مأوه . ففات نفسي لو كان الاقشيس عربيا هاشيا . لكان شعر أي تمام
شأن غير هذا شأن في احمسه ووصف الحرب . ولذا ترى أكثر شعره في هذه الفتنة
منصرفا إلى مدح المعتصم . إدا كان المعتصم هو . فائد الأعلى للجيش .
وإذا كان خلا لشعر في العصر العباسي الأول . ما تمام و يجرى العربيين صميمين فلا
ثريبت عنهما أن يتر شعرهما احماسي في مدح نفوذ نعم . ثم كان هي ولا اشاعر عربي
سواهما أن يحم على مدح العجم . لأن الرقة العربية كانت لا تزال مستحكة في الاعراق .
وقد ضعف الحافز ، فضعف المحفوز .

ح - الشعراء الأعاجم

كان لضعف الشعر احماسي في العصر العباسي الأول سبب آخر يتعلق بالشعراء أنفسهم
(فاعلين لا متفعلين) إن صح في العربية مثل هذا تعبير . فإن من الشعراء من كان فارسيا في
صله من جهة أبيه أو أمه . ككشار واني بواس . فلا يكن شعوره يرنح لفتح العراق .
وذكر لبطولة العربية . ولذلك نجد أنما بواس قد احتار على شعوره احماسي في البطولة
والفروسية . فصرفه إلى جهة الطردبات ووصف القناص .

أما بشرى بررد فان شعاع له شعر حرب أو مقال في حماسة . فذلك في قصيدته البائية التي
وصف فيها حرب دحرجة هيرة . للجيش الكثيف فقد مدح فيها هذا الأمير ووصف الجيش
وصفا رائعا . فدا . لكنه لم يحف شعوره في تهديد العرب وهو في رحام الحماسة . فكان يته
المشهور وكأنه كان يصرخ فيه بوجه الخليفة المهدي :

إذا الملك الجبار صغر خده . مشينا إليه بالسيوف نضاربه
وهو لم يثبت أن يح بعد حين عمر بن هيرة أشد الهجاء . فأين من قلب بشار الشعور
حماسة التي تنطرب من لشاعر الخوص في توفير البطولة . وإكبار أهل الشجاعة ؟
وكان الشعراء الأعاجم في جميع العصور العباسية لا يفرقون في شعورهم البطولة العربية
عن لشعري الساعين . وكان لا أثر عند أو ث كالأثر عند هيين . ولذلك لا نجد قوة لشعر
الحرفي وصدق في حماسة إلا عند الشعراء العرب الأقحاح . في مدى تصور العباسية

د - تأثير الفارسية في الخيال العربي وأثر ذلك في شعر الحرب

نوا أتيح العرب في جاهلية أن يحيطوا بعيرهم من الأمم حطتهم في عصور الإسلام .
لوصل إبن برائهم اجاهلي على غير ما هو عليه . من صفات عربية . وطوايع بدوية صرفة .

ولكان في طريقة تعبيرهم ، وأسلوب تمكيدهم . ومدى خيالهم شكل آخر غير ما كان في الجاهلية

لو أنهم ما رجوا بلاد فارس طويلا ، وعاشروا الروم عشرة تلاحه ، لوصل إلى أيدنا منهم أدب لا يفتق كثيرا عن أدب تلك الأمم في خياله وتصوره ، وطريقة أدائه وموصفه عامة

وقد صرحت العرب لأمثال الأمم . أنهم ليسوا مؤثرين محمود ، وإنما هم قوم يحبون الظهور ، ويستطيعون الاستماع في غيرهم . إن كانوا يحذون في هذا الاندماج لم حياة وبقاء ومبرلة وفرد . وقد دلل على مثل هذا اللقاح بعض الجاهليين الذين زاروا بلاد فارس . من الأعشى ميمون عاد من عند كسرى وفي لفته بعض كلام الفرس حتى قال في بعض شعره (و بر شد دائم محمل) والربط له موسيقى ه سية كالعود ، ما أحب العرب عروها أو ذكره في لغتهم قبل الأعشى . و نحن من العرب في الجاهلية من كبت فارسية أو رومية . ولكنها وإن سكن فنية فقد دب الفصلى على أن أصبح فارسي أو رومي نحت على دحوها في لغة العرب أساليب اقتصادية كالتجارة ، وسياسية كاتراخ العرب في النيان شرقا ، ورس وعربا بالروم . وحين جاء القرآن الكريم ورد في بعض الفاظه ما يعود به نسب إلى تلك الأصول

و حين تمازج العرب بالفرس بعد الفتوح الإسلامية لم تستطع به فارس ولا عادات أهلها ولا أساليب عقولهم ونلاوين حملهم أن تنسب إلى العرب . وكان العرب أقاموا دون ذلك سورا صفيقا لم تستطع فارس أن تجارده إليهم . وكان الأمر عن التقصص — لصروقه الدين الجديد ونشر تعاليمه — أن دحت المدرسة في عصر العربي ، فأقن أهل المسلمون على لغة العرب نفهمون كتبها عرب . وذهب بعض في دواعيه هذه ليعلموا بعد أموره وأحكامه شعر العرب ونثرهم ، وأن يكون منهم حنف يعذفون لغة العرب ، ويجرون في بيها أفلامهم . أو يطبقون في فصاحتها أساليبهم ، وقد منهم شعراء ومتربون ومهذبوا وأهل مداهب في الفن كان العصر الأموي للفرس مرحلة نهضة لغوية . وثقافة أدبية . وكان العرب في هذا العصر لا ينظرون فارس على أنها مصدر ثقافة وحضارة ، وإنما كانت هم دارا مقترحة لهم ولهم لنشر الدين الخنيف في أرحابها وما وراء أنصافها . ولو أن الفتن سكنت بأمانتها الأمويين والمروانيين ، لمكروا ما كتناء هابيك الحصار . وهذه الثقافة ، التي كانت لأهل البلاد المفتوحة . وسكن شغلهم الفتن في فارس وخراسان وما وراء لهر ، وفي حومة بلادهم في الشام وفي العراق والحجاز وعلى نغور الروم . وكان تلامي سلطانهم إلى مصر وشمال إفريقيا وقيام

دولة عربية في الأدب شاعلا لهم — إلى دلت — عن ثقافة فارس ومحاولة التعرف إلى
أدبها وفنون حضارتها .

ولم يتعرف العرب حقيقة ما بين أيديهم من فن فارس إلا في العصر العباسي ، وخاصة حين
كان لأهل فارس شأن لديه أي شأن . وقد بدأ اهتمامهم الأدبي بها بعد اهتمامهم السياسي . منذ
غدروا بأبي مسلم . وقد جاءهم مسالما ووراءه خراسان براياتها وجيشها . وكان أبو جعفر
المنصور من الدهاء ونقض العهد والمساواة إلى القدر بعد التأمين ، في حماء سياسي أحاطها
بالخوف والبطش والعيلة . فلم يتمكن عهده من أدب فارس ، ولم تظهر أثر الحصار الفارسية في
الأدب العربي . وكانت مواليد العرب من الفرس لم يصير حظها بعد ، هيبت تلك الآثار الفنية
كأمانة مكونة خلال أديم لم تخر بها الأقلام . ولم تنه بها الألسن .

وجاءت في أيام المأمون سنة خلق القرآن قصدت متاح التمازج الثقافي بين الفرس والعرب ،
حتى أتبع لهذه العتمة ركود من دهرها فانفتح ذلك الباب مصراعا بعد مصراع . ثم أقيمت منه
وهود الثقافة الفارسية بدلت على اللسان العربي . وأسهم فيها ناس من الفرس فيهم عبد الله
ابن المقفع وفيهم سواه من أهل النقل والترجمة . ولكن تلك الترجمات لم تكن من الفارسية
ولمّا كانت من فلسفة الروم .

وكيف جرى الأمر بين أزهير التمازج الثقافي بين فارس والعرب لم تطلع بعد ، وإن تكن
أعضائها ننت ، وأوراقها قد زامت تلك الأعصان في معارس العصر العباسي ، بعد زمن
المأمون .

ولا أستطيع أن أجد الدليل محسما . في دلائل هذا التطور تحق على التنقيب ، ولا يحيط
بها إلا من يدرس لغة العرب في ذلك العصر العباسي ولغة فارس فيه . ويرى ما تسلسل بين اللغتين
من التعابير والتشابه والكلمات .

ويحسى أن أقتطف تلك الأراهير من بستان الشعر . الذين تنسبهم أصول فارسية ، في
العرف دساس ، والدماء راعة ، وكلاهما ذو أثر بين في تطور الأدب لدى كل أمة وفي كل جيل
فشار أصله فارسي من جهة أبيه ، وأبو نواس فارسي من جهة أمه . وجدير بهذين الشاعرين
أن تبدو على شعرهما آثار الفكر الآري والخيال الفارسي . كما يجد آثار التفكير العربي ،
وداوة الخيال عند أبي تمام والبحرّي وأبي الطيب ، مصفولة بالتطور الزمني والتمازج الثقافي ،
الذي يعبر من وارع الدم وطوايع الأنساب . ولكنه لا يستطيع أن ينتزع من الأعراق
نوازعها الأولى .

وبين خيار الشعراء وطريق تصوره وبيد يسه . ولمّا هو أمر عمت فيه نفوس متغلغلة

في عمار الأجداد الذين سبقوا إن الخيال والتصور يشبه نسخة والهيئت التي على وجوه كل منا ، وإن هذه السحن والهيئات ليست ولادة أوينا وحدهما وإنما هي ولادة أجيال كثيرة لا بعينها إلا حائقا ، كذلك أساس تفكيرنا وفوه بحيث أو صمعه ولون هذا الخيال وتصاويره ، كل هذا يعمل فيه من أورتنا الحياة الجسمية والحياة العقلية .

ولكن كيف أستطيع من خلال ظله أو لفظ ومن سياق تعبير أو جملة أن استشف في الكلام العربي الخيال الفارسي أو الصورة الآرية ؟

فلن كان للكلمات حياة من حياة أصحائها . فإن ذلك يبدو على شيء من السهولة . افتح أي معجم شئت في العربية أو غيرها من لغاتك كلمات تنطق بها نحن . وتفكر فيها تضم في أعماقها حياة أساس لا يحصى لم يعد كانوا يعيشون وكانوا يتكلمون . إن كلمة واحدة من هذه الكلمات تحتوي تاريخ أفرام . وفي حقاقت العاطفها وبتأوها على الألسنة حوادث لا باني عليها حصر .

ذلك هو الخيال الذي تثيره كلمة واحدة أو لفظ . وحمة واحدة أو تعبير . وقد عرفنا هذا أمكنتي الفرصة من توجيه هذا البحث في صدد عابتي وهي : (ما هو أثر الخيال الفارسي في شعر الحرب عند العرب ؟) .

• • •

إن شار بن برد فارسي الدم صرف الصبية في العجم كان أبوه (رجوح) من طحارستان من سبي المهذب أن صغرة وأجداده من (ازدكر إلى يناسب) عجم . فيصح أن يكون شار مثالا للقياس في هذا البحث لأن في حياته منار فارسية ولغة عربية .

ولكن قبل كل شيء ما هو الخيال الفارسي والخيال العربي ؟

عرفنا الخيال العربي في شعر الجاهلية والإسلام أنه صورة مضوحة من صميم الحياة العربية . فملكاء المندور في الجاهلية ، والشمس المحرقة ، وطلال النحل ، والأفراس والإبل والحمام والصحراء المنسطة والمرأة الحية ، كل ذلك أمور مبنوسة في المادة تهب في ذهن المكلم أحيطة كثيرة بصرع بعضها في بعض فجى . عاناً من الصور لا تحصى وكل هاتيك الصور التي كانت تهبها في ذهن تلك أمشاهد المبسوسة ، كانت تحي على ألس العرب وتقوم في أذهانهم خيالات صادقة كل الصدق وفق حياتهم الساذجة المحدودة .

إلى أصع هنا صورتي لإحداها جاهلية . صنعها إمرؤ القيس في ذهنه بخيال بدوي ساذح ، حين شتاق إلى الحبيب الناق . وكانت (أذرخ) به داراً لم يمت حباله المكتوف في حدود

البدية على التجرد الذي قد يكون شعراً عرف الحضارة ، أو مرت أسبانيا في حياة أهليه ،
فقال عن تلك المرأة .

شورتها من أدرعت وأغلبا بيثرب أدنى دارها نظر عال
ومعنى هذا البيت — كما أرى — أنه حين مر بأدرعت غشت على ناله محبوبته ، فرى
بحياته نحو ثوب فتوتها يدها بها ، فكان نظره على ما هو أدنى إليه دارها وإليه الحبال
فوى مخرج يكاد يكون حرجاً عن طوق الجذبة . وسكى اثر ذكره لأدل على براعة
خيال من أجيال الجذبة ، وقاربه بحس حر من ناحية لشعري "العصر العباسي ، حين بدا
الخيال اما في الآري في أزمان من سوره في لغة العرب

فقد تشارس برد من على ناله صوره معشوقة ، فيتمنى لو كان عندها في إثناء الفاكهة
تفاحة فأكلها ، أو كان في زهرتها ريحانة من الرياحين تشمها ، فتوى على الأولى بالمض
وعلى الثانية ناشم صدوق مسمما وشمها . ثم لا يشفيه هذا الخيال العرب في أن يلتفع منها
بعض أو شتم . وإنما يريد أن تخرج به لروح من تلك التفاحة . أو ذلك الريحان فيكون لدى
المحبوبة وفي حلونها إنساناً سوياً فيقول :

يا ليس كنت ما أحبه فاصح
أو كنت في قبض الريحان ريحانا
حتى إذا وجدت ريحي فأنجها ونحي في حلوة مثلك إنسانا

فأين خيال إمرى . الفيس على ما في جانبه من جناح طائر . من خيال بشار ؟ إن بينهما
ليوياً مثله مسافة العصر من الشتاءين ، وكروير السنين . ولست أذهب إلى أن هذا الخيال
عند بشار حسن شاء مكشوف . يتصور أعرب الصور ويعينه عليها العمى . ذهاباً مع من
يقول إن المكملين من الخيال أحبة جامع لا يستطيع عليها المبحرون

لقد حمل بشار الفارسي له العرب في خفيه هدى خيالا رائعاً . فارساً آرياً . وأكرر
دليل على آرائه (فكرة التجرد الفلسفة الموجودة فيه) وهي خروج الإنسان من ربحانة أو
تفاحة ودين اح على فارسيته ، من متروك من فكرة ديبية مجوسية وهي (التقمص) خروج
الإنسان الموجهة في الريحان وانفاج يمكن أن يعين عليها وجود تتمثل بشر سوياً .

إذا صح هذا المذهب . طارقت إلى الكلام على شعر الحرب في أدب العصر العباسي
فاستقرته وشخصيت وجود الخيال الفارسي فيه .

لم يكن لعرب أسعد شجاعة من العرب — على ما كان هم من حضارة صمن شعورهم
المتراصة التي كان يحميها جيشهم لمنظم — وإنما كانوا أحكم نظاماً في الحروب وأكثر فتوراً .

فإنهم حاربوا جيوش اليونان وعليها الإسكندر المقدوني وداقوا دحل الاسكندر . ولكنهم إلى ذلك كانوا أمة ذات صولة وعسكر . فلما كرهتهم الحرب العربية وثل عرشهم الإسلام ومزقت جيوش المؤمنين جيوشهم من يوم القادسية . عرف التاريخ أن السيوف العربية المنحنية الدفاق . إنما كانت الأيدي التي صرست في أطوار في العريضة . والقلوب التي أهرعت فيها تلك الشجاعة كانت أوعى وأقوى . ولا شك أن الحب الفارسي كان يظهر أثره جلياً في كثير من شعر الحرب في العصر العباسي . سواء أكان هذا الشعر في مدح ثم هجاء أو حماسة . وفي وصف أم عرب . لأن حياة العرب في هذه الحقبة قد تغيرت . وكان لهدوء نفس البكرى أثر أعان المشاء والأرباء على التفرغ للعلم والبحث . فبدت صلائع من الأخيلة الفارسية في شعر بعض الشعراء كبشار وأبي نواس . أما بقية الشعراء ذوي الأصول العربية . فكان مثل تلك الأخيلة فيلاني شعرهم على ما أحسوا به أنفسهم من رقة الشعور وحسن التصوير . كأنى تمام وانه تزي والمتنى .

كان الشعراء في العصر العباسي يحسون في صميم ما يريدون من تعابير أحاسيسهم والعروسية . ولم يكونوا يشعرون صعباً في أداء ما يحول في أنفسهم من معاني الشجاعة والصولة . ولكن هل كانوا في الحقيقة غنياء بتعابير أحاسيسهم ؟ أو كان في تعابيرهم عاقبة . وكانوا بحاجة إلى أن يسمع آفاق خيالهم في وصف الحرب بعد دواعي الحاضرة العدمية وتخرج الحرب عارسات والروم ؟ سرى بوار هذا الاتساع الخيالي في شعر أبي تمام والبحتري وأبي الطيب في وصف الحرب . ولكن الحب الفارسي إذا تسلل إلى الشعر نهر في فيه لن يبدو معالفاً عن نفسه . وإنما كان لوماً جديداً في حمة الألوان التي اضطلع بها الشعر الحربي . وهو يحمي في قلوب اشاعر بلا تكلف ومن غير أن يعتمد على استبدانه أو يحس أنه حلال فارسي أو عربي . وإنما المعاني والأخيلة أمور ذهنية تظلمها الأفكار . يمكن من ريب يبين أعراقها في طويل الاستقصاء .

أخص هذه الأخيلة الفارسية ما كان بعيداً عن صدق البداهة أو يحس تصديق . كالنشيدات العالية التي راعها في شعر العصر العباسي وفيها تهويل وتحميم في الاستعارات . وكالإحاطة بالموصوف من أكثر جهاته . مما لم يكن العرب يعرفونه في الجاهلية وصدر الإسلام . إذ كانت تعجب عليهم السداجة وتنوع الموضوع في العرض الواحد . وكانت بوار التحديد في المعاني معرضة في العصر العباسي لتفقد عماء الأدب . فقد فقد الأدباء الأقدمون شأراً حين قال ته حماسي الرائع .

كان شاعر النعم فوق رؤوسنا وأنب فنا ليل تهاوى كواكبه

هروى أبو العرح في أغانيه أن محمد بن عمر الجرجاني وأنا يعقوب الخريمي كانا يرويان
عن إشار أنه قال :

« لم أرب منذ سمعت قول إمريء الغفس في تشبيه شيتين شيتين في بيت واحد حيث يقول :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً **لدى وكرها الغناب والحشف السالى**

أعمل نفسى في تشبيه شيتين شيتين في بيت حتى قلت : (كأن مثر التفع فوق رؤوسه) .

فالحيال الجديد بظهر في شعر إشار ، وهذا البيت وحده أصدق دليل عليه . فأس من
خيال البداية هذه الكواكب التي تنهارى ، فتشبهها الأسياف وهي تصادم في الحرب ؟

وم يكن شعر أبي نواس — بعد إشار — معصراً في روحه المرسية ، فقد طهر الحبال
لقدسى في حمرياته أروع مما ظهر في شعر إشار . وهذا ما وثقنا المعنى الخربة في الجاهلية عند
الأعشى ثم عند الأحنف في معدن واحدة أو مشابهة . رأينا أن نواس ينفذها بتصور رائع
ما كان شاعر عريق قبله أن يتصورها فيه .

ثلاثة أسات هي دليلى . توافق الشعراء على معنى في روح واحد في وصف لمعة الحمرة
وتلاثها ، أو طيها وحلاوتها . قال الأعشى في الحمرة :

بها لم تمصر فصالت سلافة فخالط قنديداً ومسكا مختاً

وقال الأحنف :

جاء بها قد خيلت في إنائه بها كوكب المريح تصفو وتزبد

وقال النواسى :

إد عب فيها شارب النور خنت يقبل في داج من الليل كوكبا

بين الحبال بدوى السدح عند شعر الجاهلية الذي وصف رائحة الحمرة بالمسك
وطمها مسك وهو القندس . وهذا أقرب إلى مدارك البداوة التي عرفها الأعشى لم يرتفع
حباله إلى السماء . وإنما ظل على أرض البادية . وهو حبال سادح مسوس ، شأن الكثير من
الأخيلة الجاهلية .

وظهر عند الأحنف الحبال المحصرى الذي يصرح به صاحبه بأنه (حبال وليس بحقيقة)
تبدو فيه الحمرة لأمعة متمازجة مشبعة كأنها عند صفائها وردها كوكب المريح في نالقه .

ورفع شاعر بى أمية النشوان رأسه إلى السماء ، وطار إليها بحباله . فكان خيال الكوكب مما
تستدعيه ديبا المحصر بعد حبال القنديد والمسك الذي دعت إليه ديب الور . حتى إذا جاء
النواسى العريد . فعرف أسرار الحمرة ، وناجى أرواحها . وتفرّد من بين لندمان بنشوتين ،
انطلق حباله الثاقب حين رأى الحمرة يعب فيها الشارب في الظلام ، فهاجت في نفسه (كوا من

نفاضية الدينه) - وقد تبيح به تلك الفارسية دور أن يصطنع لها الهياح . فبدت
(الفكرة المجوسية) وهي (عبادة الكواكب) . وهل كان ثقيل الكوكب إلا مضراً من
مظاهر تلك العبادة لمجوسية العتيقة . إذ كان أهلها يعبدون الشمس ويستقبلون لآلهها المفلتان
بالعيون والقلوب . (وما أجد أشقى للعابد من ثم المعبود) .

تلك سواح من حبال فارسي لاج به أبو بواس في حلال شعره . وإن في شعره لمن هذه
لصور أطيافاً كثيرة .

وقد احتجى الرواة والأدباء من أقدمين ومحدثين تحديد أبي بواس ، وزعموا أن تحديده
كان في معاني القصائد . أسبغ فيها ذكر الأطلال الدية باحره والقذى . ولو التفتوا إلى هذا
الضرب من المعاني الجديدة في شعره لم يفتأ العرب . لا مكنته الفرصة من الكلام على (من
أبو بواس في صميم تحديده)

إن ديباجة الشعر له جد بها أبو بواس عرف مشم العرب ، بل عرفوا حيرامها ، سكن
معانيه هي التي كان يلوب على مشم قبله الكثير . واست دائماً مع الخط الذي يقوب . المعاني
مطروحة في الطريق ، فإن هذه المعاني النواسية لم تكن في مصروحاً في الأرض ، وإنما كانت
منضدة كواكب ونجوماً في درب المجرة

٤) نظام شعر الحرب في هذا العصر

يتناول شعر الحرب في العصر العباسي الأول حتى آخر أيام المتوكل موضوعات كل فيها
على للحماسة العباسية كلها . وقد درستنا في هذا الكتاب دراسة فنية حسنة ، ومنوطة بالتاريخ
حيناً آخر . وقد تورعت هذه الموضوعات نواحي مختلفة ، فإن شعر الحرب كل منتوح الحروب
الداخلية ، وكان يصدر عن الحروب الخارجية . وقد قيل في حرب البحر ، كما قيل في حرب
البر ، وفي جميع ذلك قال شعراء العصر العباسي أحاسيون شعرهم الخ في . وسأذكر هذه لصروب
واحدة بعد آخر في فصوله التي تحو به .

٥) نماذج من شعر الحرب في العصر العباسي

إن في الكلام على وصف الجيش في الشعر العباسي ما يعطى صورة مجموعة لنماذج الشعر
الحربي ، إذ كان الجيش هو مجموعة رحا الحرب وعدتها ، فهي الجيش أهاله وكأته ، وسلاحهم
وكشراهم . وإن مجال الموازنة بين أقوال الشعراء في الجيش وقياس بعض أوصافهم على
بعض لأوسع مدى لمن يصدر عن هذه الموارد من الكلام .

لقد نظر أكثر شعراء بني العباس إلى الجيش بطرات متشابهة . وتصوره كل منهم في حالة

إن تعدت به قبلاً عن ربه . فيما نقره اليه فدر ما اضطلح عبه وصمم لقتال . وطرهم
للسلاح والأبطال . وإذ كنت أعدد ابن الرومي أتم يا ما يوصوف وأدق وعاءاً للصورة .
فإني أبدأ بوصفه لجيش

رثى ابن الرومي يحيى بن عمر . وكان يحيى بن عمر ينهى سبه إلى عني بن أبي طالب .
فوجب أن يكون هذا السب مصعباً لدى العباسيين كغيره من العلويين والشيعة . وكان قد
حاق به ضر وسوء حال شرب إليه كل ذلك الخروج على العباسيين . خرج في طوائف من
الزبدية ناشية الكوفة . ثم دخله المتوكل من عنده وجرد منه . وجلس العباسيون بعد قتله
يتقبلون تهنة أساس فواجبهم

وكان ابن الرومي يراءى للشيعة مصادراً في ميله إليهم وامتداحهم وإجراء طرف من
شعره في دعوتهم

هو إذ ذك حين برقي يحيى بن عمر إنما يرحم سياسة العباسية في عقر خصرها ، إنه برقي
من خرج على تلك السياسة . فاستطاع بما أوتيته من دقة التصوير وسبق في الإسلام بوحدة
الموضوع أن يحيى . خلال هذا الرثاء . قطعة رائعة من شعره يصف فيها الجيش الذي سوف
يهب لحرب العباسيين . جيش ثوار الدين ما زالوا يكمنون في ضمير الزمان . وما هبة ذلك
النار إلا يوم يوزق حق أنصاريين إليهم بعد أن برعه منهم العباسيون قد رندهم يومذاك
الكأس التي آذروها

ألم ابن الرومي . في وصفه الواعي . مما ينبغي أن يوصف به لجيش الصاحب العجيب .
فهذا الجيش الذي يصفه :

خر تضيق الأرض من زمرته . ونهر الوحوش من رجله وصباحه . تلمع سيوفه على
مدى الأنصار كأنه برقي . وتسطع عبه شمس الصبح يوم قص مدوم فيحسب بحراً يروح .
شب شعاعه بين الأرض والسما فترده السور التي تحمد تلجوش جودها ما فتى والجرحي
فتحوم عبه . وحين يبطح عليه نظر الناظر يقع على حرج من الأحراج فيحار لحوله . رجله
وفرسانه عدد الجراد . وفوق الجياد رجال كأنهم السوث . سالتهم .

ينحم رجال هذا الجيش بالعدو التحاماً لا يترك فرجة شمس فارساً عن خيله . ولو أن
مخابة أمطرهم لا وقع صوبها على أرض . وبقي مؤوها يتدحرج على رؤوسهم وأجسادهم .
وقد لمعت رماحهم كما يلمع القتل المشتعل .

مثل هذا الوصف الواعي . يقوله ابن الرومي في الجيش الذي سيعير على العباسيين

لأصاف الطالبين

لعل لهم في منظوى العيب نائراً
بمجر تضيق الأرض من زفراته
إذا شيم بالأبصار أبرق بيضه
توامضه شمس الضحى فكأنما
له وقدة بين السماء وبينه
إذا كرفى إعراضه الطرف أعرضت
بؤيده ركبان تندر رجه
عليها رجال كأنهم ثور
تدانوا في النقع فيهم خصاصة
فلو حصتهم بالفضاء سحابة
كأن الزجاج اللهدميات فيهم
على أن هذه الطير التي تل بالجبش الذي وصفه ابن الرومي ذكر في السور التي وصفها
الناطقة لندباى ، وهي مخفة فوق جيش العباسية ، ذكر لندباى وصف هذه النور
التي هي لوازم كل جيش محارب ، وأصل من الرومي لكلام عبيد
وتشير هذه القطعة الى يرفق ابن الرومي بـ بوصف لجيش قصعة تشابه لأنى اطيب
المتنى ، فتلع في الخاطر إحداهما ثم تبع به الثانية ، ولولا ضرورة المباراة ههنا ولزوم
المقام : لأحرت وصفه للجيش إلى الباب الثالث
يصف أبو الطيب جيش الأمير محمد الحسين بن طلع يوم من سنة الرزمة ، فيحمل
السييل إلى وصف هذا الجيش مدحاً لهذا الأمير بأنه لا يتنى الحرب إلا به يقول :

ودى لجب لأذو الجفح أمامه
تمسر عليه الشمس وهي ضعيفة
إذا صوؤها لأنى من الصير ورجة
ويحنى عليك الرعد ولبرق دونه
أرى دون ما بين الفرات ورفقة
صرايح لا تحس البشر لدم
تصاعقه من بين ريش القشاعة
دور فوق تبصر مثل اندرام
من يبع في حقه وأهلام
صرايح لا تحس الخيل فوق الخاجم

(١) المزج الكلام المتابع

(٢) المزج جمع المرح وهو المكان الكثير شعر ، ونخرج محرو

(٣) أوثق أكثف من ونج ككرم

(٤) يبع برد من مبع وهو رد مبع عند العرب .

(٥) مبع تهر مبع .

وملن غطاريك كان أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصر

تلك تهاويل بني الطيب وهي في هذه الآيات تحصر الوصف في الجيش :

(١) أنه لجب .

(٢) لا ينحو منه حائر في السماء ولا وحش على الأرض .

(٣) نفع عليه أشعة الشمس ضعفه ما يحجبها فوقه من غبار ورايات .

(٤) تصل إليه أشعة الشمس من بين ريش القناع .

وهذا الوصف الأخير (تهاويل معرق) فقد جعل "سور الكثرتها فوق الجيش قد

منعت الشمس أن تقرب إليه

(٥) يقع عليه ضوء الشمس مدوراً كالدرهم ، إذ يمر من بين الفرج التي فوقه

(٦) لمع سلاحه وهماهم رجلاه يحيى عنبك البرق ونصم الآذن عن الرعد

(٧) يربك هذا الجيش من فعالة بين الفرات ورفقة صراة تمنى الخيول عليه

فوق الجناجم .

(٨) أظلم هذا الجيش غطاريك . وقد تعودت أكفهم الطمس بالرماح ، قبل أن

تكون لها معاصم (وهو تهاويل بمعن في غلوه) .

فهذه الأوصاف التي سكبها المنبي على الجيش شارك في بعضها ابن الرومي في قطعته السابقة

عن الجيش الذي أنذر به العباسيين في رثائه ليحيى بن همر .

لقد شرح ابن الرومي (صوت الجيش) وأحله المنبي وكلاهما ذكر الشمس ووقوعها

على الجيش واختلعا في عرص صور الشمس على الجيش ، فإس الرومي يحسن الشمس إذا وقع

ومضها على الجيش جعلته يرى كالبحر المنموح ، ويكنى بصورة واحدة . أما أبو الطيب

فيتناول وصف الشمس على جيش ابن طنج بصورتين :

(١) امتناع الشمس من الوقوع على الجيش لما بطله من العبار وكواسر الطير .

(٢) أن الشمس تتحس ريش القشاعة فتقع على الجيش مستديرة كالدرهم .

وهو معنى يحبه أبو الطيب ويؤثره في وصف الشمس على الأرض ، وقد جاء به مرة

ثانية حين وصف شعب نوان ببلاد فارس ووقوع الشمس على تلك المعاني الطيبة من حلال

أوراق الشجر دنانير تهر من ثمنان

وكان أبو الطيب حين مدح أمير الرملة مشعوقاً "دراهم خاءته انفاية في تمثيل وقوع

الشمس على الجيش (الدراهم) ، لكنه في شمس بوان — وقد استغنى — صارت تلك الصورة ذهبية في خياله فقرنها (بالدنانير) فقال :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنانيراً تفر من البشان

ودكر ابن الرومي في قطعه هذه برق السيوف وفاته الرعد ، فجمع بينهما المتنبي . أما الفشاعم التي نشرت ريشها فوق الجيش — كما يقول أبو الطيب — فقد ذكرها ابن الرومي وعى بها الطيور العوافي التي طر الجيش وهي فرجة هرجة . ومثل ابن الرومي للحيث برسائها كأنها عدد الجراد وعليها رجال كالليوث ، ثم رسم صورة لهذا الجيش وهو ملتحم بالأعداء لانتحامة لم تترك بينه فراغاً ، ومثلها أبو الطيب ماشية فوق الخاجم وعنها العطاريف الذين تمرسوا بصرب السيوف فكان أكرمهم صرست بها من قبل أن يخلقوا .

ولا ينبغي في باب المقارنة بين هاتين القصيدتين أن يكون تغاور الشعراء على المعاني ذاتها مثبتة لاحق بعد أسبق . إذ ليس بين هذه المعاني سبق ولحاق بعد أن طرقتها العرب المتقدمون متفرقة أو مجموعة . وليس على القطعتين من مياهم الجودة سوى العلو والإعراق الذي لم يعرفه الأوائل . فابن الرومي يعمى في العلو فيقول لو وقع على هذا الجيش مطر لتدحرج مازة عليه ولم يسك على الأرض ، تهويلاً لكثرة عدد الجيش وتلاحم المتقابلين وأبو الطيب يعال فيقول ناسبا إلى أبطال الجيش معرفة شفاف الرماح (كأنها أسطورة) فأكرمهم عرفت الطعن بالرماح قبل أن تنبت في أطراف المعاصم والسواعد .

فيما فرغت من المقارنة بين المعاني لدى الشعراء لم يبق لدى من الوجهة الفنية سوى المقارنة بين ادبياتين . فابن الرومي أتى ببعض الغريب مدهوعاً إليه ، لا راصباً ، لأن قافية فصيده تدفع الشعر إلى مثل ذلك الغريب . أما حمة شعره خامت — كدأه في فنه — صافية التركيب سلسلة من الركاكة والتزيد ، وكذلك قطعة أبو الطيب . وما كان لأبي الطيب وابن الرومي أن يعرض دباجتهما على انتقير إلا كل منتطح في الأدب ، متريد في اللعب على أبرعهم . ولا يستطيع النقد أن يعاقل بين القطعتين لأن لكل منهما طابعاً فنيًا ومظهرًا خاصًا يختلف عن الآخر وإن توافقا في بعض المعاني . وكفى أن يكون ابن الرومي بعيداً إذ كان يصف الجيش على وجه التصور والخيال ، ويصفه أبو الطيب على حال الحضور والمعاينة .

• • •

ووصف البحري الجيش ، وأبو عبادة كثير الخيال ولوع بذكر الطيور يؤثرها بكثير من شعره حتى كان يسمى (شاعر الأطياف) وحيان (علوة) الحلبية يسرى في أكثر قصائده ، فلا غب إذا وصف الجيش من صورته المنقوشة على (إيوان كرمي) .

لقد تمثل جيش كسرى في قصبه الإيوان حين شاهد صورة أظاكية على جداره ،
والظاهر أن كسرى لما رأى إياه ، أراد أن يسجل على جداره معاخره الحربية ومآثر
جودده ، فتصور له الرسامون صورة الجيش اعلمى وقد غزا أظاكية فأوقع بالروم .
ولاشك أن تلك الصورة التي شاهدهم البحترى على الإيوان كانت صورة ملحنة فارسية
رومية في (أظاكية) . وبذلك قال (ارتعت بين روم وفرنس) وكلمة ارتعت لا يستعملها
مثل البحترى إلا في معناها من الخوف والرهبة التي تغمر المرء وهو يرى الجيش الملتحم .
وإن جاز هذه الصورة في شاهدها البحترى على جدار الإيوان صورة ثاية تمثل
أوثق من في رحام الله كنه وقد رفعت الدنيا على رؤوس المقاتلين من الهول ، وكسرى
معمل قدسنة دفع الصفوف إثر الصفوف وهو تحت عنه الأكر (الدرفس) . فكسرى في
بيرة لمحنة ودم يسى بكاف في في البحترى (صاحب التلاوين والترويق) ولذلك فقد
أدرك البحترى جبهة هذه على تلك تصور الدرسية المنقوشة فمرصه في صدق فنه . فإذا كسرى
أنوشروان في بس أحضر فوق صفر ، وهو يحال ، وعينه حبه مصبوعة بأورس . وحين
هو البحترى إن هؤلاء الأبطال بعد كون بين يدي كسرى وهم صامتون حافتون لأنامة لهم
ولا جرس . يرجع إلى الصورة الجمدة التي على الحائط ، لكنه سرعان ما حركه بما أوتي من
صنعه في الحسد والتجسيم . فوصف أظاكية على أنهم (جد أجداء) يهوى أحدهم بالريح
وهدد الآخر بالريح ، ثم جرد من الخيال حدة ، فتصور الأبطال يتحاربون وهم خرم
وأعلم حركة وأحس الصوت ، ثم عاد إلى الشك بنظره وشعوره ، فجعل أرتيا به بحقيقتهم سيلا
إلى مدد به إلى لسهه يتم هم ، وعرف حالهم بين الخيال والحقيقة
لأنه يقوى في لسيبة البرعة .

فإذا ما رأيت صورة أظاكية	—	ارتعت بين روم وفرنس
والذي يا موائل وأنوشروان	—	جي صفوف تحت الدرفس
في أحضار من الدرس على	—	أصفر يحال في صبيعة ورس
وعراك الرجاء بين يديه	—	في حقوت مهم وإعص ص جرس
من مشيح يهوى بامل ربح	—	ومليح من السنان بترس
صف لعين أنهم جد أجداء	—	بيهم إشارة حرس
يعنى بهم الرتبة حتى	—	تفراهم يداي سس

ولم يكن البحترى في هذه القصيدة إلا ألعوبة بيد الفن ، حين رآه الإيوان طم قصيدته
فيه على البيان والخيال ، وجمع على الإيوان كنه من أنوابه إلى شرفه روحا منطلقة ، فإذا
الإيوان يحقق بكل ما كان فيه من وقوف في الرحام ورفود تحسرى وبيان وسط المقاصير .

وقد خرج البحترى من نطاق نفسه وحسه . لحظ وجوده في صورته وحيالاته . حتى
اشتبه عليه الأمر فتوهم أنه ينادم على الشراب كسرى وبطربه مغنيه (البهيد) فقال .
وتوهمت أن كسرى أرويز — معاطي — والبهيد أنسى
ولم يحل شعر لكثير من شعراء العصر العباسى من أن يكون لهم قول في وصف الجيش
حتى أن شاراهو الذى ليس عليه من حرج في أن يترك ذلك قد جرى في مصارع المبصرين
وكاد يسبقهم حين وصف جيشا حارب به عمر بن حبيزة يقول فيه :

وجيش كخض بل يزحف بالخصا	و. لشوك وأخطى حمر ثعلبه
عدوا له وشمس في حذر أمها	طالعنا والطلل لم يحمر دانه
صرب يدوي المذات من دق طعنه	وتدرك من حى القراء مشه
كن مذر النقع فوق رؤوسنا	وأسادنا بيل تهوى كوكبه

وقد مضى القول في قيمة هذا الشعر الحربى عند بشار . وترك بشار شعره . هذه نظرون
إلى فنه فيحبون تقليده ، كما فعل ابن المعتز . حين وصف الجيش فقال على غير بشار
وجيش كمثل الليل تسود شمسه
وكنى بشارا بلأما هذا البيت عسكرة كنية (برحمت) من فيها كل معاني عبته
والظاهر أن بعض الشعراء كانوا يتعمدون لشعر الحربى . وهم يسمون أن وصف الجيش
عنوان هذا الشعر عندهم . فوقع بعضهم تصنع تدهم وكلفة مديرة . الخسب . أن . كرا حيل
والسيف والرمح هي التي شرعوا في الخسب في الخسب كما فعل النشئ . حسن قال .

جيش يفوت الطن حتى لا يرى	ساعات من أظلامه محسرة
وكأنما جعل الإله رومي لأعلام	أعلاما له ونشودا
وترى وتسمع معه وحيد	قطر فله يوارقا ويرعدا

وليس وصف الجيش بكاف لمعرفة أمر حامي عند الشعراء . فإن في الكلام على شعر
الحرب عند كل واحد منهم مجالاً للنقد والتحليل . ومنذوجه بحكم وتدبير . وسنلا إلى معرفة
مهمه الخامس ، والحربى

الفصل الثاني

شعر الحرب الداخلية

١ - سيف القرامطة

تجوز المؤرخون في كلامهم على لعصر العباسي سموا من شن العصا على الدولة (خارجيا) .
هكان عندهم بركة العصاة . و شعبة الغلاة المناوئون وأصحاب النحل ومذاهب الإباحة
ودور المني . خوارج ومن هذا القبيل عدوا (القرامطة) رأس الخوارج . بل كان الخارجي
عندهم في أكثر ما يعنون هو (القرمطي)

وأراهم قد ذهبوا مذهباً غير عادي . فإن الخوارج الذين في عصر بني أمية وخاصة في صدر
ذلك العصر . كانوا رهراً مبشرين . وعباراً قاتنين . فصلاً عما كانوا يتحلون به من المروسة
الباهرة . وبطلوه الخرافة التي تقدم وصفها عند كلامي على شعر الحرب في الأدب الأموي
مع الشهامة والمروءة في أمر النساء والأعراض

لكن القرامطة — وقد تبعت آثارهم من منشيء أمرهم إلى ذهاب ريحهم — كان أصحابهم
الأول يدعو إلى إمام من أهل البيت النبوي (١) . ثم لم يلبث هو وأتباعه وأعقابهم أن صاروا
زنادقة منحدين ولصوصاً سفاكين . وهم وإن كانوا على شيء من الشجاعة والبأس . إلا أنهم
كانوا مثلاً سيئاً واحداً في أكثر مواضعهم التي حارهم فيها العباسيون . فليس إذن من
العدل في التاريخ . والإصاف في الوصف . أن يعد القرامطة وأمثالهم مثل الخوارج .
لم تكن للخوارج في عصر الأموي شعبدات وحيز ضخم وبيرحات يحادعون بها الناس .
ولم يكن لهم السيف اسماً واحداً والحرب معوفاً . ولكن القرامطة كانوا أصحاب تلك الحيل .
فقد روي أن واحداً من أوائهم وهو (هاشم بن حكيم) لقب (الثاني المقنع) لأنه كان يصنع

(١) الطبري ج ١١ ص ٢٢٧ .

أول القرامطة رجل من ناحية خوزستان نزل سواد السكونة . فظهرت الكوفة . فمادة . ومرس
خلقه رجل اسمه (كريمة) على ثور له وجاء به إلى بيته . فطلب عليه اسم صاحب ثور يسمى (قريب)
وكريمة . بعد لفظ آخر الميم . وكان صاحب ثور آخر الميم .

على وجهه قناعاً من الذهب ^(١) فرعم ابن القارح في رسالته لأبي العلاء ^(٢) أنه كان قد قصاراً أعور فصنع لنفسه وجهاً من الذهب وحوطت برب العزة .

وظهر من القرامطة (مقتنع) آخر في الرملة بفلسطين أيام المعتصم كنيته أبو حرب فوضع على وجهه القناع لتلا يعرف ، وكان أموياً فرعم لجمعه أنه السقيان المنتظر ، وابعه من القرويين والحراثين مائة ألف فأحاط به المعتصم وناجيه الحرب وأمره ^(٣)

والظاهر أن القرامطة كان رؤسائهم مولعين بستر الوجوه . وظهر منهم (مرقع) ثالث أيام سيف الدولة ، فالتفت عليه القبائل وافتتح مدائن بأطراف الشام . فهبط إليه سيف الدولة وحاربه وقتله ، وعاد إلى حلب ورأس القرمطي الملقب على ربحه ^(٤) .

قد كثر في وجه الذهب والفضة تشابه مطبوعة في حوادث لتاريخ الهرسي . فقد كان الداهية ريشيليو ، أرم أحد الأمراء ممن كان له الحق في العرش أن يمس على وجهه قناعاً من الذهب وأبده على وجهه إحماماً له . وحسنه في إحدى قلاع البحر صرغ له عن الملك حتى مات صرغاً وأبينا تاريخنا أن من انقراطة (زكرويه) ثم (الحسن) ابنه . وقد هبها في سواد الكوفة ثم في الشام ، وأن مهم (عيسى بن هاشم بن صدقة الكاتب) ظهر أيام المعتصم ، وأن منهم الصناديق التي ذكره ابن القارح وأبو العلاء في رسالتهما وإن مهم القرمطي الخطير (أبا سعيد الحناني) ، وقد ظهر بابجرين ، واستفحل أمره ، حتى هدم المدن وأحرقها وسبي النساء وقتل الأطفال والشيوخ ، وبلغ به الفتك أن وصل إلى مكة فقاتل ابن القارح ، له قتل فيما أوفوا واستملك من النساء والبنات من صافيهم النساء كثرة وأحد حجر المتكرم وطن أنه معنطيس القلوب ، وهب المحارب وجواهر الكعبة وقناديل حرماً ^(٥) وقد ملأ هذا القرمطي أوائل القرن الرابع الهجري بأهوال جرائمه ، وحاربه الخلقة المعتصم فلم يقو عليه ، ولا قدر عليه الخلفاء الذين جاءوا على أثره .

(١) في الطبري ٢٣٨/٩ . أن مروحه كان عمرو حراسان ، ثم قتله المهدي فأرسل عنه قائده سعيد الهرسي . وذكر الطبري أن سم الملقب (حكيم) . أما سيد أمير على نفسه (هشام بن حكيم) في كتابه (مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي) مصر سنة ١٩٣٨ م ص ١٩٩ .

(٢) رسائل البلاء ط ١٩١٣ م ص ١٩٨ .

(٣) تاريخ الطبري ج ١١ ص ٥٠ .

(٤) يتيمة الدهر للشمالي ط مصر سنة ١٩٣٤ ج ١ ص ١٨ .

(٥) صلة تاريخ الطبري لمربي بن سعيد القرمطي المطبعة الحسينية بمصر ص ٧٠ .

وقد أجمعت كتب الفرق والتحليل والأهواء أن هؤلاء القرامطة جميعا كانوا يستبيحون
الحرمات . وأنهم علاء لإباحة ، وهدمة الشرائع ، يشكرون الحياء ، ويقوضون المجتمع
والأسرة ، تنهيمهم التوضويرة الفاحشة ، وآرائهم التي تمت إلى المجوسية ، كما ذكر ذلك
ابن منصور ببغدادى^{١١} وقد عاصر أواخر حركاتهم .

٥٥٥

فإن هؤلاء القرامطة لم يمتدوا من الخوارج لآلئ الذين كانوا يقطعون نيل سجوداً ،
وإنهم حرروا لرفع كلفة الله

أما شعائر القرامطة في الحرب فمستة ، من رده وكان ينبغي لهم أن يتركوا لمن يبحث
عنهم شعراً في الحروب الكثيرة التي قاموا بها ، وقد كان الدم حلالاً لهم ، وإنى لأراهم
سفاحين . حتموا من نساك الله فلا شعيرة إلا إرفه ، ولدوا واحد من مذهب التعبد
بغنى المعصر ، من أمثال (فرويد) وأهل فلسفته ينبغي أن يعدوهم من فريق (الساديين
Sadistes)^{١٢} وهم المصاع بالشفة واجهة الفاحش واستباحة الأعراض والموغلون في
حب الدم ، طرقتهم أن يمشوا ويصروا ولا يتردد غلثم الجماعة إلا باراقة الدم ، وفي
الحرمات من كنه من مدد من هؤلاء القرامطة ، وفي علم النص الحديث بسطة لوصف
هذا الصرب من نيل من أوجب تشدد . ولست استعرب مرة وصل إيتنا من أشعار القرامطة ،
من رواه لم يحفظوها نحرها ، إنما هي بما تضمنت حصا على الإباحية وإتهاك الحرم وبث
الإلحاد . فحدث هذه النماذج من رواه كعاص أكثر الشعر الذي قبل في مثل ذلك ،
من هذا الشعر انقضى ما قامه كثير القرامطة أبو سعيد سليمان الجناني وقد كتبه للسليمان
من أبيهم واعتصم بهج^{١٣}

نحرمكم مني وحملي إلى محرم	وعما قليل سوف رأسك الحبر
إني طلع المريح في أرض من	وقاره النجاة والحذر الحذر
أنت أنا المدكور في لكتب كنها	أنت أنا المبعوث في سورة الزمر
سأنت أمي لأرض شه قارومع	في قبرواي لروم والترك والخزر

(١) الفرق بين فرق ط الماروف بمصر عن نسخة برلين سنة ١٣٢٨ ص ٢٧٢ .

(٢) منه ابن مكيث دو (ساد) وهو فرنسي مشهور في الأدب الشاذ الذي يصف المحرمات . وقد
كتب أدبه صورة عن منه في كتاب مومة بعث الدماء وخرج العشاء . وقد سجن من جراء جرائمه
وفي سجنه كتب أدبه الشاذ هذا . ولد دوساد في سنة ١٧٨٠ ومات سنة ١٨١٤ .

(٣) الفرق بين الفرق الصفحة السابقة .

ويعين من هذه الآيات التي تهدد بحسرتها ، ونحدر ثم تحذر ، وأنها امداد بحرب لا تنق ولا تدر ، أن القرامطة كانوا يؤمنون بـ " التنجيم " وبالرجعة ، وهي من المذاهب الباطنية ، وأن سليمان هذا كان يدعى أنه نبي مرسل وأنه مبعوث في سورة الزمر . وقد رجعت إلى السورة فتبينت أنه إنما أراد بها قوله تعالى : " ونشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء " وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . وقبل هذه الآية آية تشير إلى البعث وهي : " ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون " .

وإن القرامطة لم يتركوا شعرا حربيا يؤمنون به ، وإنما تركوا أخبارا طولا في جرائمهم الكثيرة ، وإن حرا للشعر الحربي ، وهو مناط الخمسة ومعرض المروءة ، وإليه سببه ، أن يحلو من فلك القرامطة ، ووصف نفهم ، ومراتعهم في المطالم والضلال

٢ — علوى البصرة

وتصور ابن الرومي لمذبحة الزنوج

ذكر المؤرخون أن يكون (علوى البصرة) علي بن محمد الذي تار أيام المعتصم على ته — منتهى السب إلى علي بن أبي طالب . فقد وصفوه بأنه كان مجيرا في إثبات اسمه الطالبي ولكن التاريخ حفظ لنا أنه كان علويا . فقلت فهو من العترة بسبب عضلة العباسيين للعلويين ، وأحدهم منهم حقه الأول في الخلافة .

وعملت لإطاعة الروح لهذا العلوى . وهبوه لندته ، عما كان يقضى العبيد من ظلم الرق وكانت ثورتهم في وجه سيادهم حقا من حقوقهم الإنسانية ، ومطلبها بدلا من مطالب الحياة . على نحو ما تار بعدهم غنائم السنين زيوج أمريكا في وجه سيادهم القديسين فقد علل المؤرخون العربيون أن قضية الرق في أمريكا كانت من أعظم الأسباب التي أدت إلى الحرب الأهلية بين أهل الجنوب وأهل الشمال في الولايات المتحدة . تلك الحرب المريرة التي لم تكن تغل في نكبتها وأهوالها عن الحرب الأهلية الإسلامية أيام علي ومعاوية . حتى كتب النصر لجيش الشمال ، مهدأت هذه الحرب . وكان من أعز ثمراتها تحرير العبيد ، وكسب من جراء تحريرهم أحد رؤساء أمريكا (أبراهام لنكولن) لقب (محرر الرقيق) وكان فيه الرق في أمريكا ساقا لها تخاسوها . ولها بضاعتها الإنسانية المزجة .

سكن ثوره العبيد في أمريكا . كانت لوجه الخربة خشب ، ولم تكن مقرونة بدعوة دينية أو مستغلة لغرض سياسي خاص .

أما ثورة الزنوج في البصرة ، فقد استغما (العلوي) ووجهها في غير ما ينبغي من حقوق الإنسان . إن العلوي عزم في أمره على الهوص في وجه العباسيين وجعل العبيد وسيلة لبلوغ أغراضه السياسية الخاصة . فقد صلب وحطب السودان وأهاجهم على قتب الحكومة ، مستهيناً بهمهم واستعبادهم ، فأطعمهم بالحربة ، وتمليكهم الأموال والمنابر ، وحلف لهم على نصرتهم (١) ، فثاروا ونواهاوا جموعاً على جموع حتى صاروا عدداً كثيراً لا قبل لأحد بحربه ، ومعهم كل شيء الحرب من سلاح ومال وحسن . وقد حارب ذلك المال والخيل إذ كانوا براوحن نصرة وأنصارها ويباعدونها بالمثوثة والنهاب ، قبل أن يفتكوا بها فتكنهم الكرى ، ثم مارا العلوي يؤرث به نار الثورة حتى قطع به لشرق ، وحتى دخل بهم على البصرة وأحرق الدور ، وأهبط ما كان فيها نأماً ، وأحرق أسواقها وكلائه . وكان قائده (أواليث) يحبس الروح على الفقه والمحرم بكلمة (كبر) حتى أفضى المدينة وقتل أهلها ، وهرب من فارمهم إلى الساكن والآباء المعاصدة .

وتحدثت . عونه الأولى من كات مصفة ، لحربه بزواج إلى سفك دماء ، وانتهاك محارم ، وهدم بلاد ، واستحلال نسوة مجرمات . وانتهاك أموال عمار لا يأت به الرأفة والمتوحشون . وانتهى به الأمر بعد هذا لإجرام إلى ادعاء شوه الرسالة ، فكان فرطياً طليعا . فأعمل العرم في حره (أبو أحمد الموفى أحو المعتمد على الله) بحربه أربع عشرة سنة (٢) حتى استطاع في آخرها أن يهزمه فيحر رأسه بعد شطيع أطرافه . ولم يستطع أهل البصرة عودة إليها . واستقراراً فيها ، حتى استراحوا من رريته (وحسر الروح فصبهم) لقي ناروا من أجلها ، ظلوا أرقاء .

وقد ذكر أبو العلاء المعري أمر العلوي في رسالته إلى ابن القارح فروي له أبا نانا فقال (٤) :
 ما أدفع أن تكون قبعت على لسانه .
 وكيف كان أمر هذه الآيات فقد أوصها البنا أبو العلاء وهي آيات حماسية ، صيد منها كنه هذا المذهب الذي همص به صاحب الرمح ، فهو يقول :

قتلت الناس إشفافاً على نسي كي تبقي
 وحزت المال بالسيف لكي أنعم لا أشقى

(١) ربح الطبري ج ١١ ص ١٧٧ .

(٢) الطبري ج ١١ ص ٢٢١ .

(٣) من سنة ٢٥٥ — ٢٧٠ هجرة (الطبري ١١/٣٢٦) .

(٤) رسالة الفرائد وقوف اليازجي ط مصر ١٩٠٣ ص ١٤٨ .

من أصر مشواى فلا يظلم إذن حنفا
فوا وبلى إذ قامت عند الله المني
أحدا في حوار الله أم في ناره ألقى

فستطيع أن تبين من هذه الآيات السهلة التي قبل في سورتها كثير من شعر المخارئين، أن العلوى ينبغي أن يكون قاعا في وائن ثورته، وقبل ادعائه النبوة واشتراعه نهب المان وسبي العرص، فيها ظلم وسير لسف قتل الناس، فهو قد قتل الناس من حووه الموت على نفسه لأنه إذا ترك قتل الناس قتلوه، وما أحسب هؤلاء لناس الدين عفاهم إلا العباسيين الذين قتلوا العلويين بالسيف وقتلهم محرمانهم حتى لحكومة والم، وثاروا عليهم بصنوف لعذاب والانتقام

ثم قرر ثورته بأنه قام بها ليحور المال بسيف، فكان له ذلك، لأن حقه في نعيم الحياة وبقاء العمر حملا على عمله، ثم روى نفسه الموت، فكان يرى حقه بين عبده، فمضج الناس إذا رأوا مشواه الأخير أن يعتبروا بأم ثورته، فلا يدعوا لحق حقوقهم، ثم يظهر في بيتيه الأخيرين خشوعا لله وخوفا من ربه، وعن ذلك كل منه على الحقيقة أول أمره، أو جداء للروح الذين هبوا معه

• • •

لست بسبل التاريخ، فأنسقي وحسب هذه المدحجة من وجهة التاريخ والسياسة، وإنما أما بسبل شعر الحرب، وقد نحت هذه الثمينة صور من صورة الشعر، إن صر تفسيرها التاريخ، فإن على الفن والأدب أن يعرف ما قدرها، وهي قصيدة من صنع ابن الرومي انتهى كان أكثر الشعراء العباسيين طول نفس وإدما بوحدة موضوع، واستقصاء للكلام في الوصف، فهو الشاعر الملقب الذي سجل هذه الثورة لئلا تحجب في أمره بقصيدة طرفة يكتفي أن ندرس حابيا منها شئيب موضوعه من شعر الحرب في عصر بني العباس لأنه شعر بصور ثورة حربية لا يشهد قيم العرب مثلها في حروبهم الأهلية كلها.

بدأ ابن الرومي ملحمة عن مدحجة البصرة بوصف أهلها الآمنين فصور كيف بنتم العيد السيوف ولم يكن لديه أصدق في تشبيه العيد من ذلك التشبيه الذي اصطاح عليه كل من راعم وهو أهم (قطع الليل) ثم بيت واحد أعطى صورة الحريق الأكر فقال:

بنما أهلها بأحسن حال إذ رماهم عييدهم باصطلام
دحلوها كأنهم قطع الليل إذا راح مد لهم الطلام
إذ رموهم بنارهم عن يمين وشمال وخلقهم وأمام

وقد أفادنا الرومي بتاريخ طاب المؤرخين لم يدكروا أن هؤلاء العبيد الذين ثاروا كانوا عبيد أهل البصرة وخدامهم^(١) فصر ذلك أن الرومي فكان قوله (عبيدهم) مؤكدا ما ذهب إليه من أن هؤلاء "العبيد" إنما ثاروا على سيادتهم من ضل الجور والاستعباد . ثم دخل أن الرومي إلى مرحلة ثانية من قصيدته يصف أفعال الزوج التي اجتروحها لقد صور اثنين هربوا للنجاة كيف سبهم لروح على وجوههم ، سيوف وكيف كان الأب يرى مقتل أمه لعدو ، وصيغ التي صريره وهو على ثدي أمه ، والفتيات العذرى اللواتي سوهن فكانت وجوههم وأقدامهن مغطاة بالدماء ، ثم كيف انقسم الزوج بينهم بقسمة أسهم ، صرر إمام بعد أن كن يمسكن الإمام ، والخدام وكل هذا لم يدكره المؤرخون بالتفصيل فعلى أن الرومي مفصلا .

كنا صنيث نفعه رام منجى	فتنقوا جبينه الحسام
كنا قد رأى عسر ربه	وهو يثملى صارم صمصام
كنا صمغ هفت قد قصعوه	ثبنا السيف قين حين القطام
كنا فناء مصوبة قد سبوه	داروا وجهها غير شمام
من ناهى في المساق سبابا	دانت الوجوه كالأقدام
من رعى في القوسم وصم ربح	عسى بينهم ناسهم
من رعى يثخنس إمام	مد ملك الإمام والخدام

وهي صور تهويلية مثيرة متاعمة ، يرجحها أن الرومي يد وهب من براعة في فن التصوير الشعري ، وكأنه يريد بها أن يستل الرحمة من قلوب من يعطف على فتنة الزوج لمطالبتهم بالحرية ، وما أحس أولئك الروح قد انحسروا النسوة البيض لم إمام ، إلا ثارا للعبودية وإنتقاما

ثم جعل أن الرومي المرحلة الأخيرة من قصيدته وصفا لتدمير قصور أبصره وتحريق ركامها ، وطراح الفس ، الأشلاء في ساحاتها وجعل أواصرها حصا للأقوم الكرام على محاربة العبيد انعدام واشترط عليهم العاث ، فإن قعدوا عن حرب العلوى صاحب الزنج ، فإنهم شركاؤه في دعة وفي الأثام فعل .

بدلت تلكم القصور نلالا من رماد ومن تراب ركام

(١) بروي من المؤرخين أن هؤلاء عبيد كانوا يكدون — ح في شهر البصرة إكهم لا يندحجون في هذه بروي . ثم يدكروا هذه هؤلاء عبيد سيدهم ، وم يمرصوا الفكرة لحرة التي قامت في رؤوس عبيد .

سلط البثق والحريق عليها فتداعت أركانها بانهدام
وخلت من حلولها فهي فعر لا ترى العين بين تلك الأكام،
غير أبد وأرجل، نسات بدت بين أفلاق هاء

• • •

إمروا أمسا الكرام حفا ونهلا إلى العييد الطعام
إن قعدتم عن (اللعين) فأنتم شركاء (المعين) في الآثام

ويظهر من بيت (إمروا حفا) أن ابن الرومي نظم هذه قصيدته و (الحرب) المرحبة قائمه بعد خراب البصرة). وقد ذكر غير ابن الرومي هذا الحدث الجلل لك أحداً من الشعراء لم يحسن تصويره ووقف الشعر عليه، كما أحسن ابن الرومي ووقف. وعلى التثيل أذكر المحترى فإنه مدح أبا أحمد الموفق وذكر علوى البصرة، ولكنه أصاع شعره في المدح والاحتفال على معاني الثناء، تاركاً باب الموضوع وهو وصف حرب العلوى ومدحها (الريح) (١)

وكفى باسم الرومي أن يروح نياها بهذا الوصف، وقد قعد عنه البحتري، وتاريخ الأدب الأدب العربي معروف، ما كالم بين الشاعرين من التهاجي والتحاسد من أجل الشعر

الفصل الثالث

شعر الحرب الخارجية في الشرق والغرب

١ - فترة بابل القرمي

ليس الأدب أن يعنى في السياسة ، فيحسبه أن يعرض لحوادث والعنى التي تثار شعرا حماسيا ذات أثر في -- وهو ما يتصل بموضوع هذه الرسالة -- فإذا استطعت أن أتقرب بالدراسة وتحليل هذه القصائد والمنقصات من شعر الحرب والحماسة ، التي قامها زعما اشعر احسن في عصر بني أمية أو تمام وسحزنى فقد سمعت هذه لمبة الغنية في أدب العصر العباسي التي قصدت اليها .

وإذا كان أبو تمام وسحزنى هما أميري هذا الفن في العصر العباسي الأول ففي دراسة أشعارهما حماسية كفاء لتدنان موضوعات شعر الحرب في رمنهما ، لأن في قصيد هذين الجبارين أصدق مرآة لنجباء لشاعريه ، وأندع صورة لنجاسة العرباء والبطولة والفرسية التي تولى بهما أبو الطيب المتنبي الزعامة فيها

وأظهر مداسم الحرب في شعرائه تمام قد ألمه في الحروب التي وقعت زمنه في شرق العراق ، في غربه .

فما حروب الشرق فكانت فترة . كراهي حرب الآفسين فانه المعتصم ببابك الذي خلع لطاعة ، واعتصم بمجموعة في أرض (بند) وإقليم أذربيجان فقاتله الآفسين وإليه ليهمني عند الكلام على شعر الحرب في هذا العصر أن أدل على ما كان للعنصر التركي من الخطر في جسم لدولة العباسية بعد العنصر الفارسي الذي اتلى به العرب ومن بني أمية وصدر اندولة العباسية ، فعددت حياتهم سياسية متوطة بأيدي قوادهم الخطرين كالآفسين . وإيماح ، وبها ووصيف ، وسواهم من الترك . وكان ذلك دوت خلفتهم . فقد استعان المنصور والمأمون بالخراسانية ، واستعان بعدهما المعتصم بالترك . فقويت شوكة هؤلاء القواد الغرباء ، عن العربية ، وصار الأمر إلى أيديهم ، حتى بات الخليفة حاكما باسمه بحسب ومن ههنا بدأ انهيار لعهد العباسي من الوجهة السياسية .

وكان ياتك الخرمي كغيره من ميسوا يبدؤون ثورتهم (دعوة روحية) فقد تحرك بالثورة ضد عهد المأمون (١) فكان من أنجب (جالوس) من سهل صاحب أرض (البلد) فادعى أن روح جنودان دحت فيه ، وأُعيد ضرب في تلك لأصقاع تابعيه والعباد ويهلك الحرث والنسل حتى أصاب أهل حراسان والري وأصبحت محاعة . فتأخروا على الطعام يدفعون عن أنفسهم الموت ، وطل ياتك يؤلب اجموع بني عباسيين وفيهم انترك والعرس ، وفيهم من يقم على بني العباس وقد غنصم قطعة الجبال حتى أقص مضاجع العباسيين وأغرم أمرهم رهاء ربع قرن (٢) . وهي فسحة من زمر تسمى أن تنب دولة في لقاء عدوها مهما تكن مصابرة وجده قوية .

وهو خير أمر ياتك ده . المأمون . بعد أن عجز عن حرب قنده صدقة بن علي المعروف برقيق . وبعد أن أمر ياتك أصحابه بصدقة ، الذين كان يوجههم إلى حربه واحداً بعد واحد ومات المأمون وهو عاجز عن ياتك (٣) .

وأعطى عجزه عن استسكات (فتنة الشرق) بما كان احدا نفسه من (حروب العرب) من حروبه المتوالية نروم جعلته يحترق في (جهتين) على مضطجع عصر ما . فشنت قوته وتوزعت هذه الساحات الحربية جنوده ، فعجز في جميعها

ولما صارت الخلافة بعد المأمون إلى المعتصم تبصر فرأى أنه يحاط من جانيه أنه أحيط به أخوه المأمون من (فتنة الشرق) و (حرب الغرب) .

وأراه قد ثقف السياسة الحربية فم تعرض لما عرض له أخوه من الهوى للحرب عدويه في آل واحد . فألقى لروم ، وجمع حربه معهم منوشه وحدا ، لامنطرة وتحاما ، حتى استطاع أن يأخذ ياتك أخذة واحدا . خده به . لا تشي معلون العنق . مصمود ليدس ، مكسور الشوكه ، مفلول الجمع

وإن تسلل المؤرخون وصف معارك الأفشين ، طاووس . كشع عن بطولة ياتك . فقد سار على عرارهم الشعراء فوصفوا الأفشين سيد الحرب . ياتك دها ومهجه قد هموا مثل ذلك مع الأفشين فوصفوه . شذاله . ولجن حين حمله المعتصم . لجمعه طاعة . ومكائنه

(١) تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٢٤٤ .

(٢) كانت فتنة ياتك الحربي سنة ٢٠٢ ومقتله سنة ٢٢٤ للهجرة .

(٣) قال أبو المحاسن صاحب النجوم الزاهرة (ج ٢ ص ٢٢٣ ط دار الكتب المصرية)

« إن ياتك أمد مدنا كثيرة في مدة عيانه » وأخرت عدة حصون وأبد العالم وغرت الخلفاء والملك عنه لقراره ، وطالت أيامه نحو العشرين سنة أو أكثر .

و للمادبار ، نأثر العجم وقوله به (١) ، ومعنى العرسسان وأهل النخدة وأبأس هي وجعت
إليه لم ين أحد يجارث إلا العرب والفقارة ويعود الذين إلى ما كان عليه أيام العجم ،
وليس بعشنا أن يكون الأفشين تارة في ربي التاريخ بطلا ، وتارة بذلا ، وإلما الذي
يهتم أن ، ي إلى صورته في إطار الحامة العباسية على لسان الشعر ، ومن أجدر من أن تمام
حيث بن أوس الصافي ، أن يصف لنا حرب الأفشين بملك ، وكان منها مكثبا ، وبها عليا ،
وعند الحبيبة أثيرا

لأن تم شعر كثير في هذه الفنته ، ولكن أحسنه لوصف وأوعاه ليس ، هو قصيدته
الكبرى (٢) ، فيها اعتصم بعد صلبه ملك في سامرا

• • •

إن الأفشين يعود من حربه فوجهه إليه المعتصم أحاد هرون يستفاه بالزحاح ثم يبرله
قصره في (الخطيرة) ويجمع عليه ما أنقله لدهب والجوهر ، ويعني أهله وأعوانه ثم يتوجه (٣)
ويلبسه وشاحين الجوهر وصله ثملبون درهم ، ثم يعقد له على السند ، ويدخل الشعراء
عليه بمدحونه

ولعل شاعرنا أبا تمام كان خير هؤلاء الشعراء لما وصفته الكندي هذه فيصورها
أبو تمام ، أول الأمر ، خوف الناس من بملك وسياره امروص الاجتماعي ، إذ عدا لصعيف
على القوى ، وعجز الأبطال عن حرب هذا الفاتك فقال (٤) :

خوف العزيز به الذليل وغودرت تبعات نحمد سجدا للضال (٤)
قد أترعت منه الجوايح رمنة ظلت لديها سورة الأبطال

وكانت ، أرسق ، مكا جرت فيه الوفة الأخيرة بين الأفشين وبملك ، فمن أبو تمام
أرسق ديوما ، سيرا على عرار العرب في تسمية الوقائع ، وكان يكتر منه ذلك في شعره
الخرى ، فوصف في هذا اليوم المسدين كيف ساروا إلى حرب عديم وهم رجال في جسومهم
أسود في قلوبهم .

(١) طبرى ١٠/٢٦٦ .

(٢) الطبرى ١٠/٢٢٤ .

(٣) ديوانه الطبعة الوضعية بمصر سنة ١٢٩٢ هـ من ١٣٠ .

(٤) لسع شعر صلب كان العرب يتعدون منه القمى والصاله شعر طرى لين وهو تعبير بلاغى
أراه به شاعر تمكيد المعنى السابق في حوض الرقيد للوصف والمعنى للصعيف ، وذكر لشاعر كلمة
نجد على التمثيل لأن حال والدمع من بياض نجد .

فطلع إليهم بانيك وعينهم فارناح ولاد ، همرار ، واتخذ حذع الحرب فلهقوه في البلاد
التي اعتصم بها بعد فراره ، فقال الطائي :

يا د يوم أرشق ، كنت رشق منية نحرمة صائب الآجاء
أسرى شو الإسلام فيه وأدجلوا قنوب أسدي صدور رجال
لم رآهم ، بك دور المي هجر العواية مد طول صبا
تخذ همرار أح وانس أنه صرى عزم من أني ستمال (١)

ثم صدمته الجنود بعد عشر نعت وطول جهد فروخته امارس وعليها حيز السلاح في
هضبة (أبرشتوم ودرور) فكان ذلك أني ارمال سوم المنبر وكانت الواقعة (بيانا) فصر
عليها المسجون حتى كذبوا المعركة وقد حدد أو نهم رمن المعركة بأنه كان ليلائم طول
النهار حتى الروان وعين يوم اللقد فكان احسن . وكل ذلك زيادة منه في حذوه الوصف
والإحاطة بالصورة ، ثم أعده مساعدة في نشر الحوادث التاريخ ، ودللا على تحديدها .

ثم يجعل أبو تمام ملائكة السماء تحارب مع المسلمين . وقد امتاز شعر الإسلام بهذه المعاني
الدينية يدعم بها الشعراء إيمان الجنود

ويروع من أبي تمام وصفه سكنت الأفشير ، وقد أحدثهم جموع بانيك فتحتم بحوا
سبوق الرقاق وعصفت عليهم الراح ، قطاقتهم كأنها الرياح

وقد كان أبو تمام كريما مع الفتيان الذين حارب بهم بانيك فوصفهم بأسمهم وإن كانوا كلاما
لأسم حاربو مع بانيك ، لكنهم ماتوا موت الأسود ، وفي فوه هذا أثر من أثر المصانعة
في اشعر الحربي مما ورثه شعر أمسيين عن شعر الأمويين لكنه كان قبل الخط في تعبير
الحوادث السياسية في العصر العباسي

وقد أنصف أبو تمام أبطال بانيك ، فوصف بأسمهم وفروسيهم كما كان يحرق عليه شعراء
العصر الأموي في التمدح ببطولة أعدائهم .

فقال الطائي في بقية ذلك عن بانيك

مهابت روع روعة هوارس في الحرب لا كشف ولا عزم
يوم أصاء به الزمان وفنحت به لاسنه رهرة الام

(١) صرى يوزن جنى . وصرى عزم أي است عزم وأبو سمائل . أرمال شرد له غير فعال
يحاطب الله هائن لم تردعها على لأعدائهم وأصا بها وقد يعق رومهم بعوسجه قال : هجر رمن أسما مي
صرى أي عريضة قاطعة وعين لارمة (للسان) يجرى . معنى لسان إن بانيك قد فرأ أقسم به لا يلوى .
وكان قسمه في العريضة والتأكيد كقسم أي صبر .

وسروا بقارعة (اليات) فمزحوا قرح لاصف ولا محتال
 نلت ملائكة السماء عليهم لما تداعى المستسلمون نزال
 م يحسن شخص فيه حتى رى وقت الزوال فيهم يروا
 هيد نعيم دارس الأهل بعد الردى أكل من الأكل
 أوت به (يوم الحبس) كئيب أرسنه مثلا من الأمثال
 ك صادم غضب الف على من منهم لأعساء الوعى محال
 سبق لمثيب إليه حتى أزه وض نسي من مفرق وفقد
 قامى حياه بلك إلا أنه قد مات صدا مبتة الرئبال
 وول أن صور نو تمام حائمة الك أرح من أسره ومفتته ما بين رمضان وشوال
 وجعل الشعر طبع معارس الرماح فقص

إن الرماح إذا عرس عشيد فحنا العولى في ذراه معال
 لم ففى رمضان فيه قصاده شالت به الأيام في شوال
 ثم وضعه معلولا منصوبا على (الحبس) بظاف به للتحقير ، ثم صورده مصلوبا

٢ مملوك الطوسي

لما شد الطوق أبادى نفعي نائبة نى مدحه ما حذار إعماه ، واحلب به بمعاها
 قال أبو دلف

ادفعوا لاني تمام حسين ألف درهم ثم قل به : ما مثل هذا القول إلا مارئيت به
 محمد بن محمد بطوسي بالرائفة ، وددت والله أنها كفى . فعلى الشاعر
 ولى أقدى الأمير شمس وأهلى وأكون المقدم قبله ، فقال له الأمير : وأنشدنى القصيدة ،
 له لم يمت من رضى عش هذا شعر (١)

وبت شعري لو رد محمد بن حميد الطوسي الى الدنيا ، وقرأ ما قبله أو تمام في وصف بطولته
 وذكر حربه لأك عنى قبر شاعره في الموصل قبل بدمعه ثراه ولود لو كان له مقول لاطأى
 بدبل سيمه ورمحه فبحس له "شكر" مد ل أحسن به اعتر ، وبعد قبلا ما فعل ابنه

(أبو نيشل) من بعده حين بنى على أطراف قبته على باب الميدان في الموصل^(١) إكراما له لثأته أباه .

أما الرائية التي تمناها أودلف أن تكون قد قبلت فيه فقد كثر بها من نشر ديوان أبي تمام فقالوا إنها رثاؤه (لمحمد) ، وقحطه . وأن نصر بن حميد الطوسي^(٢) وكثيره كانوا يريدون أن يخللوا بأردية الخلود في الطوسي الاتصال المناجيد الذي اشتركوا في حروبهم ، فكان منهم من عرف في حرب بابل ، ومن في حروب الروم ، وكان من نصب (محمد بن حميد) أن يقتله . إنك الخرمي^(٣) ولولا أن في القصيدة ذكر محمد وحده لعدتها قصيدة قلت في الجندي المجهول الذي قتل في سهوب حراسن ، تناع شرفها الوفاء من الأبطال الشهداء . فلتبها إذن روح محمد ، وتقر عيننا في محشرها عند الشهداء . فإن أن تمام حلق عليها حلة لا تبلى :

إن محمدا هذا الفتى ، مات في حرب جبارة . ومعه فيه فيها أن يكون منصورا فقهرته السيوف وهي نقطه ، والرمح وهي طعنه . لكنه مات ميتة الأبطال ، منصورا في رحام قهره ، وفوات نصره . وما مات محمد حتى تكسر سيفه بيده ، وأحاطت به الفناقات شريفا . وإنه لبين شدي الموت فيبصر بمنحاة وهرار ، لكن عقله يرجره عهما ، ويرده إلى الحرب وإلى الموت ، وذلك هو الحماط المر والحلق الوعر ، اللذان ركبا فيه . وإن نفسه لأية ، من شأنها أنها تعاف له يوم المعركة . وترى الإقدام إيمانها ، والفرار الذي هو أعار كفرا .
لماذا فعل محمد بن حميد وهو في شدي الردي ؟

إنه صرب رجله الثرى فانتبه في مستنقع الموت ، ولم يحزح عنه . وكان رجله تكلمت وحاورته فقالت : علام وقفتني في حومة الوعى ومبرك الجراح ، فقل لها : دمر تحت أخمصك الحشر .

وكيف يكون من تحت أخمصها الحشر ؟

إن مستنقع الموت هو الجثث التي تكدست حتى يقعها تراها في حمأة من الدم ، فهناك أثبت المغوار قدمه لبسلك ذلك السيل فيرتد في أطباق الثرى بين جثث قتل هو أصحها ، وترم عظامه ، وتجول الأدهار . فنبت يوم الحشر من مكان قدمه .

(١) هذه الأيام مما يتماق بأبي تمام البديعي ط . مطبعة العلوم بمصر سنة ١٩٣٤ م . ص ٤٩ .
وقد أدلت حكومة عراق في زمانا حديثة في الوصول حول قبره صدى وحملته في صرخ حيل مثل شعره .

(٢) ديوانه ط بيروت ١٨٨٩ م . ص ٣٢٩ وط مصر ١٢٩٦ م . ص ٢١٤ .

(٣) تاريخ الطبري ، حوادث سنة (٢٢٣) ج ١٠ ص ٣٣٣ .

وعجى للطائي أكان يريد أن يقول إن محمدا دفن وهو طفل يبعث في لأمته ومماضته ، عليه
سلاحه ويده حسامه فيعيد الحرب جعدة كما كانت . (فيكون الطائي أشعر الناس في احسانه) ؟
وملك الطائي سحر لصور ، وفن لالوان . فأرانا محمدا سقط مضرجا بدمه في ساحة
المعركة ، وحاء عليه الليل فأحيا ثياب موته آخر التي يلبسها الأبطال سكان ادسا ، إلى ثياب
زاهية خضر من سندس وهي لباس الشهداء في أهل الخلود

فبالله عبه من صن در تغدر بخيله وحربه ، فسلبته الخيل بعد أن كان يحميا ، وأحرقته
بأر الحرب وكان يصلها .

وإن السوف لبص ، وكانت رمنه نزه ، صدرت بعده مبنورة حرما عليه !

• • •

ففي مات بين الضرب والظعن ميتة	تقوم مقام النصر إن فاته النصر
وما مات حتى مات مضرب سيفه	من الضرب واعتلت عليه القنا السم
وقد كان فوت الموت سهلا فرد	إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنما	هو الكفريوم الروح أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله	وقال لها من تحت أنصحك الحشر
تردى ثياب الموت حرما فما دجا	لها الليل إلا وهي من سندس خضر
ففي سلبته الخيل وهو حي لها	وبرته بأر الحرب وهو لها حر
وقد كانت اليض المآثر في الوغى	بوتر فهي الآن من بعده بتر

لقد حق لأني دلف أن ينمى لو قبل هذا الشعر احماسي الرائع فيه ، فحسد عليه وهو حي ،
صاحبه وهو ميت . وكان أبو دلف عظيم فواد ومدره حرب ، في رمن المأمون والمقتصم (١)
فما ناهيه مديح يقول الطائي مثله كل يوم في عبره . فقد مدحه بكرم الوفاة وطيب الأصل
وأطال يوم فسيما مثله عي . إن أأدلف كان يريد أن يحده نصافي بذكر حروبه وشجاعته
وإقدامه ونسبه ، وهو الذي طعن في حرب من حروبه فارسا فأبعد لطفنة إلى فارس آخر
من ورثه

هذه هي امآثر التي كانت أشي لروح أبي دلف لو لحظ الطائي وفهم ، وأحسب أن الحياة
عاب أبو دلف عن التصريح ، وشغل عطاؤه بأتمام عن معاني التليج .

يخصه ، فاسيليف ، فاجعة ، رطيرة ، ^(١) مستعينا بمؤرخي العرب كالطبري وابن الأثير ^(٢) ، لكنه يذكر أمورا فيه ، زيادة حظرة قد استقاهها من المصادر البيزنطية ، فقد روى أن تموفيل امراة روم — وكان القائد الأعلى للجيش البيزنطي — جهز جيشا في سنة ٨٢٧ ميلاد من مائة ألف مقاتل فيهم سحر وروس ، وفيهم فارس أبج ، ملك الخرمي ، ثاء هذا الجيش إلى رطيرة ، وكانت زبطرة على الخط الذي يفصل بين الامبراطوريتين العربية والخرطية ، على مقربة من سدة ، الحدث ، وكان في المسجون ففتحها بيوفيل وأهلك أهلها وسبها ، ثم أحرقها و سرق نساءها وصبيانها فساقمهم إلى القسطنطينية ، وكان في جيشه جماعة من الأكاذم فتكوا فكادريعا بالمسلمين ، وكان اسم قائدهم نصرأ ، ^(٣) وأنه لما قفل بيوفيل منسمة إلى بلاده ، حرب من رطيرة جمع من المحرقة دورم والمسلوبين ، وساروا حتى دعوا قصر الخليفة المعتصم في سامرا ، فسا بق الخليفة الحار قمر إلى طهر جواده ، وأعطى الأمر بالشفقة من ساءه

وتواريح على شبيه ذلك من الوصف ، إلا أنها ردت في هذه الحادثة فتذكر امرأة عربية من أهل رطيرة صاحبة وهي أسيرة في أيدي الروم ^(٤)

— والمعتصم !

فما بلغ المعتصم استعانتها وهو جالس على سريره صرخ .

— ليتك لبيتك .

وصاح في قصره ، النعير النعير ، ثم رك دانته وسقط حنقه شكلا وحدا وحقيقة فيها راده ، ثم عب "عسكر وجمعهم في دار العامة ، وأحضر قاضي بغداد وثلاثمائة وثمانية وعشرين رجلا من "عدو ، فشهدهم على موقف من الصياح ، وما يح أن يصير بعده من أمر الخلافة ، وهذا دليل على صدق إعائته ، ووثيقته الخالصة لنصرة العرب والمسلمين وقد حذف حيالي هذه المأة التي صاحت في أرجاء رطيرة وهي تساق مع السبايا والرجال

(١) Sozopetra .

(٢) تاريخ الطبري الطبعة الأوربية ص ٢ من ١٢٣٤ . السكامل لاس الأثير الطبعة الأهرية

سنة ١٣٠١ ح ٦ ص ١٩٥ .

(٣) يتبع فاسيليف وشارحوه إلى أن اسم (نصر) هنا قد اختلف به وقد كان العرب الذين معه يتنادونه برئيس أو رئيس وهو théophobe بالروية وان اسمه في العربية مدروجة بالأرمية (نرس) . هانص ص ١٢٨ رقم ٣ من كتاب Byzance et les Arabes وفي هذا إيضاح لثمة في شخصه في "عسكرها في تحت عامل .

(٤) تاريخ أبي الفداء المؤيد الطبعة الأولى الحبيقة بمصر ج ٢ ص ٢٣ .

المصعودين ، في صف طويل نحو بلاد الروم ، يحرسه فرسان بيرطيون شداد جلال ، وبأيديهم
السياط ، بحثت عنها فرأى أجد شفاء لعليل ، فان اسمها عند ياقوت بمعجم الجبل (١) (شراة لعلوبه)
وهي عند أنى العهد في تاريخه وعند أنى الآثار في الكامل وامراه هاشمية . ولم يأت لها
فاسيليف وسواء عن رأيت تاريخهم للمعارك العربية رومية .

° °

وشاء المؤرخون اسيرطيون — كما يقول فاسيليف — أن يصبعوا ثور المعتصم حين
فتح عمورية (صبغه شخصية) صبغة انتصافية لنفسه لا لتعريف ولا للإسلام فرغموا أن
زطرة لد المعتصم إلى ولد فيها . وأنه فوض مدينة عمورية لأهلها كانت ذرة الاناطورية الروم
وبيت كرسيم ، وحى طارقهم ، ولأن الأسره العمورية لبيرطية التي حكمت قسطنطينية
وكان منها ميخائيل الثاني وتوفى بميخائيل الثالث ، ولدت في عمورية مثا ولد المعتصم
في زطرة .

وفات فاسيليف أن بدعم رده على المؤرخين اسيرطيين محدثة المرأة هاشمية ، ودن
المعتصم داهية الساسة كان يثبأ للفنك بالروم منذ استراح من بابك ، كما أسلمت الإشارة
إلى ذلك ، فقد سأل بعد ظفره ببابك (٢) ، أي بلاد الروم أمتع وأحسن ، فقيل عمورية :
بعض لها أحد من المسلمين منذ كان لإسلام وهي عين انصراسة ونسكها (٣) ، وهي أشرف
عندهم من القسطنطينية .

° °

عرف المعتصم التدريب تحفته في أسبسه وفي الحرب فخر جيشه وأحسن تهيئته ، وكان
معه أقوى قواده وأروعهم وكان معه : الأفشين ، سنا ، أشناس ، عمر المرعني ، أحمد بن
خليل بن هشام ، عبد الوهاب بن علي ، عجيف بن عتسه ، جعفر بن دينار ، عبدالله بن
الحياط ، وصيف ، محمد كوتاه .

وقد قسم جيشه كراديس على كل فريق و حد من هؤلاء القواد ، وجهزم بالاثقال والزاد
والسلاح ، وجعل نفسه على فريق ، وسير بين يديه الطلائع ، وكانت خطته الحربية أن يهزم

(١) مادة عمورية

(٢) تاريخ الطبري ١٠/٣٣٥ .

(٣) بنسكها أي أصلها .

(أنقره) قبل (حصار عمورية) إداكات عمورية في هرة الأناضول ، وأنقره في شمالها إلى الشرق . بثانة حصن لها ومسحاً

ولولا أن حق الكلام لآني تمام في وصف حصار عمورية وفتحها ، لأرسلت الوصف على أسوار عمورية وأبراجها ، قصورت كيف . كما المعتصم . كتابه وجوشه ، وكيف ذل به كبير قواده ، البطريق ياحس ، وكيف أخـ عنها أمير المؤمنين بالمجانبق والعرادات والجلال والكرامات ^{١١} حتى ذك حصونها وثـ بروجها وأحسن المأديب والاشقام من الروم ، ثم عاد إلى سمر ، عود سقفة الأعظم وفتح المنصور .

ولست أفسح لمحمد لآني تمام في وصف فتح عمورية في أن ذكر أسرى الروم وما حدث في حصار (تمام بكرة كنف عرب أينة ، وروى ذكرته كنف ليربطين ومنه فاسيليف) وقد دام حصار المسيين لعمورية خمسة عشر يوماً ^(٢) في شهر أسيطة ٨٣٨ بلبلاذ ^(٣) ويقول فاسيليف ^(٤) كان يدافع عن عمورية (حميون فائـ برطيا) قتل أكثرهم منهم

ياحس Aethius

أنبط بن سويل Théophile

الحصى القائد نيودور المعروف بالقوى Téodore

(١) Beliers وهي آلات من حشب نحس رأسها رأس حروف كان يستعملها العرب والروم ذلك الحصول بمحملها أفواج أثر أفواج ، فيتأخرون بها عن السور حتى يفتحهم بجوار رحل واحد راكبين وقد سدودها إلى حجارة في صدر سور فلا روى كذلك يحون بالفتح وبالصدم حتى يدعى سور ويشتري ، ولدهـب سعمها بهـب في حد الحصار ووصفها طبرى (ج ١٠ ص ٣٤٠) قال : « وعن المصنف دهب كرسح كل دهب عشرة رحل وأحكمهم على أن يخرجها على حدود المملوك » ، حتى غلب بها الخندق ، وأصغر من وصف طبرى أن لدهـب حصون معلقة سيارة وهو وصف بطى مصصح عصره في دهب حروفه بحالة tanki .

(٢) يقول الطبرى (ج ١٠ ص ٣٤٠) وعمره من مؤرخى العرب بن السيم قال دهب وأخته على عمورية عند . وحمى يوم وذلك في مصرى ، ٣٢٣ للهجرة (وهـ ذكرها أيام الحصار) .

(٣) في مصادر سريته في كتبه . ميثاق سورى Michel le Syrien ويؤرخ الروى جينسيوس Gènesius فيما روى فاسيليف ولم يروه أحد من العرب : أن رجلاً من روم رده آخر يسمى مابفوقاغوس المسم Manikophagos تليد (إيون) الفيسوف قد شك رسـه في سيم وأرسله إلى عسكر المصم ، فوجد المصم هذه الرسـه أن حصو سور من صورة سور عبرى اسحوت على وجه من وجوهه ومن جهة الأسد الرخامى ، فقلوا ذلك فداعى السور . (هاشم ص ١٤٩ من كتاب فاسيليف Byzance et les Arabes .

(٤) ص ١٧١ من كتابه السابق .

القائد قسطنطين Constantin

القائد بازوئيس Basos

الرئيس كاليستوس ميليسينوس Kallistos Mellissenos

وأن الذين قتلوا من الروم بلغوا سبعين ألفاً وأن الكتاب البيزنطي المسمى ، حياة
القديس أغورس Agaurus وكتاب ، سقستان ، المسمى الصلح الثاني والسنتين لشهداء عمورية ،
يذكر أن أهوالاً مما لقي الروم في عمورية (١) ، وما دأى أمرهم من عذاب وتشكيل ، وأن
القائد اليوناني ديجينيس أكرينس Digenis Akris نظم شعراً يذكر فيها مصرع نُقِرَ
على أيدي العرب ويذكر مكة عمورية

• • •

والآن فلادع شاعر الحروب الرومية في عصره أن نغنى لصف لنا بقوله العبقري
وفنه المصور ، كيف كان أمر عمورية من المسلمين وبيزنطيين

وصف أو تمام ما كان من أمر المنجمين لم نرأوا طالع حرب عمورية قبل أن يش
المعتصم إليها ، وقد حقق المؤرخون ذلك المنجم ، فروي البيهقي أن المعتصم لما نجم لعرو
عمورية ، حكم المنجمون أنه طالع تحس (١) ، فربما يدرك المعتصم ، كما برلنا شعر أبي
الذي بدأ بائيته الكبرى به فتنبأكم بطولع المنجمين بعصمه أن القول للوامع الرماح
لا لسوا طالع النجم :

والعلم في شهب الأرماع لأمعة بين احبب من لاق السبعة شهب
وكر على المنجمين بأيت تدم شعبدهم ، وأحاديثهم المفقدة ، وكدهم على الناس ، بما
يزخرفون من القول في أراج الكواك

استفتح الحماسة الرومية بوصف الفتح الذي تنعابا عليه الخطب ولا يحيط به الشعر :
فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب
واطلاق يرسم بعباسه الفنة مراحل هذه الوقعة وأحل الحكم بقور المسلمين وانحدار
المشركين فقال :

يا يوم (وقعة عمورية) انصرفت عنك المنى حفلاً معسولة الخلب

(١) يحقق فاسيليف أن عمورية Amorium قد أصبحت يوم سائعه لأثر لا يابا منها تسمى
(القصر) وأن عن يمينها وشمالها تقوم قرىتان إحداهما (حاحي عمر) والثانية (حاحي حمرة) .
(٢) تاريخ الحما ، لحلال البيهقي طبع في المطبعي بمصر سنة ١٢٠٥ من ١٢٢٢ .

أنقبت جند بني الإسلام في صدد والمشركين ودار الشرك في صدد
ثم مثل عمورية معاده سورة الحسن فأبى على الأزواج والخطاب ، فلم ترض بكسرى بعلا
ولا تملك انتباهه ، وما نزل من عهد الإسكندر في معة انصبا ودك كناية عن أن عمورية
كانت — كما سلف ذكره — بيضة الروم ، ووكر موكرهم ، وكانت حين وصموها المعتصم في
معزل ، فلم يقصدها أحد من الفاتحين .

وانتفع أبو تمام وصف هذه المرأة التي مثل لها عمورية ، بأن أختها (أنقره) قد عدتها فلم
تكد الحراب سبب بها حتى دب إلى عمورية . فكان هذا عدى من الحرب :

ويرة الوجه قد أعيت رياضتها كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب (١)
من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد شابت نواصي الليالي وهي لم تشب
جري لها أهل بحسب يوم (أنقره) إذ عودت وحشة الساعات والرحب
لم دلت حثها لأمن قد حوت كن الحرب هـ أسدى من الحرب
وحسب شاعراً بالعظيم ، فقد كان قبل حين . بهكم بالمنحمن وبرمهم بالحرص ، فما
له الآن يقول باللهل وأنه جرى نحساً لعمورية فهدمت كما تهدمت أنقرة ؟

لكنه بعد ذلك بعرض علينا تهاويل من الصور من عمورية أحرقتها أمير المؤمنين يوم
لاهب . دليل الصخر والخشب ، فإد لبها الأغم ناصل اللون ، أو أن الشمس طلعت في
سواده . ثم بعد ذلك هذه "تهاويل" ، فيلمم الظلام بالدخان ، والنار بالضياء . كل هذا تصوير
بحرق الذي أخذ عمورية بهذا ليلها هـ را .

أقد ركت أمير المؤمنين هـ بنار يوما ذليل الصخر والخشب
حتى كأن جلايب الدجى وغيت عن لونها أو كان الشمس لم تغب
وعد أن بعدت ثلاثين أي تمام في الليل واليه ، والشمس والظلام ، وصف تدم عمورية
وصغارها ، وسماحه مطرها ، وحظ فكرة هذا المصير في هذا البيت .

لم تعلم الكفركم من أعصر كنث له المنة بين السمر والقضب
ثم غالبه فته الخاص فقال :

سير معتصم الله منتقم لله مرتقب في الله مرتقب
وسذكر المعتصم بصب الطافي عليه كل صفت احسانه فيجعله صلا غدى الحروب ، وواقعة
الجوش . جيش الرعب يسبق إلى البلاد جيشه ، وهو وحده جيش .

(١) أبو كرب هو أسعد بن مالك الحنظلي ايجان وكان ملكاً من ملوك التباينة .

لم ينز قوماً ولم ينهض إلى بلد
إلا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحشاً يوم انوعى بعدا
من نعه وحدها في جحش لجب
وقد تمهل الطائي فأبطأ ، وأبى حصار عمورية ؟ وأبى البطارقة على أراجها ؟ وأبى عديد
الروم وعدتهم فيها ؟ إن أبا تمام يجعل كل هذا فيقول للمعتصم :

رمى بك الله برجيها فهدمها ولو رمى بك غير الله لم تصب
من بعد ما أشبوها واثقين بها والله مفتاح باب المعقل الأشب
والطائي يأبى أن يخلى الشعر من الحكمة ، فقال بعد ذلك :

إن الحمامين من بيض ومن سمر دلوا الحياتين من ماء ومن عشب
وهو معنى لا يجوز مثله ، لا صبور على الحكمة ، متمرس بالعقل والخيل ، يجعل
الزجاج والسوف أشواكاً يتردى فيها دلوها يتأحان الماء ، وسبيلها يكون العشب الثابت
بعد الإرواء.

وليس من عجب — على أرغم من صنعة أبي تمام — أن يكون أحام صب الحياة في
الموت الحياة .

وتنهف (المرأة الهاشمية) التي صاحت برطبة ويبلغ صداها إلى مسامع أبي تمام ، فيسبها
بشعره ، واصفاً أمير المؤمنين كيف لبأها بإهراق كأس الكرى . والصديف عن مرأش
العبد العرب .

لبيت صوتاً رطباً هزفت له كئس الكرى ورصاب الخرد العرب
وبعد أن لبى صوت الرطبة ففاف من أجلها ثغور الفيد ، مؤثراً نفور الروم ، مصلتاً
سبعه الذي أجاب به النداء ، ذلك بصفة اشرك وقوس حيمته فترك عمودها منعقراً ، ولم يعرج
على أرتاد الخيمة وأظننها ، لأن الخيمة وعمودها ، وإذا تفوض لم يبق بعده للأصناف والأوتاد
من ذكر . وهي (معدن رمية) في حراسة أبي تمام يريدها أن المعتصم عهد إلى سبب الشراك
وأنك النصرانية فهدمها . ولم يعرج على فراها التي حولها أو دساكرها فقل

حتى تركت عمود الشراك منعقراً ولم تعرج على الأوتاد والصن

وأعتقد أن أبا تمام كان يعبأ بمخادعات التاريخ في شعره ، ولم يكن ليتساح فيها ، إذ كان يتخذ
منها وسائل لتوين معانيه ، ونخليد شعره ، ويرطبه بالفهم التاريخية التي لا تنسى فهو يذكر أن
(تيوفيل) صاحب الروم حين رأى حد الحرب بدل المال لوقف جريها ، ولكن الحرب ذات
التيار والعيب قد غلبت وكانت الجارفة .

ولم يذكر أبو تمام وقت هذا (أي) وأراد يسوق في إبان الحصار والفتح ، وإنما كان بعد ذلك ، أي بعد فروع المعتصم من عمورية ، وعمره على الرحيل ، لأن مؤرخي العرب لم يذكروا أن نيو فيل حارب الصلح أثناء الحصار ولا روى ذلك البيهقيون ، وإنما أجد فاسيليف يذكر أن المعتصم بعد إبراهيم الرزينة (٢) عمورية عرص عليه سوفيل صلحا ، فوجد نفسه مضطرا لقبوله ، لأن الأتشين كان بدأ بعصيانه ، وقد (سودلت الأسرى) بعد ذلك بين الروم والمسلمين سنة (٨٤٥ م ٨٣٢) واقتدى تومس قريبه (قسطنطين) ماو تريكوس ويريد فاسيليف يقول ، إن نيو فيل ملك الروم أرسل في تلك المينة المحزنة إلى المعتصم ، سفيراً من قبله . هو (ماريل) بطريرك حرشنة يطلب السلام وفككاك (ياطس) وقدم للمعتصم جزية لكل سفير عموري مائة (من شوباريا) (٣) فرفض المعتصم طالباً أجزل من ذلك ، وطلب تسليم (نصر الكردى) (٤) الذي تنصر وحاربه معه ، وتسليم (مانويل) وكان مانويل قائد جيوش البيزنطيين في حرب العرب

ويذكر البكري (٥) أن ملك الروم وجه رسولا في أول هجمة المعتصم على عمورية فأمر المعتصم أن يرسل الرسول على موضع الماء الذي كان الناس يستقون منه ، وكان بينه وبين عمورية ثلاثة أميال ، ولم يأذن له في المصير إليه حتى فتح عمورية ، ورفضها لأن له في الانصراف إلى ملك الروم فأنصرف وأنصرف المعتصم يريد اشغور .

فيمس من رواية الطاهي أن رسول ملك الروم لم ينس له أن يكلم المعتصم قبل الفتح وقبل بعده من حيث جاء ، ويظهر من رواية فاسيليف ، أن نيو فيل (عرض صلحا) بعد فتح عمورية ، وأن المعتصم قبل هذا الصلح مضطرا ، وقد توسط أبو تمام بين الروايتين فقال : لما رأى الحرب رأى أهل (نوفلس) (٦) والحرب مشتقة المعنى من الحرب عدا بصرف بالأموات جريتها فعزه البحر ذو التيار والعيب وتنصح بعد ذلك من قول الطائي أن نيو فيل بعد أن غاب في نذل المال لوقف الحرب هرب وهو أحرس الحجة فقال عنه

ولي وقد ألجم الخطي منصفه بسكتة تحتها الأحشاء في صخب

(١) ص ١٧٤ ، ١٧٥ من كتابه سابق

(٢) يسمى مرتبة عروب المسمى قروم في هذه اللغة ، Razia رزينة .

(٣) عملة بزنطية .

(٤) وهو رأس الحجر الذي دوا إلى الروم وكانوا يحاربون المعتصم مع بابك في منطقة الجبال

(٥) ١٠ ٣٤٣

(٦) وقد ذكر اسم (نيولس) في شعر الخاسية العربية (توفل) و(وتفل) وأبو تمام يورده هنا

على أصله Théophilos .

وبعد أن ذكر الطائي صورة تبوءه من الهارب ذكر عدد القتلى في وقعة عمورية :
 تسعون أمّا كآساد الشرى نصحت جلودهم قتل بضح النين وانعت
 وكان الموسم موسم دحور على الصيف — كما يظهر — من بضح النين والعنب
 وعاد الشاعر الشامي إلى ذكر الحرب ، وقد عاوده حاطر المرأة الهاشمية (محدرة العدراء)
 التي كان إيجادها سببا في هذه المعركة التي جثا فيها الرجاك على الرك من الهول ، والحرب
 قائمة في المأزق الحرج :

والحرب قائمة في مأرق لجب تحنو "رجا" صعر ، على الرك
 كم كال من قطع أسباب الرقاب بها إلى (المحدرة "عدراء") من سم
 ولش كان من عادة شعراء الخمسة أن يرجوا الخمسة «مدج» ، فإن الطائي قد ترك المدح
 إلى أواخر القصيدة ، كدحه المعتصم في آخر هذه البائية الحادة ، وقد أتى عليه حكمته
 المتعددة إلا أن يحط في هذه الأواخر درة من درره (جعل الرأفة الكبرى لا تنال إلا على
 جسر من التعب) فقال :

خليقة الله جلوى الله سعيك عن جرئمة الدين والإسلام والحسب
 نصرت الراحة الكبرى لم ترها نزال إلا على جسر من اتعب
 وترك أعين الرءس رواصد لهذا المعنى حتى جاء شوقي فتناوله — وهذا دين خلود الصائى
 ومعانيه — فقال (أعدت الراحة الكبرى لمن تعب)
 وربط الصائى حروب المعتصم بحرب بدر ، كدأب غيره من الشعراء السابقين في مثل
 هذه الرابطة فقال :

فبين أيامك الاتى نصرت بها وبين أيام بدر أقرب الفتب
 ونمى وهو يوم انصية أن يحثم الصغار على أوجه الروم ، وأن تتلاّأ البياص
 وجوه العرب

٤ — أسد الثغور

كان أبو سعيد محمد بن يوسف الثعري ، وأسميه (أسد الثغور) عاملا للعباسيين على أرمينية ،
 وسائر ثغور الروم في شمالي سورية .
 وقد تقصبت عمال المسلمين على أرمينية — وهي أكثر أقاليم الثغور خطرا ومهابا
 الروم ومسيرة (الدرب) — منذ عهد الرشيد إلى زمن المتوكل على الله لكي اعرف
 خطر أبي سعيد بينهم فوجدتهم :

(٦) سمى العرب مدحاهينهم الطريق إلى الروم خاصة (دريا) ، فلم يكن العرب في لغتهم إلا =

- (١) سعيد بن مسهر بن قتيبة الداهلي
 - (٢) يزيد بن مريد
 - (٣) حريصة بن حارم
 - (٤) أسد بن مريد
 - (٥) ثابت بن نصر بن ميثم
 - (٦) صدقة بن علي المعروف بـ ريق
 - (٧) العباس بن صدقة بن علي
 - (٨) (أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري المروزي) (رمي المعتصم له)
 - (٩) أحمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة
 - (١٠) يوسف بن محمد وهو ابن أبي سعيد الثغري (زمي المتوكل سنة ٢٣٧)
- ووجدت أشد من أسد على الروم وأخطروهم حرباً هو أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري ، وقد سلح أباه منذ ولادته المعتصم على أرمينية في سنة ٢٢٠ للهجرة (١) إلى موته في خلافة المتوكل سنة ٢٣٧ (٢) فعرف تلك الثغور وبني كثير من الحصون التي حدها الروم وكان الأسد القائم على أرباض العواصم (٣)
- ورأيت أن حظ أبي سعيد من المؤرخين السياسيين — كما أشار أسكندر فيليب (٤) — كان خطأ سبباً فقد كانوا يذكرونه بغير حقارة ، وكانوا يعمرون له لمام دون أن يشير إلى عرواقه للروم ، ودفعوه لجيوشهم المناوشة والمهاجمة ، وكان شأنه مع هؤلاء المؤرخين شأن غيره من عمر الخلافة على أرمينية ، فاستمر قدره في تصاعيف الحوادث التاريخية . وبات
- طريق بلادهم إلى ديار الروم . وكان أول من أشار في هذه التسمية أمراً القيس حين نكح صاحبه عمر بن قيس لا تقاطعاً في طريق الروم هناك القابل :
- نكح صاحبي لما رأي (لدرت) دونه وأيقن أنا لاحقان فيصير
- سمى مؤرخون العرب هذا الطريق (Lagrande Route Imperiale) وكان هذا الطريق يمتد من مسططبة في ديار مصر . وقد رأيت آثاره من أنطاكية وحلب ما يزال إلى اليوم وهو في عرض ثلاثة أمتار مفروش بالحجارة لعمري من المصنوع وقد ضرب فيه رلال فلأزالت كأنها منه .
- (١) الطبري ج ١٠ ص ٣٠٧ .
 - (٢) المصدر السابق ج ١١ ص ٤٤ .
 - (٣) سمى العرب العواصم بذلك لأنها كانت تعصمهم من الروم وغيرهم من مجاورهم وهو كانعور التي أقاموها مقام الأموات من العصور .
 - (٤) Vasiliev (Byzance et les Arabes) الترجمة الفرنسية طبع معهد لتاريخ الشرق في بروكسل سنة ١٩٣٥ Tome I P. 398 .

خطره مثل سواد من العيان والنفاد . يذكره المؤرخون مستوفين ثم يسيرونه في صفحاته فكانه ضائع أو عريق بين تلك الحوادث الزحمة .

لكن الشعر أخصه . وكانت تصفته على أيدي شاعري بني الحيس في تمام والبحري اللذين استوليا على أمد الشعر في زمنهما فإن هذين الشاعرين — وأحدهما أبو تمام — سجلا في شعرهما وقائمه وحروبه في قصائد كثيرة جعلها وند عليه . حتى كانت قصائدهما هذه فيه شائعة جردا كبيرا من ديوانه .

وإني أجعل هذه القصائد احتسبة مستدرا لتصوير بطولة أبي سعيد ورسم تأمسه في الثغور وسلطانه على الروم . من خلالها نبين أن أبو سعيد كل البطل العظيم في حروب عصره . وأنه لم يكن كما أشير إليه المؤرخون عاملا من العمل على الثغور . وإنما كتاب سورا . سابيا متعبا حصنت به الخلافة العباسية نفسها من الروم . طول سبع عشرة سنة حتى علب عليه لقب الثعري . نسبة إلى الثغور . وهذا ما ذهب إليه . وكان يقبه من قبل (المروزي) وعمل أبو سعيد عما كان موصوفا به من الكرم والسمحة والمهرووف . قد احتسب إليه شاعري عصره . وأكثر إليه المدائح . حتى لو أحصينا ما قاله أبو تمام وبحري في المعتم . أو المتوكل لأرثت قصائدهما في أبي سعيد على عدد ذلك . وهذا فصل الشعر على التاريخ . هؤلاء أبو تمام وأبو عباد لما عرفنا صور الخاتمة الرائعة التي كان أبو سعيد الثعري متحياها . ولاستمر غيره مثل غيره من القواد والمجاهدين الكثيرين

كلا الشاعرين ذكر في شعره حروب الروم . وأعطاهما من أبيه النصيب الآوفي . وكلاهما نظر إلى بطولة أبي سعيد . وكلاهما صور هذه البطولة في شعرهما حتى كثير رائع (وفي الكلام على شعر الخاتمة عند البحري — فيما بين — بحال لوصف صور من شعر البحري في أبي سعيد)

أما أبو تمام — وهو أكثر شاعري في عصره — فكان علمه أن يكون في معزل عن حروب العرب والروم . يرتبطه كانت دائمة القيام في وجه العرب . وجيوشها كانوا لا يارقون ظهور الخيل . ولا يعمدون سلاح من حدود القسطنطينية إلى أرمينيا في المعصر العباسي كله . ومنذ ظهرت في شعر الطائي هذه الحوادث الخمسية كانت دللا على جباهه هذا الشعر كما أن البيرونيون يعيرون على ثغور العرب فهمون حصونها . ويدبحون رحلت وشيوخها ويسبون نساءها . ثم يعملون أيدي الحريق والذهب في متع المسلمين وهذا المعضوا من ذلك عادوا إلى بلادهم . معهم أسرى لعرب وسبوا نساءهم وقد رددوا على الآلوف ولم يكونوا يتركون الصبية . فصلا أسروا مهم الآلوف في يمتنهم لكثيرة . وقد يني هؤلاء الأسرى في تلك البلاد الرومية وراء الثغور — إن لم يقتلوا — سنين وأياما حتى يعادى بهم . أو

يعرو العرب ذلك البلاد منتقمين وحين ذلك يكون لروم الاصاع صاعا فيحربون ديارهم ،
ويهدمون حصونهم ، ويسبون نساءهم ، ويأسرون أربابهم .

وقد ذكر مؤرخو العرب كافة تلك البغزات وهاتيك الانتقامات شيء من التفصيل ، غير أن
الكتب الرومية كانت أكثر دقة في وصف الحوادث ومن هذه الكتب استقى بعض
المؤلفين المعاصرين في الغرب كتبهم التي ألّفوها عن علاقة العرب وأسير طييين أمثال رفاييل
وماروس كادر ، وشارل ديي ، وروسين ، وكارادوفو ، وخاصة المؤرخ شيرجه (وغيرهم
ففي دراسة هذه الكتب الغربية ومقارنتها بتواريخنا كتاريخ ابن خلدون وابن الأثير
وتاريخ الطبري والمسعودي وغيرها من عيون كتبنا التاريخية ، تتوصل إلى استجلاء حقائق
حروب العرب مع الروم ، وعلاقاتهم السياسية بهم ، وهذا ما حاولت هذه في رسالتي دراسته
في حروب العرب مع الأير طييين من أيام امدتهم إلى عهد سيف الدولة ، ليكون بداية لهذا
النصر من الدراسة الأدبية التاريخية التي كانت ماثرا من بعض أدباء المعاصر ، وتموت
تاريخنا الكبير

لقد كانت الروسة هي الصدى الأدنى للحرب الأير طيية العربية ، وإن في جميع الشعر
الذي قاله أبو تمام والبحتري في حروب العرب مع الروم وفي ترنيته بصافة ما قاله أبو الطيب
المنيني وأبو هريرة في حروب سيف الدولة وما نظم الشعراء في حروب الصليبيين
ومن المذكرين نور الدين الماعز ، البطل صلاح الدين الأيوبي (الملحمة) أية ملحمة لحرب
العرب لروم ، ما زال أدب العرب يحس إليها حنين المحروم .

لقد حرمنا المؤرخون ذكر عروة أن سعيد الحمري للقسطنطينية هو يذكر أحد منهم
أنه بلغ أسوارها ، لكن أبا تمام حينئذ لنا هذه العروة التي مد فيها أبو سعيد رماح فرسانه إلى
حدود القسطنطينية ، فوصفهم في الشطر الأول من قصيدته الرائية — التي قالها فيه —
وصف جيشه بأنه كان جيش فرسان — وعمل يستطع غير الجول سيرا في أرض الأناضول
الوعرة المثلجة ؟

حمل أبو تمام قصيدته في وصف هذه العروة كل ما ينبغي أن تحمل من ميايم الوقائع
فذكر القسطنطينية وأسوارها . وذكر أن أبا سعيد بلغ الخبيج .

وأرى الخبيج هو حبيح البوسفور لا غيره من الخديجان . والظاهر من قصيدة أبي تمام أن
أبا سعيد لم يفتح القسطنطينية . وإنما رجع دون حصارها ، وأنه طرد أمانه ، في مسيره
إليها جيوش الروم حتى التجأت إلى الأسوار . فقد فصل من الدروب من جهات أرمينية .
ومعه جيشه العرمرم الجرار ، حتى بلغ بعض الحصون البيزنطية ، وكان قائد جيش الروم

(متويل) (١) ففر والتجأ الى مكان خفي ، وجعل يعاس حول جيشه مدية به ويتلفها بنسكاب الدموع على الخدلان .

ثم جعل أبو تمام الشطر الثاني من قصيدته هذه مدحا لشجاعة أو سعيه . وتصوير الخنكة وصورته ، وخصاله النبيلة ، وأنه كوكب الإسلام وصير الدين وحامي شعور فقال (٢) :

لولا جلال أو سعيد م بين	لنمر صدر ماعله صمدار
فدت الجياد كأس أحلال	نقى (ذروية) لها أوكار (٣)
حتى الثوى من نفع فصلها عنى	حيطان قسطنطينة إحصار
أوقدت من دون الخليج لأهلها	من خوف قارعة الحصار حصار

وسكب أبو تمام على هذه الأبيات من صنعة اغنيه على مدحها في كلام خاص يتعلق به حاشته - بعد هذه المحو - فنبه الخنك لأحد وجعل يلازم (ذروية) أوكارها . ولم يترك هذه الصورة مقصورة على أئمت ، وإنما عداها ان إليه - انتهى . فعمل عيار الأرض تحت سنايك هذه الجياد أعاصير تهب على أسوار قسطنطينية

ثم وصف النار التي أوقده أبو سعيد في انقري على مفره من الجميع لحمل الهواء شررها ان السعور وعمل رجوعه عن حصار القسطنطينية بأن أهلها قد كمام ترويه حصاراً . وهم الذين تولاهم مداح صوته فكان لهم ممكاته الموت من النعوس كما أتبع قوله :

أوقدت من دون (الخليج) لأهلها	« ها حلف خدج شرار (٤) »
إن لا تنك حصرت فقد أصحى لها	من خوف قارعة الحصار حصار
هناك نار وغى تشب وهائنا	جيش نه لجب وشم عبر
حشعروا لصوتك التي هي عندهم	كانوت بأنى نس فيه (٥)

ثم مثل كيف سار جيش العرب من درب الروم ، وكان لجبا نصيح منه الأرض فيسمع له صوت وكأله خوار الثيران ، قصي مبكراً في النهار سارياً في الليل حتى بلغ (حصن الحقة البيضاء) وحصن (القفل) والخليج الذي هو من جسم القسطنطينية عمرة الشعار على البدن وفرت جيوش الروم أمامه ساكنة تخفق أنفاسها خوفاً منه ، وعد سطوته وأسمه : ولقد فصلت عن الدروب إليه

(١) مانويل Manuel قائد ييزى من مصير بحر العرب في كثير من معارك .

(٢) ديوانه لطيفة الوهلة بمصر سنة ١٢٩٢ هـ من ٧٢ .

(٣) ذروية Dorjee ، قديم في درب الروم واسم بلدة بيرضة وهو يوم (أسكي شهر) .

(٤) يرعد بأهلها ؛ القسطنطينية .

أن يشكر ترشده أعلام الصوى أو يسر بلا وسخوم منار
(قاحمة صماء ، معاد لهم) والعمى (ختم) و (الخليلج) شعار (١)
والهني خمس وانداء لينة حوى انتقامك والحديث سرار
بعد هذه الآيات صور الطائي هروب (منوبيل قائد الروم) وكأه على جيشه المهروم —
كما تقدم — قد .

ان لا تنل (منوبيل) أصراف نقد أو تن عنه البيض وهي حرار
فقد نعى أن كل مدينة حين أشم وكل حصن غار
إن لا ير بعد أفت وقد رأت عندك قدر الحرب كيف تغار
لما أنتك فولهم أممدهم لسوا في العبرات وهي غزار
ذاك لوصف الحرب الممزوج بالمدح ، يحمله الطائي نظاماً حماسياً وكأنه وحده ، ثم يتم
أما مدحه بلون آخر ، وهو مدح الكرم والمودة وعون الإسلام .
أكثر حبيب مدح أبي سعيد ، وقد أحصيت مدائحه فيه فوجدتها أربعاً وعشرين مدحة ،
لم يبد أصنافاً منها لأحد كده وتحسين ، وإن شعره فيه سحر ، وشعره في غيره شعر ، وهو
كلنتبي في مدح سيف الدولة ، وحروبه التي سجلها أبو تمام والبحري جديرة أن تقرأ اسمه باسم
سيف الدولة . وما أحسن نعتي في وصفه لحروب سيف الدولة مع البيزنطيين إلا مشابهاً
ونالياً لوصف أبي تمام والبحري لحروب أبي سعيد الثغري .

م أجد في شعر أبي تمام ما يشير إلى أنه كان يزور أبا سعيد في أرمينية وينزل عليه ضيفاً
كما وجدت ذلك عند البحري — وما ذكره في مكانه من قابل الكلام — وإن في إقبال
الشاعرين على مدح هذا الفخ العظيم الذي لم يعبأ به المؤرخون السياسيون ، دليلاً على كرمه
وسطة به . وارتياحه للعروف والبنل ، وحبه للشعر والشعراء .

وقصائد أبي تمام في أبي سعيد كثيرة منشورة في ديوانه ، أكثرها عن حروبه مع الروم ،
وبعضها عن مدثر وفغانه . فقد كان لأبي سعيد مشاركة في حروب مالك تحت إمرة الأفسين
ابن كاووس ، حتى كان هو الذي أمسك مالك آخر أمره يوم انتحأ من أدرسيجان إلى تحوم
أرمينية فكان تسليمه على يديه . فقيده أبو تمام كل ذلك في شعره نقوب (كانار) (٢) إن

(١) وردت كلمة (ختم) عدة جملة وأثرها ماعه بمعناه المؤدية لأن الفعل وهو اسم ذلك
الحصن كان محتوماً أي مقلداً كل الإفعال . والحقه عند العرب في الله الساحر .

(٢) كتب ماريوس كاري في آخر كتاب (Byzance et les Arabes) — سيف — موقولا ص ١٠٠
قوله ذلك في ص ٤٠٠ من الكتاب المذكور .

وقعة (عفرقس) كانت أشهر وقعت أو سجد وأضرها على الروم وأضرها ، ولذلك نرى أن أبا تمام قد ذكرها ثلاث مرات ، وقد ذكرها بجحزي مرتين ، وأرى أحسن صورة لها عند أبي تمام في قصيدته القافية التي أولها (١) :

ما عهدنا كذا بكاء المشوق **كيف** والدمع آية المشوق

ذكر في أولها أنا سعيد بأنه رمية . ست على الروم بالدهية الدهياء صور جنوده وعليهم الدروع السلوقية . ثم جعل يذكر الصواحي الرومية وبسميها أسماء واحدة إثر واحدة . وفي أكثرها حصون وحواليها أسوار — وكان ينحت تلك الأسماء في العربية محنا — فإذا فتح أو سعيد حصنا أو مدينة احتوى على مدنها من المدن وهي ثم غادر الموت فيها ، وترك الأهلين هاربين ، تأخذهم حديد السيوف ، ولهب الحريق

وقد حصلت معركة (شوارع) في مدينة قسطنطين (٢) — كما يصر أهل عصرنا في الحروب الكبرى التي عرفوها — هزجت حولها أسوار القسطنطينية وهي مدينة (فروق) (٣) .

لحار الأمرى نو سعيد ، وأمر البطريق ، حتى إذا بلغ وارى عفرقس حدثت (المعركة الفاصلة) فاستبسل الأبطال واستماتوا ، وصاح الإسلام صيحته الكبرى مستعينا بأى سعيد استماعة العريق . وقد بلغ أو سعيد في هذه المرة خلع اليوسفور مرة أخرى

ومن عرائث التفصير في تاريخنا أن مؤرخي العرب يحملون انقراضهم في فتنة رجل يقال له (نصر) وكان من أصحاب مالك الحزمي . لذكر هؤلاء المؤرخون أن نصر اغتصب بإقليم الجبال ، فخاربه المعتصم بإسحاق بن إبراهيم بن مصعب (٤) ، فأمن إسحاق بجمعه قتيلا ، وبلغ من قتلهم نحو مائة ألف سوى النساء والصبيان . ثم يجد نصر بدأ — بعد إلحاح القتل عليه — سوى الفرار إلى الروم بجيش كبير — وكان هذا القتل بدعى (بالحمة)

هذا كلام ابن جرير الطبري الذي يقول أيضا إن صاحب الروم (نيوفيل) حرق لحرم المسدين ومعه مائة ألف وأكثر ، منهم اجتند سيف وسفوف ألفا وقسمهم ألباغ من الحمة (٥)

(١) ديوانه السابق من ١٠٧ .

(٢) مدينة قسطنطين من بلاد بيزنطة وهي غير حاصرتهم القسطنطينية .

(٣) الصيغة نفسها من القيل السابق لروس كبار

(٤) الطبري ١٠/٣٥٠

(٥) يدعيه ابن جرير الطبري إلى طائفة من ملأه ، وهم حرمون من حمص أصعها سموا بالحمة ثم سموا وراءهم بالحمة . وذكر صاحب الحوم برهرة (ج ٢ من ٤٢) أنهم أوب ما ظهروا بحرطان وأرى أن سمى كما يدل لونه أنهم كانوا فرعا من قبائل الخرا وأحر بلس ثيابهم .

الدين كانوا حرجوا الجبال (فتحقوا بالروم) حين قام به إسحاق بن ابراهيم بن مصعب ،
وجمعهم ابن الأثير هذا الخبر وجاء به أكثر اقتضاباً (١) .

إن هنا نضعنا مؤرخاً حياً ، طبع هذا الأمر لكن المؤرخين العربيين ودارسو أدائها من
المستشرقين يكفون وصف هؤلاء المحمرة الخرمية ، فيقول ماريوس كاثار (٢) مستعيناً بتاريخ
(ميخائيل السورى) المكتوب بالرومية أن أحد قواد بابك الخرمى ويسمى (نصراً) فر
جمع من الخرمية منتحلاً إلى الروم سنة ٨٢٣ لليلاد ، ثم يذكر أن اسمه بالرومية (الياس
تيوفوب) (٣)

ولم يكن ماريوس وحده الذى أشار إلى هذا ، وإنما شاركه فى هذه الإشارة المستشرق
الروسي فاسيليف ، (٤) فقل إن جنداً فارسياً كان جلبها لبيزنطيين وعلى رأسه تيوفوب
حارب المسلمين مع تيوفيل امراطور الروم ، فبادر الأتشيون تيوفيل ، بلغ الخبر
المسطنطينية أن عامل الروم قتل ، فخاف تيوفيل على مملكته ، وحلف إلى القسطنطينية وقد
حلف مكانه على الجوش سوفوب هذا فثار جنده يريدون أن ينصبوه مكان تيوفيل ، فأبى
تيوفوب (أى نصر) ، فقاموا بالرغم عنه ، وحملوا إلى مدينة (سينوب) ليقوموا بذلك ،
ويهربون المؤرخ الرومى (ميخائيل السورى) إلى الامبراطور حين هم بأحد تيوفوب على
بحريره هذه نفى له تيوفوب حقيقة حاله ، وأنه رأى عما قام به صحبه

ثم يعود فاسيليف مستنداً إلى المصادر البيزنطية فيذكر (٥) أن تيوفوب (ويسميه نصراً)
قد حارب مع الروم (أى معيد الثغرى) وقتل فى معركة من تلك المعارك .
وحسبنا نقول ميخائيل السورى (٦) أن النصوص البيزنطية تذكر أن رأس (نصر)
هذا أهدى إلى تيوفيل ملك الروم ، وأن الخليفة حينما بلغه مقتل نصر فرح فرحاً عظيماً .
قلت ينبغي أن يكون هذا الخليفة هو المتوكل ، ويبنى أن يكون تيوفيل صاحب الروم
قد فرح أيضاً بمقتل (نصر - تيوفوب) إذ كان قد حاول حين عيانه فى القسطنطينية أن
ينصب نفسه مكانه على الروم امراطورا .

• • •

(١) تاريخ السكك نسخة الأهرية سنة ١٢٠١ ج ٦ ص ١٨٥ حوادث سنة ٢١٩ هـ .

(٢) صفحة ٤٠٠ الساحة من دبل كتاب فاسيليف .

(٣) Alias Théophobe .

(٤) Byzance et les Arabes p. 159 .

(٥) المصدر السابق ، p. 176 .

(٦) هامش رقم ١ فى هذه الصفحة السابقة من كتاب فاسيليف .

كذلك ساعف شعر أى تمام الخاضى فى تحقيق هذا الحدث الجليل الذى ليس له صريع فى ربحته ، ولا وصوح لمكره . من حيث من جيوش المسلمين يهر بقائه ، ويسجى الى اروم فيحارب معهم المسلمين أمر لم يشرحه تاريخنا شرحاً مستقصاً ، وكان بحسب التاريخ اندر على أن يشير لنا هذا الحادث فى شكله المتقدم ، وأن تسجى . ان شعر أى تمام مستوصح به المعالم فإظالمنا كان شعر أى تمام فى حروب الروم منيرا للتصوره وموضحاً لآلوان الحوادث وهذا فصل الشعر العرفى على التاريخ وقد رأيت ما أصدره التاريخ حفظه الشعر فى كثير من الحادثات ، هى قصيده الطائي له عليه التى تقدم مطلعها ، يصل فيها إلى ذكر هؤلاء المحمرة وعلى رأسهم صاحبهم (المحمر الرقيق) وقد حاربوا المسلمين مع اروم فحرقهم أبو سعيد وجاس خلال ديارهم .

وصف الطائي تلك المروءة فى ديار الروم خلال غزاه . وما بقى اروم من ويل بأبدى المسلمين بالله . أن أنا سعيد الشعرى سار إلى الروم

وتعدو به كلاب سلوق ^(١) .	فى كفة يكسون نسج السلوق
هى موصولة بكأس الرقيق ^(٢) .	يتساقون فى الوغى كأس موت
ان قصت محبا من (القندوق) ^(٣)	وطئت هامه لنواحي وسا
يطلقها على (لطلوق) ^(٤)	ألهتها البباط حتى إذا أشعت
(نابفلار) كل مهيب ولىق ^(٥)	شها شها وسا استباححت
دمحا أسفا إلى الأسيق ^(٦)	سار مستقدماً إلى أسس رجبى
محلا باليمن والتوفيق ^(٦)	سم ألقى على (درولة) برك
سوق موت طمت على كل سوق	لخوى سوقم وعدر فيها
السيف صلتا وبين نار الحريق	هم هارون بين حريق

-
- (١) شبه حيولهم حادية هم الكلاب سلوقه نسبة عدوه واحد مع لوى سأل عنه .
 (٢) وردت فى الطبقات ثلاث من ليدون (ميدوق) ، ديا ، وصوم ، بالباء (القندوق) وهى مدينة محصنة واسمها بالرومية Cappadoce وهى من (سيواس) اليوم .
 (٣) فى نسخ ليدون (حتى يد استعفا) وأزده (إذا أشعت) لوجه يعنى ولى تسع (لطلوق) داب . وصومه نامون وهو أرض لأصول واسمها بالرومية Anaticlique .
 (٤) البفلار Bucelaire اسم منطقة فى ديار اروم .
 (٥) الأسيق Opsikion اسم بلدة رومية داب حصون .
 (٦) ألقى البرك أى برك الجمل ، وأراد به إقامة الجيش وراحته بعد السير .

وجداً (الخبيخ) ولم يجد قص — (مماشان) لا ولا (بالزريق)^(١)
وقعة رعت مدينة فسطنطين حتى ارتخت لسوق فروق
كما أسر من سريره وقيل رادع لثوب من دم كالحلوق^(٢)
يسعيث لطريق جهلاً وعمل — يضب إلا مطرق ابطريق^(٣)
ثم ما قصت في أمور رجلاً ، رجلاً ، نصرت ، والتحقير
وواني سقرقص لم تعرفد عن رسم إلى أوعى وعشق^(٤)
جاء الدين واستغاث بك الاسلام من ذلك مستعاث العريق
يوم بكرن وائل (بقضات) دوى يوم (انحر) الزريق
يوم خلق اللات ذاك وهذا — اليوم في الروم يوم خلق الخلق
أدرئت (صاعري) صاعراً ورعما وقصت (أو قصي) قبيل الشروق^(٥)
كما أفادت من أرض (فرة) من فرة عين وررب موهوق
إن أيامك الحسان من الروم حر الصبح حمر العروق
معلات كأنها بالدم المراق يوم للنحر وتثريق^(٦)

وهي قصيدة كبرى في أربع وسبعين بيتاً تكاد تكون (شيداً من الملحمة الخطيرة في الحرب الرومية) قاعاً أبو تمام الطاق في أنى سعيد الثغرى وحنماً على عدته بالمسديج والثناء وطلب العطاء .

وذكر أبو تمام (نصر الخرمي) مرة ثانية في شعره بأنى سعيد الثغرى في قصيدة ميمية

(١) الخبيخ برده أبو—مور و (ماشان) و (برقي) لدى رومان (مماشان)
و (الزريق) lauric .

أظهر هذه البيوت في الخريطة اثنتي في آخر الرسالة وهي مقولة عن رسالة Arabic lists of the
• Byzantine thèmes

تأليف E.W. Brooks طبعة جمعية الدراسات الحديثة سنة ١٩٠٦ .

(٢) في نسخ اليونان (من سريره) و (من سريره)

(٣) برش قول : إن طريق الروم كان في الأخرى فهو يسيرت وحسن ما أحمله من يمين
وإنما نحن طلب بحراً في طريقه وهو ملك روم نفسه .

(٤) أقارص Aqarpas ، يدق صرير من سحر ، صاكارصم .

(٥) صاعري (صاعري العركي) ، وسهم ، رطه Sangarios وأوهي لدان في الروم .

— وقرة Koron

(٦) في نسخ اليونان (يوم النحر) و (يوم النحر) و (يوم النحر) و (يوم النحر)

فذكر فيها معركة عقرقوس وسابقتها وحرب أبي سعيد للروم الكافرين و (محرمية العاوين)
فقال يخاطب أبا سعيد :

جدعت هم ألف لصلاب بوقعة	بحرمت في عجمتها من تحريما ^(١)
لش كان أمسى في عقرقوس أحدي	من قبل أمسى (محمد) أحريما
ثلثهم بالهزقي وقت	ثم عر القوم إلا هديما
قطعت بثان الكفر منهم (محمد)	وأبعتها بالروم كفاً ومعصيا ^(٢)
وكم جبل (بالبد) منهم هدرته	وعار عوى حليته فحبت ^(٣)
فان يك نصرانيا النهر (الس)	فقد وجدوا واري (عقرقوس) مسلما ^(٤)
به سبتوا في السبت بالبيض واقتد	سبانا ثورا منه إلى الحشر يوم
ولم يبق في أرض البقلا طائر	ولا سبع إلا وقد بات مولد
ولا رفعوا في ذلك ليوم أنسا	ولا حراً إلا رأوا تحته دما ^(٥)

• • •

وسائر القصائد الخماسية التي قام لصق في أبي سعيد الثغري من هذا الضرب تجمع معانيها
بين تشكيل الروم وكسر شوكتهم ، وتفنن في أداء هذه المعاني التي تدل على قهر (توميل)
امبراطور الروم وروبع بلاده ، حتى شبه الردى بعاشق مشقه فهو ان هرب عازري
بلاحقه ، كقوله .

ولما رأى (توميل) رايتك تني	إذا ما استقامت لا يقاومها نصب
تولى ولم يأل الردى في اتباعه	كأن الردى في قصده هائم حسب
كان بلاد الروم عمت بصره	فصمت حشاشاً وأورعاً وسطه السقب ^(٦)
(بصاعرة) الفصوى (وطمين) واقترى	بلاد (فرطانوس) واطاك السكب

(١) أراد بجناس تخرمت الإشارة إلى الحرمة .

(٢) يوجد مكان في ديار الكرم في إقليم حلب من بلاد فارس . وكان قد حارب الخويرة
إسحاق بن إبراهيم بن مصعب في هذا موقع وحرقه حتى وجده على مقتله بين أم أدن . وقد
قال أبو تمام في ذلك قصيدة على النون (ديوانه الطبعة السابعة ص ١٦١) .

(٣) الد موسى الكرمي .

(٤) هر آس Hays ، وهو يوم يسمى بالتركية (هرل) (رماق) ومعناه النهر الأحمر .

(٥) الأثل التراب .

(٦) دعا صوت ، والقب ولد الناقة .

وسنجد البحتري - عند نكلام على حسانه في حروب الروم - بمحمداً مرموسية أبي
سعيد الثعري وتحمده معاركه . لكنه يحيى . بابا لا في عدم
ونوفى أبو تمام قبل أبي سعيد بقصع سنين . فأورثه في حياته وفي بعده ذكر صولة لانحى
وخند معاركه مع الروم في شعر كتب به الحود ، وشك كل أو سعيد قد أحسن إلى أبي تمام
في العطاء . كما يروى أبو بكر الصولي . من حدثني قد أحسن له الشفاء . فقال فيه يذكر
إكرامه إياه ولا يسمي أن يسمي عليه شعره :

وحملت في العشائر والأقاصي	عيلالي وكنت هم عيالا
فقد أصبحت أكثرهم عطاء	وقبك كنت أكثرهم سؤالا
وبين فساد في وقت ما في	وثأف أبى أمان وأن أدالا
من نسحر لجلال نجمه	ولم أر قديماً سحرأ جلالا

وهو وإن قاله أن رثبه ادسفه إلى الموت ، من سحري لم يفته ذلك فوصف بطل الثغور
في حياته ومكانه في بعده .

وطالب كل البحري (منعم) ذكر تمام . وملك منه القس في بعض الشجوص الأدبية ،
- بكور أحد الأدباء . قص فلا به لا أنيب آخر بفيل طلائه ، فيمضي على عراره ،
و يعرف على قناره

٥ - روميات البحتري

طل (أبو سعيد شعري) هو البطل الميمس على شعور ، وهو الحارس الجبار للحدود
الإسلامية بين ديار الروم وملك الإسلام وكاست (أرمينيا) سلسلة الحصون الدفاعية
والهجومية على أرض العراق (كما قدمت في الكلام على شعر الحرب عند أبي تمام) . وكان
حنالوا على شاعر مثل البحتري - وقد تقييل طلال أمه ده أبي تمام - أن يحدو حذوه
في امتداح (أسد الثغور) وأن يحري على عراره في صناعة نفس والاكثر من الألفاظ
الموسيقية دوات الجرس .

لكن منه يبق في وصف صولة أبي سعيد أكثر مما عند أبي تمام من دقه ومن ، فكساه
أن يذكر بينا واحداً فيه شوكة أبي سعيد وشبهه في ديار الروم . ذلك أن الروم كانوا
من هول النكبات التي أنزلها فيهم شعري يكنى أن يذكر اسمه لديهم حتى تأخذهم الراجمة
وحتى صارت الأمهات تفرخ أطفالها باسمه ، فكان إذا بكى الطفل وألح بالعصر
قالوا له :

— أنى أبو سعيد ، أنى أبو سعيد .

فبكبت بكاءه ويسكر شعبة

ودلك حيث يقول عنه البحترى فى قصيدة على النون :

فرعوا باسمك الصبي فعادت حركات البكاء منه سكونا

وإنى أرى فى هذا البيت وحده عدة عرقصات فى تصوير بطونة أنى سعيد الشعرى وخطبه

فى ديار الروم ، وحماية حدود لمسيين

وفى هذه القصيدة يصف البحترى وقعة (عقرقس) أنى وصفها أنو تمام بصورة إبدال

أنى سعيد لكل الروم ، ويدكر أنهم لسيروا حين منه ولو اغتصموا ، نحوم يقول :

ربما وقعت شملت بها الروم — فباتوا أدلة حاصينا

قد أمنا أن يأمنوك على حال — ولو صيروا النجوم حصونا

ثم يدكر (عربى حيوة) ونظائر آه كان فى هذه لوقعة فرق فرسانه وقتين ، موجهاً

كلاهما فى وحدة ، ليحيط بالنعور أن يريدها من وجهتين ووجه أو صف جميل لأجل المعانس

فى اليوم العيوس وعين الدارعون يحوسون خلال بلاد الروم ، وقد أهرط طوب السير

مكن حفا صنيلاات النجوم كوعول الجبل ، ولا قرون لمن سوى الرماح فيقول

وتوافت (خيلاك) من أرض — (طرسوس وقالبقلا بأردندونا)^(١)

عابسات يحملن يوما عبوسا — لأناس عن خطبه عافينا

زرر بالدارعين أرض (البقلار) — فأجلوا عن (صاعرى) صاعرينا

قد طواهن طين الفياق — واكتسبن الوجيف حتى عربنا

كوعول اهضاب رحى وما يملك — إلا صم الرماح فرونا

وبلاحظ أن البحترى يمشى على عرار أنى تمام فى الجناس بين مدينة (صاعرى) وككة

صاغرين ، وكذلك يعمل به فى مدينة (طمين) وككة (يظنر) فى مبة الأليات التى يصف

بها طهر أنى سعيد بعقرقس ، وعلبة الهام فى قرى الروم ، وأنه استساع شراب دم الروم فكان

عنده كاء زمزم فى التبرك والتماس طاعة الله فيقول :

ونغير إلى عقرقس انفرت فكنت المظفر الميمونا

ثم يقول :

همه فى غد بتفليق هام فى قرى (العازرون والمازرونا)

(١) قالبقلا هى Cilicie والمارعون : سموسا سيبب أو كييكيا وهى أو من لأاسول من

الحبوب واسم بلدة أردندون بالرومية Rhodandos .

عمرى م م رمزه أحسن
عنده من دم (رارمين)
بظمت الإسلام في (طمينا)

كسك كل نديت حتى شعور من شعر م م في أن يحده فيه جد ان من جبارة الشعر
في عصر العباسي وهو أبو تمام والبحتري وكا نحو عن شاعرين أن يأها إلى حروب
روم . لأم أعظم الحروب بني شعوت عباسيين . كانت دينة لهم في رمن المعنصم واحتوكل
وأعقب الاهتمام هذه الحروب المتوالية بين روم ومسيحيين أن يتبع البحتري بشعره
س (أني سعيد) يصف حروبه وصفه حروب الأ . وكا (يوسف س أني سعيد الثمري)
كأنه صانع مفضة على الروم . وقد بلغ في بعض حروبه حاليح اسرصور ولولا أن عجلته
مافته نأبتي بصارقة أرمسية لاستصل شافة اليه بطير من العرب كله حتى حدود البلقان .
وقد عن يبحري بحروب الأ . كما عن أبو تمام حروب الأ . فكانت له قصائد عر
سيف م ديوات س أني سعيد في حرب شعور . منها قصيدته التي بشير بها إلى عبوره الدرب
ومسيره في أرض الأناضول . وهدمه الحصون التي في طريقه . وإيقاده النار في قرى مسيره
حتى بلغ (مجمع البحرين) ويفصد بها بحر الأحمر والبحر الأبيض ومجتمعا ما ندعوه اليوم
بحر مرمرة . فقال في شعر يبين حماسة وشجاعة وتنسك الفاطمة ومعايه على من يصرفه
محتري في سبيل الحرب ووصفها ولا صير عنه أن يبدأ من هذا الشعر الحرب بفزل
وصبوه وحنين إلى علوة فيقول شاعر الطيف والخيال :

وطيف سري حتى شال فتنة	سروا يلمسون الليل حتى تمزقا
وما قصرت في (درعنون) وما حنا	مرجع منها لظرف عصبان مخنقا
أطعمه العيين مظلومة الحش	صمبته ككي الخيل المورقا
ولا وصل حتى تقضى الحرب أمرها	بمفترق أو فضل عمر ملتقى
وما هو إلا يوسف بن محمد	وأعداؤه والموت غربا ومشرقا
وعارصه المستمطر الجود إله	تجهم فوق (الناطلوق) فأطرقا
وأضعف (ما نفسا قين) سحانه	وأرعد (بالأسبق) شهرا أبرقا (١)
خريق ما بين الدروب أتبه	إلى (مجمع البحرين) حتى تمزقا

ويظهر من هذه القصيدة أن محتري (كان حاصرا في هذه العروة ومصاحبا) ، لابن

(١) ثنى البحتري الفيذوق وهو إقليم Cappadocia

انظر الخريطة التي مرشها في آخر الرسالة .

أبى سعيد لتكون مشاهدة شاعر هذه المعارك الرومية المتتابعة والحصار المصروب على مد
بعد بلد ، سجلا بقيا في الشعر وخبرا مدعا يسير في البلاد (١) على نحو ما عهدي في عصرنا من
عناية المحاربين في الحرب الكبرى أمس باصطحاب المحاربين الصحنين والمراسلين لعسكريين
في المعارك ليكونوا شهودا عدولا على الظفر ، ويبدعوا الأحبار في عرض الدنيا وطولها ،
وقد بلونا خطرهم ، فكان لهم في فشر الدعوة أعداء أثر وأوقى نصيب
كذلك ذكر البحتري أنه كان حاصرا هذه السقرة الحربية في الحريف وقد ملحوا
فيها ثلاثة أشهر فكان .

وبرد خريف قد لبنا جديده فلم تصرف حتى فرغناه من
وبدرين أصبناهما بعد ثالث أكلناه بالإحاف حتى تمناه

ويذكر بعد ذلك الحبس . فتحنو عيب حوايه . سهل الشعور وحب هذه المهم اللواق
يحبهم امرسان ، وسرى مثل هذا الحب للحيل عند صديق الحيل المحرب لها في الطيب المتنبى ،
وانبجرت يعرف موطن الحسن من فصلها على امرسان والرحا فيقول .

هو أم مثل الحيل أبقى على السرى ولا مشيت أحى عابها واشمها
وما الحسن إلا أن تراها معيرة نخادنا جبلا من الصبح أرقا
فكم من عظيم أدركته صدورنا فسات عينا ثم أصبح بمف
إلى أن يقول عن بطله ابن أبى سعيد

حوى كل ما دون الخسح ولم يدع فؤادا بما دون الخليج مدفا ٢٠

وبعد طوي من المدح والثناء يحتم قصيدته معرضا طلب الثواب والتوا . وما أحسن
للبحتري قد شحص إلى الثمور طامعا في المشاركة بحرب الثمور . . . أكثر مما كان طامعا في
في احتواء المكافأة والعطاء .

وكان هذا معه ومع فيه . قد . كان يشخص إلى الثمور فيزورها ويمدحها ،
ويحصل منها على مال كثير . وكانت رباره للام بعد الأب ، وكان ابنه اندى يهودا
به عليه لا يهود عنه مثله الخدمة الموكل . فهو يقول للأب ويتم عليه بمراقبة المراق . وفيه
دجيل وروضة (غمى) سعيأ إليه .

(١) وعلى هذا النحو ما أثر عن الشاعر الإسكندرى أحدث (ردارد كنج) من اصطحاب

عس الحوش الإسكندرية في عرونها في الهند وذكره ذلك في شعره .

(٢) أورد الخليج لوسفور (خليج لسطيلية) .

ولولاك ما استحضت عمى وروصه
ولا كان يدور لزوم بعض ماري
وأذكر أياي لديك وحسبها
وأمر أن آخر قصيدة قالها ابنتي دُرُيْ سَعِيد - قبل مقتله - هي الرائية التي أولها .
لك الويل من ليل طلاء أواجره
ووشك بوى حتى تم أمانه
إذ كان مصرعه بعد وقوع حوادث ذكرها المؤرخون . وذكرها ابنتي في هذه القصيدة .
وقد كانت هذه الحوادث أسباب قتله

ذلك أن المتوكل لما استعصم (ابن أبي - هب) على أرمينية - بعد وفاة أبيه - نشر عليه
(نصر بن أشوص) بطريق بطارقة أرمينية فخاره ابن أبي سعيد وأخذه فقيده ، وبعث به
إلى باب الحسنة فأسلم بقراط وأنته . ففاظ ذلك ابن أخى بقراط قتال هو وليفه على ابن
أبي سعيد . وكان النبي وفعا خضروه والمسيير الدن معه في مدينة (طرو) . فخرج إلى
باب المدينة فدهبهم حتى كل أحمائه وأسروا ، فطلب أحمائه النجاة فشرط عليهم الروم أن ينحوا
عزاة ففعلوا . فهلكوا من البرد . وتقطعوا ملكي فوق الثلوج . وسقطت أصابع قوم منهم
فمنحوا . ولما صدق الحصار على ابن أبي سعيد ونس من المدد بعد أن حال الروم بينه وبين
أعدائه . خرج إلى الروم فمات مع من جمع لصدقه فماتهم حتى قتل . فوقع قتله . من نفس
المتوكل موقعا نليما . فأرسل دُما الشراقي . في سبل الشفعة له . فشاء بها ديار الروم . وفكك
فيها القتل اندرج فقتل نحو من ثلاثين أعا من الروم وسى الخلق الكثير

فكانت قصيدة البحتري تلك . هي الأخيرة في حياة البطل الثاني في حروب الشعوب . فها
يذكر الحوادث التي ذكرها التاريخ حائما عنها حلة شعره ونزويق فنه . وبالخافي أبايتها روحا
من احسانه تنطق الحسد برحره وهريم . وذكر أسر المسلمين . لبقراط بن أشوط . بعد أن
شاغب الإسلام حسين عام . حيث خربا أيام لا ناه له ولا راجر فقل .

إذا خر من الأطلال في حمى الوعى
ولا عر لإشراك من بعد ما انتقت
وما كان (بقراط بن أشوط) عنده
وقد شاغب الإسلام تحسين حجة
ولما اتقى الحمار لا تحتج له
ولم يرص من (حرزان) حررا يبحره
علت فوق أصوات الحديد زماجره
على السمع من عليا (طرو) عساكره
بأول عبد أسلنته جرائره
فلا خوف ناهيه ولا الحلم زاجره
يداه ولم يثبت على الخوف ناظره
ولا من جبال الروم ريدا يحاوره (١)

ثم وصف البطريق وقد جاء مكبلا بالحديد فقال :

تصمته ثقل الحديد وأحكت	حلاله من صوغه وأساوره
ولم يبق (بطريق) له مثل جرمه	(بأران) إلا عرت الب طائره (١)
كسرتهمو كسر الزاجحة بعده	ومن يجبر الوهي الذي أنت كاسره
وقد علم العاصي وإن أمنت به	محله في الأرض أنك ذاتره
حسام وعزم كالحسام وبجطل	شداد قواه محكات مراثره

• • •

وقف البحري كثيرا من شعره على الروم في حروبهم مع المسلمين حتى صححت به حوادث من التاريخ ووضحتها . ولو اقتصر المحقق على التاريخ وحده رأى عصر المتوكل عصر تحاذل على الثغور وبكفاء أمم الروم . وبكر فساند البحري ألحقت عندي عهد المتوكل بعهد المعتصم في غلب المسيحيين بالبريطانيين وصمودهم في وجوه عرواتهم . ولو كان المتوكل مثل المعتصم قووما بالخلافة ، بعداً عن الزل والهول ، لا كمن ما دنا به لمعتصم من (حروب العرب) ، ولكن طاعة السوء التي كانت عنده نصرت أمد حكمه فتقاوى الروم بمد مصر عنه واشتدوا ، وكثر عدوانهم على ثغور المسلمين .

وقد وصف البحري — في إحدى قصائده في المتوكل — عهد الروم وحضورهم مأدنة المتوكل ، وقد قدموا للبحاطبة في معاداة الأسرى . واقتصر من وصفه على طعامهم وخلقهم إلى الموائد ، وذهول عقولهم من هول ما طالعوا في قصر الحبيبة وما عاينوه وسمعوه وكانت (معاداة الأسرى) معروفة بين العرب والبريطانيين منذ كانت الحروب بينهما . وكان يقوم بأمر القداء رمن المتوكل رجلا من دهاة الساسة وهما نصر بن الأهر الشيعي . وشيخ الخادم ، وقد شحص نصر هذا إلى القسطنطينية سهيرا في أمر القداء من قبل المتوكل على الله . فبث هناك أربعة أشهر ، وكان موضع تبادل الأسرى ، على شهر اللامس ، في مدينة سلوقية (٢) .

وكانت طريقة المعاداة من أطراف ما عرف عن الأقدمين ، وذلك أن يعقد المسلمون

(١) كان البيزنطيون يطلقون لقب البطريق على قوادهم . فليس بطريق رجل دين عديم حسب وإعاز هو رجل حرب . وكان عديم الامبراطور بدينيور دوكاس أخطر قائد لحروبهم مع المسلمين طريرا كذلك . وأران إقليم قريب من مملكة الخزر شمال الجزيرة Aran .
(٢) اللامس هو Lamos فارومية و (قو صو) بالتركية . وسلوقية (سلفكر) بالتركية .

جسرا على النهر ويعقد الروم جسرا آخر . ويرسل المسجون الرومى على الجسر ، ويرسل الروم المسلم على جسرهم . ويكون المشرف من جانب الروم طريقاً من البطاريق . وقد كانت الامبراطورة (Theodore) أم ميخائيل الثالث معاصرة للتوكل ، كما كان تيوفيل معاصراً للعتصم .

ويقول د فاسيليف ، ان الحرب لم تكن على الدوام بين العرب والروم . وإنما كانت تنقطع حيناً فيحدث بين المملكتين مصادقات . وألفة وسفارات . ويكون بينهما التهادى ، فلقد أرسل ملك تيوفيل أحد علماء النجوم إلى قصر المأمون لأمره تتعق بعد الرياضيات كان بحثها المأمون .

وأن مجلس العرب في المآدب الموكية البيزنطية كما قبل مكان د العرامك ، وأن مسلمى الشرق كان لهم المكاه لعليا في هذا النظام ، وكان ابيوطيون يستعصمهم (الأصدقاء) (١) وقد أن العرب نظام حكمهم في نظام الحكم سيرة وكانت الطريقة العامة للحكومة العربية مثل طريقها عندهم (٢) . وقد شبه فاسيليف استبداد الترك . لخلافة حتى صيروها اسمة في يد الخليفة . وفعبة في أديهم رة . موكل ومن بعده . بما كل مثل ذلك عند رعمه واهواد الرومانيين الشرقيين واستبدادهم بالمملكة دون الامبراطور وكان يعرف هؤلاء المستبدون باسم (Les Pretoriens)

وسرى في الكلام على شعر الحرب لدى المتنى المقارنة والموارنة بين الجيشين العربى والبيزطى في القساده وبوس العسكر وعتاد الحرب وغير ذلك . وقد وجدت اس الأثير (٣) . يذكر عادة قطع الرؤوس عند الروم . وحملها والطواف بها كما عند العرب ، وقد روى أنه في عهد قسطنطين بعد المملكة نروزة حرج خارجى من الروم . يقال له ارميناس ودعا إلى الله فكثير جمعه حتى راد على عشرين ألفا . وأهم قسطنطين أمره وسير إليه جيشا كشفا مضمر . وقتله . وحمل رأسه إلى القسطنطينية .

ومن كل ذلك ينبغي أن العرب والروم في العصر العباسى كانوا متشابهين في أمور الحرب وقوام الحكومة وطريقة العاقب .

(١) انظر الخريجه المعربة عن (بروك) في آخر الرسالة ، وراجع تاريخ طبرى ١٩/١١ .

(٢) كتابه فاسيليف (Byzance et les Arabes) ص ١٢ .

(٣) المصدر السابق ص ١٣ .

(٤) الكامل في التاريخ ط أوربا ج ٩ ص ٣٤٢ .

كذلك كانت الحروب بين العرب والروم زمن العباسيين ، تنقطع قبلا لتصل طويلا ، وقد حرص العرب على إعداد جيش منظم وثق تعبئة ، له رعاؤه وله قواده ، وبه فرقته ، وبه عطاؤه وجراياته . وقد كان معدا على اندوم لكل وجهة ، ورهنا للعمل في كل حرب ، وقد قدر فاسيلييف جيش المعتصم المؤلف من الترك والبربر سبعين ألفا (١) .

٦ — خاتمة أسد الثغور

ينسحب البحتري على آثار أبي تمام في كل شعره ، وראה طلائع شخص أبي تمام على الرغم من إلمام الأمدى من تعضله في موارثه ، ولم يكن أبو تمام مع البحتري وحسب ، بل كل قدوة لكل من قال الشعر العربي بعده إلى اليوم .
روى صاحب معجم الأدباء أن البحتري وصا إلى أبي تمام وهو مريض فعرض عليه شعره ، وكان مجلس الشعراء فيعرضون عليه أشعارهم (٢) .

وهو يرم البحتري بالانتماء إليه ، صدقته وساء ليلين في أساليب نظم ، وأعراس اشعر وفنونه وأوقات وجبه ، فرأيت طبعيا أن ينسحب البحتري على آثار أسناده في المعاني والموضوعات ، حتى في شعر الحرب فيمدح بطول أسد الثغور (محمد أبا سعيد بن يوسف) ويحذ ذكر حروبه بقصائده كثيرة ، يقارب في عددها قصائد أبي تمام في حارس الحدود الإسلامية بقاء الروم ، وراد عنه فيها أن مدح الله (يوسف بن محمد) من بعده وامتدحهم حتى رثى الأب والله ، وبكى عليهما : رانيا العروسية وابأس ، وما كبا على المكرم والجود .
وقد أعادنا في شعره بأبي سعيد لم يذكره المؤرخون ، وما مجموعه إذ ذكره .

فلقد كنت أنقص أخبار أبي سعيد فوجدت الطبري يقول عن خاتمه في سطر واحد : إنه هلك (٣) ، فولى المتوكل الله يوسف بن محمد مكانه في حروب الروم ، فصبط أرمينية ووجه عمده فيها ، فكانت كلة (هك) — وقد عودنا الطبري أن لا يستعملها إلا لصادقين والمقتولين ، والمعصوب عليهم من أعوان السلطان — باعنه عندى القول بشكبة وقعت بأبي سعيد شأن الشكبات التي كانت تقع حينما بعد حين بالولاة والحكام في زمن العباسيين دسيسة وكيدا ، وانتقاما وقهرا ، فثبت في شعر البحتري ودا هو برقي لأبي سعيد وقد (شم) إلى

(١) كتابه السابق ص ٤٠

(٢) معجم الأدباء ط دار المأمون بحضر ج ١٩ ص ٢٤٩ .

(٣) ج ١١ ص ٤٤٠

كانت نصراني (سعيد الخاج) ، وأمر تعذيبه والعنطة عليه في المطالبة والاستخراج (١)
فيقول فيه

هذا ابن يوسف في يدي أعدائه بحري على الأيام بالأيام
بانت نوا العباس عنه ولم تكن عنه أمسة لو رعت نيام

فيكون من هذين البتير أن أبا سعيد محمد بن يوسف الثمري قد اتهمه أعداؤه وحساده
باحتياض مال الدولة ، فسله المتوكل إلى حاجبه الكبير ، وسنه هذا إلى كاتبه النصراني ليعذبه
ويغفل عليه بالعذاب فيستخرج منه أموال الدولة التي احتجتها في ولايته على الثغور .

وقد وجدت أن هذه الطريقة في لمصادره والتعذيب وتكليف بعض الأمراء والحكام
بمصادره بعض وتعذيبهم ، مما وجدت به الدول العربية القديمة دون دول العرب ، وكانت
هذه الطريقة معروفة ومتداولة في عهود دول الإسلام القديمة ، كما جرى أيام المتوكل
ولنجاح بن سلفة ، وكان على ديوان اتشع على المهر ، وأراد الإيقاع بحصومه فوجد نهرة
ذلك حين اعترم المتوكل بناء قصره الجمفرى ، ووجد الإيقاع عنده معصرة ، فقال له (نجاح)
لو سمعت نصيحى في مصادرة رجلا أذكرهم لك لأخرجت منهم كل الإيقاع على قصرك . فقال
الحليفة سم من شئت ، فدكره (الحسن بن محمد) وكان على ديوان الصاع ، و (موسى بن
عبد الملك) وكان على ديوان الخراج . فجاء هذان بمحضن لرعيهما لوربر عبيد الله بن يحيى
فسمى (نجاح بن سلفة) إلى المتوكل وقتل عنده الآية ، ويدا المتوكل يأمر الوربر بمصادرة
(نجاح) وإذا الوربر يسم (نجاح) إلى خصميه الحسن وموسى ليقتلاه — ولا يسده لصاحب
الشرطة — فيجوران عليه بالحسن ويقتلاه شر قتلة بعد أن يحمله بصنوف الضرب والعذاب
على الإفراق بالمال الذى عنده ، وقد ظهر أنه الألوف الكثيرة من الدنانير .

فيكون إذن واضحاً أن ساعياً أتهم (أبا سعيد) عند المتوكل بأحده مال الثغور ،
فصادره المتوكل على ذلك النحو المتقدم ، وعزله عن حرب الثغور وأطاع فيه حساده ، فقال
البحترى :

صرفوك عن حرب الثغور بقدر ما عرفوك يا ابن محمد بسواك
والروم تعلم أن سيفك لم يزل حتفا لصيد ملوكها وهلاكها
لر يأخذ الحساد بحدك بالمى الله أعطاك الذى أعطاك

ثم لا يلبث بطل الثغور — كما يظهر من قول البحترى فيه وقد رثاه مرتين — أن يموت

بعيدا في البلد المنقطع ، حيث لا يرار ولا يل به أبس . في قبر [دا مر به الأبطال ، دكروا
بطولة صاحبه فكسروا فرقته رماحهم ، وشفقوا عليه الرايات
وقد استراح الروم من حروبه فناموا ملء جفونهم ، بعد أن أيقظتهم سيوفه طوا عنده
على أرمينية فيقول (١) :

لا يهوى الروم استراحهم بعد	هدؤوا بأفواه الدروب وباموا
أمنوا وما آمنوا الردي حتى يطوى	في القرب ذاك الكر والإقدام
يا صاحب الجندث المقيم بهرل	ما للأبس بحريبه مقام
قر تكتر فوقه سمر القنا	من لوعة وتشفق الأعلام

ثم يصرح البحري نكته وأسبابها ، فيصوره قد توسد بده في لحده وبقي شامتوه أحياء فيقول .
وبرغم أنني أن أراك موصدا يد هالك والشامتون فيهم
ولا شك أنه بعد مصادرته وتعذيبه ، قد عاد إلى أرمينية وبها أهله ، وجمعه ، مؤثرا
الاتعاد عن دار الخلافة التي أصبح فيها مهانا ، وكان من أعظمه الأبطال ويدعى «الأمير أيام
المعتمد» ، ثم هنالك حربا ، وكان قد عود أنه يوسف الحرب وجمعه بألف مداحل ديار
الروم ومحارحها ، فذلك أرى أن المه كل قد اضطر هدمهك الآب إلى عهد ولاية الثمور لانه
سكن هذا القى لم يثبت أن الحق نبيه ، إذ وثب عليه صارقة أرمينية — كما ذكرت —
مقتلوه وقصصوه ، وبلغ المتوكل أمره فاشفق له أروع استفاء (٢)

(١) كانت وفاة الثغرى سنة ٢٣٧ هـ .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٩٠ .

الفصل الرابع

الحرب البحرية

(١) الحرب البحرية عند العرب

حاول العرب منذ أيام عمر بن الخطاب أن يكتسبوا (الحرب البحرية) ويعرفوا خطرها وكانت السياسة واضحة بفتنصبتهم معرفة أخطار هذه الحرب واكتناء البحار من أجلها ، لأن سواحل الشام التي أحدها من أبدى الروم ، كانت مرتبطة التجارة والحكومة القسطنطينية وسواحل أور ، الجنوبية . وكان للروم أسطول ، وهم أمة قبل المسلمين عرفوا البحار وغزوا عباها .

هذا ملك المسلمون مصر كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص عامه عليها أن صف لي البحر وكان عمر يقصد (بحر الروم) فكتب إليه عمرو بن العاص (١) : « إن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف ، دود على عود » .

وأوجس عمر خيفة على المسلمين من البحر وأوعر حينئذ بمنع المسلمين من ركوبه وهو يقول : « والذي بعث محمدا ما خلق لأهل فيه مسلما وثاقه لمسلم واحد أحب إلي مما حوت الروم » .

ولما بلغه أن (عرقة بن هرثة لاردي) سيد بحلة عرا عمان في البحر أسكر عليه ذلك وعنه إدراك البحر للعرو .

ولم يكن المسلمون أمة حرب في البحر حتى عصر معاوية . وكان معاوية يحيا لآثار الحصار بغري العرب بها ويحملهم عليها ، وأعد أول من فتح باب التطور للأمة العربية منذ كان عاملا لعمر على ديار الشام ، فقد كانت طقوس حملاته مشابهة لطقوس الحملات عند الروم من حشد العسكر على جاني الطريق وقرع الطبول وقد أسكر عليه عمر ذلك لما زاره

(١) مقدمة ابن خلدون الطبعة الأثرية بمصر سنة ١٩٣٠ من ٢١١ .

(زيارته الثعشبية) التي جاء بها إلى ديار الشام وبيت المقدس (١) فقال له : يا معاوية أنت صاحب الموكب آهأ مع ما نعتي من وقوف الناس بك ، فقال معاوية : يا أمير المؤمنين إننا في بلد قريب من العدو الرومي وبيننا جواسيسه ، فلا بد لنا من إظهار مثل ما ترى ليحس وقع خطبنا عنده ، فأعجب عمله عمر وتحفظ في إقراره عليه ، ولم يبهه .

فلا عرانة إذن من معاوية أن يدخل الحرب البحرية على الجيش العربي زمن خلافته ، ويخرج العرب من بداوتهم إلى الحصار ، ويحملهم أندية الروم في حرب البحر ، ولم يكن على الماء من عدو لهم غير الروم . وإن بلاد الشام والأصول وسواحل مصر كانت يومئذ حطاً محيطاً بحوض الروم ، وأسطول البيزنطيين يمر ذلك البحر من تقسطنطينية إلى السواحل الأفريقية جبهة وذوها ، دون أن يجد في طريقه معارصاً ، وكانت أمم العربية والصفالية والروم مهرة في ركوب البحر وأهل تجارات ، وقد عرفوا الحرب البحرية من طویل الزمان وما راع الروم إلا معاوية وقد عمأ أسطولاً عربياً يرسل فيه المسيير ليحاهدوا على أعواده ولا يركبوا البحر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

ولم يكن عمرو بن العاص ليحاف من البحر مثل عمر ، قد استقر أمره في مصر بعد فتحها أنه للبحر ، وعرف أنه غير الخطار من جهة الروم فعنى بالحرب البحرية ، وكان لديه أسطول جسيم . فقد ذكر المقرئ (٢) أن عبدالله بن سعيد بن أبي سرح كان أمير البحر في شواطئ مصر سنة ٣٤ للهجرة وكانت مراكب المسلمين بيعاً وماتى مراكب ، وكان (سر بن أرطاه) أميراً للبحر ، معينا لعبد الله بن سعيد ، وكان خصمهم في أحد المواقع البحرية مع الروم (ابن هرقل) فقاتلوه بالنبال والنبال ثم التحمت المراكب وعدوها من قبل الروم ألف مراكب فاقتتلوا ناسيوف حتى هزموا الروم وشذوهم ، وسميت هذه المعركة البحرية (بغرورة دي الصواري) في مياه الاسكندرية بعد فتحها أيام عمرو بن العاص وكان مع عبدالله (علقمة ابن ريد) و (كريب بن أبرهة) من أمراء البحر ، وقد كان للنساء العربيات نصيب في هذه المعركة البحرية فقد روى المقرئ أن أمير البحر عبدالله بن سعيد كانت معه امرأته (بسيسة ابنة حمزة بن يشرح) وكان الناس يفرون بناتهم في المراكب ، وكانت بسيسة تشارك في القتال وتعطي رأياً فيه ، وهناك عنها عبدالله فتزوجها علقمة بن ريد ، وهلك عنها هذا ، فتزوجها كريب بن أبرهة

(١) قال عمر : لأسيرن في الرعيعة حولاً فيما أعلم أن الناس حاجات تقطع دون أمم عالم فلا يرصونها إلى وأمام فلا يصلون إلى (اسارع السكامل لأن الأثير ط ٣٩/٣) .
(٢) الخطاط المقرئ ط مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٤ ج ١ ص ٢٧٣ .

ابن مافع بن عبد القيس . وعبد الله بن قيس الجاسي ، وكان لهذا الأخير محو من حسين غزوة في البر والبحر ، ولم يفرق في غزواته في البحر أحد من جمعه .

وذكر (آغا يوس المنجي) (١) في (كتاب العنوان) (٢) أنه في السنة الثالثة لعثمان ، ركب معاوية البحر وصار إلى قبرس ، فافتتحها وكان معه ألف وسبعمائة سفينة مملوءة سلاحا وأموالا . وأن معاوية (٣) غلب في البحر (قسطوس) ملك الروم وأحرق سفينه وهزمه . ولحقه إلى الروم فلجأ (قسطوس) إلى صفية ، وفي السنة الرابعة عشرة لمعاوية (٤) عرت العرب الروم في البحر فأنهرم أسطول معاوية وأحرقه الروم ثم غرروا سواحل سورية لحاؤوا إلى صور وصيدا في السنة نفسها .

فيتبين من روايات آغا يوس المنجي (٥) أن الحرب البحرية كانت مستحالة بين المسلمين والروم في عهد معاوية ، ويظهر ابن خلدون (٦) ، بأنه لما استقر الملك للعرب وسمح سلطانهم وصارت أمم المعجم حولا لهم وتغربت كل ذي صنعة أيهم بمنع صناعته استخدموا من (النواتية) في حاجاتهم البحرية أمما ، وتكررت ممارستهم للبحر ونفاذه وشعبه الجهاد فيه ، فأنشؤوا السفن وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح ، ونصب كر وادفنه ، لم وراء البحر من أمم الكفر ، واحتضوا يدك من ملكهم وتغمرهم ما كان أقرب هذا بحر على حافته مثل الشام وأفريقية وأما العرب والأندلس

(١) كتاب أمون لأغابوس ، الجزء من مصادر العهد العباسي للإسلاوي وأول من ذكره المشرق (Assemanie) سنة ١٧٤٢ في حدود سنة ١٧٤٢ في حدود سنة ١٧٤٢ في مكة . ثم عفا عنه المشرق (هور) فأشار إليه سنة ١٩٠٢ حتى جاء (سكرتير فاسد) المشرق (روم) منه من العربية إلى الفرنسية وشرحه من أخبار متفرقة (بحلة) آباء السكائن الشرقيين في مصدر عن باريس باسم (Patrologia Orientalis) .

(٢) كتاب ، وان Fascicule 3 tome VII ، شرف وسيف مع برس ٨ ١٩ (220) P من مجموعة Patrologia Orientalis .

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٤ .

(٤) المصدر نفسه ص (232) .

(٥) أما آغا يوس المنجي مؤلف كتاب معون (Kitab a unvan) ، فهو مؤرخ عربي رومى يقال له (Agapius) من قسطنطينية وكان أسقف مسيح في عين الصخر لأملاك وكان له حوادث التي ذكرها في كتابه ثم عفا في توضيح المعالم التاريخية لدى المؤرخين الرومانيين ، وقد ساهم له كتب كثيرة وقد عني في كتابه بتاريخ الروم وحدث الفرس كما عني بحوادث تاريخ العرب من مقدمة الأسبيري على الجزء الأول من الكتاب .

(٦) مقدمة ابن خلدون الطبعة السابقة الصفحة ٢٥٥ .

وما جاء عبد الملك من مروان حتى كان العرب قد تمسكوا بأفان البحار . ولم يعد يذعرهم فيها الدعر ، بما دعا عبد الملك أن يكتب إلى عامله على أفريقية حسان بن النعمان ، أن يتخذ داراً لصناعة الآلات البحرية والسفن ، (وهو ما يعر عنه في رمننا ترسانات) وكانت استجابة عامله بن دك وسية إلى فتح صقلية .

أحد العرب في الأندلس هذه الضرورة البحرية فأنشؤوا الأساطيل . ولا ريب في أهم كانوا أقرب إلى تجوئها من المشرقيين . لوجودهم في العرب . ولأن الأمة الإسبانية كانت أمة بحار ، وصاحبة أساطيل ، فكان تقيدهم واقتباسهم في دك أسهل وأجدي . لكن الأسطول لم في هي صغماً نفعه الأسطول الرومي في الحوض الأبيض ، لحدائنه عهد العرب في دك ، ولا شئنه لهم في حروب الشرق مع فارس ، وما وراء النهر ، والفتن الداخلية في أرجاء العراق وديار الشام .

ولم يكن ذلك من العباسيين أن يمحضوا الإسكندرية من جهة البحر (١) ، وأن يكلفوا من كان في سبيل البحر في الشام ومصر من الصنائع والنونية ، أن يصنعوا السفن البحرية ، لاسيما البناسيين انقضى ، فمهم كانوا بحريين من سوا الف العصور ، والأمة امينيكية التي كانت على سواحل لبنان هي التي علمت الأمم القديمة من السفن ، وشق البحار ، وكان شجر الأرز في لبنان وهو الذي تصنع منه أخشاب السفن معواناً على ذلك .

فم ذلك العباسيون أن أوجدوا لجيشهم أسطولا صغماً يكاد يند الأسطول البيزنطي ، ولا شك أن هذا الأسطول كان في إبان عظمته وقوته . أيام الرشيد والمعتصم . ثم تخاد وتضاءل بعد عهد المتوكل . ودليل على أن البيزنطيين قد اجتروا في عهد المتوكل على أن يشقوا البحر الأبيض من شماله إلى جنوبه ليعزوا مصر ، فقد روى صاحب (النجوم الزاهرة) الذي عى حاصره بالحوادث التي تلابست تاريخ مصر . أنه في سنة ٢٣٨ هـ (٢) وهي موافقة لخلافة المتوكل قصد الروم دمياط في ثلاثمائة مرك فكسوا البلد ، وسبوا ستمائة امرأة ، وسبوا وأحرقوا وبدعوا . ثم فصل هذه المياغنة الرومية ، (٣) فقال : إنهم تركوا دمياط بعد أن حاربهم أهلها ، إذ كان الجند المتوكل إليهم حراسة دمياط ، عانين في القاهرة ، حموة محمل كل أقامه ليلة العبد عامل المتوكل (أبو رجاء عنسة بن اسحق) ثم

(١) مقدمة ابن خلدون الصفة الداخلة من ٢٩٢ .

(٢) ج ٢ من ٢٩٢ .

(٣) من ٢٩٥ .

إن الروم الذين نزلوا من الأسطول ذهبوا من دمياط إلى المدة (أشموم)^(١) ، فلم يقدروا عليها فقادوا إلى بلادهم ولحقهم أبو رجاء بجيوشه فم يدركهم ، وقد ذكر هذه الحادثة الطبرى^(٢) ، وذكر أسماء الرومان الذين قادوا الأسطول ، وكان ثلاث فرق ، كل فرقة مائة سفينة فأرسل (نسطور) بدمياط ، فأحرق سبعين المصريين إلى كانت في شطها ، وسبي ثمان فبطيات مع المسبوت ، وأحرق المسجد الجامع بدمياط والكنائس ، وحار المال الكثير والسلاح .

• • •

يقول هـ ستيفان رونسيمان^(٣) في كتابه (الحضارة البيزنطية) عند كلامه على (البحرة البيزنطية) أن البيزنطيين لم يكونوا يعنون بحرب البحر ولا (يعطونها كل اهتمام) فمن أن يستعمل أمر العرب ، هذا أنشا العرب أسطولهم فصت لضروره على البيزنطيين أن يسدوا جهودهم في تنظيم أسطولهم وإعداده على الدوام ، لمصادمات العرب ، وأن أسطول البيزنطيين أهدأ أسطول العرب عن نفسها فبيد مرتين وحافظ على جريزة صفليه من غزوات العرب

وكان أسطول البحر بطى يهمل أمره كلما ضعف أسطول العرب وكان العرب يهرعون كل ما في وسعهم على أن يأخذوا منهم صفيه ثم كربت ، وأن يحلوا قاعدتين للمهاجمة الدائمة على بزنطة واليونان في بحر (إيجه) حتى كان عهد (ندورة وميخائيل الثاني) ثم من بعدهم (بارييل) ففتح هؤلاء روجا جديداً في الأسطول البيزنطى ، وأنشؤوا دور صناعة السفن على شواطئ بحر الروم ، وكان أعظم أمر للروم على البحر يوم ذلك (أوريفاس Oryphas) ويقول رونسيمان إن المؤرخ الرومى (تيوفان قوطينو اطوس^(٤)) يصف غزوة بحرية قام بها سنة ٩٠٤ لسيلا أحد أبطال البحر عند المسلمين وهو ليون (الطرابلسى)^(٥) ، ففتح تساليا^(٦) ، فنهبا وأقام فيها رما ولم استطع الأسطول الرومى أن يقف في سبيله ، أو أن يجلبه عن تساليا إلا بعد ستين إذ حاربه وقتله .

(١) يسميها الطبرى (اشتموم) وهي اشتموم على ما ورد في نسخة بيروت .

(٢) تاريخه ١١ ٤٨ .

(٣) La civilisation Byzantine

تأليف Stevan Runciman الأستاذ بجامعة كامبردج ، ترجمة مرسية طبع نابو باريس سنة ١٩٤٤ ص (١٥٧) .

(٤) Théophaan Continuatus

Leon de Tripoli (٥)

Thessalonique (٦)

وفي عهد (سيسيمور فوكاس) سنة ٩٦١ لبيلاذ أصبح الأسطول العربي (في حين العدم)
و استطاع هذا الامبراطور الجبار أن يقول لخودا : ه أنا وحدي سيد البحار (١) .
سكن الحروب السلخوية لم تلت أن عصت على آثار الأسطول البيزنطي ، وهدمت دور
الصناعة البحرية على ساحل البحر . ثم عاد الروم إلى النهوض حيناً بعد حين ، بحرب البحار
حتى كانت الحروب الصليبية .

أما المعتصم الذي كسر شوكة الروم في ابر ، بعد حروب عمورية ، حتى لم تقم لها قائمة في
البحر في زمنه ، فكان ذا برعة للحرب البحرية بعد بي سفينة كبرى سماها (الزو) وكان
يحسب أن يشهد العسكر في البحر ، كما فعل ذات مرة إذ أمر بعرض عسكرى بحرى (وذلك
أن (الرط) وكانوا ألوفاً وقد شتموا عليه ، ثم أضاعوا وسدوا ، فأمر بعرضهم في دجلة وكان
عددهم سبعمائة وعشرين ألفاً منهم اثنا عشر ألف مقاتل . وأمر بقائده (عجيف) الذي
كسر الرط أن يمر بهم (٢) . وهم في زوارقهم على هبتهم في الحرب معهم الأتواق .
حتى دخل بهم بغداد (وكان المعتصم يشاهد هذا العرض وهو في سفينة الروم حتى أنه الرط
على تعبتهم وهم يثمنون في الأوان

في تشرح الخيال نحو هؤلاء الرط وعددهم اثنا عشر ألفاً . يمكن للذهن أن يحسب
عدد منهم ، وأن يسميهم ويروهم ، ويأيدهم سيفهم ورمحهم ونشابهم . الأتواق
في فواء النشور ، تملأ سمه (الشامية) حتى كان معرضهم فيها لمعتصم ، وأحسب أن هذا
أول عرض بحرى عرفه العرب . وكان الأمير قبل المعتصم ، معتداً بالبحر البحرية ،
وكان يجعل بعضها لارفة ، فقد بي سفينة (الدلفن) وقد برصم (نو بوس) بقصده .
ودكر أبو الفداء المؤيد (٤) أن الأمير عمل خمس حرافد في دجلة على صورة أسد وعن
صورة الغيل والعقاب والحية ، وعلى صورة الفرس ، وانفق عليها مالا عظيماً ، حتى قال
أبو واس يصف هذه الفرس ومعجزة فيها من الهيئات ولاشك أن لا يعرفه العرب وإعما
كان معروفه عند الروم

سبح الله الأمير مظهره
لم تبحر صاحب الخراب
سار في الماء راكياً ليث غاب
هيد م ركبته مرب

(١) المصدر سابق من كتب روسين La criteion من (359)

(٢) تاريخ لصبرى ٣٠٦١ Byzantine .

(٣) مكان سامرا

(٤) تاريخه ج ١ ص ٢١ .

عجب الناس إذ رأوك عليه كيف لو أبصروا فوق العباب
ذات سور ومنزر وجناحين تشق العباب بعد العباب

واظهار من قول أن يواس أن (عقاب) كان (قطعة) جبانة من قطع الأسطول عند
الأمم وكان يركبها في حروبه لبحرية، وكانت ذات منزر ومقدم وجناحين، والمراكب
دوات الأسوار من اختراع العرب كما يرسم ذلك المؤرخ العربي (شليرجة) في كتابه عن
الامبراطور (سيفور فوكس) فقد أثبت فيه صورين للبحرية العربية في العصر
العباسي، وهي سفن مسورة فيها بروج مبنية على طريقة أراج الحصون شرفاتها المكشوفة
المجبطه، وسطها أي يسميها الفرنجة (Crèneau) وفيها معادف جسام ومنجذفات، كما أثبت
شليرجة صوراً ثمانية لبحرية العرب في كتابه عن قذائف البحر.

(٢) أسطول المتوكل والمركة البحرية

لش غفمت المتوكل (نوره) (نودوره) ^(١)، وأسلت أسطولها إلى غزو ديباط
— كما قدمت — فيه كان يملك أسطولاً جديراً ثقلاً لم يصفه المؤرخون — جديراً على
عادتهم في اقتصاب بعض الحوادث القيمة أحصيره — وإلى الذي يبين بوصفه وحده هو
البحري والمؤرخون أنه بطبون الذين نقل عنهم المستشرقون المعاصرون، فقد ذكر
(ماريوس كانار) ^(٢) أنه لم يصف أحد من مؤرخي العرب هذه الحملة البحرية أيام المتوكل
التي سار فيها الأسطول العربي نحو بزنطية وأن البيزنطيين يسمون قائد أسطول المتوكل
(Apodenar) وهم يعنون (أحمد بن دينار)، وأن المؤرخين البيزنطيين يدعون هذه
الغزوة البحرية التي انتهت بهلاك الأسطول الرومي، سبب الإغصار والتواضع البحرية
ذلك ما لاحظته (ماريوس كانار) على تاريخ الغزوة البحرية أيام المتوكل، لكن البحري
قد وصف هذه الغزوة وصفاً رائعاً حتى قال عنه النويري صاحب نهاية الأرب ^(٣) لم يصف
أحد من المتقدمين والمتأخرين القتال في المراكب إلا البحري، فكانت هذه الفريدة من

(١) سأصف هذا الكتاب عند الكلام على شهر الحرب لدى أبي العباس الثاني وعصر الحمدانيين و
حروبهم مع البيزنطيين.

(٢) theodora وكانت تسمى (نيودورا الفاصية) وهي من الأسرة لعمورية حكمت بزنطية من
سنة ٨٤٢ إلى سنة ٨٥٦ للميلاد. فهي معاصرة المتوكل وكانت حالات حسب أعوام البلاد من سنة
٨٤٧ إلى سنة ٨٦١ الموافقة للهجرة من سنة ٢٣٢ إلى سنة ٢٤٧.

(٣) في أعقاب كتاب (فاسيديف) (Byzance et les arabes) انقدم ذكره ووصفه.

(٤) ج ٦ ص ١٩٧.

ببحري (١) هدية اقدور . في شعر احسانة العريضة لاسيا وقد قبلت (في الحرب البحرية)
عند العرب ، التي عراها فيما (احمد بن دينار بن عبد الله) بلاد الروم ، وقد ذكر البحري اسمه
في هذه القصيدة وفصله على البحر بعد ان تولى الامرة عبيه وتديره فيه ، وحمله الرماح العوالي
من الماء ، هكذا ليس يبحر في البحر فقال :

نأ مضيات المصلب المتوعر نأحر أحمرنا الزمان وأسهمت
غدا البحر من أخلاقه بين أبحر نأ تولى البحر والجود صنوه
ولا عزم إلا للشجع المدبر أضاف إلى التدبير فصل شجاعه
عوامها في صدر نأ عصمير إذ شجروه بالرمح تكبير

ثم مضى البحري أو سافر بالأسطول ، وقد ركب (أمير البحر) احمد بن دينار
(فضله سحر) الخاصة وسماها (يسمون) وكان الوقت صباحا

ولا يتركون عبده - عن عمارته - عن ألعاب الماء في وقت الأمل فقد جعل من
البحر ماضيا وضمون عند شجرة عمارته فوقه ، يظهر من ، صف البحري أن
البحري في أسطوره ياتى ، البحر على حمة ، عرض بحري ، في فوصفه وقد (أطل)
(مر) ركب به فارس على حسن مشير ، ثم كانت بعد هذا العرض (زجره تنوق فوق
الملاء) (٢) وفقد بها البرح المرنع في وسط السفينة الذي يمر الصاري الكبير من اسفله إلى
علاه ، ومنه يستكشف التنوق طريق البحر ، وما رجحة التنوق ، لا (الأوامر العسكرية)
لجنود البحرية ولم يترك البحري نظامه واصطه فهم لتلقى الأوامر من رئيسهم (الإشتيام)
(ichtyame) في وصفه بأن التوتير وهم في حصرنه كانوا مفضون أصارهم
وكانهم وقوف في سماط انتظارا لمرور الأمير العظيم فقال

(١) ديوان طه حندية بمصر ج ٢ ص ٢٢ .

(٢) أمدها من سواى العرب في من البحار إذ كانوا يسمون (نظامهم البحرية) بأسماء خاصة
كما قال (أبي سادها لأمين) وسمون هذه ومدحرب على ذلك الأمم الحديثة حتى سموا في هذه الحرب
عربية مصابات كثيرة لقطع الأساطيل مثل (أجاكس) و (آرثو رويال) عند الانجليز و (الخزانة)
عند الفرنسيين .

(٣) الملاة في اللغة سدان الحديد ، ومن شكله ذهبت الى أن البحري أراد به (روح الصاري) في
السفينة الذي يكون فيه الرصد ومكان سوتى الأمر ودليل على ذلك أن البحري شبه وقفة التنوق به
كوقفة الخطيب في رأس المنبر .

(٤) لإشتيام كلمة معربة والمطل في الفرنجية (Lktyame) وقد ورد في معجم (Ouge)
مربى أن (إشتي) كلمة يونانية معناها لمسح المغذ (Christ soveur) و (آثم) من معانيها
لروح والحاراة فكلمة إشتيام لتي أوردتها البحري في وصف من يسمى بها بأنه ذو أمر ونهى =

عدوت على اليمون (صباحا) وإلما
(أطل) مطعبيه (ومر) كألما
إذا زبحر النوق فوق (علاته)
بعضون دون (الإشتيام) عيونهم
غدا المركب اليمون تحت المطهر
تشرف من هاذي حصار مشهر
رأيت خطبيا في ذؤانة منر
وقوف السباط للعظيم المؤمر

ثم قصر البحرى من هذا الوصف الهدى. المطمئن إلى مقدمة المعركة البحرية وهى قهزة مالوفة فى عادة شعرائنا الأقدمين ، فى صيق الدرع وقصر النقص فى الشعر قصور كيف اهتر الأسطون لهبوب الريح . ففسق الإشتيام أغلى الصوارى (لشد الفلاع) صموداً لريح الجنوب العاصفة ، فكانه على جناح عقاب ، داهب و الساء . ثم يشكى . هذا الأسطول فى الماء ، فيندفع منهماً بعبه . فكأن الماء أراد بحيرة تلتع بها جسمه

ويلتفت البحرى بعد ذلك إلى جنود البحر . فقصمهم بأهم ملتزمون حول ابن ديزر وهم ركانون للهلل معاقرون لكؤوس المنيا ، فيه دارعون وفيهم حدة فودة الآلات البدين بس عليهم الحرب : وإلما هم منحفون من شروخ ومن عائق الشيب ، أمام ، لا تهم يدبرونها وكان الدارعون ضاحين للعدو والحاسرون فى سير ذلك

فقال فى هذا الوصف وهو يعنى المركب (اليمون) :

إذا عصفت فيه الجنوب أغلى لها
إذا ما انكفا فى هبوة الماء خلته
وحولك ركانون للهلل عاقروا
كؤوس الردى من دارعين وحسروا
جناح عقاب فى الساء مبحر (١)

تلفع فى أثناء برد مبحر
كؤوس الردى من دارعين وحسروا

وآدن البحرى بوصف (المعركة البحرية) قصور الجنود وهم يميلون (بالشباب) ، خيئاً مالت أكرمهم بحمد الحديد مالت المنيا

ثم ناشروا (هدف اللب) (٢) ، فرشقوا بالنار فأحرقوا السفن وجسوم من فيها ، حتى (شم القتر) وهو الحم المشوى . وقد حاطب البحرى ابن ديزر كيف صدم بخنوده هؤلاء الصلاد جنود البرنطين . أتحاب النحي الشقراء (صه العنابن) فكان صرب جنود المسلمين عليهم كايقاد النار المشتعلة :

بذعى أن تكون وصفا لرئيس المركب الذى يتخذ ، ويكون له فى البحر عمره المسح . والكلمة فى أصلها رومية . وذكر معناها صاحب (لسان العرب بمادة شتم) فقال (الاشتيام رئيس المركب) .

(١) عصف هذا الريح على أسطول ابن ديار مصداق لما ورد عند المؤرخين البرنطين كما نقل ماريوس كنار من أن المعركة كانت محفوفة بالمواصف الملكة .

(٢) وهو ما يعرفه لغة لمرجحة فى عصرنا (Projectile de feu) وفى لغتنا اليوم (صواريخ ناربة) وكان يسمى عند الروم الأقدمين (feu Grégeois) .

تبل المنايا حيث مالت أكفهم إذا أصتوا حد الحديد المذك
إذا رشقوا ، شار لم يك رشقه يقع إلا عن شواء مقتر
صدمت بهم (صبت العناوين) دوسهم صراب كإيقاد اللطى المتسعر
وقد وصف (شمر جنة) أبير طين والمسيدي في الحرب قد ذكر القذائف النارية التي كان
العرب يستعملونها في أساطيلهم في عصر العباسي وقد نقل هو هذا الوصف عن مؤرخ المسيو
(Salicy) أن العرب اقتصروا في "قذائف شاربه" ، لم يعرفه روم ، وذلك أنهم اخترعوا
(الرماة العربية) بصنعوها من الفخار ، وكان عندهم ثلاثة أسماء لها ، الزيت المحرق النار
البحرية ، الشعلة اندائية

و كانت هذه (الرماة) تشتعل وهي على سطح الماء وقد سبق "الجنود الساحليون" (٢١)
ويقول (شمر جنة) إن هذه الرماة قنبلة كانت تحشى ، تنفذ برميها العرب على
الأساطيل برصاصه ، على الحصون المحاصرة ، وهي حينئذ تنفذ شعنتها من كل الجهات
في الأسفل كما في الأعلى فتصدع كل شيء حتى الحجارة ، وأن أبير طين صاروا يستعملونها
وقد أثبت هذا المؤرخ صوراً لهذه (الرماة العربية) وهي على شكل الجرة الصغيرة
ذات مروح وفي كل مروح ثقب وأثبت في كنفه صوراً للسفن من الأسطول العريق ، وقد
صفت هذه القذائف على أحشاب قصب ، معدة حمداً ، واحدة تحارب اثنتان ، وفي كل سفينة
عدد كثير منها (٢٢)

ثم وصف البحري الروم بأنهم أصحاب النجى اشقراء ، كانوا يوقون أسطولا لم تلت
سفنهم ان تقشعت وتكشفت (كسحائب الصيف) بعضها كان سفناً قوية صلبة ، كالسحاب
المطر ، وبعضها كان سفناً سحيقة كالسحاب الجمام الذي ليس فيه مطر .
وصح ببحر بين الريح المشجرة والسيوف المتراطمة على الحديد ، فكانت هذه
الأصوات في الأسماع مثل أصوات الإبل الهادرة المجرجرة . وكانت السفن المتفارقة في
هذه المعركة تدان رؤوسها فكانها أعناق وحوش باهرة ، كما يؤلف بينها ، وبروص
شماسها (أحمد بن دينار) ذلك سحر البحري في تصويره للمعركة البحرية حيث يقول
عن الروم

(١) ثبت لعمري هذا هو وحى (الطوريد) torpille عند الأمم الغربية المعاصرة . انظر هذه
الصورة الأصلية للرماة العربية المشجرة في ص ٩٠ من كتاب شلبرج .
(٢) صفحات 56 ، 58 ، 85 ، 87 من كتاب (شلبرج) عن الامبراطور ابرهلى (بديفور
موكاس)

يسوقون (أسطولا) كأن سمته
 كأن ضجيج البحر بين رماحهم
 سحائب صيف من جهام ومطر
 إذا اختلفت ترجيع عود بحر جر
 تقارب من زحفهم فكأنما
 تواف من أعناق وحش منفر

فكان البحرى في تشبيه ضجيج البحر والرماح بالمجمل الصائح ، وتشبيه تلافى المراكب من رؤوسها بأعناق الوحش الكفر ، بدوى الخيال لم تصقل الحصاره خياله ، وهو الذى عرف البداوة فانطبع عليها حدائنه .

ويطل البحرى بمحاطب في القصيدة أحمد بن دينار بما يبعث على الحكم أنه أشده إليها بعد عودته من المعركة طائرا . وفي حمل استقباله عند أوتيه من عروة الروم في البحر . فيذكر أنه لم يترك المعركة البحرية حتى انتهت الحرب عن أعدى مقطعة ورؤوس مطره . وإهام المقصعة تدلنا على أن العرب حالطوا اسمهم من روم ، فقروا إليها وعملوا السيوف في رجائها . فقطعوا رفاقهم ، ودليل هذا التفارب قوس البحرى بأن ابن دينار كان (يقارب الزحفين ويؤلف بين أعناق السم) وإهام المطير هو أثر قتال البحرية التي كانت تنفجر قطير إهام عن الأجسام .

ثم يعدنا البحرى في آخر القصيدة ، بأن أحمد بن دينار بن عبد الله فارسي الأصل (ابن كبرى) قديما وحديثا ، (فهو يستحق لقب سليل أموك) وهو بذلك الملقب جدر بأن يصعد صحرة ابن قيصر (ملك بزنطية) وهو دليل على أن أسطول الروم ، كان بقيادة ابن صاحب القسطنطينية . وأرى أن هذه العروة البحرية التي كانت في خلافة المتوكل قد حدثت في أوائل خلافته ، وإبان قوته على الروم تلك القوة التي ورثها عن المعتصم ، ثم عن الواثق في حوالى سنة (٨٥٠ ميلاد) زمن نيودورة على عرش القسطنطينية أى بعد حكم تيوفيل (١) المعاصر لمعتصم ، ولدى كانت في أيامه وقعة عمورية وقد ذكره أبو تمام في روميته الحربية .

وفي نهاية القصيدة وصف البحرى فرار (ابن قيصر) طائرا على ألواح خشب طوبية مسمرة ، ويعنى البحرى بذلك مركبه المصدوع بعد المعركة وقد ساعدته الريح العاصفة فتجاسم الهلاك وإنه لمحتمل في التمسير لشعر البحرى أن تكون الريح قد عصفت في إبان المعركة أو عند انتهائها . فرضى ابن دينار هذا القسط من النصر ، فأوقف الحرب وتركها حشية من متابعة الالتحام مع الأعداء وما يجردك من سوء العقبى ، أو أن ابن قيصر نهجت شراعه الريح فطار به مركبه ، فكان بذلك مولى للريح التي أطلقته .

(١) حكم تيوفيل (Theophile) من سنة ٨٢٩ الى سنة ٨٤٢ ميلاد وهو من الأسرة العمورية .

وراح هذا المهروم الرومي يرمى الموج نظرة المصعوق المرعوب ، إذ كان يود أن يراه
متدفقا متدافعا في ظهر سميت الهربة ، يرجح على يد الريح ، حتى فار في مراره متعلقا بأرض
الروم الكبيرة ، وفاته الردى الذى كان مسرعا إليه .

وقول البحترى (الأرض الكبيرة) يدل على أن المعركة البحرية جرت في مياه الروم
البعيدة عن القسطنطينية ، أى في مياه الإسكندرويه وما جاورها ، إذ تمكن (ابن قيسر)
من أن يمر من المياه اتى في أرض الروم الصغيرة ، إلى أرض الروم الكبيرة ، وببهي أن
يكون ابن قيسر هذا هو البطريق الذى كان أمير البحر على أسطول الروم في معركته مع العرب
هـ ذلك يقول البحترى لاس ديزر :

فأرمت حتى أجبت الحرب عن طلي	تقطعها فيها وهام مطير
وكنيت ابن كسرى قبل ذلك وبعده	مليا بأن توهمى صفاة (ابن قيسر)
جدحت له الموت الزعاف ففاه	وطار على ألواح شطب مسمر
مضى وهو مولى الرج يشكر فضها	عليه ومن بول الصنينة يشكر
إذا الموح لم يبعه إدراك عينه	ثى في انحدار الموح لحظة أحرر
تعلق بالأرض الكبيرة بعدما	تنقصه جرى الردى المتطر

ولولا ما أعرف من مراعاة البحترى في التصور والتحليل ، لجرمت أنه كان في هذه المعركة
البحرية ، كما كان في وقعة (عفرقس) بأرض الروم .

الفصيل الخامس

خصائص شعر الحرب في العصر العباسي

١ - فهم أبي تمام في شعر الحرب

يقول (يوسف فري) : «أما لا أقول الشعر ولكني أصنعه ونسبه .. وما أجدرني بأن أصف أبا تمام بما وصفه الفري به نفسه ، فأبو تمام في الشعر صنع بناء ، بل هو في الألفاظ والمعاني (معماري ومهندس) .

انظر إلى أبنائه ، أي بيت شئت من أبة فصيحة ، تجد ميسمه ناديا ، وطريقته في النظم متحفية . وفكر في التصوير الإسلامي إلى عهده نجد (الزخرف العربي Arabesque) يملأ جدران المساجد ، ويروق المحاريب ، ويبلغ حول الكوى والنوافذ ، في القصور والحدود . وإليك لنعلم أن فن التصوير في الإسلام استل بعوائق التزم ، فوجد العرب المصورون منجاة لهم من ذلك بالزخرفة والتلافيف ، والشجير والسيوف ، فكان (التناظر) أساس هذه المنون فإذا صور مصورهم مريما ومسدسين عن يمين ، كان عليه أن يصور مريما ومسدسين مثلها عن يسار ، وإذا حط دائرة من فوق ، لزمه أن يحيط دائرة من تحت ، وأن يكون بين الدائرتين من فواصل التلافيف ما يتناظر حول حط واحد ، وما يتجاك في نطاق الصورة . من هذا (فن التناظر) ، ومن ذلك المذهب في محاكاة الخطوط كان الطائي صاحب طريقة البديع في الشعر العربي ، والباعث عليها منذ عهده ، على أن العرب في جاهليتهم وإسلامهم وإن عرفوا هذه الطريقة ، فبما كانت تأتيم على رسلها بغير تكلف ، وكان في القرآن مضرب أمثال لها . لكن أبا تمام جعلها دأبا في صنعه ، وتعمدا في القريض فصار بها معروفا واتخذ فيها أستاذا لمن بعده من الشعراء . وتلك سنة في أكثر المذاهب الأدبية أو الفلسفية ، فإنها تنسب إلى من يتخذها دأبا ، ويعتقها كالدين ، ومثال ذلك فيكتور هوغو فقد نسب إليه مذهب (الرومانطيين) والمتقصى لعروق هذه النزعة في الأدب العالمي ، يجد أصلها في الشعر الروماني عند (كاتولوس) . ثم يراها في الأدب الفولسي مقسمة في (مدام دوستال) و (شانوبريان) قبل أن تصير إلى زعامة (فيكتور هوغو) فيحمل لواءها ، ويهجم بها على المذهب الكلاسيكي حاطا مياحه القديمة .

وقد ناقش مثل هذه العكزة أبو القاسم الآمدي في موازنته ، بين أبي تمام والبحتري^(١) فقال يرغم المحتجون بأبي تمام . أنه امرد بمذهب استدعه وصار فيه أولاً وإماماً متبوعاً ، حتى قيل هذا مذهب أبي تمام . ثم قال ويرغم أصحاب البحتري أن هذا الأمر ليس من اختراع أبي تمام ولا كان سابقاً فيه . بل منك مذهب مسد بر الوليد . واحتدى مثاله ، وأمرط وأسرف . ثم أتبع الآمدي قوله ، بأن مسداً أبصاً غير مبدع لهذا المذهب وإماماً هو موجود في أشعار المتقدمين .

وإذا كان أبو تمام من طلع الشام ومن طريقته سميت ، بالبريقة اشامة ، في الشعر العربي عصرى العباس وطبع على عرارها ، الشاميان البحتري وأبو العلاء . ذلك ميسم أبي تمام ، وقد كان يطبعه في كل شعره . وفي فنون قومه ، هذا درست فنه في شعر الحرب . فإما أدرس إذن فنه في كل شعره . ولعل أجد من جرس الكلام في حريات أبي تمام . ما يوافق حرس السلاح وصليل الدروع وخلق البنود والموسيقى العسكرية . وليس عندي أفضل دراسة من أبي تمام في شعر الحرب من أشعاره التي جمعناها شواهد للكلام عبيه

من فنه في شعر بحري في بابك أنه جعل يوم أرشق وسبه (ننضل ، المعطى) الذي دلت عليه في مذهبه فيقول :

يا يوم (أرشق) كنت (رشق) منه^(٢)

ويحمل هذا دله في أكثر الألفاظ التي سميت بها للبلاد لغير طبعه . فيقول في قصيدته عن معارك أبي وصف الثعري في ديار الروم ، وقد ذكر البديين - (صاعري وأوقصي وأرض قره) :
أورنت (صاعري) صفاراً ورعماً وقصت (أوقصى) قبيل لشرق
كم أقامت من أرض (قره) من قر - ق عين ورب موموق
وليس هذا لعباً ، بالألفاظ كما رعم الناس من النافدين ، وإنما هو (موسيقى لعطية) (وإيقاع بالحروف) بين أرشق والرشق . وصاعري والصغار وما في شبه ذلك بألف باغم ، ولحن للكلام ، صاع أبو تمام أشعاره فيه وساق عليه معانيه وكانت معانيه حالية فرادت خلاستها . وطال ما تشوف نهر من التفاد إلى شعرائهم ، وعجبوا للموسيقى التي فيه فلاموا شعرباً ورأوه - كما حسبوا - محروماً هذه الموسيقى . وفاتهم أن الموسيقى زينة شعر أبي تمام وأصرا به ، وأن العرب عرفوا قبل أولئك العربيين المعاصرين هذه الموسيقى اللطيفة بألف عام .

(١) طبعة الخوان بالآستانة سنة ١٢٨٧ هـ من ٦ .

(٢) أرشق جبل عند البذ . مدينة بابك الحرى (ياقوت) .

وكما تكون اللحون متألعة بالوتيرة ، فيها تكون متعانة ومتفانة فهي نارة بين صعود
وحينا بين هبوط ، وهي تتساق خلال ذلك بين الدقة والرهافة ، والجسامة والجهارة .
كذلك في أي تمام في شعره الخرى ، فقد يأتي شعة على (السنتات) تؤثر بين أجزائها
بالطباق والمقابلة والجناس ، فيقول إن أباسعيد الثغرى :

في كفاة يكسون نسج السلوقي — وتعدو بهم كلاب ملوق
يتساقون في الردى كأس موت هي موصولة بكأس الرحيق
ثم يقول :

سار مستقدا إلى البأس يزجي رجحا باسقا إلى (الأسبق)
لحوى سوقها وغادر فيها سوق موت طمت على كل سوق
فهذه خمس عشرة سبنا في أربعة أبيات ، تدرى في السمع مثل الحرس حرق ، وتراق على
اللسان في أنشودة حماسة .

أما من أبي تمام الالوع (بالأصداد) في المعنى وفي المعط ، فما أحب إلى معنى أن أبحث
عن مرده ومنبعه في شيء من حلقه وقوام شخصيته فقد روى عن مستهل عشه أنه كان يحدم
حائكا ويعمل عنده بدمشق^(١) فوجدت من ههنا عده من مدته في الصناعة ، من صناعه الحائك
عمل في يقوم على هندسة الأشكال ، وور بعد إلى تصوير الأصداد في الوضوع والتقسيم .
وإذا جرينا مع علماء النفس المحدثين ، وجدناهم يردون أعمال المرء إلى أوائل ما يتمرس به
في صغره ، فكان لنا من طبيئته هذه مساعد على تعييل السب في من أبي تمام في الصناعة
اللفظية والصاق المعنوي ، وما إلى ذلك من فنون البديع ، ومن هذه المنور ذكر شيء وصده ،
وتكاد تكون الأصداد أكثر أنواع البديع عند أبي تمام .

وإذا اسابت في السمع نائنته في فتح عمورية ، تمتك أو تمام من النفوس الشاعرة فصرها
كما يشاء منه ، إنه يشعرها حيناً بحصار عمورية وهدمها مستعلا ما عنده ، من الإيمان بالدين ،
فيقابل بين معنيين ويجعل الأول علة للثاني ، فيقول للمعتصم :

رمى بك الله برجها فهدمها ولو رمى بك غير الله لم تُصَب
ويهدم السمع حيناً آخر بازدياد اللحن ومرارحة اللفظ على أتمام الطاعة لله فيقول :
تديبر معتصم بالله متقهم لله مرتقب في الله مرتغب
(وقد أشرت إلى هذه الظاهرة فيما سبق) .

ولا يظهر منه الخناس في اللفظ وحده ، وإنما يتجلى في المعاني أبعداً ، وكان أبو تمام صانع

(١) وفيات الأعيان لابن حنكاه تصحيح سرون أوستان من باريس سنة ١٨٣٨ ج ١ ص ١٨٠
ودائرة المعارف الإسلامية الطبعة العربية ج ١ ص ٣٢٠ .

اللفظ وصيقل المعاني ، ومضى لف معديه بالحكمة مع في سحر النفوس ، إنه يقول في أبي سعيد والروم :

تلتهمو بالمشرفي وقلبا تلم عز القوم إلا تهتما
فطرح في مطرح احسنة هذه الحكمة التي لا تفتى ، فما من أمة شق الدهر شقا في عزمه
إلا آل ذلك إلى هدمه وروحه

وحين ذكر أن أسعبد حارب الخرمية في (١١٠) في دهر ميمد) قبل أن يهر منهم فريق إلى
الروم ، أنتمهم بمعركة الروم ، فكفى عن الأمر الأول بالبنان وعن الأمر الثاني بالكف
والمعصم ، وهو في ذلك يذكر الشيء وما يلزمه من فن البديع فيقول :
قطعت نبال الكرم منهم (ميمد) وأنبتهم بالروم كما ومعصما
وحين يقول

يتساقون في الوغى كأس موت هي موصولة بكأس الرحيق

بذكر الكأس بعد التثنية ونحو أنه قال يتساقون في الوغى الموت لقصر قوله في حلبة فنه
وراد في أحكام هذا المعنى أن وصل كأس الموت بكأس الرحيق فإما معنى حماسي ثم يسبق
إليه ، وهو أن الأبطال وهم يحسسون كنفوس الموت يسكرون بها ، فهم هيام الردى ،
سكارى بالقتال .

ثم أتبع قوله عن الخيل وطئت هامة الصواحي ثم ألهبها السياط .
فالصواحي مثل شعوص لها همام ، قد مرت الخيل على همامتها هداستها ، وفي هذا
تهويل للصورة تخميم للخيال ، يريد أثر هذه الخيل التي تشبه في جريها الكلاب السوقيه ،
عادية بمعنة في عسوها ، تحقق سناكها على الحجر كقطارق الحدادين ، وفوقها فرسانها السكاة ،
بأيديهم السياط ، يابسين بها عليها ، فتثور بمعنة جارية ، وكأها السهام المرسله ، فهي شعرة
لاهة من النار

وحين ملل أنير تدم حماسه بالمدمعة المحرقة ، وراح يسكنها على طولها طومى ويجمع عليه
جلايب الخود وهو في حال إن لوانه اليوم من بعده ، فهي كلمتين من حروف
واحدة صمف أو تمام آخر الخاء على بطل طومى ويسس نسيوف الموار حداد التمر
في الصرية ، والاسكار والخدار في الحرب

وس يدري كيف أشد أبو تمام فصيده به ، وإن أشدها ، وفيه امداد الذي
عمس صريف رذاته فيه ثم صرب به كتفه وصدره ، (١١) ، لعه مقتل محمد بن حميد ، يدي

على أن أبا تمام قام عليه مثل (نوحا) فإن تعداد كلمة (فنى) خمس مرات في أول كل بيت ، هو من بكاء الوالدين ، وعويل الناحين .

٢ — مباسم هامة لشعر الحرب

لم يحد شعر الحرب في أدب العصر العباسي الأول ، وفي الأعصر حتى نفيه حتى أواخر عهد سيف الدولة ، عن جوهر خصائصه التي عرفت له في العصر الأموي . فإن آلات الحرب لم يطرأ عليها غير ولا تطور ، وبقيت المشاهدة راسخة على أكثر المعاني ، مما كان مألوفا قوله في الحروب السابقة ، لكن حصاره العصر وتمايح العرب بالأمم فارسية والتركية والرومية ، وببعض الآداب ونم وعناصر الفلسفة أدى إلى تطور بعيد في طرق الأداء والإعلاء تلك المعاني الحرة التي جاء بها الجاهليون والأمويون ، وأقصى ذلك التطور إلى اشكار معان حديثة وإن تكن فلبية نكها بعد تجديدا في أدب العصر الجديد ، وفي اتناغ أساسيت مبتكرة في الصنعة ، تنكتر عند فريق وتقل عند آخر ، ولم تنك في أعصور لسابقة مقصوده لذاتها ، مثال ذلك :
١ - المعاني الحماسية التي جاء بها حبيب بن أوس الطائي ، فيه مرجح الحكمة بالتصوير الهني . وألف بين الوصف وحسن التعليل . (وبظهر فيه همد في كلامي على شعر الحرب عنده فيما سلف) .

٢ — (الصباغة) في من البلاء ، وهي المراوغة اللطيفة والمطابقة بين الكلام ، والمجانسة بين التراكيب ، مما سنه أو تمام لعله صنعة مقصودة لذاتها . أي أن أبا تمام جعل هذا الفن غاية لقطبة في أكثر آياته . مع الحفاظ على المعاني من الاشتغال و اشكار معان جديدة فأصاه عليها انقادون بعده كالصولي والآمدى . ودليل هذا ورد عند الكلام على شعره الحماسي .
٣ — (الترويق) في الوصف كما عند البيهري — إذ أن أبا عبادة زحرف شعره كله ، فكانت حماسياته — وهي من حملة شعره — مطرره موشاه هذا الفن لوسيم .

٤ — (التحويل) في الصورة ، وهو من أبي الطيب المنفي . فيه حشر تهاويل الصور في أكثر شعره الحر في . ومرجها بالحكمة وفصل الخطاب ، كدأه في كل فنه .

٥ — طعنان الحماسة الرومية في شعر العصر العباسي . وذلك لضرورة الموضوع . فإن حروب العباسيين مع الروم كانت شعلهم الأكبر ، على خلاف ما كان في عصر بني أمية . وقد التحم العباسيون بالروم في هذا العصر بحروب متداولة شعلت شعراهم جميعا ، وكانت لهم موضوعا ثارا ، بينما كان ذلك الشاغل قليلا في شعر الأمويين .

كانت حروب العرب مع الروم في زمن العباسيين سجلا ، فقد شعراؤهم فيها شعرا كثيرا يصعدون فيه وفعاتها تفصيل وإحكام وباريخ ، وقد تناولت وصف هذه الحروب الإمارات

التي انقضت من حول العباسيين حين صعدوا ، فكانت دولة الحمدانيين رعية هذه الحرب المستعرة مع المستنق وسائر الروم أكثر من نصف قرن ، فقال أبو الطيب قصائد جمة في الروم ، ووقف الشعراء الحمدانيون شعرهم على عرووات سيف الدولة ، لحمل أكثر حماسها أبو فراس الحمداني .

ثم امتد دلائم الحرب بين العرب والروم ، تجاوز حدود الجوار ، ولم تعد القسطنطينية آخر تحوّمه العربية ولا فيها قيادته ، وإنما تجاوزت إلى أوروبا غر (الحروب الصليبية) أيام نور الدين وصلاح الدين الأيوبي ، وكان ذلك موضوعاً حماسياً راحراً (مروجاً بالدين) عم الشعراء المتأخرين (١) .

٦ — لن كان (الخوارج) زمن بني أمية صرام الفتنة . فار (القرامطة) في عصر العباسيين كانوا بأمة العدوين ومنيع الفتن ، فكانت حروب العباسيين وحروب الأمراء المنعدين هؤلاء القرامطة ، موضوعاً غزيراً لشعر الحرب في هذا الزمن وفي أيام هؤلاء الأمراء ٧ — وجود (الشعر الحرفي المدهى) وأعنى به الشعر الحماسي الذي قاله القرامطة وشوا فيه نزعاتهم الدينية الخاصة — وقد ذكرت ذلك في فصل خاص عنهم .

٨ (صنف الرعة لعصية انبسية في شعر الحرب زمن العباسيين ، بل رواها في بعض حماسة الماثورة ، خلاف ما عهد في العصر الأموي إذ كانت السياسة هي التي تسيطر شعر الحرب قصائد أنى تمام وأنى الطيب وغيرهما من الشعراء في العصر العباسي انحدت شعر الحرب (غاية لا وسيلة) فكل لأن تمام وللتنبي روائع في شعر الحرب خاصة ، بوصف البطولة ونصوير الفروسية يجعلها سجلاً شعرياً للحرب ، فكأنهما مصباً في هذه الرعة على مذهب من يقول (الفن للفن) .

ذلك أهم خصائص الشعر الحرفي في أدب الشعر العباسي ، بما راد على جوهره الاصيل ، الذي كان معروفاً لدى الأمويين ، وثابت الأصول عند الجاهليين .

علم الرمزية والحرب

— ١ —

لا يتباعد معنى الرمزية المدهية في مفهوم لغات العرب عن معاني الإيمان والإشارة في مفهوم لغة العرب ، والفرق بين الرمزيين رهيد في أصوله ، وإن تشعب في فروعه ، وإذا رددنا كلا

(١) راجع كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي .

الرمزية العربية والعربية إلى مآثلها ، تبين لنا أنهما صدرا عن بع طبيعي واحد ، هو عدول الإنسان عن التصريح ، إلى التليخ والتويج ، وتلك طبيعة في كل بيان ، فلقد تكون كائنة حتى يحركها من مكانها ، لسان أو قل ، فتبدل من حلال الكلام والكثافة في أراد شئ . من الرمزية طرف كان فطريا في الأدب دعا إليه التشويق للاستماع وانتمت للأفهام ، ثم صار لوأ من القوف في الأدب الحديث دعا إليه التعمق في المعاني والتقص في إبراد الصور الشعرية وقد كانت الرمزية العربية فطرية في الجاهليين فكان في ضرورة بيانهم وعبارات لغتهم ، أن توجد التشابه وتراكب البلاغة الأولى السليمة من التكلف لتجلى على تلك الرمزية فطرية حيل الياء والرواء ، وقد كان مستطاع امرئ القيس أن يقول عن (غيرة) لها صولة المنيق ، فعدل عن هذا التصريح الخاف إلى رمزية كائنة بحسنة للدوق ، مشوقة للمهم فقال : (بعيد مهوى لفرط) ، ولم يكن في وسع امرئ القيس وكل شعراء الجاهلية وخطبائها أن يعصوا بعبارة عربية جافة ، غير كائنة ، لأن الرمزية كانت فطرة فيهم ، وهي وإن استشرت في كثير من عباراتهم ، وإنما كانت كالقوة الكائنة في العمل ظهرت صاخبة محجلة عندما مد إليها أبو تمام بدء السحرية ، فأخرج تلك القوة الكائنة من جبر فهدمها حركة ومدوية ، وحلج على اللسان امرئ من بعده أحسن جلاليت الرمزية التي سماها العرب بلاغة ومعاني وبيانا وبديها .

وقد كان رمز كلام مندرج إلى لسان الباطن التصريح ، وليس لأدب العرب أن تدعى في مواجهة الأدب الموزون ، أنها بدأت استعمال الرمز مكان العبارة ، فإن العرب عرفوا الرمز في لغتهم منذ طفقوا بها في البداية من أعماق الجاهلية ، بل أقول إن في لغة العرب من الرمز ما لا وجود لمثله في لغة ثانية ، فديعة أو حديثة . وكل عبارات العرب التي أعى بها علماء البلاغة باب المجاز والاستعارة والتشكيكية ، داحنة في باب (الرمز الصرف) فإن طول الفارس حين يقف مقامه الساقطة رمز له العرب بعبارة (طويل كالحديد) ، ورمزوا بكرم الجواد بقولهم (كثير الرماد) ، وبذلك رثت الحساء صحرا أحدا ، وإذا قتلت ريت شمسا ، وقصدت بها الحساء ، أو قتلت أمصرت قبلا ، ورتت تعنى رجلا صحرا ، وإنما أجريت الرمز في أدب كلامك من حيث لا تدرى .

إن الذين يؤثرون في نهضة أدب المصراع أن يدخلوا على هذا لأدب الرمزية محطون ، لأن الرمزية بين أيديهم في شعر العرب وأدبهم ، وكان الرمز طريقة التجديد منذ استعمله الإنسان . إن أهل هورس حين مواءم سمها بديع أسموها (لريفة) ورمزوا إليها بزيقة حمراء ، مما كتب أمانطول فراس روايته عنها ، ووصفها وآثارها ، وأجرى قصته فيها .

وسمها بهذا الاسم أيضا وكان عرسيون يرمزون لمدينة باريس (ريك) كناية عن أنها
أبدا تجرى في بحر الحضارات

ويسمى بعد عن هذا الرمز لعرق ، ما عرف العرب من رموز في تسمية منهم ، قد شق
سموها (الفيحاء) لأن فيها نخوة والآبار ، وسموا حلب (أشبهاء) ، وراد الأندلسيون
مثل ذلك عندهم قوا (زهره) وكان العرب في هذه الرموز إلى جمعوها على مذائهم
وقصورهم ، (حينئذ أصبحت معالم) ولم يكونوا كالفريين في تلك التسمية الرمزية لديهم
وقد سموها رموز (مادية)

يعون (مذكورة) سبب أحد لأصل في روية mem ، وأخيرا تركت الثوب
في سبب السيف ، وهذا رمز معناه في لغته (تركت سبب الحكم لا كون من رجال العسكر)
وكان للمبايرون عنوان سكرمة (Symbolon)^(١) السكك وإشارات استمره ،
وكاوا يستعملون لصور ولأشكال رموزا لشبهات بها وهذا ما صنعه لافوشين حين أشار إلى
الجاهل (شعبان مقصوع الرأس) في قصصه العشرة من مجموعة قصصه الخرافية .

ولم يخلص العرب عن ذلك بعيدا في فن الرمز ، فمرروا (افنته لمسكينة شعبان نائم)
ولا أراعت في الاستعصاء فن الرمز في كثير من كلامنا وكلام الأمم ، وأراه في منته
من وحى الله ، نفسه إيس في دخوله إلى الجنة متمثلا بالاسمي رمز لاسابق له ، وما يقوم
في الأدهان معنى لسكرمة إيس إلا أن تكون الاسمي الصورة الأولى من هذه المعاني ، وقد
استقر في مصطلح الرموز أن يكون المنجل رمز الحصاد ، والممرار رمز العدل ، والعلم رمز
الآمة ، وراحت الألوان تحمل في ملاحها كثيرا من الرموز .

أحد العرب منهم من كل ذلك فكان عبد القفا في الخاطلة وهو راية عهد بها إلى
إبي سفيان يحميها على رؤوس قریش في رحلات القتال ، وكان اللون لهم رمزا ، فالأحمر رمز
المصريين ، والأسود رمز عباسيين

وكذا الرمز في كلام شعراء ونحدهم ، فكان (مر رداي يوسن بير) مول ، و إلى
أهل ررا من ورد مع شوكة ، وهو يرمز إلى أمة امرووح الكثير من الخوف .

فأدكرني هذه الخوف صيرة من الرومي . ففت إلى ضيرة (رمزية حاصه) دست
ألوان في شعره ، ثم يسكب رمزيته تقنية على العود في حصص معينة (ووحيد) خفته
طعلا يرتفع منها ، وكانت رمزيته هذه لا يهارة في شعره وفي قوله ومعناه ، حتى مات فكان

وهو محمود نفسه يسمع العصفير في دوحه مخمرة بيته ، فقال لآخر عواده ، ان العصفير يقول سيق سيق . وهأذا في اسباق ،

وقد تذكرت رمزية المصريين حين رست ، (شوبريان) يقول في أول كتابه (عبقرية المسيحيه) . « إن سر طبيعة إلهية ، ولد في أوائل لاسبويين ، كانوا لا يتكلمون سوى الإشارات ، »

فقلت علام لم يقص (هيراعته) فيهم أعمه شهرة وتم عهد في الدهر « كتابه والإشارة ، ففهم دينا من الرموز الصوفية ، ومن يدري لعل لفهم كانت أصواتا مشابهة للرموز ، على أن علم مصرية « ماسيره » لم يسمها فهم ، ولا استطاع (شامليون) الذي كُشف كتابها بآلة مع كسرات عتقه إن حاسب على حجر وحده . في بلدة (رشيد) حين جاء مع ماسون في غربة لمصر . يعرف كيف حال النطق بها وما صوت كلامها المرموز

ولم يكن الرمز مقصودا على قدمه مصريين ، فقد نُقِصَ عن المنود ، وامتلات « الميثولوجية اليونانية .

وحين ارتقى الفكر الإنساني ونمى من العقولات صارت الرمزية تعبيراً فسيحاً ، فهي حالة انسكر واللسان اللذين لا يعرفهما عن الأمور « لآرمور » . ومن هنا أرى إخوان الصفا جعلوا الرمز وسيلة إلى عاينهم حسمه في شعر و« كلام » وهذا مصداقه فيما قاله (ديدرو) في القرن الثامن عشر حيناً تكلم عن « العيسوف فشاغورس » . إن فسمته مريه ورمزية . واضحة لأناس معاة على آخرين

ومن هذا أيضاً نرى كلام الصوفيين ، فكان لعظم إيماءات عبروا بها عن خواج الشطحات ، وفرد صار هم من جراء تعذرهم — ناس بعد ناس — مذهب للتجلى ، ولهم معجم خاص برموزهم وإشاراتهم ، وهو وإن يكن معجم غير مكتوب على نحو المعاجم التي نعرفها ، لكنه مسطور في حناجرهم . وإذا لم يوجد له حذقه كانت الصعوبة في فهم أشعارهم ومقولاتهم الصوفية .

وعند وجدت لرمزية المدعومة على نحو مبدى عرف فيه (فيرلين وبوداير) وأشباههما قريبة الصفات وعايات من « الصوفية الإسلامية » من لرمزية التي أبداعها فيرين في تاريخ الأدب الفرنسي وكانت بقصد تلميح « إلى نسبة في هذا الآب » قائمة على (كلام معاني

(١) الدخانية مذهب « راسيين ومرفه (لسكرت دولين) وفيهم سولوى رودوم ومراشوان

حلف كلام المباني . لقد كان (فيرلين) وحجبه حريصين في شعرهم على أن تكون تلاوين معانيهم تبعد شيئا بعد شيء . وذلك بأن يجعلوا معاني عباراتهم غير محدودة ، وإعماهي مشورة الأطراف مدروسة متدرجة من اللون الصبيغ إلى اللون الناضل الصائع . فهم أبدا لا يخرجون دحائل موسيقية إلى حوارح كلامهم ، فيكون الحساحات الحيل مكانة في الأثر الذي يؤثر فيه . وكأوا يحرصون في أن تشف عباراتهم عن الأسرار الروحية المتناهية في دقتها .
 جاعلين الموسيقى اللغزية مهددة لتلك المعاني الشفافة .

وما ذكرت موسيقاهم هذه اللغزية ، إلا مرت بالخاطر بمات انبايات لصوفية موسوسة تصنوجها ، مواجهة مهماتها على فضاءات ومقطوعات لمحي الدين بن العربي ، وللشيخ عبد الغني النابلسي

وإن (بودلير) الذي سكب خمرته في كؤوس الرمية فهي بها أشعاره الرقيقة في زهرات نشر (يذكرني — على شفتائه وبلااته في عيم لديها — باحمر الصوفية المنفعة التي سكبها في الفارص في أشعاره الرمية المبهمة فكرها من قبل أن يحقق السكر وتسكب الدمان .

فلا يدهش من ذهب أن الرمية تحيد في أدب العرب المعاصر . وفي أدبنا العربي رمية كبرى هي كالكلمة الدعوى في نطاق الكلام ، وأنها تتعناج لمن يكشف عن دلائلها للناظرين

وإذا كان في الأدب العربي (فيرلين) و (بودلير) أعظم من رمز في القرن التاسع عشر في الأدب العربي . وكان الشاعر الألماني (فولف هايدري) (١) شيخ الرمية المعاصرة

من كويته وحوري . ربا دو هيرديا . وكلامهم شعراء في سبور من أواخر القرن التاسع عشر في فرنسا وحد أدبهم في بحران التأثير الانداعي ، والوحد في (ارومانيك وللمريك) فعب الأدب ومن البلاغة وكتابه ، وكان مرام سراسيين أن يكون شاعر غير شخصي في شعره Impersonnel فكانت برغتهم السكرى تروق للديابة إلى حد أقصى وقلة لديه ، الرواء الروحاني ، كانت كالياتهم جليلة بغير موسيقى ، وغير فكر . وقد تبسط (دوبك) البعثة الفرنسية في تحليل مدعهم في كتابه :
 Histoire de la littérature française. Par René Doumic الطعة الحادية والعشرين سنة ١٩١٩
 إصدار لمكتبة سكلاسيكية باريس ص ٥١٢ .

(١) فولف هايدري P valery أكثر شعراء دراسة في العصر الحاضر توفي سنة ١٩٤٥ وأشهر معاصريه رمية (المقرة لعربية ، وشودة لأعمدة) وكان دأ مدعهم في رمية يكتب للحواس دون النوام بل يكاد يكتب لأبصاره ، وأصابعه . واعد كات رمية (هيدري) حفية بالمادة اللغزية أكثر من حقاقيتها بالمعاني وكان الشعر عنده كالهندسة والبناء .

في أورد يا ، فإن عندما جبار المعرفة وفي شعره من الرمزية ما لا حد لوصفه ودرسه . وكل أرى
من الرمزية الغنية الصافية في بيته الذي يقول فيه :

لبت حول الماء من سقب إن غربي ماله مرس

ففت إن الماء حقيقة الوجود ، والسغب عطش العقل الذي ما زال ظاماً يبتغي ارتواء
من معرفة سر الوجود . والعرب ، هذا العقل الذي يركب في رؤوس البشر ولكنه محدود
ناقص لا يستطيع أن يعرف ما خارج حده وما بعد نقصه ، والمرس وسيلة الوصول إلى
حل قضية الوجود .

فامرئ بلوب حول سر الدهر من طوب شوقه إلى المعرفة ، ولكن عقده لا يوصله
إلى بل الغليل

وإن يكن (بول فامرئ) فيما أثر عنه من رمزية معنة قد مرّح رموره بالمسعة ، فإن
أما الغلاء لم تقصر في ذلك ، وإن كان بيت فامرئ في قصيدة (المعركة البحرية) الذي يقول فيه :

ريشون . يا ريشون القاسي ريشون ليلاني

يدعو إلى معرفة ريشون اليوناني ومدسه في فلسفة اسكول والحركة . فإن أبا الغلاء دعا
في كثير من أبياته إلى معرفة فلاسفة أقدمين بحثوا في لعدم والعدم والنفس والروح . ومن
لأن الغلاء يبين بظهور رمزية شعره عن الشحو الذي ظهر فيها عبء الأدب العربي رمزية اشعراء ؟

— ٢ —

كان عرب الجاهلية إذا حاربتهم الحرب عصبوا لها رؤوسهم بالسواد فمل ذلك مرق
القبس حين وثب شو أسد على أبيه حجر ، وقد أنته وفود القبائل المعادية تعرض عليه الصلح
والهداء . وطلع عليها وعلى رأسه تلك العصاة السوداء . وعصب الرأس على هذا النحو
كان عند الجاهلين رمزاً للحرب .

وفي حروب بني ومعاوية . رفع قوم معاوية المصاحف على رؤوس الرماح . فكل
فعلهم هذا رمزاً حرياً يدعو إلى تحكيم كتب الله في أمر السلاح ، كذلك بدت الرمزية عند
العرب في اللمط والتعبير على منها ومدىها في ديار الأدب وعالم البيان .

ولكن أين الرمزية الحربية في الشعر العربي ؟

١ — يقول عبدالشارق بن عبدالعري الجثنى أخو (جوين) الذي كان له القتل ربنا .

هنا لم ندع قوساً وسهماً مشينا بحوم ومشوا إلينا
تلاؤوا مونة برقت لأخرى إذا حجلوا بأسياف ردينا

والحصى عند العرب مثل المقيد ، والرديان مشبه فوق الحص ، فكانت رمزية الجهنم
احتمالية رمزية طبيعية غير متكلفة بعد من نص ، إنه أعز و مضى النظر إلى السماء ، وما غير
الأعراق الذى سبغ طرفه في ثقب اسحاب مستطيع أن يمرى تلاكوا العادبة ، ورق
المرية ، فقد شاهد في طويل ما رعت عنه السماء ، أن الرق يلعب في سحاب جون ، فيتلا
ثم لا يثبت أن يسرى ذلك الرق ، حتى يحارب سحابه ثبته ، دمع والرق ، وكانت السماء
حين يهيج برقها ويحلجل رعداها ، لا يقل شأنا في الجبهة واهد عن الحرب التي
يعرفها الشاعر على الأرض في حليتها وقمعة سلاحها ، فصف به حيا رمى جعل الكلام
فيه نعر وعنى في الاسعارة والتمثيل والتصوير من أن يقوب : لما لمعت سيوف أعدائنا في
وهج الشمس على كنانهم ، جاز شاهر دمع سيوفه على كناننا . سكت اتحاد الرمر بديلا
وجعل صدر البيت كله رمزا مبيدا لحاطره وشافيا لخياله ، وجعل بقية البيت انتقالا من
الرمر الذى حل محل انصرع وانصوح ، إلى صورته ' دة من منى ' فسكر بعضهم إلى بعض ،
فيل الالتحام ، في بطة وحفاظ ، وخفة وحذر

قد تكون الرمزية في الشعر القديم نظرية عند بعض الشعراء ، أو رمية من غير رام عند
البعض الآخر من وجدت عنده ، لكنها في شعر العباسيين مقصود إليها ، وقد يحمل عليها
التعمد أو تكون من فنون الصنعة .

تكثر المعاني الرمزية عند أبي تمام . ومن استقصى شعره احسبى وجد عنده من الرمز
الكثير . لنظر قصيدته في نائم الحرمى ، وقد عاد إلى حره الافشين فأسره في أيام المعتصم ،
وكان بابك قد قتل الناس دهرًا واعتصم في مدينة (البذ) في جهات خراسان ، وجاء به
الافشين إلى سامرا معلولا وفي رجليه أصعاد . فحمله على الميل المشعر ، فنظر ابو تمام إلى
هذه الصورة التي جاء عليها صبيح خراسان ، فألسه برمره (طوقا من دم) تلقاء طوق
الخلاجيل الحديدية ، التي دارت حول رجليه . فطوق الدم رمر لما سكب من دماء القتلى ،
وقد جعله ابو تمام سببا إلى طوق من دم ، سيدور حول عنقه بيوم الدين فقال :
متلصا للوث (طوقا من دم) لما استبان عطاظة الخلاخل

ونظير الرمزية عند ابي تمام حينما ملونه تتحد من الألوان كلاماً كقوله :

تردى ثياب الموت حرًا في أقي لها الليل إلا وهي من سندس خصر

فالاحمر رمز حماسي للدم . فصور (الطاق) (الطوسي) مجلب شياح حر وعنى بذلك
تنطح جسده بالدم ، فلما جاء عليه الليل وهو طريق في فلاة المعصمة استحال اللون الاحمر
الذى كان دليلا على حره إلى لون سندس أحضر وهو (رمز النعم والجنان) فأراد بهذه الرموز

بدلاً من أن يقول لس في مونه عوضاً عن ثياب الدم ، ثياب الخالد في جنات النعيم .
(ولقد عرّضت لتحليل هذه القصيدة الخمرية عند الكلام على شعر الطائي في حاشية هذا العصر) .
لم يعبأ علماء البلاغة هذه الرمزية انطوائية ، وإنما جعلوها نوعاً من أنواع الديباج المسمى
عندهم بالتدبيح وهو صرف من تطبايق اللفظي تردحهم فيه الألوان للكتابة أو الدورية ،
ولو عرفوا أن الكتابة والثورية هما من هو الرمز في الأدب العربي لجدت موسم لهذه
السابقة في علم البلاغة العربية .

وطاهر أن ألتزم — وقد ملكت على مائدة الألفاظ الموسبعة — كان يقصد إلى الرمز
وإذا كانت الموسيقى القصيدة من حصائص أدب الرمز فإن شعر أو تمام كله ألفاظ موسيقية
دوت جرس . وقد سماه علماء البلاغة العربية (بالجناس المقطعي) . وقد مرّح أبو تمام
جرس السلاح بجرس السكّارة في قصائده الحماسية فجمع بين التخييل وألف بـ هذه الموسيقى .
فشعره الخمر في هيس سلاح ، وصنعة كلام . ووسوسة حروف مؤنقة النون ، كما في
الموسيقى من اتلاف التناغم .

وبدل على بلوغه قمة الفن الموسيقي في كلام الشعر مثلاً واحد من تألف السينات في
قوله ببعض شعره الحماسي :

أسنة السيف والخطي من دمه لا سنة الدين والإسلام محتضب
إن الأسود أسود ألعب منها يوم الكربة في المستوب لا السلب
ولو تبغنا ، لوجدناه بوالف بين الصادات ، والميمات ، والنونات في طور موسيقى
غريب .

أما ابن الرومي فأحسب أنه ظل يرمق بيت أبي تمام الذي أشرت إلى الرمزية فيه ،
حتى أن بيتاً يشبهه في رمزته ومعناه ، حين رثنا طلالاً صريعاً انس حلة الدم .

كته لقنا حلة من دم فأضحت لدى الله من أرجوان
فلم يحى بيت ابن الرومي ، وهو الآدي في تصوره وخياله ، أروع من بيت أبي تمام
دي الطبع العربي ، وقد يستعين ابن الرومي بالرمزية في هجائه فيكون الهجاء عميق المعنى كما
هنا ابن أبي طاهر بقوله :

رأيتك (تنبأ) سادراً كفعلك بالقمر الباهر
فيه يقع في الذعر أن ابن الرومي يقول لابن طاهر : إلك تدمني كما تدم شعاع
قمر من عادتك دم كل ماض باهر . والرمز في البيت أن ابن الرومي — وهو المعنى
في معاني الهجاء ، جعل ابن طاهر كلباً ، لأن من عادة الكلاب أن ينبع النجوم وينبع القمر

ولكن اس الرومي ، كغيره من شعراء العرب قديس مرت في بلاعاتهم صور رمزية غير مقصود إليها ، لم يحمل في بيته (رمزية صرفة صافية) ، ولو فعل لأدل كلمة (تنبئني) بتقدحني فقال :

رأيتك (تقدحني) سادرا كقصك بالقمر الباهر
وحين أرسل شاعر الطيرة على ابن طاهر بيته الثاني ، إرسال تنبأ استعمل فيه (التقى)
الشديد القتل (رمزا) فوارض هجائه فقال :

وابن مسمى لمبرية لكل أمين أقوى حذر
ثم أمس في رمزية عاجية حين قال في بيته الأخير :

فلا نخش من أسهمي صائبا ولا تأمن من العائر^(١)

لحمل أسهمه صائبا ، ثم قال : لا نخش منها ، وهذا (رمز متناه في دقة) معناه أن اس
طاهر وهو الواقع عنه السهم صائبا . ليس يصيبه السهم ولا يقع فيه . لأنه (مباء وليس
ثمنا) فلا عليه من هذه السهام الصائبة .

وأما أبو طيب السدي وبه يستعمل أحاط الصوفية في معنى معانيه حسية ، وفصائه
الخرية لا تخبر من رموز . وقد عاب عنه صاحب (بسمه ندر)^(٢) استعمال كلمات
الصوفية المعقدة ومعانيهم المخلقة ،

وقد حسب الثعالبي أن تنوع الحروف في قول السدي (ها منها عليها) وهو يصف
فرسه ، طريقة صوفية في التعبير

وتسمى في عمة بعد غمرة صبح لها منها عليها شواهد
ولست أرى غير كلمة (صبح) موانية لرمز أما قوله (لها منها عليها) فإيه شيء
من روح الصوفية التي تحيلها الثعالبي :

وسكن الرمز كل الرمز في شعره الخرف حيث يقول في قصيدته لسف الدولة حينما تم
ديار مضر لاضطراب البادية ثم ارتد على الروم :

لقت بدرب القلة العجر لفة شفت كبدي والليل فيه قنيل
وحيل براها الركض في كل بلدة إذا عرست فيها فليس تقيل
على طرق فيها على الطرق رمة وفي دكرها عند الأيس حول
سحائب يطرن الحديد عليهم فكل مكان بالسيف غسيل

(١) السهم العائر القدي جمع طائشا .

(٢) بقبه الدهر طمة ، إسماعيل الصاوي بحر سنة ١٩٣٤ ج ١ ص ١٤٥ .

رمز أبو الطيب إلى شعاع الكد بقاء العجز . وما شعاع كبدته إلا بطول السرى وتحمل الشوق في فراق الحبيب . ولكن ما هذا الفجر الذي لقيه أبو الطيب حتى شفى كبدته ؟ إنه السيف ، سيف الآفاق المحدود بأعناقته الأبيض . وهو السيف الذي ضرب النهار به الليل فصدعه وقتله .

ثم رمز في البيت الثاني ، فعمل الطرف التي ندوسها حيل سيف الدولة ، طرفاً فيها رفعة على غيرها من الطرق . ومن أين لها تلك الرفعة وكل درب طريق . ولكن حيل سيف الدولة إذا مرت بأرض باقت بعدها الأرض مختاله ، وهي حيل إذا ذكرت عند الإنسان أجملت ذكر الإنسان ، لأنها أعز منه قدراً وأبعد نأساً ، وأقوى ذكراً (لما أثرها الحربية)

ثم رمز في البيت الأخير إلى الحيل (بالسحائب) لأنها وهي تعدو يكاد يحسبها الطرف مرتفعة عن الأرض ، وقد أمعن في رفعها حيال أن الطيب جعلها عملة السحائب ، ورمز إلى الفرسان على ظهورها بالحديد . .

وقد عرف الرمية الحربية بعض شعراء الجاهلية كرهيرس أنى سلى وبه به إلى ويلات الحرب بطريق الرمز فقال عنها .

متى نبعثوها تبعثوها دميعة	وتصر إذا صريرتموها فتصرم
فتعل لكم ما لا نعل لأهلها	فرى في العرق من قعر ودرهم
فتغل لكم غلمان أشام كلهم	كأحمر عدد ثم تلفح فتتم

وبلاحظ تألف الضاد في عجز البيت الأول . وعلى موسيقى اسقط يقوم من الرمز . وقد وفق زهير إلى هذه النغمة الموسيقية الخامسة ، وأحسبه وهو المتوق في نغمة ، لحول في قصائده ، قد جله بها تمعنا فخرج على سحابة الجاهليين .

ثم امتنع الرمز في البيت الثاني بأسلوب التهم ، وكان معروف قيمة (العلال) عند العرب وهم في واد غير ذي ررع ، وذكر ككة (تعس) ثلاث مرات في بيتين ، ولكنه صدمهم بتكلم واستهزائه ، حين رمز إلى ويلات الحرب والخطوب بأقمار ودرهم فهو لا الامتلاء ومبالغة بالكثرة ثم راد التحويل في البيت الذي يلي بعلان من نوع آخر ليس ببيان ، وإنما هو إنسان وحش مشؤوم يشب ويكبر ويتروح ، ويسل فسد على المتحاربين في (حرب داحس والغبراء) عرض الصحراء والوحوش الحرة الرهيبة .

وكل ذلك رموز حربية متعاقبة فيها تناولها ليحب زهير أن سلى السلام إلى العرب

ولو سبق الدهر بجائزة بوبل للسلام . أو كانت حرب داحس والغبراء في عصرنا . لنسال
جائزة السلام زهير بن أبي سلمى ، إذ كان يدعو إلى السلم وحقق الدماء في دعوة لا تقل في
رفع الإنسانية عما عند العربيين في هذا العصر من دعة السلام في عصبه الأمم المنقرضة ،
وبحسب الأمن الحديث . ولقد كان زهير في أعماق الدهر يدعو إلى سبب نبيلة صحيحة غير السلم
لتي يدعو إليها دعاة السياسة العربيون . ويريدون بها سلب الأمم انصيعة حقوقها أو إعداد
العدة إلى حرب جديدة . تكون أشد هولاً على الإنسان والممران ، تنكباتها وفخائعها .

الباب الثالث

شعر الحرب في ظل الحمدانيين



شعر الحرب في ظل الحمدانيين

الفصل الأول

الدولة الحمدانية

(١) قيام الدولة الحمدانية

قامت الدولة الحمدانية في الموصل ، ثم في حلب ومن الخليفة العباسي المقتدر حوالي سنة ٣٠٢ للهجرة أي في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي وأسرة الحمدانيين أسرة بيلة عربية الأصول من أشهر البطون العربية ، يرتفع بها النسب إلى الجاهلية ، ولعل مروسة أهلها وشغفهم بالشعر والأدب رعة سرت إليهم من جدهم الأعلى في الجاهلية أشاعر الفارس عمرو بن كلثوم

لأنهم تعلبوا أفحاح شتوا من سنة (٢٠١١) في العراق ، وكانت أيام دولتهم في النصف الثاني من حكم قسطنطين السابع امبراطور بيزنطة ورومان الثاني من بعده ثم يبيحور فوكاس وكان جد الأسرة الأقرب هو حمدان بن حمدون لعدوى . فكان من أحفاده (سيف الدولة أمير حلب) وأخوه (ناصر الدولة أمير الموصل)

وقيل أن ينمرد الإخوان الحمدانيين بالإمارة والسلطة كانا من فواد الدولة العباسية . وقد قبض لهما حطهما المقرون بالرأي والشجاعة أن يتبوا لدى الخلفاء العباسيين المقتدر والراضي والمتقي أعز مكانة يزل فيها الفواد العظام . فقد أسكتنا بأمة الفتن التي قدم بها عصاة الدولة حتى خلع الخليفة المتقي على الأمير حمدان أبي محمد الحسن قن (ناصر الدولة) وعلى أخيه علي - لقب (سيف الدولة) (١) . وبلغ من سعادتهما في نصر الدولة العباسية أن أمر الخليفة بضرب اسميهما على الدنانير والدرهم .

(١) المختصر في أخبار البشر لأبي العلاء المعري ج ٢ ص ٨٩ نسخة الخديوية ، وشله برجة في كتابه عن تاريخ الامبراطور نيفور فوكاس ص (١١٩) .

وروى أميد روز Amedroz في تعليقه على كتاب (تجارب الأمم) لابن مسكويه وكان هو الذي قام بنشره (١) وإن سيف الدولة ورد بعدد وهو راك فرسه وبند رمح، وبين يديه عبد له وقد قصد العرجة وأن لا يعرف في إشارع دار الرقيق على دور بني حافان وفيها قتيان بطربون قد حل وسمع وشرب معهم وهم لا يعرفونه وقد خدموه فاستدعى عند خروجه الدواء فكتب رخصة وتركها فيها، ثم بصرف فمضوا الدواء فإذا في الرقعة ألف دينار على بعض الصيارف، فعجبوا وحبوا الرقعة وهم يظنون أنها سادجة فأعظم الصيرفي الدناير في الحال والوقت، فأنلوه عن أهل محل مقال، ذلك سيف الدولة بن حمدان.

وقد راد عني لهذا الخبر الذي رواه أميد روز عن كتب المسكلة (٢) فعرفت منه أن مكانة سيف الدولة لدى العباسيين كانت مكانة خصي، وأنه كان معروفاً شائع الشهرة في بغداد وإن الشعب عامه كان به سامعاً ومعجباً بمروسته وبصرته، وقد ورد في هذا الخبر أن سيف الدولة خرج مستحماً (Incognito) كما يقول العربيون، وهم يفعل ذلك لولأنه كان شائع الشهرة عند جميع العبداء حاصتهم وعامتهم، وباهيك تألق شهرته واستطاع معرفة الناس به، هذا الصيرفي النفاذ العيار الذي عرف توقيع سيف الدولة فدفع الدناير في الحال والوقت بمسه كما جاء في هذا الخبر لعجاب، وقد دلتني هذه الرواية أن نظام الحوالات والسعائح كان معروفاً لدى العباسيين، كما كانت عندهم دور الصيارف.

إذن قامت الدولة الحمدانية الشرقية في الموصل في دير أهلها العراقيين، فو تكسر طارئة أو غاصبه، وقامت الدولة الحمدانية الغربية في شمالي سورية بالفتح والحرب، فقد كان ملك الاخشيديين قد بلغ إلى أعالي سورية فشد سيف الدولة عليهم نعمته، وكان ذلك أوائل طلوع نجمه في المرومية والشجاعة فاستولى على حلب وسائر الثغور الشامية، وكان في إمارته حصن العرب أنطاكية وحصن الجنوب حمص، وكان راعياً في مد سلطانه إلى الجنوب حتى دخل دمشق وسرعان ما حرق منها، ولم يكن في فاتحة عمله الحربي إلا داعية للحليفة العباسي وظل محافظاً على صفة هذه العباسيين التي لم تتعد الاسم لكنه بنى مستقلاً في دولته الخاصة وشعلته عن العباسيين بعد تأسيس دولته حروبه أطوال مع البيرطيين التي أحدثت منه طوفان الحياة حتى قال فيه أبو الطيب في رسالة إليه بعد مفارقه:

كنت طول الحيرة لدروم عر
وموى الروم حلف طهرك روم
فني لوعد أن يكون المعور
فعلني أي حبيبك تيمس

(١) تجارب الأمم ج ٢ ص ٢٣٩ هامش. وقد وصفت هذا المصدر رقم في هذه الرسالة. هامش
(٢) هو نكدة: ربح نصري لأن حسن بن حمدان لم يمسك من مخطوطات المكتبة الأمامية
باريس.

(٢) سيف الدولة ورعاهل دولته

لاستطيع أن تمثل عصر سيف الدولة في حروبه وفق ما نقصى المدراة الحديثة إلا إذا درسنا التاريخ البيزنطى في القرن العاشر لليلاد . فإن الكلام على سيف الدولة وعصره الحربى لم يبق مصدره فى كتبنا العربية فحسب . وإلى ثمة كتب أنها البيزنطيون ، وبقها الغربيون ، ذكروا فيها سيف الدولة أمير حلب كما كانوا يذكرون أباطره القسطنطينية . وكتبوا عنه وعن حروبه ورعاهل . ووصفوا حلب وما والاها كطرافة ما كتب العرب . بل لم أجد إلى اليوم كتابا عربياً رققه صاحبه على سيف الدولة وعصره مثلها وهى المؤرخ شبرجه كناهه الكبير الذى سماه " ديسيمور فوكاس الامبراطور البيزنطى " (١) ، فى القرن العاشر . وقد نقصى المصادر البيزنطية والمحطوطات العربية التى لم يصل أكثرها إلى أبدى العرب الحديثين ، وتنتحل الكتب العربية القديمة حتى استحصت تاريخ سيف الدولة فى كتابه هذا النفيس وقرن سيف الدولة بنفخور الروم ، فبان أن كلا منهما كان موارياً الاخر فى حروبه وجلاده . وكان خصماً عنيداً لا يفتأ يهدأ من الوثوب على عدوه حتى يعود فنور أشد صراوة راسد فنكا

وقد نقبت فى كتابه وتبعت حوادث سيف الدولة فيه ومصيت إلى ذلك متغرياً قصائد المتنى فى دوائه التى نظمها فى حروب سيف الدولة مع الروم وكنت أنقراها حرماً حرماً لاستطيع أن أحصل على تحديد دقيق ووصف رضى لما لانس حوادث العرب فى حوادث الروم فى تلك المسحة من الزمن الذى كان يقتل فيها سيف الدولة مع بنسفور عاهل الروم . إن الشخصية العبقريّة التى كانت لسيف الدولة ، لا يستطيع التاريخ مهما جار كانوه أن ينقصوا من أطراف شينا من مراهاها الرائعة . ولو أن سيف الدولة كان جرماً ما أومن العولوا أو من الرومن لسح له مؤرخو تلك الشعوب سجل تاريخ مذهب الحروب فى أمثاله فى البطولة والإغارة وكرم الطبع وبسطة العلم كان نادراً عند العربية

ولم ينهض أحد بتسجيل ما اتصفت به هذه الشخصية العربية اعدة مثله حص أو اطلب المتنى الذى يعد سيف الدولة شرف القبول وخر العواصم بقول فيه

تشرّف عدنان به لاربعة وتفتخر الدنيا به لا العواصم

gustave schumberger (Un Empereur Byzantin du dixième siècle "Nicephor (١) Phocas")

طبعة معهد اريس سنة ١٨٩٠ . ومدون فى شلبرجه على تاريخ البيزنطيين و عرب وكان من فاسيين معدوداً من أوئل الأعلام لعرب أعو فى مدد مدد . كان من أعضاء اجمع مدد عربى المسمى Institut وهو مجمع الأكاديميات الخمس .

ووفاء حقه أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر (١) خلال أخلاقه وأمان قدره ، ودرس عصره ، وهفته الأدب فيه ، واختص شاعره المتنبي بقسط جليل من هذه الدراسة الطريفة . وذكر أبو منصور خطر سيف الدولة على طاعة الروم وفداحة عرواته (كما سيأتي الكلام عليه عند ذكر حروبه) ، وجمالة قدره في الشعر والأدب وأمه وسلطانه في الإمارة والفتوح .

ويمكن الحكم — حسب ما كتبه عنه المؤرخون منذ عصره وما بعده — بأنه كل قضاء مسلط على الروم وكان حتى شعور وسد الإسلام تجاه سبيل الروم العام ، فكانت الخلافة في أيامه مستريحة من عارات الشعور إذ كان سيف الدولة قد تكفل بها حسب ما تقتضي عوامل إمارته واستقلاله بالحكم في منطقة حلب وما والاها من البلدان التي كانت إليه . وقد ارتكبت بنو حمدان ومعهم سيف الدولة عتقات سياسية لا يعمرها التاريخ ، فقد حمل لطمع بني حمدان على أن يحجروا على بني عمومهم آل حبيب بصنوف العذاب حتى مر من هؤلاء اثنا عشر ألف فارس إلى بلاد الروم (٢) .

ومن عظمتهم العادحة أيضا أنهم كانوا يحجرون على الرعية بالجبائيات وأخذ الأموال والمكوس في حدود الظلم والاعتساف . وكانوا يبدحون ، حتى أن قصور سيف الدولة بحلب كانت تبذ قصور الخلفاء في بغداد ، وأروع من قصور القسطنطينية .

أما المؤرخون البيزنطيون الذين كتبوا تاريخ حروب القسطنطينية مع حلب منذ القرن العاشر فيهم كما يروى (شلبرجه) كانوا يرون سيف الدولة نفسه الدهر في جوارهم وكان اسمه عندهم في البيزنطية (Apochaudas) وكانوا يسمونه أيضا (الكاهن احمداني) ويعدده رجال سياستهم ، المحارب الوحيد الأعظم السامي الذي أعلن الحرب المقدسة على النصرانية ، ومتى قال أحدهم (احمداني) فإمما كان يعني سيف الدولة .

ويقول (شلبرجه (٣) : « إن اسم سيف الدولة العظيم يكاد يكون مذكورا في كل صفحة من صفحات كتابي هذا المثير (٤) . »

(١) الطلعة الأولى بمصر سنة ١٩٣٤ م ج ١ ص ١١١ .

(٢) (احصاءة الإسلاميه في القرن الرابع الهجري) لآدم متز . ترجمة لذكور أبي ريده طبع مصر سنة ١٩٤٠ م ص ٢١٢ .

(٣) كتابه السابق عن بليغور ص ١٢٠ .

(٤) من الكتب التي اعتمد عليها شلبرجه في وضع كتابه الثمين — وقد جاء في مقدمة صفحته من

وطل اسم هذا المغوار العرف مشهوراً في حروب الشرق في القرون الوسطى ، ولم تحل من ذكر اسمه صفحة من صفحات الكتب البريطانية التي ألغت في القرن العاشر الميلاد — كما يرى (شلبرجه) — وكان اسمه آنذا موصوفا بأنه أقوى في حشم وأشرس لصل على الجيوش البريطانية . وقد وجدت (شلبرجه) على ما عنده من مخطوط في إيراد الحوادث الإسلامية قد يبدو منه حيناً بعد حين طيش المؤرخين الذين لا يملكون شعورهم . فقد كل يرحى رمام القلم وراء ألقاط طاعنة فينا ، كما فعل وهو مأخوذ بسحر وصفه لظفر كبه بيسبهور فوكاس على سيف الدولة بعد فتح حلب وإحراقها وهدمها . فنكأ هذا المؤرخ الكبير جراحات صدره المبكوة منذ ظفر سيف الدولة على الروم ، وقد عجبت له ، فيه حيناً وصف ظفر سيف الدولة على بيسبهور وحمه سك عنه من بياه الخلو صفات المجد والسؤدد التي لم يسكنها عليه مؤرخ من بني جلده . فقد قال عنه إنه كان فارساً شجاعاً إلى أقصى ما يمكن من وصف الشجاعة والإعارة وإنه كان لا يعرف الخوف ولا الحور ، وطال ما كان جذيراً بأشرف الأعمال وأكرمها ، فهو حامى دمار الديار ومنص الأدب والمعلم بالفتون . ومضى هذا المؤرخ في تسكاب بياه هذا في مدح سيف الدولة حتى قال عنه : « كأن سيف الدولة كل مخلوقاً ليسكن في قصور ألف ليلة وليلة أو في خيام الضاريين في عرض الصحراء » .

لقد أقام سيف الدولة لنفسه ملكاً في شمال سورية بصارع في نفسه وسلطانه ملك الخلافة ، بل لقد كانت الخلافة في انحلال وضعف في أيامه وكانت تتردى في الهوة السحيقة التي بدأت تسقط فيها منذ قتل المتوكل . فأقام سيف الدولة الدساكر والصباغ وأحسن الحرث وأعزr النيل ، وكانت له حلب دار الإمارة ومستقر السهرة ، وفيها قصره في محل يسمى (الحلبة) فكان إذا عاد من عزوته أمر تحت المساء بإقامة المآدب في قصره (١) خلالت لساؤه وراء الستر معطرات فواتر ، ومهر فويق دو الماء البارد يجرى في القصر في بحار من الحرم المسنون ، وكان الصوت انمضى الذي يحدنه الماء يشر البرودة في جو دئ المكان تحت رواق

تاريخ كمال الدين - مخطوط بدار الكتب الأهلية بباريس

كتاب عن الأمراء طور ريل للماري مخطوط بجي من سعيد ل لطريق الأطاكى .
كتب بالألمانية : المنى وسيف الدولة لـ Dieterici طبع برلين سنة ١٨٤٦ (قد احدث على هذا المصدر وأثبتته في مصادرى وهو موجود في مكتبة جامعة مؤد الأول برن ٣١١١١ عام) ديوان المنى لاو حدى أخرجه Carmina طبع برلين سنة ١٨٦٦ .

لألمانية Hammer بالألمانية طبع فيينا سنة ١٨٢٤ .

وكتاب (درمان هدايان) وصفه Souvair طبع المجلة العربية الأثرية بباريس سنة ١٨٨٥ .

(١) المصدر السابق ص ١٢٤ .

منصوص على الأعمدة العارية التي تشبه صواري مدرك حتى يحسن إلى النظر أن أمير حلب إنما يعيش في عالم جنى ، محموف بالجمال والطوب

وكان بهوى أو يسمع وهو حام الفكر شاعر نضر في جور محده وحلوه - شعراء ومشبه - يرون من يدية مات محده الحرفي ، ومفاحر مدركه - وإذا عجم قطع من الليل أحدي منصفه - وكما كان يحرق بكل حو حه إلى شاعره الأعمدة في الطيب المتلقى ببعض شعراء مدونة معنى وحرة لفظ في مدح المحارب الذي لا يهدأ ، ومن يدري ؟ لعن وحوله ، تحت سيف مدونه في إحدى تلك الآسي والاسم كانت تمدح بالسمع ومعها جوارها إلى إشتاد في طيب وهي - حصاص من القصة ، في جوع عاقب بمحاصر البحور ، فهذا شاعر أحبا وشاعره نقول

وما شرفي بأبناء إلا تذكراً لماء به فليس الحبيب يرون
يحرقه مع لأسنه فوقه فليس لصغار إليه وصور
لقد شرفت بدمعها هوى إلى أي القصد ، فمن أن يشرف هو أسي بعد عشرين سنة حين مانت وورده حبر وفات في الكوفة فقد يومئذ التيه التي بها

طوى الجزيرة حتى جاء في خير فرغت به المدي إلى الكعب
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملا شرفت بالدمع حتى كاد يشرف في

يقول (شبرجه) ، لا شيء يشبه ولوع سيف لدولة ، اشعر إلا تلك المساجلات التي كانت بين الشعراء في دراسة الدين كانوا يسمون (زور دور) في (البروقاس) و (لاكدوق) حيث كانوا يشتدون الشعر بين أيدي الأمر ، في ولائم كأنها من صنع الأساطير (١) ،

وكان هذا البطل الذي نذر عمره لحرب الأبرطين فسكب أهارا من دماهم ، قد أسكن قصره - فعل خاطف من مرقة الشياطين - فاه برطه - راية الحسن ، وكانت بنت كبير ، البطارقة سباهها في إحدى حروب الروم فتزوجها وكان لها عليه سلطان عظيم (٢) ، فكان يهيم بها مثل نطل من أنصال الزمان ، ويروح وقد نظم عن هامة هذه الرومة الحسناء أرق شعره الغزلي ، وقد ذكر أبو منصور صاحب النونية (٣) هذه الحادثة من بيت موك الروم التي كان يسم

(١) المصدر السابق ص ١٢٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٤

(٣) النونية ص ١ ح ٢٠

بها سيف الدولة حتى أسكنها إحدى قلاعها خوفاً عليها من صرعتها ، وذكر له فيها شعراً ،
فيه صبرة ، وفيه هيام ، وخوف من الماذلين .

ولكن تلك الرائعة المقتان لم تستطع أن تمنع سيف الدولة من حرب قومه ، وكان في به
حين كان يتركها إلى مفزى أهلها كان يودعها وهو مشتمل بقور شاعر الفيني

وللخود عندي ساعة ثم بعدها فلاة إلى غير اللقاء نحس
تركنا لأطراف القنا كل شهوة فليس لنا إلا من رصاص

أما حال سيف الدولة لم يصعب التزحزح كما ريد سياسة ، وإنما وصفهم كما يرد
الأدب ، فكان أبو منصور شعبي صاحب لسان فصيح من أن قد رعم وجمع عرر أفواههم
إليه ليورد لكلام على أدبهم وشيخ ر أزهى في لاط سيف الدولة ، ولقد كان الشعراء
والكتاب احماديون منصفيين سياسة والسياسة ، ولادب وبيان معاً ، ولم تكن السياسة
حتى أواخر العصر لسياسة تنمى عن لادب ، أم لك الورم كاتباً ، والقائد خطيباً ،
وحاشية الخلفاء والامراء من شعراء ولا . كذلك في رجال الدولة الحمدية كانوا
أدباء حريين وشعراء فرساناً ، وكان لشعر ولادب صناعتهم جميعاً ، لأن سيف الدولة
نفسه كان أديب شاعراً ، أثر له شعر جيد روى بعضه الثعلبي ، وكان أمير حب يعرف مواضع
النقد القوي ، وهذا أحد لأسبب الصحة التي رعت مقدم أن لطيف عنده وجعلته يطمع
بالخلود في قصائده الخالدة

كان من رجال الدولة احمادية أبو فراس الخارث بن سعيد بن حمدان بن عم سيف الدولة
وعصده في السلم وحرب ، وإني لأتبع بحق (شاعر أعظم من وفارس الشعراء) . وكان
أبو فراس ثوياً في طبخ في شعر الحرب وتأجيج الحماسة وكان من رجال هذه الدولة
المصاليب ومن أنطالها المناحيد أو أمشائر الحمداني (١) وهو الذي ورد عليه أبو الطيب
ببمارته في أنطكة قل أن يعرف سيف الدولة ، وقد أسر أبو العشائر في بعض حروب
سيف الدولة مع الروم وحسن في حصن (حرسنة) ثم بقى البيزنطيون إلى القسطنطينية ومات
فيها سجناً وفي هؤلاء الرجال أبو وثق تعف بن داود الحمداني الذي أوقفه سيف الدولة
لمحاربة الخارجي في أصفهان وأسره الخارجي واستنقده سيف الدولة ، وفيهم أبو ربه
مهمل بن نصر بن حمدان رجل حرب وأب وقية من أمراء حمدان بين عمومة وخوذة
كانوا منبئين في عم ذات سيف الدولة على نغور الشام وكان يعرف هؤلاء الامراء قضاة
سياسيون وأدباء فقص قصة سيف الدولة الذي كان يحارب معه أبو الحصين بن عبد
الملك الرقي والله من هذه أبو الهيثم والي هؤلاء كان لدى سيف الدولة قواده من عباده

(١) هو حسن بن علي بن حسن بن الحسين بن حمدان مدوني

وكانوا عماده في حروبه ، فعلامه (بجا) كان يحارب معه وهو الذي شغل جيوش بيسيفور
فوكاس يوم انحدرت على حلب حتى تمكن سيده سيف الدولة من الانتعاد . وسكن (نجما) لم يبق
حاصل الولد لمولاه . فقد خرج عليه في أواخر أيامه حين تقاعس حظه وبدأ أهل حمه ، وقد
روى ابن مسكويه أن سيف الدولة أمسك به وقتله جزاء حروجه عليه . وأمرت زوجته (وهي ابنة
عمه وأخت أفراس) أن يطرح الجائر (بجا) من بحرى الأقدار^(١) كما أظهر غلامه الآخر
(فرعويه) حبة لمولاه وإضاغة في حياته ، ثم جعل بعد موته يتلاعب بانه (ألى المعالي)
وكان هو الذي حارب أفراس وأمر بقتله . ثم ثار بعدئذ على سيده ألى المعالي سعد الدولة
بن مولاه سيف الدولة في أيام عزه وسطوته . وكان من هؤلاء العيان بعد سيف الدولة أن
كانت الروم بالحجابة ، وكان (فرعويه) هو الذي راسل (بيرفوكاس) أحد قواد البيزنطيين
، حمه عند العرب (طربارى) حسب رواية (شليرجة) وحده نقلا عن لنصوص البيزنطية^(٢)
فدخل الروم أطل كية بقيادة (ميخائيل بورتزيس) وسموها وافتتحت أبواب سورية بعد
ذلك أمام جيوش يوحنا تريسمس في عرواته اللاحقة ، وكان مراره ومناه الوصول إلى بيت
لمقدس مسوقا به عنه الضريبة المبكرة .

وقد عطى على كل أولئك الرضا سيف الدولة وحده كسر قشهم نشر جناحيه على
اصفور وكانت تلك عادة سيف الدولة فقد استبد برأيه حتى في أوقات مهادنة ومصالحة .
وقد نقد سياسته ابن مسكويه في تحاربه فقد عنه^(٣) . وكان هذا الرجل ، أعنى سيف الدولة ،
محباً يحب أن يستمد برأيه وألا يحدث بسان أنه عن برأى غيره ، وكان أشار عليه أهل
خرسوس أن يخرج معهم لأنهم علموا أن الروم قد مسكوا عليه الدرب الذي يريد الخروج
منه وشحنوه بالرجال ، فل يقبل منهم ، وح . فأصيب المسجون بأرواحهم . وأصيب هو بماله
وسواده وغلانه .

والظاهر أن (ابن مسكويه) لم يكن ظاهراً سيف الدولة بقدر سياسته أو متعاملاً عليه ،
على الرغم من النفرة التي كانت بين الفرس والعرب . وقد كان هذا المؤرخ وأمير حلب في
عصر واحد . إذ كان المؤرخ كاتباً عند أبي الفضل بن العميد ووزير ركن الدولة الذي ورد
عنه أبو الطيب بفارس أواخر أيامه

(١) بحار الأمم ج ٢ ص ٢٠٨ . وكان في التاريخ لابن الأثير أوراج ٨ ص ٤٠٨ و
حوادث سنة ٣٥٣ .

(٢) كتابه عن بيسيفور فوكاس ص ٧١٤ .

(٣) تحاربه للأمم ج ٢ ص ١٨١ .

(٣) لونه سياسة الحمدايين

ينت في أوائل هذا البحث لون سياسة احمدايين نقاء العباسيين . أما لون سياستهم نقاء الروم فكانت كما يصفا (شلبرجة) ، محاربة البيزنطيين بصلابة وشجاعة عظيمة ودفعهم عن الحدود الغربية إذ كان العدو الواحد للعرب يومئذ هم البيزنطيون .

ولكن هن كان الحمدايون يحاربون بيزنطيين لرفع كلمة الله ، وإتمام ما قام به الخلفاء الراشدون ، والخلفاء الأمويون ، كالو بيدر عند الملك ، والعباسيون كالمعتصم والمتوكل ؟ أحسب ذلك كان السائد وأن الحرب المذهبية كانت الدافع الأول وأن خوف الحمدايين على بلادهم من استيلاء الروم عليها كان السبب الثاني ولعل احمدايين كانوا يجمعون بين الأمرين فتكون حروبهم ، رة هذا السبب الديني وآرة لذلك الديني . وكانت أكثر الثغور على أيدي التداول بين الفريقين .

أما سياسته اخرايين مع الدول العربية التي عاصرتهم فقد كان سيف الدولة فيها مدبره السياسة مع البويهيين ، حتى كان معز الدولة البويعي يوفقه ويلتمس 'بعد عن أدبته، وكذلك فان سياسته مع الإخشيديين كانت بعد أحده حب طنت حسنه بالعباسيين حميدة فيها كان العباسيون يضطهدون أسفة في كل مكان وفي كل ساعة

(٤) حروب الحمرايين مع الروم

١ - الجيوش العربية والبيزنطية في عصر سيف الدولة

حارب احمدايون البيزنطيين نحواً من ستين عاماً ، قال أبو فراس لامبراطورهم حينما جلس لمناقشته (١) . وقد بسطت أسباب هذه الحروب اطوية عند الكلام على حروب سيف الدولة من شعر المتنبي ، فما أحب إلينا أن أصف الآن صورة لكتيبة عربية من اقرون الوسطى من مخطوط عربي يملكه (شارل شبيهر) أحد أثرياء الفنون من علماء الفريجة المعاصرين ، وقد أنتت (شلبرجة) هذه الصورة في كتابه عن ملك الروم بيسيهور هوكاس . وهي تمثل خيلا عرابا مترامحة الثحور وعليها دارعون بأيديهم الاعلام ، وإن أعلامهم لمطرزة ملونة مخططة عليها وشي كثير وزركشة فيه . وفوقها كتابات منها (لا إله إلا الله) طرار كوفي . وهي اعلام عراض وفي وسط الصورة فارس بين صحبه الفرس قد أكب على طبل تحت يديه بقرعه بحماسة وعنف ، وقد رفع مفرعة في اعصاء ، وأهوى على الطبل

(١) كما سيأتي الكلام في شعر الحرب عند أبي فراس .

نفرعه ، وعلى جاسيه فارس مع كل منهما بوق طويل ينفع فيه جهد نفسه وهم جميعا في
سحنات عربية عليها لحي وفوق رؤوسهم عمام مكررة . ولباسهم سراويلات مشدودة .

وقد تبين لي أن هذه الصورة هي صورة الموسيقى العربية التي كانت تسمى أمام الجيش في
العصر العباسي ، عربية من السلاح . شأن فرق الموسيقى المعروفة في عصرنا في جيوش الأمم
، قد ذكر (شهرجه) (١) أن فسطاطين الرومي البورفيرى Porphyrogenete وصف في كتابه
المسمى (الإدارة) في الفصل العشرين كيف كان حرا أو المسلمين المحاربين مع . به الدولة وأن
، كريم (٢) لدى ألف كتاب عن أدوات الحرب عند العرب قد أخذ عن البورفيرى أكثر
ذلك الوصف فقال : « إن جند سيف الدولة كانوا مغاوير محاربين لا حرب لحيين يكون منهم
ألف مدافعون عن مكان ومه بطل من لإغراق في المستحيل أحده مهم . به يقعدون على
ظهور . وسهم في المعركة وليس عليهم . من السلاح التام ، فهم لا يكثر ثوب طيوس
، الخند (٣) وسهم يرمون على وجوههم مغافر من المعدن المصنوع ، سلاحهم الرماح
فلون وتروس مكبرة إلى أقصى الحد . وأد سهم حشب بين واسع ما بين
سيتين يعصر على لرجل العصور أن يرمى به المشد . »

ولم يكن العرب مثل جنود البيزنطيين يرمون أراد حروبهم على العجل والدواب وإنما
كانت الإبل حين انقاصهم . وهم كانوا ورحى المعركة دور ليستعملوا بالطبل الكبير أو
الندون لشدته ، وبعده كانوا يقرعون على طبول صلبة ، فرى على حلا متداع
رهم إذا ساروا فقلوا أنفسهم ، عندهم وحف جشهم مرت بالأعلام المويه وعلى رؤوس
أرماح فصاصات مقصورة لوح فوق رماحه منصوبة إلى لا ينهى نظري إلى مداها .
، كانوا جميعا مرتين هذه الأعلام المويه . وهم إذا ساروا وثر العمار وراءهم ترعوا في
مسيرهم بأعاب يجر جوف أصواتهم من أوقهم بغير Chant nasillard مقرونة بصوت الطبل
لغاصص المسم وفرع الصنوج ، وكان الفرسان المسلحون لكي يسرعوا في السير يزحف مع
كل فارس مهم جندي رجل وراءه .

يقول (رامبورث) (٤) لم يكن فارس جندي عرب محققا عن لباس الجندي اليوناني
بدي سلاحه قوس و ببل ودرع ومرور وسيف وفارس المعركة وإلى ذلك مغفر يستر
الرأس ودرع من الدرع بعضي الجند . وجانبيت تستر رجليه والساعدين معه ود من

(١) ص ٢١١ من كتابه السابق .

(٢) أحد المستشرقين الألمان .

(٣) « بيانات صناع من الفرع على شكل معدنين شد فوق أساق والرجل من كل جانب .

(٤) ص ٢١٥ المصدر السابق (لشهرجه) .

العولاذ الحبل ، وكانت اعماد الميوف العربية مرصعة بالفضة ، وسروج الخيول العربية مثل سروج جنسول الروم . وكان العرب رمى سيف الدولة يلقبون صرونا من الدروع اسمها الجوش تعطى الفرس . . ويقولون (رامبود) لم يكن شيء ليختلف بين الروم والعرب في نظام الحرب سوى المحنوم . بين الروم تعودوا مع النصارى والروس المحنوم انظمه بخلاف العرب . أما باقي فنون الحرب فكانت متشابهة كل التشابه عند الفريقي . وأما طراز المبارزة فقد وجدت أن شرعته من وضع العرب منذ حروبهم في الجاهلية ، يتدرج بطلان من كل جهة وينماوران المطاعن والمضارب ، حتى يصراع أحدهما الآخر على نحو ما كان معروفا عند رومانيين من صراع G'adiateurs . لا أن هؤلاء كما انهم يصارعون راجعين ولم يكن صراعهم للحرب ولكنه منجاة من الأسر أو لدروب (١) وإذا وقع البطلان لهما راسا من انصراع ولم يبق أحدهما على الآخر يصرفه في مكانه غيرهما ، أو وقع أحدهما قبلا فإما مكانه آخر من صفه . وإذا انتصار أحدهما على الآخر فترقى على الآخر هزيمة (السلاح الأبيض) .

ولاشك أن عدم العبادة بين فرسان في سرون ومضى في أورده مقتبس عن العرب فكان هؤلاء الفرسان الأوربيون يتحاربون على طريقة المبارزة ثم تتلاحم جموعهم كما يفعل العرب وقد أثبتت (بيديه) في كتابه عن تاريخ الأدب الفرنسي (٢) صورة المبارزة بين فارسين من الفرون الأوسطي متوافقين كل منهما أمام الآخر وكذلك مبارزته وزنه وعليه دعه . وهذه صورة متفرقة على وجه كنيشة (أنقوليم في فرنسا (٣)) .

أما جيوش بيرصير وأخصه جيش الامبراطور نيسفور فوكاس فكان كما يقول مؤلف عصره هذا معاهل ، أن الجيش بيرضى كال غلبة الكمال والقدرة والفن العسكري وكانت المعتقدات له بيته والشعور الوطني يدفعه إلى أقصى حبه والخاسة ، وأن الأباطرة بيراطلين كانوا يحودون الخيرات الحقة على الجيش وقطعون لأجزاء قطعاً من الأرض (٤) .

(١) لا يزال هذا (التورية) حيا في صاحبة روم وقد كان يجري فيه أيام عمره على عهد الأباطرة الرومن أقدمه من عرس رماضي يشهد الأمل صور ورحمة الدولة ونشأها من الأشراف والأعيان ويُدخل له المحرمين والأسرى فيصطرح كل اثنين منهم على حدة من قتل الآخر منهم من دعه وأطلق وكان ذلك تسلية له روموما وصدها بعد أن يشهدوا انفراس الأسود هرب آخر من الأسرى والمحرمين

(٢) المجلد الأول ط لاروس باريس سنة ١٩٢٣ .

(٣) أنوام Angouleme كنيشة كبرى على نهر شارانت في طريق أورليان فرنسا .

(٤) كتابه (شلويمرجة) عن نيسفور فوكاس من ١١٨ .

وقد اعتدل (روميان) حينما وصف جيش البريطانيين في وصفه وصف (شليرجة) وإنما قال عنه ، ولم يكن البريطانيون (أمة حرب) ولم يكونوا كبحار في الغرب — وهو يعي اليونان والأوريين — فرسان معارك . وكانت الضرورة وحدها هي التي تقتضيهم الاعتناء بالأمور العسكرية^(١) .

لكن (شليرجة) الذي جعل من اختصاصه التنقيب في تاريخ البريطانيين بصف دهنه سكان الخوص الأبيض المتوسط حين كانوا يعاينون الجنود البريطانيين عابدين كالنجيل ، سيوفهم عراض ، ورماحهم طوال سنانها ذو رأسين وبجانبه فأس حديد . ويصفهم هذا المؤلف بأنه لم يكن شيء يفق في وجه هجومهم ولا من يستطيع أن يهرمهم عن مواضعهم حينما يتدفعون أمواجاً وصمغاً ، ولقد كانوا بطولاتهم أوائل الفرسان في أوروبا الغربية . وكانت عددهم نفيلة كل الثقل لا تصلح إلا للمقاومة والفتوح .

ثم أرسل المؤلف أوصافاً في لباسهم الحربي فكانت على رؤوسهم خوذ ثقيل من الحديد ، وعلى أطرافهم وجسومهم الزرد المضاعف المطاخر بيته وكان يستترهم تروس كبيرة وكانوا يحاربون وهم مولون هاربون ، فكانوا يتفوق بهذه التروس على أكتافهم فتقيم الثبال ساعة الهزيمة

ويصف تعبتهم في بعض المناسبات أنهم كانوا يؤثفون صدقاً واحداً كنفاً إلى كتف متراساً كالجدار . لا يمكن اختراقه وهذه تعبئة قديمة موروثة ، حدث عنها ناسيت ووصف مأها (حائط الحديد) يتلاحم فيه صف الجنود^(٢) منصوبة عليه الرماح ويضع على رؤوسه المعافر تلالاً بأيديه التروس المعدنية

يقول مؤرخ الروم إن الأمر بطور يسهيور هو كاس ألف ككتانا للروم في من الحرب وصف فيه حياة صف الدولة مأها تهاجم عن الرحالة . وبين في كتابه هذا أساليب المحاربة

(١) كتاباً بالفرحة العرسية (لخمارة العرسية) من (١٤٢) سابق وصفه ، الذي يقول فيه إن برطة كانت مدعمة حتى قويت وصارت مهاجمة . وإن ألف أمائد الأكبر عندهم هو (Akritae) وإن فرق حيوشهم في فرق العاشركات تأيم ببيور دوات أسماء خاصة بها كفرقة tagmata وقرقة Hicanale ومنها اعرض الأمراء صوري . وإن أرض برصة قد سميت مقاطعاتها بأسماء وانجها وأسماء بلاد في يون . فأرض بلووسر هي تسمية ثالثة للأرض الأولى في بلاد يونان اعرية ، فأذكر في هذا ما صنع العرب حينما صعدوا الأمصار ، فإن السكونة موطن أبي الطيب التي كانت تحصل في سككها أو تقاعها أسماء طاع أمين وفي ذلك يقول أبو الطيب في إحدى إلى هذه القلاع السكونية :

أمنسى (السكون) و(حصرتونا) ووالدق و(ركدة) و (السيعة)

التي قرنها بحب أمه .

(٢) قد عرف المسلمون مثل هذه النوع إذ قيل عب (مثل الديان المرصوص يشد بصفه صفاً)

الروم للعرب ، ونصائح لهم في حروبهم مع المسلمين ، وقد ذكر في أحد فصوله أن العرب يقاومون مقاومة عنيفة فيصمدون وراء متاريس من متاعهم وجمالهم الهللكي . ويوصي الجنود البيزنطيين بأن يزلوا في مثل هذه الحالة إلى الأرض ويباغتوا العرب (بالسلاح الأبيض) . وفي كتابه فصل عن حرب الليل (البيات) فيوصي فيه جنوده أن يستعملوا المشاعل والقناديل لإخافة المسلمين^(١) ، وفيه فصول كثيرة عن السبي والسلب ومحاصرة الحصون .

ويذكر (شلبرج) أن العرب كانوا حينها يفتحون بلدة من بلاد الروم سرعان ما يطعمونها بطوابعهم في الحرث والسقاية ومرافق الحياة .

وكادت جيوش البيزنطيين تهدر بأصوات أماشيدها بدمدمات أشبه بهدير البحر . وقد وصفهم ليون الشماس Leon le Diacre^(٢) بأنهم جنود يذروا حياتهم للثوت وأن من أخفق منهم كان يهرس سبعة في أحشائه منتحر ، وكانوا يعتقدون أن الذي يموت طعنة أعدائه تهيأ له حياة أخرى .

وقد أشد شعراء البيزنطيين فصائد طويلا عن حروبهم مع العرب ، صاع أكثرها فقد روى (روسيان)^(٣) أنه في العصر العاشر لليلاد^(٤) ظهرت في برية ملحة شمعية مطولة في عشرة كتب سجل فيها مؤلفوها الحوادث الحربية التي جرت على الحدود الشرقية في حروب (ديجينيس أقريطاس Digénis Akritae) الذي قصى عمره^(٥) في محاربة المسلمين في البر والبحر وكانت له أكبر درجة في الجيش البيزنطي وأن هذا البطل قد أسمى ومن بدرى ؟ لعل كتابا من هذه الكتب العشرة هو عن سبب الدولة وأحوال الروم معه . إذ كان المسلمون هم العدو المحيف للبيزنطيين وهم الخصم الوحيد^(٦)

أما تلك الأماشيدها التي كان يشدها الروم فقد كانوا يقولون فيها .^(٧)
« لنصر لله الذي هدم البلاد العربية ، وانصر لله الذي شنت شمن من يشكر الثلث

(١) لقد عرف المسلمون مثل هذه التكتيكات إذ عمل (بنو تميم) على إرضاء شدة خصمه .

(٢) عبر بكلمة Sarrasina أكثر المؤرخين البيزنطيين عن المسلمين في القرن العاشر لليلاد .

(٣) مؤرخ بيزنطي في النصف الثاني للقرن العاشر الميلادي أرح حروب سبب الدولة مع الروم وذكر تاريخه إلى القرنين سنة ١٨١٩ في ترجمته Byzantine عكس Bonn .

(٤) من ٢٦٧ من كتب (Lacusation Byzantine) لروسيون المذكور .

(٥) وهو عصر سبب الدولة وإحداثها .

(٦) ١٤٧ من مصدر سابق .

(٧) من المصدر نفسه .

(٨) كتب (شلبرج) عن يسمور فوكس من ١٩١١ وفيه وصف البيزنطيين بعدو المسيح سبب الدولة .

المقدس . والنصر لله ابدى جلال بالحياة — هذا الأمير القاسى عدو المسيح ، النصر لله
النصر لله . .

وكا وا إذا طغروا على العرب أقاموا في كنائسهم تقديما مسيحيا إذ كانت الحرب ضد
لعرب في نظر البيزنطيين (حرب صليبية)

وليت شعرى أى شئ . كان يقول جنود سيف الدولة بعد طهرهم على الروم ؟ ما أحسبهم
بعد أن يهرغوا من تلاوة آيات الذكر الحكيم الا منشدين مقطوعات حماسية من شعر المتنبي
في سيف الدولة في هزيمة (الدمستق) فيبيتون متندرين يهرار أهل الروم معجيين بمعاني
أنى الطيب في سببائه التى كانت صدى حواطمهم ، ومراة بطولتهم التى خلدها الشاعر العظيم
في حروب سيف الدولة

ب - الدمستق وقواده

(الدمستق) هو لقب امبراطور القسطنطينية ومعناه Domestique (الخادم الأعظم
لجيش الشرق) أو (القائد الأعظم لجيش آسيا Généralissime) وكان لقب قسطنطين
مالينوس السابع (Constantin Maléinos) ملك القسطنطينية ، وهو المعاصر لسيف الدولة
وقد حاز عامل الروم هذا اللقب عقب ظفمه الكبير على المسلمين ، وهو أيضا لقب نيقفور
الروم Nikiphoros (نيسيفور هوكاس) امبراطور آسيا الوسطى ولم يصر نيسيفور
امبراطورا على القسطنطينية إلا بعد حروبه العديدة لسيف الدولة فكان الدمستق
قسطنطين هو الامبراطور ونيسيفور قائده الأعظم .

وقد تفصيت أخبار القواد البيزنطيين في زمن سيف الدولة من خلال المصادر التى وقعت
إلى عن حروب البيزنطيين مع العرب في القرن العاشر للبلاد فوجدت أن قواد ملك الروم
قسطنطين (٢) ومنبأه في حروبه مع سيف الدولة هم :

نيسيفور فوكاس Nicephor Phocas (أعظم القواد)

ليون فوكاس أخو نيسيفور Léon Phocas

براس Bringas حارب في جزيرة كريت ثم وجهه مولاه إلى بخارى احدثايين (٢)

(١) ص ٩٩ من المصدر نفسه والهامش .

(٢) حكم قسطنطين السابع الأورفروحي — هذا — من سنة ٩٦٣ الى سنة ٩٨٩ م وكان بعده
على عرش القسطنطينية رومان لدى من سنة ٩٨٩ الى سنة ٩٦٣ م .

حننا قرقواس الارمى Jen courcouas وهو الذى ورد اسمه فى شعر المتنبى وأبى
هراس (قرقوش) .

ميخائيل بورتزيس Michel Bourtzes وقد حارب سيف لدوله ثم انه بعد الدولة (

توفلس أخو قرقواس Théophile

ملياس M élías

برداس فوكاس Barbas Phocas أبونيسفور (

بازيل Basile

يوحنا تزيميسيس Jen Tzimiscés وقد صار امير طور على القسطنطينية بعد ان اعتال
بسيهور .

شمشيق Chamaeic اس جل تزيميسيس وهو الذى ورد ذكره فى شعر المتنبى وأبى
هراس باسم (الشمشيق وهو تصحيف صوته بـ (الشمشيق) تصغير (الشمشيق) كما سيأتى :
وكانت كلمة (البازيل) لكل عاهل على القسطنطينية أيضاً

أما قواد العرب فكان ينظر إليهم الروم نظرة المناس والضرب . فان نيسفور وأخاه
ليون كانا يعدان نفسيهما مثل سيف الدولة وأخيه ناصر الدولة أمير الموصل .

وكانوا ينحتون فى لغتهم البيرنطية أسماء لاكثر قواد العرب . كما سموا (عبد العزيز بن
عمرو بن سعيد الفطرى قائد كريد) وأميرها وكان شديد الصولة عليهم (بالقرباس Kouroupas)
ومعناه بالرومية الحاكم ولى الأمر (١) ، كما سموا (أبا العشار) وقد وقع فى أسرهم Apolasar
وكان بيسفور فوكاس (٢) كبير أولئك القواد وزعيم الجيش كله وهو الموكل إليه فى أيام
قسطنطين حرب سيف الدولة وشى العارات على الحدود الإسلامية والدفاع عن بيضة الروم
إذا هم عليها جيش المسلمين لكن الحيف الذى سجله التاريخ على هذا الجبار العظيم أنه كان
مطواً لزوجته (تيوفانو) سعب . وكان الشعب البيرى يعجب لأمره كيف أودم على
الزواج بها وهى الأيم من الامراطور رومان الثانى . واتفق كانت لها سمعة تخاص فيها الألسن
وقد جر عليه هذا الزواج خسارة ملكه وعمره ، فقد مرت نبوغه وسبيله إلى عاشقها
(تزيميسيس) وقتله — وخلا بيسفور بحسب الهوى حاسراً لمجد نفسه على صريحه هذه

(١) هامش من ٨٠ من المصدر السابق للمرجع .

(٢) بروى (روسيان) أن الامراطور بيسفور فوكاس كان من دم عربى (كتابه بوصف

وباسق من ١٩٢) .

الكلمة : « أنت يا من قهرت الدنيا إلا امرأة » (١).

(٥) الأديب الحماني

يؤلف أدب احمانيين الحلقة الذهبية التي وصلت أدب العباسيين الزاهر بما بعده من آداب طلت وترجع بين صعود وهبوط حتى انحطت أواخر العصر العباسي .
وكان أدب الحلقة احمانية شعرا ونثرا مع أخذ بالنحو وفنون اللغة ، فقد كان لسيف الدولة مجالس أدب في حلب بداره (الحنينة) كانت تجمع الرواة والشعراء ، فطالما استمع ، تحت قباب هذه الدار في أماسيه الرائعة النشوي بالطهر ، إلى قصائد أبي الطيب المتنبي فيه ، وطالما تناظر في حضرته ابن حالويه وسائر الأديباء ، وكان هو الحكم بين المتناظرين وأرى مجلسه الأدبي الخافل قد سبق إلى ما عرف في أوربا منذ القرن السادس عشر في ورشة من (الآباء) (Les Salons) وفي هذا البهو احماني الرحيب بوطر أبو الطيب المتنبي في قصيدته الميمية المشهورة وعنف عليه حساده ومهيم ابن حالويه وأبو فراس حتى أوغروا عليه صدر سيف الدولة نصرته بالدواة وشحه فرد الشاعر على أميره بقوله :

إن كان سركو ما قال حاسدا فما لمجرح إذا أرضا كرو ألم
فقام إليه سيف الدولة وقبله مستعمرا . وشهد هذا البهو أكار الشعراء احمانيين كآبي الفرج البيهقي المحروم وكان يجمع بين الصاعنتين ، ورافق سيف الدولة إلى دمشق وقصر عليه مدحه وذكر في شعره ورسائله عرواات سيف الدولة وهو القائل فيه :

كأنما ادخر الرحمان معظمة	دون الملوك لسيف الدولة البطل
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا	وصفا وأفضلهم في القول والعمل
فهزه وظيا الأسياف مخمدة	واستله غير منسوب إلى العليل
حتى غدا الدين من بعد العيوس به	جذلان يرقل من نهماء في حلال

(١) كتب هذه الكلمة على قبة بيهور فوكاس (يوحنا بطريرك أنطاكية) وأول من ذكرها (ليون الشماس Leon le diacre) وهو مؤرخ بيزنطي في النصف الثاني من القرن العاشر . فقص في عشرة كتب حوادث بيزنطية من ٩٥٩٢ - ٩٧٣ للميلاد وكان أصدا شاهد للحوادث البيزنطية الهامة مع غرب .

أظهر من ٤٤٨ المجلد ١ من كتاب Histoire de l' Empire

طبع باريس سنة ١٩٣٢ Byzantin-Par: Alexandre Vasiliev

وهذا الكتاب من أثبت أصدر عن البيزنطيين وقد خصص فاسيليف المجلد الثاني منه للحروب الصليبية ومحمده يفتان في سمته صيغة من القطع الكبير وقد كتب مسموهم مؤرخ بيزنطيين المعاصر شارل ديبل الفرنسي .

ومن رجال هذا الأدب الهداني الشاعر أبو العباس النامي وكان من غرر الشعراء أحدانيين أحبه سيف الدولة فكان عنده تلو المتنبي كما يقول الثعالبي^(١)، ومن أدباء حلب في عهد سيف الدولة أبو الحسين الناشي وأبو القاسم الزاهي وكأما من الشعراء الطرفاء ومثلهما الوأواء الدمشقي والسري الرفاء، وجاء المري سيف الدولة فلزمه واستكثر من المدح له، وكان في بلاط أمير حلب الشاعران النائران الأخوان الخالديان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد، وغيرهم كثير من أهل الشعر والنثر أحصاهم أبو منصور الثعالبي في اليتيمة واسترسل في الكتابة عنهم وعرض غرر أشعارهم وألوان ثمرهم.

ووجدت أما الغداء الحموي يروي في مختصر تاريخه^(٢) أن أما العرح الأصبهاني ألف كتاب الأغاني في خمسين سنة وحمله إلى سيف الدولة فأجازه عليه بألف دينار واعتذر إليه، فإذا كان كتاب الأغاني وهو مدهو في عظمة التأليف والتصنيف في الأدب والشعر وأخبار الغناء واللحن قد ألف في عهد سيف الدولة، فقد كفى الأدب الهداني لغيره سجييس اللبالي وكان الغاراني يلبس العقل والغناء عن ورد على سيف الدولة، وكان رعيم النعة في عهد سيف الدولة أبو الفتح عثمان بن جني ورعيم النحوي ابن حالويه، وشيخ المؤرخين الشمشاطي ولم شهد عصر من عصور الأدب العربي بجمع علم وأدب ولغة وشعر مثل جمع سيف الدولة غير الرشيد والمأمون، وكان الخنقاء العباسيون الذين عاصروا سيف الدولة يحسدونه على قصوره المبردة، ورجله الأفذاذ.

وقد فتت لنفسى بعد الوقوف على أدب أحدانيين وعجني له إدر حرر فاصل الأحباريين وأساطين النعميين، وأكرم الشعراء، فتت لولا حروب سيف الدولة لبيد بطييين لملا ديار العرب بالعلم والأدب، قال عنه أبو منصور الثعالبي^(٣)، إن محمدا القاضي انكأ وأما الحسن الشمشاطي حتما من مختار مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت من الشعر، وكان انفرغه بكل ذلك أثر في ازدهار عصره في الشعر وفنون الثقافة المعروفة إلى عهده فكان أغنى عصر عرفه العرب، عهد الرشيد، وفاق زمن المأمون.

ثم فتت أسفا أين الخاسة في شعر هؤلاء الأدباء جميعا وفي ثمرهم؟ إلى بقيت عنها ما وجدت لها أثرا عندهم يذكر، وإعنا وقعت على شعر كثير للأدباء أحدانيين في زمن سيف الدولة

(١) يتيمة الدهر طبعة اسماعيل الماوي بمصر ج ١ ص ١٩٠

(٢) المختصر من أخبار البشر الطبعة المحيية بمصر ج ٢ ص ١٠٨

(٣) يتيمة الدهر ج ١ ص ١١

صرفوه في وجوه اللهو ، كالعرل والمطارحات ووصف الفاكة والعبان والشراب ، وتوليد
المعاني التواسية بما ملأ به الثعالب جاباً من يثيمته ، معز عندي حيث مقام شاعر الحماسة
الحمدانية أبي الطيب المتنبّي وتلوه أبي هراس ، وعرفت مترنما من شعر الحرب الحمدانية
فلولاهما لما ذكر سيف لسيف الدولة ، ولما خلد ذكر لواقعة من وقائمه لأربعين .

حق عنى إذن بعد ذلك ، أن أصرع تكلام على شعر الحرب عند المتنبّي وأبي هراس وأن
أجلّى النقاب عن أروع حماسة عرفها الشعر العربي . منذ عمرو بن كلثوم في الجاهلية إلى
يومنا هذا

الفصل الثاني

شعر الحرب عند المتنبي

(١) هروب سيف الدولة مع شعر المتنبي

صحب المتنبي سيف الدولة منذ مدحه في أطاكة حين استنحم فيها من عزونه لخصر بررويه إلى أن فارقه قاصدا إلى كاهور الإحشيدى أى أنه لزم الشاعر أمير حلب نحووا من تسع سنين منذ سنة (٣٣٨ - ٣٤٥) للهجرة^(١) فلم يفارقه في سورية الشمالية ودس كرها وفي رحلاته ابدوية وعزوانه للروم والأعراب وكان يسجل في قصائده الكثيرة التي احتضه بها كل حوادثه فينتبع بالذكر حروبه وسفره وقبولة وارتحاله وبروله ويصف طفره لصاعق واحتيال الروم ومرار ملكهم وفوادهم وتشنت جيوشهم واندحارها .

وكانت أول قصيدة له فيه عند لقائه (في حربه للروم) ، وآخر قصيدة له عند هرقه (في حربه للروم) ، وأكثر شعره خلاطها قد قاله في هذه الحرب

ولإن هذه القصائد فوق ما حوته من قيمة أدبية وسحر بيان وتحقيق في فن المعاني والأسلوب وسمو في الصنعة فاتها تجمع في أياتها (قيمة تاريخية) و (جغرافية) عالية القدر ، وتعد (وثائق) في غاية الخطورة لكتاتبة التاريخ السياسي والتحقيق الأدبي عن عصر سيف الدولة .

ولهذه القصائد بقى الدهر مشدا بردد ذكر سيف الدولة على خلود المتنبي . وكان من حظ أمير حلب أن ينظم فيه شاعره أبو الطيب أحسن قصائده وأروعها في كل عمره الشعري ، فيقرن خلوده بخلوده ، ويحده الأدنى بمجده الحرقى ، ولست مع أى منصور اشعالي — — — — — الذى يقول إن سيف الدولة هو الذى رفع من قدر أمسى ، وفق شعره

(١) ديوان أبو الطيب المتنبي ، جميع ومعارفه ، الدكتور د. الوهاب عرم طبع بمصر سنة ١٩٤٤

وكذلك قال (شامجره) (في كتابه عن بيسفور فوكس من ١٢٦) إن المتنبي لزم سيف الدولة قرابة عشر سنين من سنة ٩٤٨ إلى سنة ٩٥٧ للميلاد .

وأتى عليه شعاع سعاده حتى سار ذكره مسير الشمس والقمر وساهر كلامه في البدو
والحصر^(١). إذ أن أنا منصور كان ينظر إلى الشعراء بمثل النظرة التي كان يريهم بها الخلفاء
والأمراء وطال ما كان هؤلاء يعدون الشاعر من أدفة المناداة وغفل أبو منصور عن أنه هو
أيضا أديب مؤرخ، وكاتب مترسل، وأنه له شعرا كالذي مدح به أبا العصل الميكاك. ولولا أن
كتابه (التيمة) معدود في حمة الدجيرة من تراثنا الأدبي ككتاب ابن خلكان ومعجم الأدباء
والأعني لما أهت إلى حطه من كرامة المتنبي — من شاء مدحه — فأثقل عاتقه بمئة سيف
الدولة الذي أتى عليه شعاع السعادة وكان من قبل عاملا مجهولا.
وكيف اتفق أمر المجد واكتسبه بين سيف الدولة وشاعره، فإن أبا الطيب كان يعد
نفسه ملكا في شعره وأميرا بلسانه، وما هو ذا الدهر يتطوى عصورا والمجد يزيد المتنبي
حظا من خلوده تبلى دونها حلل الملوك.

ولم يكن شيء في شعر المتنبي أعذب بها ولا أهدأ أثرا من (سعياته الخاسية) التي تسجها
على هبوب الصحراء ومزجها بمحرمات الخيل صافقة سناكها على درب الروم تسم عليها صدور
البزاة بمقدوح الشرر، وصليل السلاح في صجيج العرسان وعجج العبار وفي هامة الجيش
الذي يسد هزيمة وجوه الجو كان يترخ (أمير حمدان) على جواده المظلم كأنه فارس الأساطير
يهب في عالم الحروب فيملا (فليقلا والتاقلوق والقيدوق والانسبق، و... أقاليم بزطة^(١))
برهبة حربه وسطوته وناسه، حتى تحيى أخباره القسطنطينية فيراع من فيها، ويهب البيزنطيون
إلى حيولهم بأثقال الحديد لرد هزيمة العرب ومد الثمور، وإغلاق الحصون

وقد وصف (روسبان)^(٢) ما كان يجري عند هبوب العرب على بلاد الروم في عصر
سيف الدولة ومن قبله، وما يتحد الروم من التعبئة فقال: لقد حصنت الحدود الإسلامية
من جهة الروم تحصينا قويا فإذ انهم المسلمون على ناحية كان على العرق الرومية الحامية أن

(١) يذمه الدهر للثعالي العظمة لساعة ١٠ من ٩٠

(٢) أنظر الخريطة المصورة لأديم الروم في آخر الرسالة.

وقد وصف أديب بزطة هذه (ابن خرداذقة) في كتابه (المسالك والممالك) الذي نشره
de Gize سنة ١٨٨٩ م. وقد أمسى أبو القاسم بن خرداذقة بقباس المسافات بين هذه
البلاد وسدها عن حواصر الإسلام ولم يصحها من الوجهة التاريخية أو الإحصائية. وفي هذه الأقاليم
جرى أكثر حروب سيف الدولة مع الروم وأسماؤها الرومية.

Cilician, Agato koi, Cappadocia Opsikion, Buccelani Armentakol, Paphlagonia,
Optimatoi, SeLeukeia.

وكل واحد من هذه الأقاليم يحتوي مدنا كثيرة ذكر أكثرها في شعر أبي تمام والبحتري ثم في شعر
أبي الطيب وأبي فراس.

(٣) بكتابه السابق عن (الحصارة البيزنطية) الترجمة الفرنسية من ١٤٨

ترسل الخبر إلى كل الفرق لتي بجوارها . وهؤلاء يشيرون الخبر فيس يحاورهم من الفرق وأهل الحصون ، ويتأهب الجميع للدفاع ريثما يأبهم المدد من جيش القسطنطينية ، وتندب كل ناحية فرقة من حرسها فيتألف جيش سريع التعبئة يرصد الفرقة التي هاجمها المستدون ، وكانت المعارك بين الروم والعرب محالاً في عهد سيف الدولة بكدت فيها الطفر حيناً بسليين وحيناً لليز بطير .

المعارك

١ - معركة خرشنة

الخرشنة (١) معركة وصمها المتنبي في شعره في قصيدته العينية التي أولها :
غيري بأكثر هذا الناس يندفع إن قاتلوا جبنوا أو حدثوا شجعوا

وقد مر سيف الدولة في طريقه إلى هذه المروءة على مدينته سمندو Tzamandos وعبر نهر (آلس Halys) الذي ذكره أبو نحماس في روميائه وهو نهر عظيم ، ووزن على مدينته صارخة (٢) فأحرق رصها وكنائسها وأرماص خرشنة وما حوالها . . وأعمل سيوفه ولبث أباما هناك ، ثم كر راجعا فعبّر (آلس) وأخذ سمته إلى خرشنة بعد عزلها — يهراق رصها وما حوالها — فبعثها ليلا وحط رحاله في بطن (اللقان) فجاءه الدمستق في ألوف من الخيل وكان سيف الدولة ماهرا بفتوح الحرب ، فم بطلع على الدمستق لإلأسرية واحدة من سراياه ملك الروم وهو بطن أنها كل ما في جيش أمير حلب ، وما راعه إلا سيف الدولة وقد طلع عليه بجيوش تملأ الفضاء كثرة لا قبل له بها . فشدت المعركة بين الجيش العربي والجيش البيزنطي في بطن اللقان ، هائلة صارفة قتل فيها من فرسان الدمستق خلق كثير وأسر من بطارقة رجاله وأعيانهم ما نيف على الثمانين شخصا وأهلت الدمستق

(١) خرشنة Charsianon وهي بين إقليم أرمينيا والدمار - وده وصم - مدينة ناهم . كانت مدينة داب دمه حصينة جدا في حدود منطقة Melitene مسيرة خمس ساعات على العرب . أما (ياقوت) فاقصر على قوله فيها أنها مدينة قرب مطبة من بلاد الروم .
(٢) صارخة Dharja في أرض البقلاز ناحية خرشنة .
ويبين لي من اسمها نارومية أنها (صارخة) لا صارخة كما وردت في قصيدة أبي نعب هذه . وهو تصحيف . وقد روى ياقوت اسم هذه مدينة كما ذكرها ديوان أبي الطيب وشهد عيني بيته هذا :
نحلي له المرج منصوبا بصارخة له المناير مشهوقا بها الجمع
وضبطها ياقوت صارخة بقوله بعد الراء خاء معجمة وحيم معجمة بعد الراء .

وعر سيف الدولة وجمعه من هذا الضمير فأبو مرقس بن شوشة الضمير ومعهم — كما يذكر
(شليبرجه) — مائة وعشرون ضريفا . ولم يعلموا أن الروم قد اردوا بقيادة (قسطنطين
بارداس) ففقدوا لحد في بعض الطريق وأحدوا عليهم بعض محارم الجبل ، فصبوا عليهم لصخور
وأصلوهم عارة شعاعا . ومعنوا منهم قتلا حتى تشتت جيش سيف الدولة وهرجعه ونقطع جنده
فجعل سيف الدولة يستنفرهم فلا ينصرون ، فلم يجد بدا من أن يقتل أسراه خلاصا من عبثهم
وعذرهم ، واختار سيف الدولة فتحا عاد إلى حلب (مرزوما)

وهذا استفتح أو الطلب لصبيده يذكر من يخدمون بالرجال ويقتلونهم بأسا . وما
هؤلاء أرحام إلا أعداء شجاعة جبناء عند عدل

وفي الأبواب الأولى من هذه المصيدة بفر أبو الطيب أدب الحرب وشروط الفروسية ،
فليست عنده حمار وجه وزيد هي رأس حرب وما الفارس إلا الذي يثبت على الخيل
ويوفر ما إذا حفت وراحت لمرر ، وكان دمه هو الذي ينسكب من أعطافها فيقول في شرط
الفارس

وفارس الحرس من حمت فوقها في (الدرب) ولا في أعطافه دمع^(١)

وكان مفروصا في أو الصب لـ تمنح عبادة سيف الدولة وتوحده بالشجاعة حتى يحلف
من أحرار بكساره في هذه الموقعة فقال

بالجيش تمتنع السادات كلهم والجيش يابن أبي الهجاء تمتنع

فاد المذهب أقصى شربها نهل على الشكيم وأدنى سيرها سرع

ثم ذكر مسيره في البلاد البرطية ليعوقه مدع الله فهو بررع الموت أينما سار في ديار
الروم حتى جثم على أرباص (حريشنة) فكان فيه شفاء الروم وسعها وصلبها ، فسي ساءها
وقتل وندأها وأحد أمرها ، وأوقد النار في مزارعها لكثيره

لا يعتنى بلدا صراة عن بلد كالموت ليس له رى ولا شيع

حتى أقام على " اص (حريشنة) تشقى به الروم وصلبان والبيع

سسى ماسكحوا وقتل ماودوا ولهب ماسموا والنار ماردعوا

وكانت عادة سى المعوت وانتهاب ماله واسترقاقه وسعه وتخريب مده وتحريقها عادة
حرية معروفة مد كان لإسار محارب على الأرض فإن الأمم القديمة كانت شديدة الصراوة
فقد كان الآشوريون والكلدانيون يثقبون شعاع الأرى ويرطوبها بحبال بشدوهم منها ،
ليقودوهم ، ويعرضوهم على الناس في هذا العذاب وهوان وكان المراعنة والرومان يربطون

(١) (الدرب) طريق الروم . وورد في كتاب مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ج ١ ص ٢٩٧

« اذا أطلق لفظ الحرب فأعنا يراد به ما بين طرسوس والروم »

أسراهم بحبال يعقونها وراء العجلات ثم يطلقون الخيل بالسياط ما وسع السوط . ويشهد عذاب الأسرى القوم الطافرون في حمل عظيم ، كما تقدم وصفه .

ولإذا فعل سيف الدولة ذلك عند الروم وأسرى البرطسيين ، وإنما هو يكيل لهم مثل ما كالوا به إذا كانت الحرب سجالات بين المسلمين والروم منذ فتوح الخلفاء الراشدين إلى آخر الحروب الصليبية . يمرروا الروم تغور العرب فيحرقونها وينهبونها ويسبون نساءها ويسترقون الرجال ويقفلون بالأسرى والغنائم ، كما فعلوا (زطرة) .

فيمرروهم العرب ثلاثتهم أو للفتح وينقمون منهم مسامتهم التي أسلفوها ويصلونهم النار التي أصلوها كما فعلوا (بعمورية) . .

ثم يمضي أبو الطيب بقصيدته كما قدمت في وصف المعركة من أن الدمستق ظن أن القلة في جيوش سيف الدولة لم يلد أن طلع عليه جواده فصعدت متحدا من عبي الدمستق (اللتين حاناه في تقدير العدد) . وسية إلى وراء هذا المعنى معرا سواد العمام عن كثافة الجنود وحفيف العمام وهو القرع عن قبة الجنود .

لام الدمستق عينيه وقد طلعت سود الغمام فطنوا أنها قرع

ويمكف أبو الطيب بعد هذا البيت عن تصوير حمل أحد بين فيصف السكاه عديا بأل الرجن فيهم من طول ما تدرس بالحرب ، ركوب الخيل هو بالنسبة إلى الأعمار الحربية في سن العظام ، فقد رضع بيان الحرب حتى استتم عدوه مها عظمت وهو في عمر الرجال أي أن الفارس المجداني سلاح من الرصاص من الحرب منذ الصبا حتى صار في عداد الرجال (وسن الرجال هو سن العظام الحرفي)

وهؤلاء المعطومون الرجال هم عن جواد كسدت عمرتها عن الحرب كل عام من عمرها بعامين ، حوليها وهو ذو السنة الواحدة معطود بمرة (الخدع) من الخيل وهو ذو العامين فيا عجا لآلى الطيب في قدرته على الوصف الدقيق بعد جعل كثره سنين في الحرب شري لعمر الرجال ، وقلة السنين في عمر الخيل أصالة لها وكما مع انتم من الحرب فقل عن الجيوش الخمدانية الكشيعة

فيها السكاه التي معطومها رجل على الجواد التي حوليها جدع

ثم ذكر النقال وهو مكان بالروم وراء حرشفة وقد حانته سك الخيول راحة فلا غبارها مناخرها وكان الماء الذي كرعته الخيول من (آس) ميرايا ينتعج في حناجرها فقال : يدرى (النقال) عباراتي مناخرها وفي حناجرها من (آس) جرع

فلم يعجب هذا المعنى بأقوتنا فقال في معجم البدن : وهذا البيت من اصطلاح المتنبى

في المبالغة لانه يقول إن هذه الخيل شربت من ماء (آلس) ثم يتعد حناجرها حتى اذرى
اللقان الفبار في حناجرها . يعنى سارت من آلس إلى اللقان في مدة هذا مقدارها وبينهما
مسافة بعيدة .

وتابع المتننى وصفه فقال إن هذه الخيل وقد جاءت راكعة ممعنة في عدوها كان فرسها
يتفقون بها أعداءهم ليدوسوهم بحوافرها . وكان طعن الفرسان وهم فوقها يشق هاطر يقها ويحدث
لها بين صفوف الروم أجوافا تسعها . وأطلت الواقعة من كثرة ما علا من انقبازها ولكن كان
يهدي تلك الخيل في ظلمات تلك المعركة المتلاطمة شمع نضى ناره ، حلقته عبقريه الخيال عند
المتننى جعلته من أجسام الرماح . وأما ماره التي كانت نضى نهي الاسنة .

وكانت تلك الخيل العريية الصامرة الواثبة إذ تحشى الروم تدمر عبيهم بسرعة ، حتى تركبهم
وتعشاهم . لا يصددها في فرها عليهم سهام . ولا يعوقها عن وثوها رد بلادهم . فقال في تلك
الخيول وفي الروم .

كأنها تنفاهم تنسلكهم	فالطعن يفتح في الأجواف ما يوسع
تهدي نواظرها ، والحرب مطلية ،	من الاسنة نار والقنا شمع
دون السهام ودون القر طاحلة	على نفوسهم المقورصة المزع (١)
أجن من ولد (القفاس) منكشف	إذ فتن وأمضى منه منصرع (٢)

وتم يترك أبو الطيب وصف البطارقة المقيدين . الأعلان . وكانت أعلاهم على أيديهم
وأرجلهم أمينة لا يحون من وكل إليها الحفاط عبيهم حتى تؤديهم إلى السبوف فتصرب أعناقهم .
لكن هذه السبوف لا مينة عي ورعة لأنها لا تشق على الأسرى من عص الحديد . وهذه القيود
يعوق لبطارقة عن الحضور فتغل حصده . وإذا أرادوا النوم طردت أبقالها النوم عن جمعونها فقال :

كم من حشاشه بطريق تصم	لبامرات أمسين ماله ورع
يقاقل الخطو عنه حين يطلبه	ويطره النوم عنه حين يضطجع

إني ههنا بصف المتننى فور سيف الدولة وبصرته عني الدمستق ولكنه لا يصارح كيف
نحول النصر إلى هزيمة وإنما يجعل أولئك الأسرى من الجيش الحمداني الذين وقعوا في قبضة
لروم عسكريا خيرة متحاذلين جلالة الله ما صنعوا من حشد الأمير حين استنصرهم . وقد
صف هؤلاء الجنود لتهاوهم عني الحرب . أنهم كالأموات فليس يأكلهم إلا الصياع فقال :
فل (الدمستق) إن المستلمين لكم خاوا الأمير فجازاهم بما صنعوا

(١) انزع الخيول الخبيثة جمع مروع ، وامورة الصمرة .

(٢) القفاس هو Bardas Phocas فولده Nicephore Phocas أي مذهب ابن موكل (بيسفور)

وسبق الخيل بمراره ثم تدركه « فاحل منه بأسور مشدود ، وأشجع منه منقول مصروع » .

لا تحسبوا من أسرتم كان دارمق فليس يأكل إلا البتة الصبع
ولولا الاسكار المر الهدي ألم سيف الدولة لما ذكر أبو الطيب أسرى العرب ، ولا
ناقش في أمرهم الروم ، ولا استخف أمرهم ، ولكان الظفر المطلق سد عليه أمثال هذا الكلام
الذي لا يطمع فيه إلا المقهور . ثم يتحد من أولئك الأسرى عزاء للفهر فيرغم أن أسر الروم
لهم كان فصلا على سيف الدولة ، إذ تخلص منهم . وكانوا جنودا فيهم الفصل الثاني . وفيه
الرعيدي . حتى إذا عاد الجيش العربي إلى حلب عاد وهو حاصر من أولئك الجنود المأسورين .
فقال في هذا التعليل :

وإما عرّض الله الجنود لكم لكي يكونوا لا فصل إذا رجعوا
ثم يأخذ أبو الطيب بما أوتي من من احسان ودقة الأداء فيكون الأمر على سيف الدولة
في هذه الهزيمة التي كانت بعد الظفر فيجعله عملة من كان فوق الشمس فهو لا يكثرث من
يرفعه ولا يمن بضعه . ثم يحمل — في شعره — الدهر يسعى إلى الأمير بالعدو . والسيف
مؤتمر بأمره . ينتظر يوم الانتقام . وها هي ذى أرض الروم على طاعة في الربيع والصيف
فيقول :

من كان فوق محل الشمس موضعها فليس يرفعه شيء ولا يضع
الدهر معتد والسيف منتظر وأرضهم لك مصطاف ومرتب
ويدل هذا الوصف على أن أبا الطيب كان مع سيف الدولة في هذه المعركة لأنه كان قد
حدث المتنبي بها صاحبه ابن جني فروي له كيف كانت صورة سيف الدولة وكيف ارتد الروم
على المسلمين
وإني لأجد الدليل على شهود أبي الطيب لهذه الواقعة والهزيمة قوله يخاطب سيف الدولة
في آخر هذه القصيدة

وقد حمدتك في هول ثبت له حتى بلوتك والأبطال تمتنع
فيتبين من هذا البيت أن أبا الطيب شاهد سيف الدولة وهو يثبت في الهول فحمدته على
ذلك . ثم داخله الشك فتأكد عنده نياته حين خبره في هذه الهزيمة . كان فيها الأبطال
المسلمون يقتلون ووجوههم تمتنع
كما أن (شليحة) يذكر أن أبا الطيب كان مرافقا لسيف الدولة في هذه الواقعة وهو عنها
ويقول أن اسم (عزوة القفزة) وذلك أن الجواد الجبار الذي كان يركبه سيف الدولة
من على عوده الجبل فغزه عجيبة فتجأ بها من لفت والأسر ومعه فئة من الرجال فيهم
(أبو الطيب) (١) . وكانت هذه الواقعة عليه من أسوأ الوقعات . وقد حدد هذا المؤرخ هذه

المعركة يوم ٢٠ تشرين الثاني سنة ٥٩٠ للميلاد (١).

وظل الدمستق بعد هذه المعركة راجح نفور العرب وبعديها حتى أتى (مرعش) (٢) فمهم به سيف الدولة ، فلذا بالفرار ، فلاحقه بعد التحام قصير ، وكان الدمستق قد ترك أمواله وقتلته

ويظهر من شعر في الطيب أن الدمستق لم أتى (مرعش) بعد (معركة حرشنة) أوقع في سورها تهديما ، فشنخص سيف الدولة (سنة ٥٣٤١ هـ) لطرد الروم ، ففرق المال على أهل الثغور أمراء ، وبني السور فقامه وعلاه ، وبني القنعة وشاهق السور . وكان شحوصه يحش لجب بسد الفصاء وعلا وجهه الجبل . وأرى أن المتنبي (لم يكن في هذه السرية) وإنما بحث في حلب . ولم فعل سيف الدولة من طرد الدمستق وإعانة المنكوبين من أهل الثغور خرج أبو الطيب لبقائه . فما استشرى وهو القاء الذي فيه المتنبي ، ولعله كان (ربما في طواهر حلب) نرجل المتنبي وصحبه الإلمام بسيف الدولة كرامة أن يصلوا إليه راكبين في مكان لقائه ، فقال

قد بذاك من (روح) وإن زدتنا كره
نزلنا من الأكواري نمشي كرامة
فبك كنت الشرق للشمس والعرا
لمن من عنه أن نسل ركبا

• • •

هنيئاً (لأهل الثغر) رأيك فيه
فيوماً بخيل تطرد الروم عنهم
وأنتك حزب الله صرت لهم حزبا
سراياك تترى والدمستق هارب
وأقبل إذا أدبرت يستبعد القربا
أتى (مرعشاً) يستقرب البعد مقبلا
مضى بعد ما تلف الرماحان ساعة
كما يتلقى الذهب في الرقعة الهدبا

(١) يحدد ابن مسكويه في كتابه تجارب الأمم ج ٢ ص ١٢٥ وقد وصف الواقعة باختصار على أنها جرت سنة ٣٣٩ هـ وبسبب أن وصف هذا المصدر وطبعته .

ويذكر هذه الواقعة (يحيى بن سعيد الأنطاكي) في تاريخه الذي نشره فاسبييف وكرانشكوفسكي في مجموعة Patrologia Orientalis جزء ٨٧ ص ١٩٢٤ من ١٩٢٨ . أن سيف الدولة بلغ حرشنة منتصف ربيع الأول سنة ٣٣٩ وأنه قد حفره أحد عده الروم ناحية في (لدرج) معروفة (بقطع الأصفار) ووقفوا به وهناك حفره وارتفع روم الذي كان السمون عموداً ، وأخذوا سواده وكرامه وأمواله ، وعموا عجة عظيمة ، وأقامت سيف الدولة معهم في (مهمزما) في منتصف جمادى الآخر من هذه السنة (تكون عروبه لحرشنة في ثلاثة أشهر) . وقد سمي الثغريون هذه القزاة (غزاة المصيبة) .

(٢) مرعش بالرومية Germanikeia

ولكنه وى والظعن سورة إذا ذكرتما نفسه لمس الجنبيا
وحلى لعدارى والبطريق والقرى وشعث النصارى والقرايين والصابا
والظاهر من البيت الأخير أن سيف الدولة في هذه السرية لحقت جيوشه المستقر في قرى
الروم ولم يدفع عنها عادية العرب الذين دخلوا القرى الرومية ومسوا عذارى وقتلوا البطاريق
وهدموا الكنائس فقتلوا فيها القرايين (١) والصلبان
ولا بد من الإشارة إلى أن ترتيب أسات هذه القصيدة في كل نسخ النسخات على
صورة واحدة وذكر البيت الذى يشير فيه المتن إلى بناء سور مرعش مفردا عن (صخرة)
ولا صلة له بساقه وأرى صواب ترتيبه أن يذكر بعد بيت (كفى عجايب) ، فيكون .
كفى عجايب أب بمعبد الناس أنه بنى مرعشا تبنا لأرائهم تبنا
فاضحت (٢) كأن السور من فوق بدنه إلى الأرض قد شق الكواكب والنرا
ثم يتم أبو الطيب القصيدة بوصف الجيش الذى شخص به سيف الدولة .
وجيش يثنى كل طود كأنه حريق رياح واجتعت عصا رطبها
كأن يحوم الليل حافت مغاره قدت عليها من عجاجته حجابا
وكان ملوك الروم في تاديع حروبهم مع المسلمين يطلبون منهم الهدنة أو العدا أو تبادل
الأسرى وتقدمهم إلى ذلك أسباب من فن السياسة التى كانت تقع كثيراً في القسطنطينية ،
أو من ضعف الجيوش البيزنطية أو اختلاف قوادها أو لوجود كثرة في الأسرى وقد
يطلب العرب هم العدا وتبادل الأسرى أيضا وقد يطلبون الهدنة
وى كتاب (التبيين والإشراف) للسعودى مؤلف مروح الذهب (٣) باب خاص
بالأهدنة من أيام الخليفة الرشيد إلى أواخر خلافة المتوكل حصل خمسة أودية حملت عدد
ماهودى فيها من المسلمين بنى ذكر وأشى في عشرة آلاف وسبعمائة أسير (٤) . وكانت
تحصل هذه الأودية على (اللامس) (الذى قدمت ذكره ووصف الهدنة عليه) .
وقد حصلت المفاداة والهدنة بعد أن أرسل ملك الروم وفداً إلى سيف الدولة عقب

(١) بقصد المسمى قرايين مكانها وهو المسمى الذى تقدم فيه وسميها برومية Altua أى (Autel) .

(٢) أى مرعش .

(٣) طبع لندن سنة ١٨٩٣ وقوف de goeje من ٢٨٩ .

(٤) من أمر ما حصل للمسلمين خلال هذه الأودية ما ذكره السعودى في كتاب (تبيينه وإشرافه)
هذا أنه في الهدنة كانت في خلافة بونى أمر ما سمى أحمد بن بونى دؤاد ولى الهدنة أن يجمع المسلمين
من الأسمى من قال (بحاقى مرآت) هودى به ومن ثم من بدت راء من الروم مير فداء وأن جماعة من
الأسرى المسلمين احاروا رجوع إلى أرض النصارى لئلا يهدموا منهم أن يقولوا بسنة الهدنة .

معركة حرشنة ، وسرية مرعش لجاء الرسول البيروني في سيل الغداة والهدنة ورأى في طريقه قتي قومه .

فذلك حيث يقول أبو الطيب في القصيدة القافية :

رأى ملك الروم ارتياحك للندى مقام مقام المجدى المتلق
وكاتب من أرض بعيد مرامها قريب على خيل حوالبك سبق
وقد سار في ممرات منها رسوله فاسار إلا فوق هام مغلق
وبابغى أن يكون سيف الدولة قد تنى سمير ملك الروم فأقام له حملا في وليمة وسماط
وتصدر هو في ذلك على عرشه ، فوصف أبو الطيب هذا اللقاء بقوله عن السفير :
فأقبل يمشى في السماط فما درى إلى البحر يمشى أم إلى البر يرنق
وكان دليل الهدنة المؤقتة بين العرب والروم في تلك الفترة قول أبي الطيب بعد ذلك :
من نعطه بعض الأمان فائل وإن نعطه حد الحسام فأخلق

ب - معركة الثغور

سميت معركة الثغور لما وقع فيها من سلسلة معارك في أواخر الثغور ، وقد وقعت سنة ٣٤٣ للهجرة . بعد أن أطلق الخديويون أمري الروم وانقضت الهدنة إذ كان سيف الدولة في ديار بني مصر بمحمد نورة بن عقيل وقشير وعجلان ، وبأخذ منهم الرهائن لحدث له رأى في الثغور . لجاء الثغور حتى بلغ سمسباط ، وبلغه أن العدو في بلد المسلمين يخرج إلى بلاد دلوك وصنحة وعرفة ومورار وملطية وقبايق وهنريط وسمنين ، وهو معمل سيوفه يلقي الروم بالمعركة بعد المعركة حتى اهرموا . وكان يقود الجيوش البيرونية (برداس فوكاس) القائد (وهو راس الجيش الأعظم من امراطور الروم قسطنطين السابع البورفيريوجيني^(١)) وثلاث أولاد قسطنطين فوكاس وكان ما يزال شابا . ففر برداس وترك ابنه أسيرا في أيدي الحمدانيين .

وقد ورد في « ربيع » (شلمحة) لمصر بيسيمور أن هذه الواقعة سنة ٩٥٣ للبلاد^(٢) . فراح حمد لمثني في وصف هذه المعارك ناديا بتصوير اخيل وهو المولع فيها العارف بحقيقة شياتها وصفاتها ، فمنها وقد رمى بها سيف الدولة درب لروم إلى العدى ، فاطلقت وكائنات لهم . ومضت وهي تعد الركض روفة أديابها وهي في مريح وصهيل تحت

(١) Constantin Porphyrogene

(٢) من ١٣٣ وكذا هذا يوسف في وصف .

ودكر هذه الواقعة من سمير لأما في ربيع . فذكره فقال في ص ٧٧١ يزيد على ذلك أن الطريق لأور اللاتي Leon le Malenos قبل في هذه المعركة .

العرسان وإياها الخيل شعها الركض لا تقف في سدد را حتى تمرى إلى غيره بلا ، إلى أن
كسبت الروم فاشعروا حتى رأوها تمطرهم بالحديد وتظلمهم السيوف كما يصف ذلك أبو
الطيب بقوله

وما علوا أن المهام خيول	رحى الدرب بالجراد إلى العدى
لها مرج من تحتها وصهيل	شوابل تشوال العقارب بالقنا
إذا عرست فيها فليس تقيل	وخيل براها الركض في كل بلدة
فباحا وند حنقا خيل	فاشعروا حتى رأوها معبره
فكل مكان بالسيوف غيل	سحائب يطران الحديد عليهم

وكان جنود هذه المعركة من العرسان هم : أيو ظهور الخيل ، وظلوا يرمون من قرية إلى
قرية يسكبون دماء الروم ويحوصون في البساتين والنيوان تسيرهم والروم بين ذلك صرعى حتى
أنت حيول سيف الدولة إلى منطقة :

سكل مجيع لم تحصه حكيين	لخاصت مجيع تقوم حوصا كنه
به انعم صرعى واسبار طول	تسيرها النيران في كل منزل
ملطه ثم نبتين نككون	وكرت هرت في دماء (ملطية)
وأودية مجهولة ومجول	ودون سبساط المطامير والملا

ووصف المتنبي سيف الدولة كيف فر منه برداس وكف به الله فسططص حتى ، فقت
عجبا رارح الساق من لقيود الوهمية التي يحسها في الأسر ، ثم جعل المتنبي منهم نظوم
جيوش الروم وعرضها وبعد عينا احمداى ... وهو سيف لدولة — تكون تلك الجيوش
وشروها . ولكم أسى عبد البلاءة وعص لناهدى ١١ امتصاصا من قول أبي الطيب
(على شروب للجيش أكل) لما فيه من قناعة الوصف والصوغ ، ولكنه في معرض
الحكمة واجتهد عن الصفة فدأه في لرد على تلك الجيوش الرومية ذات الطول والعرص
فقال عن سيف الدولة والروم

فودع قذلام وشيع فلم	صرب حردن اسنص به سهون
على قلب (قسطنطين) منه تعجب	وإل كان في سقيه منه ككبون
لعدك يوم (نادمتى) عند	مكم هارب ع إيه يؤد
تسلم للحكمة منك هاربا	ويسكن في الدنيا إليك خليل
أغررك حول الجيوش وعرص	على شروب للجيش أكل

ولم يدع أبو الطيب ذكرى هذه المعركة الكبرى التي وقعت في بلاد كثيرة من الثغور
فقد ردد هذه الذكرى حين هز سيف الدولة بعد الأصبى إذ أشده في ميدان حب وتحت
دار سيف الدولة وهما على فرسهما قصيدة انتهت بالعبد والنصر ^(١) هو صف ابن (الدمستق)
الذي وقع في الأسر كأنه قد مات وقد عاش أبوه لفراره ونجاته ، وشرح أبو الطيب في هذه
القصيدة أيضا أن الجيش كله قد وقع في الأسر وأن (رداس) هارب لم يجد له عراء
سوى لس المسوح التي يلبسها الرهبان والاعتكاف في الدير ، وكان ذلك دأب القادة
البيزنطيين حين يحسرون الحروب فيلجؤون إلى الديارات للسلوى فصور أبو الطيب كل
ذلك وحلج على فنه فيه مسحة تهكم فقال في الدابة بعد اللامة التي أشده إياها في
تهنئة العبد :

لذلك سمي ابن الدمستق يومه	بما وسمياه الدمستق مولدا
هون وأعطاك الله وجوشه	جميعا ولم يعط الجميع بجمدا
وما طلبت زرق الأسة غيره	ولكن قسطنطين كان له مدى ^(٢)
فأصبح يجتاب المسوح محفة	وقد كان يجتاب الدلاص المسردا ^(٣)
ومشى به العكاز في الدير تائبا	وما كان يرضى مشى أشقر أجردا

ومن المعروف أن ملك أروم بعد أسر الله جعل يتجيب إلى سيف الدولة ويرسل إليه
الرسول إثر الرسول لفساكك وندده ، وقد كان ذلك في سنة (١١٠٠) (رودس) ^(٤) رسول قسطنطين
السابع سنة ١٠٤٣ للهجرة فشد سيف الدولة للقائه جيوشا حال ثقلها بالباب دون دخول أبي
الطيب مما دخل أبو الطيب حيث كان الخمل ، وصف السمر أنه (قل الأرض ثم قبل
كم سيف الدولة) وأجد هذا عند أبي الطيب تسجيلا للطراز الذي كان يسلم به السفراء
البيزنطيون على الملوك في القرن العاشر سلاسل ، وهو ما از السلام لدى سفراء الفرنجة في

(١) راجع لكاتب أهم لدى الله بلاشير عن أبي صف السبي وهو :

un Poète arabe du IV^e siècle de l'Hégire (X^e siècle de j-c) About — tayyibb al
Motanabb. طبع باريس سنة ١٩٣٥ حيث يقول فيه عن هذه القصيدة وقد ترجم كل أبياتها إلى
الفرنسية في كتابه (ص ١٧٢) إن هذا قصيدة مدحية ترحمها من سائر قصائد السبي وبطلها ما فيها
من وصف الأتاليين البيزنطية التي جرى فيها قتال بين الأروم واحد من أروع قصائد أبي الطيب .

(٢) كان ابن قسطنطين برداس قسطنطين فوكاس (فاسكاس كاسم أبيه) .

(٣) يجتاب يلبس ، والدلاص المسرد : الدرع البراقة المنسوجة .

(٤) يذكر (بلاشير) في كتابه عن السبي ص ١٧٤ أن هذا رسول كان الما كيرول (le Magester Paul)
ومعه وفد من السمر . ولعل رودس هذا الذي ذكره (بلاشير) فلا عن السكك البيزنطية المؤلفة
في القرنين العاشر والحادي عشر للميلاد كان كبير هؤلاء السفراء .

القرون الوسطى ، و حكمهم لم يكنوا يقبضون الأرض ، وإنما كانوا يرجعون خطوتين إلى الوراثة ووجوههم تلقاء الملوك الذين يؤدون التحية إليهم ، ثم يحسبون الأرض بأطراف قباعاتهم ذوات الريش ثم يلوحون بها ميلا مع الخطوتين الراجعتين . لكن السفير البيزنطي قد قبل الأرض قبل أن يقبل كم سيف الدولة .

وأرى أنه أدى التحية لسيف الدولة لمن مثوله بين يديه ، تلك التحية (الرسمية) وهو يحس بيده الأرض ثم يعيد يده إلى قدمه . وهو مطام (الذي تكون الرومي) فقال أبو الطيب عن هذا الرسول وهو يتقدم متحيا بحوسيف الدولة في مكان مثوله بين صفين من الحكمة :
وقبل كما قبل التراب قبله وكل كفى واقف متضائل
وأخذ المنتهي بحمد رسول الروم على تقبيل كم الأمير فقال :

مكان تمناء أشعاه ودونه صدور المداكي والرماح الدوامل
ولم يصرح أبو الطيب في هذه القصيدة بأن سيف الدولة من على الرسول بمكان ابن قسطنطين قبل سفارة الرسول ، أو أن ابن قسطنطين كان سحنا أو غريبا في أسرهم ، أو أنه قضى محبة في ديار المسيحيين ، وليس عليه كل ذلك وهو من شعراء ، وإنما ذلك على المؤرخين فقد ذكر (شمرجه) أن الشاب الأسير قسطنطين فوكاس من قسطنطين برداس قائد امبراطورية بيزطة (مات في حب لأن سيف الدولة رفض تسليمه فقال هذا المؤرخ (٢) :
لكن سيف الدولة وهو البطش لأن على الدوام للشراف في حلقه كتب كتاب عربية إلى أنه اتعس وسم التحية إلى بشاري حب فعوه ، كقول نمية وأدرجوه في صريح من أضرحة كنائسهم .

مكان قول (شمرجه) الذي سفاه من المؤرخين غير نصيب ، وقول الانطاكي ، تنمة لما جاء في شعر أبي الطيب عن أحمر معركة الثمور وعفها (٢)

ح - معركة الحدث الجراء

وصف المنفي (الحدث) بالجراء (٤) لكثرة ما أريق عليها من دماء البيرانيين وكان

(١) أباء المستق قسطنطين برداس فوكاس شيخ القواد البيزنطيين م :

بببفور فوكاس ، ليون فوكاس ، قسطنطين الشاب هذا .

(٢) من ١٣٤ من تاريخ بيبفور حاق ، وذكر ذلك يحيى بن سعيد الأهدلي ١٠١٠ سنة ٧٧١

تذكر موت من قسطنطين تحت ودده ، ولم يذكر كتاب البير ، بل ذكر (شمرجه)

(٣) زيد المسو (بلاشير) في ك ٩ عن أبي (من ١٢٥) أن الشاب بيبفور فوكاس مات

في هذه الواقعة .

(٤) فأنب الحدث على تل يسمى بالأحمر سميت لذلك بحمره (بيبور)

الروم قد خربوا مكانها المتبع منذ سنة ٢٢٧ هـ فجاء سيف الدولة لإعادة بنائها سنة (١٥٣٤) فباشروا بيده خط أساسها فدمه (برداس فوكاس) قائد الروم عد يومين عيش من البر بطين فيه خمسون ألفا من الرجال والعرب ، فيهم "بعض" ولأرمس ، وكان معه (سيسفور فوكاس) فحارب أحمد بنون "بعض" من طلوع الشمس إلى عروبها ، ولم يكن مع سيف الدولة غير خمسة من حرمه أحسن ، فحققت أحاسه في صدور رجاله حين رآه يشق الصفوف إلى لدمشق ونقوب (شيرجة) لقد أهرم الروم وحربوا ثلاثة آلاف قتيل ١١ وأمر سيف الدولة جميعاً من البطارقة والأراكنة Archontes فطلوا في يدي العرب ، وقتل في هذه الواقعة (ابن ست برداس وصهره كوديس) لآعو . وسم قائد سدي يكاسوس وزيادندوس وسحق (ومها سدان بر نصيبان) حضيران (أما سيسفور فوكاس وكان يومئذ أحد القواد في جيش أبيه فلم ينج إلا باحتوائه في بقى حتى إذا سطا إليه من تحت ظلامه ولحق فلول جيشه المنقطع في الدرب ، المحدث خطأ نحو القسطنطينية

لم يكن مؤرخو العرب تنصيب وقائع سيف الدولة الخطيرة التي عبرت تاريخ الإسلام رمت في عرق العراق من الدولة العباسية ، حتى أن شرح قسطنطيني أصاب جميعاً كانوا يقدمون على القصائد تغانيات بعض معانيها لا يحجبها عن أن ذلك غير وافي بمرص التاريخ السياسي الذي ينبغي أن يمه في بوره مثل هذه تاريخ الأدب عني أن قصائد لا تنصب في معانيها مثل ذلك ، لكن تاريخ الأدب الصحيح لا بد أن يرمه التاريخ السياسي أهم (النص) على وجه الأسمي . وبذلك فقد وجدت (جومناش شيرجة) و (فاسديف) و (ديبل) و (ماريوس كانار) قد أفاضوا في تحقيق التاريخ البرص و ربطه بحوادث العرب وأمره (شيرجة) من بينهم بالتوضيح والإسهاب في ربط هذه الحوادث لروية حوادث سيف الدولة . وبه قد استعنت ، فقد درست قصائد المتن أحاسية في الحرب لروية مستنيرة بالحوادث التاريخية التي رواها عن سيف الدولة وأبي نصيبان . حتى هذه الدراسة حسيه قرب إلى القصد وأنتم تعرض تاريخنا الأدبي الحديث

فكذلك يقول (شيرجة) أن سيف الدولة يترك مدينته أهدت حتى أنه سنة ١٠٥٤ هـ لبلاد ١٣ من وحتى وصفت فيه آخر لجنة بمشارف (٢) في ١٢ من تشرين الثاني سنة ١٠٥٤ هـ لبلاد ١٣ من رجب سنة ١٠٥٣ هـ حرة)

(١) تاريخ سيسفور لشيرجة ص 135 . وقد أورد (شيرجة) هذه الأحبار الخطيرة وسم .
الأسرى الروم دون مؤرخي العرب .

(٢) ابن خلدون في تاريخه (لا شير) هذه الموقعة في ك... عن لسي من 176 هـ . به في وقتها كما كان يفعل شارحو ديوان المتن لأندلس . فقد حصل عند (لا شير) موعد الأحم بين =

ولما استقر لدمشق في القسطنطينية وطلب تبريطيون امددة عرض سيف الدولة لانهم كانوا قد قتلوا من وقع في أيديهم من الأسيرة احراما ، (١)

• • •

وضع أبو الطيب المتنبي عن معركة (الحدث) قصيده أولى أوردتها بعد عام قصيده ثابته عن (الحدث) نفسها ، إذ كان لروم عاراً إلى شئ لعاره عليها بعد ثباتها .

ثم القصيدة الأولى التي بصف فيها معركة (الحدث احرام) فانه يبدأ وصف المعركة تهويل ، فنبأ من كانت الحدث احرام يعرفونها من كثرة الدم الذي صبغ أرضها والنار التي حمرت بناءها وجوها ؟ وهل كانت لحدث احرام تعب أي الساقين يسقيها العمام أو الخناجم ؟ أكثر ما ضرب الحدانيون من رؤوس الروم ، فقال :

هل الحدث احرام تعرف لونها وتعلم أي الساقين الغنائم (٢)

سقيها العمام المر قبل رولة فما دنا منها سقيها الخناجم (٣)

فكان ذكر غنائم التي سقيها أمصارها قبل وصول سيف الدولة إليها بأريحا لوقوع المعركة في الشتاء وقد وقعت المعركة والبنو ماصون في ثوب الحدث وإعلانه ليكون دربة اسلحين من الروم واربوس ، فكانت المنايا تتلاصحه حوله لاظم الآواح ، فقال أبو الطيب ،

نأه فأعنى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

وكف ترخي لروم والروم من هدمها ودنا قطع أساس لها ودعائم (٤)

وصف الجيش الرومي الذي رجع به الدمشق وفواره (وقد أوردت ذكر هذا الجيش عند اسكاته على وصف شعر عباسي بحبوش) ونفذت في تمثيل هذه القطعة الحماسية التي صور فيها أبو الطيب سيف الدولة وقد وقف (يستعرض) جيشه المنتصر ويشهد اهرام جسر الروم ، فكان قد في حشد زده ووردى عنه قائم والابطال البزطيون الكلمي يرمونه بمره وهو وضح الوجه باسم اشعر .

بزطيون والحدثين في هذه المدة يوم الاثنين ٢٩ جمادى الثامنة سنة ٣٤٣ الموافق ٣٠ من تشرين الأول سنة ٩٥٤ وأن لا تمام من ... سور الحدث كان في ١٣ رجب سنة ٣٤٣ الموافق ١٢ من تشرين سنة ٩٥٤

(١) هامش ص 135 من كتابه (شعره جده) السابق

(٢) شرح هذا بيت لعلم الستة في نسخة لديون طبروت سنة ١٨٦٠ هامش ص ٢٥٦ قال (أي : وهل أعلم أي ساقين يسقيها : أي قائم الخناجم ، وحده الخناجم ، كنهه : غنائم)

(٣) الضمير في رولة ودنا عائد إلى سيف الدولة

(٤) كان في الجيش سرمدى مصوغة من اربوس من جهات شمال أرمينية ومن بلاد اعماس . وكانت على أفراسهم لحواش تحمل قوائمها فذلك هو المتنبي عن هذه الحدا المصنوعة :

أنوك يحرون الحديد كأنما سروا بحياض ما لهن قوائم

وكان من دأب نى لطيف مروح بوصف الخيل أن يتبسطنى شعره احامسى عند ذكرها ،
 تصور هذه الخيل كيف لحقت بالروم المهزمين فى قنن الجبال وقد اتشروا فوق جبل
 (الأحيدب) (١) فكانت حيوانا سفيرة تدور تتبعهم فى تلك الذرى فتدوس وكور النور
 التى كبرت عندها جثث مرمى من الروم فكانت حير وجهه لسور الجباع . وأن فراح
 العقاب وقد هيجت بك الخيل لطل من أوكارها تطل من الخيل أماتها وقد جاءتها بالمصاعم .
 وأن تلك حول نى تدرست صعود الجبال . إذ رقت فوائها مشيت بسيف الدولة وأجناه
 على طونها كأنها الأفاعى تمشى على الصعد .
 فعن شاعر البكر خذ به مع الروم فى عسك الخيال الرائع . وهو يعنى
 سيف الدولة والروم

ثم نثره فوق (الأحيدب) نثره	كما نشرت فوق العروس الدرام
تدوس بك الخيل الوكور على الذرى	وقد كثرت حول الوكور المطاعم
تطل فراح لمخج أنك ربتها	أمانها روى العناق الصلادم (٢)
إذا رقت مشيتها بطوبى	كما تمشى فى الصعيد الأراقم

ثم يستمر أبو الطيب كور الدمستق على الثغور حينما بعد حين بغير أن يحق به
 الخيل من كثرة هرائمه واسكسده . وكان جديرا أن يولى ظهره ولا يولى وجهه ، وهما هنا
 يدكر أبو الطيب أحد أبناء قائم الروم لدى قتل فى هذه المعركة وقتل معه صهره وابن صهره
 فيقول .

أنى كل يوم ذا الدمستق مقسم	فصاه على الإقدام لوجه لائم
وقد ختمته بانه وابن صهره	وبالصر حملات الأمير الفواشم

وكان أبو الصب من وصف هذه الخروب مع البيزنطيين ربتها أيت حروبا حصة
 بين منك الروم وملوك العرب (ولكنها حرب بين الإسلام وأشرى) فقال
 ويست مبيكا هارم لطيره . وسكنك لتوحد لأشرى هارم
 فكان منه ذلك أو إعلان توصف الحرب الخدانية بأنها ملحمة كبرى بين الإسلام
 كافة والروم كافة . وقد دعا روم من ذلك "يوم لثل هذا المعنى فعمموا دعوتهم حتى بلغت
 أورما وأشرى فيها كلها . وجعلت هذه الدعوة قوى فى بلاد الفرنجة وراء البحار حتى أن

(١) يقول الأستاذ الأشيرى كسبه عن لامي من ١٧٦ إن (الأحيدب) اسم حصن وأراه جبلا كما
 يظهر من شعر النسي . وقد حدد بلشير جيسى البيزنطيين هذه الوقعة بمساحة ألف من الجنود المنظمين .
 (٢) أصبح جمع فتحة وهو لاقب . وهذا الصلادم كرائم الخيل لصلاب .

لها على عهد ملكي الإسلام نور الدين وصلاح الدين أن تكون (حرماً صليبية^(١)) يحج بها ملوك العرب الجبارة إلى حرب المسلمين في طول الشواطيء السورية، وفي عكا وصور وعند أسوار بيت المقدس، فتكون تعبئة الأخيرة اسمهم بعد أن تصدع تلك البلاد سنين طويلاً، وقد كانت ديكاً يعلو على الشاطئ. انشرف نحو ص الأيصر، ثم عرفت الهدوء حيناً من الدهر وبانت مسيرج، ثم هضت من عصفوها في تاريخنا الحديث على أن ثبته تأمها من صوب الغرب.

يقول (شلمبرجه)^(٢) إن لنا طنب كل مع سيف الدولة في هذه المعركة لراحه، وكان يحارب الشاعر بن جندب الأمير فنظم هذه المعركة قصيده أشدها سيف الدولة في راحة من المعركة عند المساء، وهذه القصيدة ذات شعر قباص وتفصيل يعزى، وهي الأثوذة الحفيفة لأبطال المسبيين المتقين اطاعين على المسيحيين، ثم يترجم شذوذه قصيده (الحدث الخراء) إلى مرسية ترجمه دقيقة حافظ فيها على روح الشعر العزى الذي حشد فيه أبو الطيب سيرة حروب سيف الدولة.

ولعل اسم المتنبي قد سمع البيروني وعرفوا سطر شعره عنهم فوجب أن يذكره في تاريخ حروبهم مع المسلمين. وكان مؤرخهم (سيدروس Cedrenus) وهو أكر مؤرخي البيرونيين في القرن العاشر يذكر تلك الحروب ويسحبها بسمات وتفصيل.

• • •

كان بناء الحدث الخراء وتملك العرب لحصنها شوكة في جنب الروم، لأنها باب الطريق إلى القسطنطينية. شاء جيشهم أنشرف^(٣) إلى الإغارة عليها بعد عام من بنائها سنة ٣٤٤ للهجرة (٤) بقيادة ابن ملكهم (ليون) فوصف أبو الطيب سيرة الروم هذه ومدار عليها من الأقدار التي دارت فيها على يد الروم وأحوالهم، فقال:

لا أوم اس (لاؤن) ملك الروم — وإن كان مسمى محلاً^(٥)

(١) يقول شلمبرجه في ص 139 من كتابه ملاح من أورج (رومانولد) : إن قسطنطين سابع كان يدمر الفرق والغريب والهيلانيين والفرمان إلى البدء بصر (الحرب الصليبية)

(٢) كتابه ص 128 (المايق)

(٣) في جدي الأولى سنة ٣١٤ الموافق أواخر آب سنة ٩٥٥ (الاشير. لسي ص 178)

(٤) كان قسطنطين جيش خاص كامل نظام ومعدة جهت على الروم لروادهم في اعرف ولصد عرواتهم عن بلاد الروم، وهو غير حيوش بيرجه التي كانت معدة معزى بلاد انغار والحروب الأوربية وهو غير انصاف لخرسه التي كانت كل واحدة منها موكاة بمذبح من أرض الروم لحماية شعور الرومية من هجمات المسلمين.

(٥) أي نعى تحريك قسعة الحدث

أقلقت بنية بين أذنيه — وبان بنى السماء فنبالا
يجمع الروم والصقالب والبلغار فيها فيجمع الآجالا
زولوا في مصارع عرفوها بشدون الأعمام والأحوالا
ولم يل أبو الطيب جهدا في تسجيل وفائع سيف الدولة في شعره الخاسي ، فقد كان يحثه
عليها . حماسه ، وجهه لغروسة ، وكريم الأمير ، ومطالبتة إياه بان يقول فيها أكرم القصيد^(١)

د — معركة الدرب

لن كانت (معركة الدرب) هي آخر معركة وصفها المتنبي لسيف الدولة مع الروم ،
وكانت قصيدته فيها هي آخر قصيدة في سيف الدولة قبل رحيل الشاعر من حلب ، فقد وفر
أدمر على أبي الطيب كرى حوادثه وأمدح خطوبه ، إذ نحي عيبيه — وكانت تحبان سيف
الدولة — أن تشهدا انكساره الأكر ودوران الدائرة عليه وعلى جيوشه في وقعة (مقارة
الكحل^(٢)) التي سحق فيها بيسيمور هوكان الجيش احمدا في وكتب على سيف الدولة القهر
الآخير ، وأهول النجم احمدا في من سماء حلب إذ فتحت أمام جيوش الروم الجواراة أبواب
حلب فدحبوها وأحرقوها ، وجس فيها جنودهم في النهب والسلب والقتل والاستعباد
من لمعى أبي الطيب يوم ذاك ، وقد جأ الأمراء الهاشميون والحمدانيون إلى قنعة حلب
وعنصروا بها وهي مشرفة من أعاليها وسط حلب على المدينة التي تحوص في دماثها حيول
أمرسان البيزنطية ، وبيسيمور يحرص عسكره على أن يثلوا بالقتلى ويعملوا الد في المال والسلاح
في الرجال ، والنس في النساء ، ما استطاعوا من أقصى الجهد ، استقاما لعصور رومية مدخرة
الاحقاد في صدور البيزنطيين منذ الأجداد الأوائل فشعروا أكبادهم في تسعة أيام دامية .
فقد كانت هذه المفاجعة سنة ٩٦١ (ميلاد) (٣٥١ للهجرة) وجر بيسيمور الأسرى معه
وكلهم من خلص الرجال وسادة حسان وأعلى نساء العرب ، فساقهم مصعودين إلى قسطنطينية
فلما بهم أطرافها وعرضه لزوء في حمل عظيم لساحة (السرك^(٣)) وكان بين هؤلاء الأسرى
(أبو العشائر احمدا في Apolasar) كما يسميه (سيدرئوس) المؤرخ البيزنطي ووضع بين
هؤلاء أيضا أبو فراس احمدا في الذي سرى صورة فروميتة الشاعر عما قلل — إذ كان
قد وقع أسيرا قبل حصار حلب .

(١) ديوان المتنبي طبع بيروت ص ٢٦٤

(٢) يقول سيدرئوس من وقعة مقارة الكحل بأنها كانت في مكان اسمه Andrassos

(٣) (شلمبرجه) ص ١٤٣

لم يكن أبو الطيب يومئذ في حلب وإنما كان في مصر حينئذ عند كافور ، ومن يدري لعله
 نكح طويلاً في القسطنطينية على الحبيب الأول غير المعمم في الثوبان الحبي . أو معه أشعق
 على نفسه أن يبقى في حلب ، وقد توقع لها مثل هذا المصير الحبي . وكان قد قوى عليه صعط
 الحساد في بلاط سيف الدولة فوجد في المقام وطالما ذكر همه من الحساد في حلال قصائده
 الأخيرة التي نظمها في حروب سيف الدولة ، فتوى عنده ذلك لإشعق على نفسه فارتحل بود
 الخلاص من بلد قد اضطرب حظه في يد القدر وبات معروفاً مصيره الأليم .

ولست أحلى أنا الطيب من عتاب عفيف على سكوبه بعد تركه سيف الدولة ، فهو لم
 يذكر في شعره (سكة حلب) وكان عليه أن يذكرها كما رثى حولة أخت سيف الدولة بعد
 معارضة الأخير . ومن يدري لعله كان نظم في تلك النكبة القصائد الطوال التي هي من
 شعره الصانع . أو لعل هذا الشعر الأخير لم يدعه أبو الطيب لأنه كان يومئذ قد اتحد
 الليل جملاً وهو من عند كافور ، وأحد يصر بانيوادي ، وكافور بطبته بالارصاد حتى
 بلغ السكوفه وهو يخاف من أن يدركه كافور ، وخائف من العبيد الذين معه وفيهم لصوص .
 وقد كان من عادة أبي الطيب إذا ارتحل أن يحمل معه أوراقه ودفاتره وصناديقه ، وديني
 في ذلك ما رواه البغدادي في حراة الأدب (١) ، والبغدادي قد كان من تبه أبي الطيب
 فلقد سلمه بضروب من السبب وعلام . فكان يرواه عن اصحاب منى الصناديق في
 رحلته أنه لما بلغ الأهواز ركب عن فرسه وفتح (عيانه وصناديقه)^٢ بين منها في الطريق
 وبم ذكره عن دهره ووارقه التي تكون معه ، في حادث مقته من (فاته عيه وطنه
 في يساره ونكسه عن فرسه وكنه نهفت يلا به رجع بطب (دهر أبيه) فقم أحد
 الفرس خلفه وجز رأسه . وصبوا أمواله يتقاسمونها بطوره . وأب (فاته) يدبر فته
 والثمانية) اقتسموا عقائله وصفاياه

فن هذه الروايات التي أوردها البغدادي — بملاء عن كتاب سمه (يضح السكل
 شعر المتنبي من تصانيف أن يقسم عبيد الله بن عبد الرحمن الأصماني ، وهذا الإيضاح مقصور
 على شرح ابن جني بديوان المتنبي) — بتبين أن دهر أبي الطيب وصناديقه ومتاعه وأثقاله
 قد هبت عند فته . ولا يبعد أن يكون في هذه مائة شعر ينسب كنبه في سكة حلب وفيه
 حنان على سيف الدولة وفيه إشعق ، وصاع هذا أشعق لأن فته نبهوا متاعه وماله ، كما روى
 البغدادي في كلامه هذا عن أبي الطيب (إن سببي شعر كثيراً) والباقي منه

(١) حراة الأدب ج ١ ص ٣٨٢

(٢) سبب جمع عينة وهي أوعيه من آدم يكون فيها الخنا (المان)

الذى تداوله الناس هو رواية أبي عبيد بن جني . وكان من جني معاصره ومصاحبه في بعض رحلاته .

• • •

فقد وثقنا نصيب أن يشهد بحر معارك سيف الدولة وصعب^(١) فبحسبه ووسع وقائه أن يصعب حربه . وكذا وقعت قبل أن يحصل عن سيف الدولة وهي معركة الدرب . كان سيف الدولة شاعرا لبلاط البيزنطي في القرن العاشر للبلاد . وقد تداول الروم وجوه الرأي في أمر احمد بن واهب^(٢) فقدم البطريرق^(٣) تلك التسلطانية أن يعارض سيف الدولة في (الدرب) وسأله أن يتحده بخصامته وعدده وعنده . فعمل ملك الروم وجهر البطريرق (شاماسيق chamachie) اس جل تزييمسيس Jen Tzimiscees لكن ذلك القسم الذي اتى به البطريرق على نفسه قد أحسنه وحسنه . فادخر وادخرت جنوده وكانت هذه المعركة آخر المعارك الصاعقة لسيف الدولة على الروم فراح أبو الطيب من التوديع ويجود بقصده من أعلى شعره كما يقول ابن جني^(٤) يشدها مقطوعة من ملحمته^(٥)

(١) بعد حربه حب . مكسرت من سيف الدولة فكان يحارب وكأنه حارب وقد أثر في نفسه مصابه بمحصنة الجداين فأصيب ببالغ عدد سبيل من فتح حارب أيدي الروم . وكان مثل سر قد رده صائده فلم يملك بالرمية الأولى . فخلل شغل على نفسه . وكانت بعده عدوه يمل بها نحو ساعة ثم يستعقب . وكانت هذه مذبذبة من أثر فاحه . كما يروي أحمد بن . مكويه صاحب محارب الأمم (ج ٢ ص ١٩٩) وسكن كل ذلك م . عده عن الحرب واندرج بعد حربه مع الروم معارك عدة بين سكه حلب وموته في سنة (٢٥١ — ٢٥٦) ظاهرة ولم يكن فيها شأنه كما سبقت في مردهم أعوامه القليلة . وقد كثرت عليه الفتن في داخل بلاده ولما دار الموصل في بلد أخيه ناصر الدولة وابن أخيه أبي عبيد . ووثب عليه بعض عفاة وحال بعضهم قتله كما فعل بفلامه (نجما) . وكان مثل شجرة قد هتيلها وبقيت منه دابة وشئت على الأعداء .

(٢) من الملاحظ أن كلمة البطريرق كانت لقباً لسلك قائد عظيم من فواد البيزنطيين .

(٣) ص ٢١٧ من نسخة لدون قد كسور عزم

(٤) الملحمة في لغة العرب معناها الواقعة العظيمة في الفتنة على ما في اللسان وغيره من معجم لغته وقد عرفها الجاهليون في معناها هذا ولكنهم لم يصنعوها على نصيدة الحريه وفيهم أثر عن الرسوب على لغة غيره وسلم قوله : (أي الحرب والمحمه) أظهر معبد اليوم لاهوارى أنظمة القسمة بمصر سنة ١٣١ من ٢١٤ باب (ثوب ، راء والمجاهدين) وكذلك كان شأن الأوروبي ولما سبقت وقد ورد ذكر (الملاحم) في شعر الشعراء منهم القاطم الذي يقول :

ولو تستغير الطعام عنا ومن شهد (الملاحم) السلام

فكان معناه . عسده مرادف للحرب ونعمته وم يطلق حرب كلمة الملاحمة بمعنى معروف عند عربين سوى في عصرهم . حديث وقد قصدت كلمة الملاحمة في هذه الرسالة المعنى الحديث (أي نصيدة الحرية الكبرى) وهذا جاز من باب المجاز المرسل في العلاقة البيئية .

الكبرى التي نظمها فصائد في حروب سيف الدولة شكور (شودة نهر) في مروسة .
حدان وبطولة أبي الهيجاء سيف الدولة .

بدأ المتن القصيدة بالمحكمة التي فيها سنة فلام من يسمي عتي حرب لأن عتي بحولة
عفي العتي على عفي لوتى سم . . . يهيدك في إقدامك القسم
ثم ذكر ابصر في سى حث يمينه سيف الدولة فقال ، وقد صغرا اسمه هوأما وكان
أبو الطيب مواعداً بتصغير لا يمنع منه حصة اعز كما يكون أو فلام مغرى فصر
أبو الطيب انتهى اسم قائد لروم خعب (شمشيق)

أى لفتى أن شمشيق وأخته . . . ففى من الضرب تفتى تنده الكلم
وصف أبو الطيب بياض جيش الحماسين في هوبه إلى هذه الحرب ، فافتحت مدينة
(مروج) ناطرها عند الصباح إلا كان جيش سيف الدولة يردحم منظره في جفونها ،
فتجلجلت مدينة (حران) على صوته ، وكان مغذاه في يوم ناخر تخالط وجهه السحب غير
مطرة فزوح عليه الشمس ونجى . وكان جيش سيف الدولة بطون لأرض طوله وجسامته
فلا هو ينتهى ولاهى تنتهى وفي هذا جلس حور صومر يوح شكائهما الحرى وقد عذب
هوارسها حتى نعمت من بحيرة (سمنين) خمت أرواها نثر بالماء وتغمر فيه اللجم (٢)
كذلك يرى على الشعر أبو الطيب تصوير وصفه يقول :

هم تم مروج فتح بطرح	إلا وحشت في جفنه مردحم
والفج يأخذ (حرانا) وفتق	ونسمن تسر أحياء وشم
سحب نمر (محض الراب) نسكة	وما بها "بحل لولا أنها فم

(١) في نسخ الديوان جميعها ذكر سنة ١٨٠ هـ (١٨٠٠ م) وكره كذلك أن يسكو به صاحب
تخاروت لأسم (ح ٢ ص ٢١٣) وكل من عرس له ذكره من لفظ . وهو سنة وصورة (شمشيق
تصغير شمشيق) .

(٢) فصل (الأسير) مراحل المعركة في كتابه عن سبي من ١٨٠ ، ١٨١ قروي . سيف الدولة
ترك حلب لهذه العروة في ١٢ محرم ٣٤٤ هـ موافقة ٢٨ نيسان سنة ٩٥٦ م فر على الرقة ثم
على حران وأذن وركب من سنة ٨٨٨ هـ . وفي المحرم . وافق ١١ مايس بلغ حصن زياد (وهو اليوم
خربوط) على الشامية الأسير من العرب الشرقي في شهاب شرقي من هربط *azilène* . ثم أرسل
من تصرف له أحوال الروم على نهر اوسس ، ثم عبر من جيوش البيزنطيين ثم بيده (يوح .
تريغيديس) في تل لعربى . ومن هربط على شمس . الذين من العرب هرب ، ثم يوم وسعهم
وعاد فدم لهم بعد أن أحرق أروم يوم ثم حل على روم حجة لاحقة في ١١ صفر ١٨٠ هـ
٢٤ مايس وأمسكهم وأسر منهم سبعة آلاف أسير وفيل منهم مائة . وفي عشي يوم لدى دخل
سيف الدولة آمد وبها أشده شجرة سبي هذه مصيدة شعبة لسوارة من المعركة .

جيش كأك في أرض تطاوله فلا أرض لا أمم والجيش لا أمم
وشرب أحمت الشعرى شكايها ووسمتها على آثافها الحكم (١)
حتى وردن (سمنين) بحيرتها تنس بأماء في أشداقها النعم
ثم أعقب هذه الجيوش العربية سيرها فأعدته حتى جاورت هر (أرسناس) فأمر
سيف الدولة جيشه أن يحوص الهر . فالمنظر الموح وهو يتكشف عن صدور الخيل
فيحفل منب وهي لا تجعل منه . وكان سيف الدولة في مقدمة الجيش أول الخائضين في هر
(أرسناس) يعبر بالجيش إلى بلد مقدور عليه الحريق . فيقول المتنبي في هذه الصورة الفنية
وبعنى هر الروم :

وما يصدك عن بحر لهم سعة وما يردك عن طور لهم شمم
ضربته بصدور الخيل حاملة فوما إذا تلفوا قدماً فقد سلوا
تجفل الموج عن لبات خيلهم كما تجفل تحت الفارة النعم
عبرت تقدمهم فيه إلى بلد مكانه رمم مسكونها حم
وبعرض أبو الطيب صورة فنية من معانيه الخاسية فيحمل السيوف في أكف الخدابين
بارأ وقد عبت قبل أن يكون المجوس وما رالت إلى البوّه في اضطرام . وذلك عنده عمر
السيوف وتدرجها في دهر الحروب بعدها الأضواء كما يمد النار المجوس . وطال ما عابد أبو
طبيب سيمه أتم بات بعد خلوصه من كافر يقبل أسياؤه ويمسحها من دماء العدى . كذلك
يقول عن المحدثين :

وإن أكرمهم النار التي عبت قبل المجوس إلى ذا اليوم تضطرم
ثم يسرى حاله على وصف الجياد التي كاف بها كفه ما عيد الأملد ، وتنقل إلى وصف
السفن (الساريات) التي أعدها سيف الدولة ليمضي عليه بعض الجنود مسارعة لرحف على
طول هر أرسناس وهي من أعدها هناك ، رص الروم حين دعت إليها الحاجة لحاة فكانت
من شاح أبه خدمت العرسان في طوبها لا عن الظهور . وكانت جيلا مكدودة بعير أم وإنما
لأنها كان راكبيها

دهر فوارسها ركاب أضها مكدودة ويقوم لاهب الألم
ولم تكن هذه (الجياد البحرية) دوات حلق كالخيول ولا لها شيم مثل شيمها
من الجياد التي كدت العدوها وما لها حلق منها ولا شيم
دماح رأبك في وقت على غل كلقط حرف وعاء سامع فهم

(١) لثرب صوامر الخيل ونجم الشعرى من محوم القبط وأراد به أن الخيول من طول مالاكت
شكايها حيث تلك الشكاي من ذلك اليوم فائظ — ولما مر في الشعرى تلوح في هجير النهار .

وقد أدركني قول أبي الطيب شاطلون بوارت ، حين وصف بهمة سيف الدولة وسرعة
حامله في تدبير حطط لقتل ، فكان شاطلون كذلك يرتحل مناهد اخلاص ارتحالاً في رجاء
المعارك (متاح رأى في وقت على عمل) .

فما بلغ سيف لده له صدر الدرب واقع الطريق صاحب تقسم فقدم جشمه تخميسه
الذي كان هو عرته وصنفته ورماحه سر وجهه

و- رت المعركة هو في الدرب ففهم بروم لسيف الدولة محمود جسوم يعبر أرواح إدا
جعل أبو الطيب ملك الجسوم الرومية هي التي ثبتت في المعركة (ثبتت طريقه على الأرض
يعبر أرواح) والأرواح هي هي برمت (خرجت من جسوم منمقة حرة) .

وقد تموا عدة نديب في حب أن يصرك فها الصرك عمو
صدقتهم بخلص أنت عده وسميت في وجهه غم
فكان أنت ما فيهم جسومهم يسقط حوت والأرواح نهم
وملات الخيول الأعوجية^(١) "ط في حلف الروم أدهز من بعد المعركة ، ووجههم سيوف
طوال يومهم فكانت تعلق رؤوسهم

والأعوجية مله فذرف جهم والمشرقة مسلة "يوم فوهم
وويل (اس شمشيق) من سكة ثني وروعه بصره معاني ، فقد تصور أبو الطيب أن
اس شمشيق اعتمد من يمينه التي حلفه فسأله (أن تسمع له فيثني عن الحرب) وقد انثني
فتكسر وهرب ، فراحث يمينه تبسم استهزاء به وهو يفر ، وكلما أمعن بالفرار أمعن يمينه
منسمة مستهزئة

وأسمه اس شمشيق أبنه إلا ثني فهو ثني وهي تبسم^(٢)
وعاب التي البصريق قائد الروم معناه في هربه بين الأسماء والآجام فأتبعه المتنبى
بهذا البيت .

فلا سقى الفيت ماواراه من شجر لو زل عنه لوارت شخصه الرجم
وقص سيف أدوله بالفجر إلى موطنه واندفع الناس يعنون ويصيحون ووجه هذا الظفر

(١) الفهم كثرة الشعر في الوجه .
(٢) المنسوبة إلى أعوج وهو فعل كان معروف في العرب .
(٣) على هذا نحو أرى فهم ثبت وروايت وقد روي في بعض النسخ مدنا بكاه (وأعم)
كما في نسخة بروث . وفي جميع الروايات كلمة (إلا) بالعديد — وشمشيق صواب شمشيق كما
صححت ذلك في هامش من هذه الرسالة وأبقت الدليل

العظيم حتى أدام طريقه السب الذي من أجله طردوا . وقد دخل سيف الدولة حلب على
حواده الجبار مقلداً شكر الله ويده سيفه المصاحي (ذو شطب) فقال أبو الطيب يصف ذلك .
ألهي الممالك عن نحر قنلت به شرب المدامة والأوتار والنغم
مقلداً فوق شكر الله ذا شطب لا استدأماً بأعصى منهما النعم
ووسم أبو الطيب الروم في (قصيدة الوداع هذه) مبني لا يبلى على رومان ، فقال في آخرها
يخاطب سيف الدولة ،

ألفت إليك دماء الروم طاعتها طود دعوت بلا ضرب أجاب دم

• • •

كذلك يأخذ تاريخ الأدب في المعاصر فسطح من دراسة حماسة المتنبي وتصوير شعره
الصورة التي يستحقها أعظم شاعر عرفته العربية ، قد حدد ذكر الحروب ، ووصف تلاويين
العروسة وتمويلها في ديار أحمديين مع الروم . وكنت بيده أكر ملحة للعرب والإسلام
نغم أسلوب وأعب يرن . وكل بضغ هذه أشعر الحسى الرائع بمسح حدود هو عنوان
السطوة ورمز المروسة العربية ، سيف الدولة .

فلا محبت عمام "بلاعه حين ينداسور مثل هذا البيت السابق الذي يجعل فيه
أبو الطيب دماء الروم مقلدة في طاعة سيف الدولة بسوءه بلا ضرب فتحيب ، فهم متى
بهموا هذه الحسة وعوا معمرات صاحب واحد لمبى غير صانع لبهالعات ، ولا ملحف
في أوهام التصور .

(٢) وأما أبو الطيب المتنبي فقائد عسكري

سلاماً " لطيبي كروم نعصور ، من عني هكك ألف عام فقام الأدباء في دنيا العرب
من أحلت وقعدوا ، وردوا من سمع لأرض شعرك وتداوسوا فنك ، وبسطوا سيرتك
وحددوا عهدك ، وعهدك لا تنسى في شعر ، وصيرتك لا تنهى في فم راويات الزمان . ولقد
يأر عبيك ألف عام ثابة بعد و أنت مورد ثرارم بفرع ماعذك من سسيل الشعر والعكر
كنت عنتك في مصر وكنت في قبل عشرة قرون ، ومن بدرى نعن مراك كان على
عدوة هذا "نيل احميل حث أسكن ليوم ، وكنت تزور كاكورا في جيرة القساطر وتسكن
القرب منه ، بعين قريرة لكن كان ذلك قرباً يخالطه البعاد فقلت فيه :

أرى لي بقرى منك عينا قريرة وإن كان قرباً بالبعاد يشاب

ولو أحسن إليك كافور فلا ينشرك عن مصر بفار الاطيار السواجمع عن الأشجار النواضر ،
لحدث بأسه وسطوته . وكان كافور ذا بأس وكان شجاعاً حارماً ذا سطوة . ولكن حظ
سيب الدولة أني إلا أن يستأثر بحك وحده ، ويجوز الخوذة في شعرك ، فقلت هذه السيفيات
وهي هب حرب ، وصفحة مجد . وعنوان أمة كانت تسكن شمال بلاد ، فتصدعها العادات .
لقد أشدت في شعرك بطولة سيب الدولة . لالك صريعه في ثقاف الرماح واستحلاس طهور
الخيل ، وكان هوى العرونة في قبلك مثل هواها في قلبه . فاجتمع على مروءتك النبلاء .
أحبة والروسية . وكثر في شعرك حلق النود وجدده السلاح وكنت طروباً فيه حممة
الخيل إلى حررتها الحرب . وبرى حوامها الدرب

لقد نام طرفك وأنت قتيل مغدور به — في دير العاقول حيث يجف بك الصدى على
المدى . وقد عرفت في حياتك أن العرب لك أهون ، وطب ما تفرق دناؤهم في صمم شعرك
وسرعورك . فسموا أجراء قومك واحتسموا كما سموا . لكثك تركت الدس . وأنت غير
عالم أن ديار رطه كانت تذكرك بملمة كما أملاها سيب الدولة . وأر ديار نريخ بعدك بألف
عام أطعت في شعرك كتباً لأفوامها بلغت العشرات ^(١) . وقد تبع اثنا عشر ألف عام تأقي .
فاسمع من حلف العيوب هذه اثنا عشر اسمية حتى فنت في الحروب والحروب وروسية سيب
الدولة . إنها ثلاثة أسات من لته تخص بها سيب الدولة فعول

فت ليالياً لانوم فيها تحب بك المسومة العرب
يز الجيش حولك جانبيه كما نصت جناحك لغدت
وخيلاً تغدى ريج المواشي ويكسها من الماء لست
لقد نقلها أحد المعجبين بك إلى لغة قومه فيها نقل من شعرك المعجب . وهذه
ترجمة لك

Dans ta course rapide par les meilleurs chevaux auxquels l'Arabie
ait donné naissance, tu as passé plusieurs nuits à la poursuite, de
l'ennemi, sans goûter les douceurs du sommeil, entouré de tes escad-
rons qui s'agitaient à tes cotés, comme l'aigle agite ses ailes dans son
vol précipité

(١) أعد كتاب المسو لاشع من انبي فخطر خطب صدر عن شعر الدولة في ديار
الرملة ، وقد أنه ميو لاشع لأسند في مدرسه لكتب شعرة . دار من سنة ١٩٣٥ في ٣٦٦ صفحة
سبع وفي أنا طلب من رتبه أمره إلى جامعة في درسه حياته وشعره ونحو من ذلك وترجمته أروح فصائمه
وهو من أوثق المصادر المأمرة بمرجه وأعظمها قيمة عن انبي .

Gustave Schlumberger (L'Empereur Byzantin au dixième siècle Nicephor (٢)

Phocas طبع معهد باريس سنة ١٨٩٦ (ص ١٢٨)

Il ne faut aux chevaux de tes cavaliers d'autre nourriture que le vent
qui souffle dans les deserts, ils se contentent pour étancher leur soif
de la vapeur qui s'élève sur les terres brûlées des ardeurs du soleil

كان سيف الدولة (مخرب المراته) من كان (١) هذا هو الحرب مع أبو الطيب
عن حقيقة هو . . . وعلى يده من له حربه في معركة والنصر ومع حرك الفتوح طول
عنده معه . . . ليس أن نفسه في هذا فهو . . . وهو عبد الله متارق يوم كان في العراق سنة
(٣٥٢) فرس إليه هذا البيت في قصيدة (ما لك كذا جو يارسون) .

أنت صوب الخيرة لروم . . . فني الوعد أن يكون فقول
وقد استعمل أبو سون هذا هو في سيف الدولة . . . فعدوه حماه ثغور الجزيرة من
الروم (٢) وكان أوصع الجغرافيا بلاد سيف الدولة يقتضي أن يكون أمير حرب محروما كبيرا .
فأعطى سيف الدولة الحرب كل حياته ولدت يقول عنه انشأ في النجعة أنه (قلما يشط
لجسس لئلا يسمع عنه مدير الجيش وملانسه اخطوب وبممارسة الحروب . وقد دعاه
أبو فراس به اسمع عنه في عهده المنحة . وقد أحضره من أجده وأسل إليه شعرا
بدموعه . . . وأحاه سيف . . . وله هذه الكلمة الرائعة
دنا مشغول بفرع الخواطر عن المهر (٣) .

وقد وقع المتنبي لسيف الدولة وقوع لأليم لأليم فعنى كل . . . صاحبها حتى عرق
منهم الحساد . وكان في بلاط سيف الدولة شعر . كثير فلم يعجب سيف الدولة أحد منهم
كلمتي فكان أبو الطيب (جريدة الحربة) على مصراع . . . من جرائد الحروب
التي ألقاها

وأرى أن . . . سنة فني هي إلى كل لها أكر . . . يصيق هذا لإعجاب لدى سيف الدولة .
كان المتنبي ورعا وقد كسب بفرسيه من حياته الدوية في عشم في صبه . لم يصحبه
أنوه إلى أحد أشاء فربا ل نفسه من ياديتها إلى حواصرها . ومن ورها في مدرها . . . كسسته
البابية وأسمه في فرسية وشجاعة . وما كان أن له فيه غير فرس و محاربين .
فما حظ سيف دولة رافقه في أكثر حروبه وشهدا معه وحارب فيها إلى صبه وقد

(١) كتابه أدبي الماشير بالفرسية صفحة ١٢٧ ط باريس سنة ١٩٣٠

(٢) كان الخليفة بنى رقة أبو إسحق والمشتكى بالله أبو القاسم والطبع في أيام الدولة الحمدانية

(٣) ديوان أبي فراس الحمداني في بيروت سنة ١٩١٠ من ٨٣

(٤) ديوانه مدرج في ج ١ ص ٩٣

وسائرة ، وعادية في الحرب ومنمطرة . وكان عبقرى المروحية يشهد بذلك كل شعره ، وبكاد يكون أكثر شعره الحماسة . فلا تحاوله قصيدة من ذكر الخيل والرح والسيف ، أحب الخيل والسيف والرح مند فاتحة شعره . فدائنه التي تقرب في أروها وهو في مبيعة صباه :

أهلا بدار سبائك أغيدها

ملأني بالخيال المتمدن ، عو المدوح وصاحفة بعوالى الرماح ، وبحداسيوف . وكانت قصيدته الأخيرة التي يقول المنشأون من نقاده إنه جعل من هواها كلمة الهلاك فملك (١) ملأى كدس بمدلم هروسيته . فيها وقع الأسته وفيها السلاح والدعر والأعداء . محلحة هذا السلاح في شعره . ولما فيها التي لا تشد حول الحرب ولطعار والسير والبرال قال فيه الشريف الرضى (وأما أبو الطيب المتنبي فقائد عسكر (٢) .

وكأن ابن الأثير يقول عن المتنبي ورعه صورته لبعارك ، إنه إذا أفاض في وصف معركة كان لسانه أمضى من صدها وأشجع من أهله . وقامت أقواله لسان مع مقام أفعاله حتى نظن الفريقين قد تقاتلا والسلاحين قد تواملا .

يقول صاحب الصبح المتنبي أيضا ، ولا شك أن شئ كان يشهد الحروب مع سيف الدولة فيصف لسانه ما أداء بيانه (٣) .

ويقول ديموبين كان المتنبي هو (المسجل تاريخي Historiographe) للأمير الحمداني حين احتكت الحصار الإسلامية بالحصار النصرانية في القرون الوسطى وإن المرء حين يقرأ المتنبي يتساق فكره أحبه إلى ذكر لويس الرابع عشر وعبور نهر الراين .

ثم عقد ديموبين ، موارد خفيفة بين شعر المتنبي وشعر كورنيه الأكبر من حيث العقل واختيار المعاني ونوفد الحماسة وساطان المنطق ثم خرج من هذه الموازنة إلى

(١) البنية السابعة ج ١ ص ١٨٩ .

(٢) الصبح انتهى من حنبية المسق ففتح يوسف المدي . مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٣٣ أدب) أوراقه ١٢٢ ورقه ممدوح لسنة ١٢٦٤ الهجرية وقد وردت كلمة الشرف لرمي به في الورقة ٤٨

(٣) المخطوط السابق ورقة ٤٤٧ .

أما الفريقون الذين درسوا شعر أبي الطيب فأحيى مؤلف بهم أن نصيب هو (بلاشير) كما قدمت . ولكنه يخفف من خلواء إغائه من الحماسة في شعره مدي فهو يذكر في كتابه عنه (ص ١٨٣) أن روح الحماسة الحقيقية لا شبع في كل قصيدة ، بل له أياته حماسية رائحة حارقة لكنها معددة ومشورة بين سواها من الأبيات التي دونها في القيمة الحماسية وقول له :

« وأن أفضل ما في من الحماسي براعته في وصف معات الحمدانيين لبلاد برطه وخصهتهم الصاعقة في حرب عديم وقولهم مسرعين بالأرضي والعائم . وتمد كان أو نصيب يحمل لقوم شعره على أن شعروا بالرواية العظمى التي كان هو يمثلها فيها » .

القول بأن العرب في الأسس تأثيراً في الأدب الإسباني وأن هذا الأدب هو الذي تسال إلى فرنسا فأثر في شاعرها الأكبر كوربيه أوائل أمره . وأن أجداد كوربيه النورمانديين الذين تراموا على غزوة صقلية اختلطوا بالعرب الذين من جسمهم المتنبي (١)
أما الأستاذ ماريوس كنار (٢) فيقول إن المتنبي كان أعظم شاعر حدد حروب العرب مع البيزنطيين بعد ذلك كل شاعر فيه من لشعر في حرب الروم . والمتنبي في ذلك وحيد غير مدافع .

وقد استعان هذا الأستاذ بشعر المتنبي في هذه الحروب على معرفة الغناء الذي كانت عليه الجيوش البيزنطية فاتخذ من قول المتنبي :

أتوك يمحرون الحديد كأنما صروا بجيد ما لهم قوائم

دليلاً على ثقل جيش امبرسان عند البيزنطيين المسمى بالرومية (Scholaroi) أي المطاردون المدججون بالحديد الذين ركبوا جيلاً مستورة اقوامهم رداء من الدروع يسكن يبلغ الأرض (كما أشرت إلى طرف من ذلك فيما تقدم)

وأردف ماريوس قائلًا : إن هذه القصيدة الميمية هي المثل الأعلى عند أي نصيب في سيف الدولة . والمثال المحمدى لقصص الخرق . فإن كل أمة حربية أو حركة من هذه المعركة كان المتنبي يرسمها بعقريته المصورة الجبارة .

وقد كان أبو الطيب إلى مروسينه الشاعرة الحارقة وروعة تصويره للهارك عفيف الحب . كان حبه كحب امبرسان القرون الوسطى في أوروبا . أفلا طارت إلى هوى (سيراوودو بيرجراك) . كذلك كان أبو الطيب . لقد مات ودهن هواه في صلوعه أكانت (حوة أخت سيف الدولة) تحبه إنه رثاها بعد فراق أحبها تسبع سنين تطوى الجزيرة إليه خبر موتها — كما ذكرت — فأشركه دمه حتى كاد يشرق به . وكان من قوله

وأشدب معسول الثنيات وصح سرت في عنه ففصل معرفي

وما كل من هوى عصف إذا حلا عذقي وبرصى الحب والجيل تلتقي

وقد سأله عن معنى هذا البيت فقال هم أبو الطيب والمرأة من العرب تريد من صاحبها أن يكون مقداما في الحرب فترضى حينئذ عنه .

كذلك كان أبو الطيب درساً في شعره وفي حبه ومن يدري ؟ لعل الحب كان وفقد شعاعه عند سيف الدولة لترضى عنه (حوة) فتجده مقداما في الحرب . كما نقول

(١) "Al Mutanabbî" recueil publié à l'occasion de son millénaire.

طبع بيروت ١٩٣٦ من ٨٨ مقالة الأستاذ (Gaudefroy Demonbynes)

(٢) من ٩٩ مقالة في المجموعة نفسها . لذلك أتفهمه من معنى .

وبحسبه دليل على هذا الحب أن كان يظهر العرصة . في عادة الشعراء . بينه القصائد بالسبب
فيهم على كل قصيدة رساله من هواه . فبطء العروسية كأنها الشدة البطولة في الحرب ،
ورسالة أمية في الحب . إلى خولة . وسجن التجدد لسبب الدولة . عبقري الحرب .

(٣) فن المتنبي في شعر الحرب

الشعر العربي مثل معادن بعضها قد مرج ببعض . وقد يكون بين هذه المعادن قطعة صافية
من الذهب الخالص ، وقطع مبروكة معدن من النقص وغير النقص . فعلى الجوهرى أن
يستخرج ما يريد من السبيكة .

كذلك وجدت شعر العرب سبائك . فأكثره قصائد في شؤون شتى وبعضه القليل في
موضوع واحد . وإذا صرحت مثل شعر حماسة وجدت هذا الشعر في الأدب العربي قد
توزعته ثلاثة أوصاف .

١ — شعر المدح . فإن فيه شعراً حماسياً كثيراً لكنه قد مرج بموضوعات المدح .
فالشاعر يذكر سجايا بمدوحه من كرم ، معروف ، شجاعة وأعراف . ثم يذكر شجاعة المدح
وحرصه إلى ذكر حروبه ووفعائه إن كان من الهوا . أو يذكر وقائع آتية وجدوده إن كان
من الأحقاد .

٢ — شعر الفخر . فإن الشاعر المفتخر يحرص إلى ذكر أيامه الحربية إن كانت له مآثره
في الحرب . أو يفتخر أيام أمائه وأجداده . كما فعل العروذق . وهذا الصرب من الشعر
الحماسي كثير في أدب العرب .

وهذان النوعان السائقان من شعر حماسة يشبهان السبيكة المخلوطة . وهما دارسان الأدب
فيهما عسرة لأنه يتنحل أياتا ومقطوعات حماسة من بين أبيات كثيرة في شؤون أخرى
تتناول المدح أو تتناول الافتخار .

٣ — الشعر الحربي الصريح لدى قلة خاصة بوصف الوقائع والمعامع
وهذا النوع يشق في شعر العرب القديم في الجاهلية والإسلام . وأصل مروج مع غيره من
الشعر في القصيدة الواحدة . أما في العصر العباسي وخاصة زمن أبي تمام والبحتري .
فقد أخذ شعر الحرب (استوحى في موضوعه) يظهر في قصائد أبي تمام ثم في قصائد
البحثري ، على نحو ما قدمت في الكلام على شعر الحرب عندهما . وأجنى ذلك وأكثره
وصوحا وحدها وصعبها لمعارك العرب مع البيزنطيين في حروب أبي سعيد الثغري .

وما جاء المتنبي أصبح هذا الصرب الصريح من شعر الحرب كامل التحديد وأصبح الظهور
في مبادئه وحوادثه وبرزت حدوده معين متميزة من غيرها في شعر الحرب . فإن أبا الطيب

المتدى وصف أحسن شعره على سيف الدولة ثم جعل هذا الأحسن رهبتا بوصف الحروب العربية البربطه التي رخص بها سيف الدولة طوال عهده على حلب . فكان أن نظم أبو الطيب قصائده أنطوان موقوفة على حروب الخدابين ولولا ما كان بأخذه نفسه من مقانح العزل وحمام الحكمة ، لجاءت قصائده مثلاً فصار ناعاً ينبغي أن يحتدى بعده في كل شعر حربي ، إذ كان يجمع فيه بين عواديها وجه وروعة المعاني وقد كانت قصائد العرب الحاسية منذ عرف العرب الشعر إلى عهد سيف الدولة لا تخرج عن أن تكون واحدة لوقعة واحدة أو واحدة لجملة وقائع متتابعة . وكان شعر أبي الطيب في الحرب لا يجيد عن هذين الوصفين ، فكان يصف في بعض قصائده وقعة واحدة وكان يصف وفود متعددة . وفي كلامي على معارك سيف الدولة التي وصفها المتدى (فيما سبق هذا البحث) تبين حقيقة هذا التوسيم التي هي : معركة حرشنة ، ومعركة ، الحدث الحراء ، مثل قصائد المتدى الحربية التي وصف فيها (معركة واحدة) أما معركة الدرب ، فهي المثال الآخر لقصائد المتدى التي وصف فيها (عدة معارك) أو على الأصح (عدة مواقف حربية) في دتل البطريق ، ودخول الجيوش العربية إلى (سروج)^(١) عند انحسار النيل وافتتاح الجفون ، وإمام الجيش (حوران) تحت يوم ناضر فيه عمام يستر الشمس ثم ينحسر .

ثم اجتاز الجيش بقلع (أرسناس^(٢)) بعد أن هز عصفها ثم محاصرة احمد بن الحص (الران) حتى كانت (الوقعة الكبرى الماطعة) في (الدرب) الذي سار البطريق القائد أشد الثبور ، وأقم أغلظ الأيمان ليكرن سيف الدولة وليدنه فيه فيما حبه بحش لا قبل به . فكان أن حاد بدوه وبتقت الحرب فسمه كما يصف كل ذلك أبو الطيب قصيدته الحربية الأخيرة التي ودع بها سيف الدولة فكانت آخر شعره في حلب .

ففي هذه الوقعة من الأرض بين (أرمينيا وقبلا و . الأناضول ، جعل منه أعظم قصائده الحربية وقفا على سيف الدولة في حروبه مع البرطيين . وقد كانت هذه الوقعة الواقعة في شمال الشام الآخذة إلى الغرب (موطناً فيضاً للشعر الخامي) لأن الدولة العباسية لم تصطلع عليها في الداخل كما اصطاحت على الأمويين ، وإنما كان الحصم الآلة للعباسيين والعدو الأشد لكل العلم الإسلامي والعربي البرطيين . هكذا جلاد

(١) Saros عند ثغور الشام قال عنها (ياقوت) في معجمه : « لالة عربية من حوران في ديار مصر ، وحوران على طريق الروم من جهة الشام » .

(٢) ذكر شعوردي في كتاب (تحفة وإشراف) صفة يد من سنة ١٨٩٢ وقوف de gneje من ١٨٩٩ أن أرسناس اسم من يصب في الفرات بين داسورس وقر سايور وقد رسمه Brooks على خريطة في عربتها في آخر الرسالة واسمه بالرومية Arzanene

العرب معهم طويلا في تلك المواطن العربية التي ارسطت ارضها بأروع الشعر الحربي العربي وكانت مهدا لعز فصائده في عصر بني العباس من أيام المعتصم إلى عهد حبيب الدولة . وكان أبطان هذا الشعر (كما ذكرت) أنا تمام والبحري ، ثم جباره أنا الطيب المتني . ومات المتني ومن بعده سيف الدولة وعم الحراب البلاد احداية ، إذ همص الروم اخر عهد (يسييمور هوكاس) لا كـ عرواتهم في أرض الإسلام بعد فتحهم حلب ، ودفع قائدهم الارمني الجبار (يوحنا تريميسيس) بحيوشه كصباب الموح كتنسح نفور الشام جميعها وامنوا إلى لعراق حتى بلغ حدود بغداد ثم أحس ببد الشقة وقلة الزاد لخاف على جيشه من الخدلان ، فعاد به حينئذ إلى جارب أنطكيه ، وقص هو إلى القسطنطينية ، فقتل مولاه بقصور وكان بهوى روجته (نيوفانو) واستولى على العرش ، ثم عاود الكرة فكادت النوبة لسورية فحارب فيها الإخشيديين .

وقد روى (شلبرج) في كتاب جليل آخر عن (الحروب البيزنطية في الشرق والعرب ، في أواخر القرن العاشر على عهد الخديمتين لمباسيين المطيع لله وانه الطائع^(١)) فكان من من الدهر على الشعر الحماسي أن يسبق في ديار العرب بحوادث الظفر ويشهد لها أبو الطيب وصاحباه من قبله بيسجلاها في شعرهم الباقي . وبتاح لأعيهم أن يعمو قرية في اجداثها قبل أن الخدلان الذي حلل به الروم أرض العرب حينئذ من ادهر ، حتى اجذت سماؤهم فمادت صاحبه صاحكة وانجاب أعداؤهم فراحوا بتعزرون بالحنية وبلوذون ، لفرار . لامة وراهم صمحات السيوف بأيدي البطلين المعطين نور الدين ، وصلاح الدين .

الفصل الثالث

شعر الحرب عند أبي فراس الحمداني

(١) فروسية أبي فراس

يقول أبو منصور الثعالبي في تقيمه في تعداد مرابا أبي فراس إنه كان مدهراً بجداً ولاعة وفروسية وشجاعة^(١)، جمع الثعالبي في كلمة واحدة أعراق أبي فراس وسمو شعره، إلى حماسته وحربه.

ولأن القدر الذي كنت لسيف الدولة في حرب الروم قد أصاب أبا فراس، فكان ابن عمه^(٢) سيف الدولة يميزه بالإكرام من سائر قومه ويصطنعه في عروائه ويستحله على أعماله^(٣).

وكان يصحب سيف الدولة في حروبه منذ صباه، وقد قال: «وما مع سيف الدولة وفتحنا» (حصن العيون) سنة ٣٣٩ ومضى إلى دمشق تسع عشرة سنة^(٤).

وكان هذا الفتى الوسيم يعرف حق المرء في علمه وما يطالب به بحقه، وهو الذي يقرر سبب وجودهم في الدنيا بقوله

فلم يخلق بنو حمدان إلا للمجد أو للبأس أو للجود
جمع الشبان كلها في المجد والبأس والجود وكان البأس أظلم صفاته، فشأ على الفروسية حتى غدا أشجع قومه وأعر فرسانهم بعد سيف الدولة وكان يحمل على وجهه ميسم اشجاعة، ولقد أصابت حده طعنه من سنان، وأصابه صر به سيف في حده فشق حده عنها، وجعل يعزى نفسه في جراحاته فيقول:

فلا تصفن الحرب عندي قائماً طعماً مذ بعت الصبا وشراني
وقد عرفت وقع المسامير مهجى وشق عن ررق النصول إهاني

(١) البنية ج ١ ص ٢٧ نسخة سابقة.

(٢) سألني في الصفحة التالية جدولاً ينسب هذه القري.

(٣) البنية ج ١ ص ٢٧ الطبعة السابقة.

(٤) كتاب Abou Firas الألفية مؤلفه رودلف ديورك طبع بدمشق سنة ١٨٩٥ (ص 342)

وطالت جراحاته فلم تندمل فراح ينم عن نفسه بالشعر فيقول :

جراح نحامها الأساء مخافة وسفان باد منها ودخيل

يقول (شيرجه) . . إنه كان ألمع الشخصيات في بلاط حلب (١) . وكان سيف الدولة
فخر مروسته وشعره يجرى عليه ألف دينار كل سنة . وأن أبا فراس كان أنجب أهل
الفرسية في كل عصره ، وكان جندياً منقطع النظر .

وأراه قد كتب نفسه أن يتقن بعد سيف الدولة ابن عمه (٢) فنصرع حلب وتلقى الهوان
وهو حي موجود . ويموت سيف الدولة قبله ، وبني وحيداً ويصير شربداً على نحو ما سأروى
مصرعه الدامي العظيم

(٢) تحت أسوار منبج

منح Bambyce البيرطنة ، وكانت تسمى بالرومية القديمة (المدينة المقدسة)
(Hiérapolis) ومن تاريخها في الحروب أنها كانت البيت الديني لجيوش الرواية القديمة .
ومثانة للرهبان والقديسين يحيطونها من امدار البعيدة كل عام . وكانت سوقاً لآسيا طوال
الزمن القديم ومنحماً تقابل فيه القوافل الكرى الداهية إلى الشمال والآية إلى الجنوب
وما هيكلها فقد هدمه نغراه لكثيرون من طول ما تسجوه . بهجات حيولهم من جنوب
وشمال أما الله لم فقد اهدم فيها كل شيء قديم . ولم يبق من آثار ما صيها إلا بقايا الهيكل ،
والشرف حوالها هو المسلمين . وقد نام تحتها أنطا من جند ثابوا في عصر بني العباس

(١) كتاب عن مسطور لعدم ذكره ص 210

(٢) أنت Die enei وكان قد بدأ كتابه في سنة Mutanabbi und Seifuddaula مانع

لندن سنة ١٨٧٤ ص 142 لسيف الدولة وأبي فراس كما يأتي نعر .

درج

(١) حديد

(٢) محمد بن أبي نوح

على أبو الحسن (سيف الدولة)

حسن أبو محمد (ناصر الدولة)

سعد الدولة

أبو تغلب

(٣) داود

(٤) سعيد أبو الغلاء

أبو وائل

الحارث (أبو فراس)

ويروى المؤرخون العرب هذه الواقعة في اقتضاب أو تفصيل .
فيكون من حوادث هذا التاريخ وقوع أبي فراس في قبضة الروم وبقاؤه سنين في
القسطنطينية . لكن (شذرجة) يقول إن أبا فراس نزل في بلاط القسطنطينية حتى اقتداه
سيف الدولة سنة ٩٦٦ وأبو منصور الثعالى يقول إنه حصل منحاً محرشة ثم قسطنطينية
وهو يقول في شعره :

إن زدت حرشة أسيرا فلقد حلت بها أميرا

فبين من الروايتين العربية والفرنجية ومن منه هذا أن البيزنطيين حملوه أسيرا من
منبع إلى حرشة مشخنا بالجراح ، ثم نقلوه إلى القسطنطينية
هذا رأى ، ورأى آخر حسب روايتين أخريين عربية وفرنجية أما الفرنجية فقد رواها
(بروكلمان Brockelman) في فصله المختصر الذى كتبه عن أبى فراس في معية الإسلام
الفرنسية (١) . فقال إن أبا فراس أسر مرتين مرة سنة (٩٥٥ لبلداد ٣٤٨ للهجرة) وهو
أمير حصن وحده البيزنطيون في حصن (حرشة) فهر منه بأن أتى بنفسه من مشارفه
بقفزة مهلكة .

وأسر مرة ثانية في سنة (٩٦١ م — ٣٥١ هـ) فأخذ في هذه المرة إلى القسطنطينية .
وقول (بروكلمان) أنه ما رواه (شذرجة) بأن أبا فراس كان أعرج من أثر صدمة
في رجله .

والرواية الثالثة العربية هي رواية (ابن حلكان (٢)) . ولا أشك أن بروكلمان قد صدر
عنه عنها . فقد روى أدينا القديم أن أبا فراس أسر أول مرة بوقعه (معارة الكعول) سنة
(٣٤٨) ولم ينعده به الروم حرشة ، ووصف ابن حلكان حرشة بأنها كانت قلعة لا روم والهر
يجرى من تحتها . وقد إن أبا فراس ركب في هذه القلعة فرسا ويكسه ، فأهوى به من أعالي
الحصن إلى الهر ، والمرة الثانية التى أسر فيها هي أسر الروم له ، في منبع وحملهم إياه إلى
القسطنطينية .

فأبو فراس إذن لم يكن في وقعة حلب حين دخلها الروم وأبادوها ، وإنما كان عندئذ
في الأسر يتقلب على مثل الشوك من تباريح أشواقه إلى ابن عمه ، ولم يكن له عزائه في أسره
سوى أن ينعطف إلى أشعاره ، فيسكن تباريحه بحماساتها ، ويبيكي لحفة على أمه (صبيحة) .
وكانت (صبيحة) بيبة الصغات في قومها ، ربطتها مودة إلى أنها كآنها الجنون ، ولدا

(١) ج ١ ص 88

(٢) وفيات الأعيان طبعه نارون أوسلان باريس سنة ١٨٢٨ ج ١ ص ١٨٠، ١٨٨ .

هنا بحس طائف هذا الجنون في شعره لب وهو ينظر في أمه . ويحس إلى الوطن . وإذا هذا
في جنح الليل أرسل طرفة الباكي ، فتجلى أمه المعجوز باكية عليه بمنج ، وهي البارة الرحمة
والعادة لله التقية ، فكسب حواطر أحراجه على الشعر وبات يقول

لولا المعجوز بمنج . ما خفت أسباب المنية

وكان يعز عليه لولاها أن يطلب من ابن عمه الفداء (على عادة العرب والروم في تفادي
الأسرى كما ذكرت) فقال .

ولكان لي عما سألت من الفداء نفس أيبسة

والظاهر أن أمه هي التي كانت تلح عليه . وسألتها أن يطلب الفداء من ابن عمه ، فخرج
هذا في البيت الآخر :

لكن أردت مرادها ولو انجذبت إلى الدنية

وكم يحزنني أن أذكر أمه — وأنا الفاقد أوى — إذ يقول لها في آخر هذه الرسالة الشعرية

يا أمنا لا تحزني ونبي مضل أمه فيه

يا أمنا لا نيامي لله الطواف خفية

وكانت أمه تخرج إلى طرق القوافل المارة بمنج . فتسال عنه الركبان ثم دعا أعيانها
سؤال القوافل بغير جواب ، خرجت من منج إلى حلب ، ودخلت على سيف الدولة فسأله
فداء ولدها ضارعة إليه شاكية .

ولما طال فداؤه اطوى على نفسه يقول مثل هذا الشعر :

أسرت وما صحتي بزل لدى الوغى ولا فرمى مهر ولا ربه عمر

ولكن إذا حم القضاء على امرئ فليس له رقيقه ولا شجر

وقال أصبحاني الفراق أو الردى ففتت هما أريان حلالهما مر

وإذا دعا إلى (شلمبرجة) فبما يحده يقول إن أما فرائس كان رل وهو أسير في بلاد
القسطنطينية .

ولكني أجد في شعره الذي قاله في القسطنطينية أنه كان يرسم في تفرد . فكان إذا
سحبنا عند المستق (رومان الك في ١١) وأعله نال سجيناً بعد وصوله إلى القسطنطينية ثم
أطلقه المستق (فكان يدعو إلى مكائته ومناظرته في آراء الحرب وأمين
وقد رأيت في شعره أنه حمل مقيداً على الرغم من جراحاته ، وأنه إذا دعا به البيروني

(١) تولى قسطنطين السابع سنة ٩٤٩ ميلاد وجب البيروني مدد على القسطنطينية رومان الذي
Roman II امبراطورا . وكان بيسيمور فوكاس القائد الأكبر م يشد مد على العرش .

الى حرسه كان القيد في رجله ثم مضوا به في دور البرية وهو مصفود بالاعلال فهو
في إحدى مساكن الرومية بصف أمه بأنها عبية حرما على فيقول في قيوده

عليه ناشبتم مفرقة	بب نأدي اعدى معلما
تأل عشا الزكاد حارة	أذوع مسكاد مبرها
من رى في (محض حشنة)	أسد شين في القيو أرجله
من أي في (لروب) شاعره	دور افاء الحبيب أطولها
لست نال نهد من قبي	وي ابغى رصاك أحلها

وهو شيء أو زوال المحور لسيف أمه به هدايه وأرى أنه كان في هذه النوبة الثانية
من أمه حشد في حصر (حشنة) بصف قبل أن يفعل من القسطنطينية ، لأن إقلام خرشنة
في في السرب أي القسطنطينية فهو يقول تلك الإشارة

حارث مخرج رد واحد ينظر له من كعب تقدمها

ولم يذكر سائق أفورس إلى أمه من القسطنطينية إلى منيع ، بل كان وانماغ حشد
في كان في شهر حمسي ثم في لها من الحماوي وقد عووه أمه في الإلهار ، فهو بعد
أن يقول

ولم وراه السرا أم يلاؤها عمويا من ارمات طول

هو

لقيت نجوم الأفق وهي موارم ، حصد سواد الناس وهو حيون

كان أبو فراس يلج فكاهة في كاهنائه ، واهمه - كما سطر من شعيرة - وهاه
سيف الدولة في القمود عن ذلك وقد أصبح سيف الدولة بقمه عن فكاهة أن واهن بحالا
يقول الخاسر ابن ابرس كابو عند سيف الدولة يؤثرون بقاء ابن فراس في الأسر ، حتى لجأ
أبو فراس إلى تهديد سيف الدولة بأنه سينحى ، لأهل حراسان في فكاهة .

وقد فات مؤرخي العرب الذين ذهبوا مذهب التعليل الخاطيء إذ ذعموا أن سيف الدولة
يخفى عن ابن عمه وقد عن فدائه ، فاتهم أن يعرفوا الحالة السياسية والاجتماعية التي كان عليها
سيف الدولة حينذاك

إليه كاد كالحارج من الموت ، حلب مهدمة ، وجنة مذمكون عنه ، وبعضهم قبل أوامر ،
ومنه الذي كان في بيته في حلب في (الحنة) مهور ، حمله البيزنطيون إلى القسطنطينية وعلم به
شعرون يترصون به الوثوب عليه ، والرومن طامعون طغرا لم يحبوا بمثله منذ عهد الفتح
الإسلامي ومن الخفاء الراشدين حين جاء الإسلام بدمهم قد يعد لسيف الدولة عندهم ذلك

وحين ارند بيسيفور هو كاس إلى حاصرة بلاده وجد السبيل إلى الاستيلاء على عرش
بيزطة بمعونة (تيوفانو) زوجة مولاه وعشيقة التي صارت له زوجا بعد أن آمنت من (رومان
الثاني) وهي التي قتله بعد ذلك بمعونة (يانيس ^(١)) تزيميس (عشيقها الأخير .

وقد شاء الخط أن يحرم أسرى الهناريين وأن يرفع الدثار عن كامل سيف الدولة فأتاح
له أن يطلب منكك أسره . وكان البيزنطيون في محران سياسى واختلاف داخل ، فقبلوا منه
(ملتمسه)

كذلك مع ، (يحيى بن محمد الاطباكي) ابن سيف الدولة (التمس) من بقعور الملك
المعداه عن أسره من المسلمين عن عنده من أسرى الروم فجاءه إلى ذلك وسار سيف الدولة
من (ميده في ^(٢)) إلى ممتساط (وأقام العداء على شاطئ نهر الفرات) في رجب
سنة ٣٥٥ (٣) .

فعادى باب ناصر الدولة محمد و أبي فراس و ما فاصى أبو الينم وغيرهم و طلباه من
أسره الروم و دفع لروم (أعور حرم) و (ابن شطس) و جميع من كان عنده من أسارى
الروم ، و لما لم يبق عند سيف الدولة من الروم من يعادى به اشترى من لروم بقية أسرى
المسيحيين وكان عددهم (ثلاثة الاف نفس) مائتين وأربعين ألف دينار رومية و أجحف
ذلك به (٤) .

هذا ما رواه الاطباكي ، وليس فيه الكفاية .

وقد أتت رواية عند ليخت عندي ما رواه أبو منصور الثعالبي في الينمة (٥) بقوله ، و لما
جفف عن أبي فراس و رقه و بوطر في أمر الهدنة و الأسارى أجيب إلى ملتمسه بعد أن
أكرم و بجل .

فيظهر من هذه الرواية أن أبا فراس عقد الهدنة و كتب صكا بك أسره و صحبه فسر
بذلك لسيف الدولة

(١) عرب يحيى بن محمد الاطباكي في تاريخه من Jean تيمس بكه لخاصاً في إطلاق كلمة
(شمشين) كغيره من المؤرخين على ألف تيمس Tz misces و صوابها شمشين كما قدمت وهو صواب
chamachic ابن تزيميس .

Mosphracta (٢)

(٣) عيسى (شلهبرغه) (من 696 من كده عن بيسيفور هو كاس) بغداد محرر . ان سنة ٩٦٦ .
و هو مداه تاريخه الطبعه السابعة ج ٢ من ١٨ سنة سنة (٣٥٥) أيضا

(٤) من 803 من مصدر . في مجلة (Patrologia) .

(٥) طبعة سنة ١٨٦٦ ج ١ ص ٦٦ .

ورواية ثانية نكل هذه أوردها أميدروز amedroz الأستاذ بجامعة اكسفورد وهو صريح (مارغوليوث) . قال بقلا عن تاريخ (على ر محمد الشمشطى^(١)) في حاشيته له على كتاب تحارب الأمم الذي نشره^(٢).

أن رسول سيف إلى الروم في هذه المقادير كان (أن القاسم الحسين بن علي المغربي^(٣)) أرسله سيف الدولة لتقدير المبيع الذي سيكون عليه الفدية ومعه هدنة بعشرة آلاف دينار منها ثلاثمائة مثقال مسك .

ولا ريب في أن هذا الهداء أنهط سيف الدولة وكلفه ما يفي معه من المؤونة بعد أن تضعف مسكته فيروى صاحب تحارب الأمم ويرى كذلك يحيى بن سعيد لا يظن أن سيف الدولة انصرف من الهداء ودخل حلب وأقام بها سنة واحدة ، حرج وهو غلب من الاسترخاء العارض له ، فكان يحمل في قبة^(٤).

إن هذا الهوان الذي أصاب أمير حلب طعن فيه ، لا يات في أنه كان إلا في هذا العالج الذي أصابه ، فأدنت أيامه بالزوال .

• • •

كان لبطل الحمداني حرج من الأسر غلب حلب بيودع سيف الدولة الوراق الأخير بعد مات سيف الدولة على فراشه سنة (٩٦٧ م ٨٦٥٣) وكلم كان يؤخر أن يموت في الحرب والأجمود بنفسه حتف أنه

إنه أوصى أن يوضع رأسه في قبره على لبنه كان جمعاً (من بعض عبار غرواته) . فأدكر في مره ثانية ثم به ما يسمون إداً ، أن نصب تمثاله على عمود من ذوب المدافع التي كسها في حروبه . وكذلك كان قد تصهروا له عموداً شاهقاً في ساحة (قاندوم) بباريس

(١) في قصة الدهر للأمامي ج ١ ص ٨٩ ذكر محمد بن الحسين بن علي بن محمد الشمشطى ، وكان شعراً في شعراء الدولة الحمدانية وأدبها ، أما راجع الشمشطى فليس في مصر ، بل في سوريا . وقد اضطرب إلى قول ما أورده (بيدروز) فجاء على روجه على الرغم من تحرجي في المصادر .

(٢) ج ٢ ص ٢٢٠ هامش رقم ٢ .

كتب تحارب الأمم لأحمد بن محمد مسكوة طبع شركة لندن سنة ١٩١٥ ، يوقوف Amedroz وقد ترجم أحراره في لأكاديمية وشبه لندن سنة ١٩٢١ . ومن مسكوة هد من مؤرخي أوائل ثلاثة برمه للمهرة وكان في زمن من حياته كان ، عند أبي الحسن بن محمد بن كاتب الصانع المشهور وذكر عن أبي محمد مصلحاً في كتبه ، وقد كان في خدمته بضع سنين . وقد تمصت على سيف الدولة فرماه بالهت والسكر ، ولا سنداد في برقي . (ج ٢ ص ١٨١)

(٣) هو لاشك صاحب (في علاء المعري) الذي عرف في بغداد (بدر المعري) ورثه أبو الهيثم في الروايات وحده

(٤) 804 من مجموعة Patrologia السابقة ، ج ٢ ص ١٩٩ (تحارب الأمم) .

وعليه تمثله نقف أبدا فوق دواب المدافع التي هزم عنها أعداءه . كذلك فعل سيف الدولة من قس بامسور (شاماته وخمسين عام) فقد ذكر صاحب الزينة أنه عزأ أربعين عروة له وعليه وقد نسطد شليرجة في وصف هذه اللينة الحربية المقدسة ، فقال إنها كانت مرجحا من غير معاركة مع لزوم ملوكا يعرفه ، فكانت تجمع من ثيابه ومن بدنه قبل أن يستحم . فقفوه من الحرب

إني لأشعر بحماسة تشع و أعظمي فتعلا على منافذ العين ومسارب السمع حين أتصور سيف بدوله وقد أسند لأحده حده الأصم إلى هذه أمانة الهامة في جابت أمه الخنوع بمدينة مهاباد وهو الذي كان في أحده بحب أمه كج بحرثاشع ، والمسمى ، يدألس جنوده انتحافيف (١) . أح . إلى ريادة أمه في (ميا ورفين) ولم يكن جنوده في هذه الريادة يسيرون إلى الحرب . ولكن حماسة سيف بدوله ربيت له كما البصولة ، فكان جنوده حمسة آلاف ومعهم عيانه . وقد شجعت هذه الريادة الخسوف بلان أني انطبقت م . أح . سيف هذا الجيش الذي وصف سيف بدوله حماسة فوق براب . وكان ك . ثم يريد أن يشمرها بياضه وسطاه لتظل في يوم . لأدى مصمته عليه . ومد أو الطيب خياله إلى الخيل لجعل هذا الحيوان الخنوع شارك سيف بدوله بالرقه والرحمة ، فهو أبدا كذا رك لحل مات . شافها نحو اليمن حنا . من حب . ميا ورفين . وأمطرت السماء . يومذاك فقال عن القيث :

فرارني رارت بك الخيل فمرها وجشعه شوق لبي تنحتم
ولم عرضت الجيش كان سهاؤه على الفارص المرخي الذؤابة منهم
حويبه نحر لتجفف مريح يسيره طود من الخيل أسهم
وفي هذه الخيل يقول :

وارها طول قنبل مظهره يشير لبي من مس منهم
حرف عن دت اليمن كأنه ترق لم . و . ف . و . ترحم

• • •

وعن سيف نبيه حماسيه قال (شمرجه)
وهي وحده في طلبه قمر سيف بدوله الشاهد المختور لآلف معركة . كذلك شهد
و فراس موت من عمه سيف بدوله . ولكنه لم يقل في . ثم شمر . وكان ينبغي أن
نح عنه في شعره . ولم يه ش . ما كشش أي لطيف في سكة حب فيها فاشا من شعره .

لحرث الجبار الحداني شاعريه . مات المتنبى قبله . ومات هو قبل أبي فراس . فلم يرثه أبو فراس . وإن مثل مصابه ليلجم الشعر ويكس الأفواه .

(٤) هريات أبي فراس

هل حاول أبو فراس نظم الملحمة ؟

سألت بعضى ذلك حينما فرغت من قراءة قصيدته الرائبة الكبرى التي أولها لعل حبيب العامرية زثر

وقد سكتها قصيده على روى لراء . كما من بحر واحد في مائتين وخمسة عشر بيتا فكادت قصيدته هذه قد جاءت إلى عهده أطول قصيده محكمة في شعر الحرب . يمتص هاشعر ملء الشوط في معان قوية ولعظ مكين

بدأها بالحرب على عادته شعر . "عرب لقدى في عصره . ثم افجر هروسته ومحمد قومه ذاكر" سوانف المحمد لعمومته وأهله . حتى سمع سيف الدولة صاحب حب . وباعبر الدولة صاحب الموصل فقال فيهما

فبث لدين الله عز ومثمة ومنا لدين الله (سيف) وناصر

وذكر صورا من معارى سيف الدولة مدبر الروم . وكان به رائع الذى يقول فيه عن سيف الدولة :

وأوطأ حصي (ورئيس) حموه وبهلهما لم فرع انجم حافر (١)

يهيج عندي حب ذا من معارك سيف الدولة وإن أبو فراس ومن معه أو أطيب لمحرمها وصف فروسية سيف الدولة . فابو فراس يعتبر عن ذلك بقوله في هذه الملحمة

ألا قل لسيف الدولة القرم إننى على كل شيء غير وصك قادر

ووصف في الملحمة هروب الدمستق بعد أن جرح في وجهه فقال :

وولى على الرسم الدمستق هاربا وفى وجهه عذر من السيف عاذر

وقد أشار أبو الطيب إلى هذا الجرح في وجه الدمستق في قصيدته اللامية فقال بعير الدمستق بفراره .

بحوت يحدى مهجتيك جريجة وخلفت لإحدى مهجتيك تسيل

وأمعن أبو فراس في ملحمة تذكر ما تبق من قومه الأبطال بعد طويل الحروب وذكر

(١) في نسخ الديوان (رستيس) .

أسماءهم وأعمالهم حتى قال في آخرها وهو يحل نفسه أن يكون مادحا متملقا أو شاعرا مأجورا :

طقت بفضل وامتدحت عشيرتي فإنا مداح ولا أنا شاعر

وقد عبه المعمر بالقبيلة في هذه الملحمة على التيسر بذكر الحرب وتصوير المعارك . وهو إن أجل الكلام على حروب الخديين للروم في رأيته الكبرى فقد تيسر في قصيدته التي قالها بعد أن أصابه الدمستق في مناظرة جرت بينهما في القسطنطينية حين كان عنده أسيرا فكان يزور البلاط ويجالس الملك (١) بعد أن فككت قيوده . فقال له ملك الروم (٢) : إني أتم كتاب ولا نعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس نحن طأ أرضك منذ سنين مئة بالسيف أم بالأقلام ؟ .

واردحت في صدر أبي فراس ذكريات الحروب وهو في أسره وما كسب العرب من نصر على الروم فراح يذكر — في قطعة واحدة — مفاخر الخديين في الحروب البيزنطية وأمرى الروم وأقبالهم وفراهم بأسمائهم وأيام اكسارهم في حروبهم مع قومه ، فقال وهو يعير الدمستق ويذمهم ويذكر صورته في أول بيت بأنه ضخم العنق فيقول (٣) :

أترعم يا صحم اللعادي أنسا	ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا (٤)
هوبك من للحرب إن لم تكن لها	ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها ترما
ومن ذا يقود الجيش من جنباة	ومن ذا يقود العين أو يصدم القلب
وويك من أردى أحاك (بمرعش)	وجلل صرنا وجهه وأدك العصبا (٥)
وويك من حلى ابن أخك موثقا	وحلاك (بالقار) تبدر الشعبا (٦)
أبو عدا بالحرب حتى كاش	وإياك لم يعصب بها قلبنا عسبا

(١) نعت سبحة ١٠ أي فرس ملك روم واختلاف هذا الأمير الخدي إلى البلاط الامبراطور .
على أن أم أبي فراس كانت بيزنطية . وأظهر دليل هذا بما يلي

(٢) نسخة ح ١ ص ٦٥

(٣) صدر منه وصحة . ودون لهاني ص ١٠٤

(٤) اللعادي لحم الخلق ويصعد بها أبو فراس صفة لعنق ، ولروم كانوا يحسدون العرب ولا
وأنه ص ١٠٠

(٥) أي حمل العصب وهو السيف يحمل وجهه والفك بالصرب

(٦) شدد اللعان وكان أبو الطيب يخففها .

وسل أهل (برداسا) أعظمهم خطايا (١)
وسل سبطه البطريق أثبتهم قليا (٢)
نبتنا ببيض الهند عرضهم نبتا (٣)
وسل الشرى قدنا إليك أم الكتبا
وأهد طعنا وأثبتنا ضربا
رعى الله أوقانا — إذا قال — ذمة

ولو أن أبا فراس كتب تاريخ حياته في حربه لما راد على البتني الآتين الذين وصف
فيهما هذه الحياة التي كثرت فيها الغارات وركوب المطايا بعد كسر أعدائه في كل البلاد .
جمعت سيوف الهند من كل بلدة
وأكثر الغارات عندي وعندهم
وأعدت للبيضاء كل مجالد
مئات البكيريات حول المراود (٤)

وهو يسرد في بعض شعره كيف سار بجيش لجب جيش بالصاديد وعليه الرايات الحمراء
تحقق بها الرياح وكان صاحب هذا الجيش سيف الدولة الذي يهرع ثباته على قلب الجيش
وجناحه . وقد وصف هذا المسير بعد أن أتى رسول ملك الروم يطلب الهدنة من سيف الدولة
— بعد حرب من حروبه — (على نحو ما وصفت في كلامي على شعر الحرب عند المتنبي)
فأمر سيف الدولة الجنود أن ترك سلاحها لاستقبال الرسول وركب هو من داره المسماة
(باندارين) في ألف جندي من (حرسه الخاص) (٥) المالك وعي فراسهم ألف جوشن

(١) وجدت في هذه العظمة وهي " كثر قطع أن فرس أسماء روم وأحشدها ذكر الخروم مع
الجدابين في حملة واحدة ، إلى محمود الديون . وهو أحسن مخطوطاته الموجودة في دار الكتب المصرية
رقم ١٨٣٢ خصوصي أدب في ٦٧ ورده وهو نسخة محمد بن أحمد بن عبد شامس من قبل تاريخ .
وقد جاءت هذه النسخة في مخطوطات أسماء بن رده وللاذ على وجه في غاية الصواب وسموها
بسمها نسخ لديوان المصنوعة على هذا النحو من نسخة — بكلمة (برداسا) جاءت في المخطوط وفي
نسخ الديون وفي نسخة أخرى (فراس رده ، من عا ، في وصفه) . وردس هو بردس قائد
(قسطنطين) بن ملك القبطية المعروف بالبربروجيني (

(٢) في المخطوط والنسخ : (وسيل برداسا و شمدو) . وردس هو الأرمي Jean Courcouas
من قود لند في (من 116 من كتابه " شلمجة ") .
و شمدو مصير شمدو هو Chamach q بن عبد الله بن حو ، حدث فيما سبق في هوامش
كلام علي بن حمزة التنيني .

(٣) آل الملايين في آل طارق المصنوع من قبل (C. Maleinos)
(٤) بكثرة ضرب من لوق ، وورد عند أبي عبد الله .
(٥) يعبر المؤرخون العرب بكلمة (العفان) في حق سيف الدولة وأما من أمراء عمه سميه
في عصرنا (الحرس الخاص) .

مذهب من دروع الجبول على ألف (فرس عتيق) وألف (حفاف^(١)) ورك الدس والقود
على طبقاتهم في الجيش .

وما أحسب سيف الدولة فعل ذلك إلا ليرى رسول الروم عدده العرب وعديدها وليقوم
بمكرمة السعير في استقباله الرائع . فوصف أبو فراس من هذا المظهر الخبيث بقوله .

علونا جوشنا بأشد منه	وأنت عند مشتجر الرماح
نحش حاش بالفرس حتى	طنت ابن بحرا من سلاح
والسنة من العدسات حمر	تخطبنا نفود الرمح
وأروع جيشه من يوم	وعبرته عمود الصبح
صوح عند قدسه حكره	قيس صبح من نصراح
وكان ثباته للقلب قلبا	وهيشه جناحا لجناح

وكان أبو الطيب المتنبي متما لأبي فراس في قصر سيف الدولة^(٢) وكان من وحي هاتين
الشخصيتين المتنبي ثم إحداهما الأخرى^(٣) أبو فراس ووصف الجيش أسى وفهم يوم مشور
السعير فتمت به نصيب الكلام . كيف وجد السعير في القصر في حصره سيف الدولة وكه
يقدم فبين الأرض بين يدي لأمر ثم قرر كنه

وتحسب أي فراس . . . أذكر شعرة في الحروب و . . . أن يتي مطولا عروسته .
وأن يكون مكانه في الحرب مكانه إلهه . . . يدب يحرون لكنت له فره . وهو البطل الذي
بطا حتى ترنوى منه سدف والرماح . وبطل طوبا حتى يرثي ساحة الحرب قتلاه
فيا كل قبله دنت والسر . فيقول

وإلى الجرار على كتيبة	معودة فلا يحل بها نصه
وأصدا حتى ترنوى نصص واقفا	وأصعب حتى يشبع لدنت والسر

(٥) نهاية السر الحمداني

ما أشبه السر باطل إله قد كان السر دمر القياس وقوة ويموت السر فيتعامل على
نفسه جبار الجن حين معكوف السر . مشور المحب . وكذلك يموت البطل .

(١) ديوانه ط بيروت سنة ١٩١٠ ص ٥٩

(٢) م أصد في هذا الرأي أن أقيس أما فراس على قد المتنبي . فأبو فراس في شعده . وطولته قد
يقول المتنبي . لكنه لا يقاس به في شعر وفي قصائده خماسية . فليس المقارن من سبيل بين قصائدهما
إلا في الموضوع . أما في دياحة اللغة وأسلوب السبك . وعقريه المعاني فإن أبا الطيب المتنبي هو الخار
الوحيد . وقد قصدت إلى أن أبا الطيب كان متما لأبي فراس في البلاغ سيف الدولة (إتمام الشخصية
غيب) و (إتمام الموضوع) .

وأقل نجم حارب بعد سيف الدولة فغلب عليها أنه أبو المعالي سعد الدولة ، فأسكر على أنى فراس ولاية حمص ، وكان سيف الدولة جمعها إليه . وكان أبو فراس قد استقر عمله في حمص بعد فكاكه من الأسر إلى الروم . فاعتل عنه سعد الدولة ورعه أنه يحور في الحكم على أهل حمص لخاربه بعلامه (قرعويه) .

وكان (دفوراك) من المستنصر فير الدين وعملوا بأنى فراس لعروسته (وشخصيته) شعره . ولشعره في حروب مع الروم وشهوده أنه ركب نفسه التي كانت بين الروم وبين المسلمين ، ولأنه ركب في ملك العرب عظيم وجاورهم .

وقد روى (دفوراك) صورة من حياء أنى فراس حين بنه فقب (١) . إن فراس أصبح يوم مقتله حراً ذا كنيه . وكان قد فلق تلك العدة فاشددها وأنه ابتدأ مدقة أن أمشائر (٢) كذلك وأحرنها حراً شديداً فمكت وهو على ملك خن . وقد ركب جواره فقب . وأشأ يقول ورجله في الركاب والخادم يضبط السير عسماً .

نبتى	لا تخسر عى	كا الأمان إلى ذهب
روحى	على محدة	م حرم سرك واحجوب
قوى	تدلى	فهميداً في رر جهاب
در شتاب نور	م	م يمنع رشتاب

ثم حاح أبو فراس إلى قده فموتهم جميعاً . فكتبه في زحام المعركة ، فوقع أسيراً . ولم تشفع عليه قرعويه . لأنكى فلكم أنه كنه أحد من مشركين معه . وأقبل أن فراس .

فأبى إماموك نفسه من أن يفر من وكان . فربح أعدوه سلاحه فخطه حبسه واحده بدبوس من شوك الحديد على رأسه فسقط الشاعر طريحاً . وكان جواره حراً رأسه .

(١) كنه (١) من أصل شعر R dolph Dvorak مع يذنب سنة ١٨٩٥ من 342 . وقد جمع فيه دفوراك شعر أنى فراس الذي رده أنه منصور . وأنى في حياء دفوراك ودرس شعره مقدمه كتابه وعدد سبع المخطوطة من ديوانه في دور كنه . وأورد كنه في درسه أنه في (من لمده ثلاث) مع أن عدد درسه في كل نسخة من ديوانه أنه في حياء . وأورد من دم المخطوطة التي نشرها (دفوراك) . لكنه أنه نقل أنوى في أنى فراس عن مخطوطة وأهل ترجمته كان أجزاء مختلفة عن ترتيبها في الطابع العربية .

(٢) تقدم أن أمشائر الحديدى ومع أسير حمل على المصطبة ومات فيها سجين .
(٣) البيعة ح ١ من ٧١ ويدكر أن حاليوه أن هذا آخر شعر قاله أبو فراس عند موته .

وعلقه بركاب أميره (١) وبقى جسد الصريع رفيق سيف الدولة ومثله في الشعر والفجر عاريا
مطروحا جزر المساع، تنوشه جوارح الطير في عرص الصحراء، حتى مر به أعرابي فاشفق على
الجسد الهامد، فنهكه بكس وأدرجه في التراب. وكان ذلك في ربيع الآخرة من سنة ٣٥٧ الموافقة
آخر شباط سنة ١٦٨ لليلاد (٢).

وبلع أمه (صبيحة) (٣) الخبر الصاعق تخفت إلى مكان ثراه وطاف بها من هول
التفجع طائف الحبية الأخيرة فبعت أصابعها إلى عينيها ففقتها (٤)، كما فعل (أوديب الملك)،

(١) تاريخ أبي تمام، طبعة المحاسبة، مصر، ج ١، ص ١٠٨، وكتاب شلمبرجه (تاريخ بيبهور دوكاس)
من 698 وقد ذكر (دوراك) في كتابه ص ١٢٠ أن فراس وأمه (أعرابي) كان شاعري
بن حذان وكان أبو مرييا الأمير (من 9)
(٢) مات أبو فراس ومهره ٣٧ عاما.

(٣) يقول شلمبرجه (من 698) من كتابه عن بيبهور دوكاس أن (صبيحة Salijjah) أم
أبي فراس كانت في قديم عهد، (أمة) ثم علا شأنها فصارت عررة عالية، وقد وجدت الدال على أن
أمه كانت تربطه من دولة وهو في القصد، ثم أمه أرسل إلى ابن عمه سيف الدولة
أرسل من القصد فبيده يمانية بها، ثم أرسله عن يدته وفي هذه القصد، فكان يذكر في أولها أنه
مضى في القصد فبيده يمانية وأنه إلى جانب من (أحواله الروم) أمر واحدا يحرق
من أعمامه العرب رأسه أمور، وأبنت الأول أورده أبو منصور الثعالبي في مجلة القصد ولم ترد
في الديوان، والبيان ما:

أفت بأرض الروم عاين لا أرى من الناس محزون ولا متعصنا
إذا خفت من (أحوال الروم) خطة تخوفت من أصامي العرب أربعا
لقد أقر لنا أبو فراس (هذا) أن أمه كانت برصعة واسكنه لم يذكر أنها كانت (أمة)
وقد رجعت إلى معاجم العربية في مادة (صبيح) ثم أحد ثم ولا في مادة (صبيح) إلا لامرأة
الورن عبد العرب، فالتفت على صبيحة (حسبا فان شلمبرجه) بأنها كانت أمه، من كانت
إحدى سايبا من البيزنطيين أو أن هذا الاسم رومي؟ ومن يدري؟ فإن بعض السايبا من الروم كن
زوجات لعمد، (وقد وجدت في كلامي على سيف الدولة) كانت له زوجة من سايبا ملك روم
وكانت أكثر سايبا حصة عنده فكان يحفظها في قصر الحصون خوفا عليها)، فأم أبي فراس إذن
بعد قوله (أحوال الروم) امرأة برصعة زوجه، أمه وكانت من السايبا، وقد روى بن حذان
في وفيات الأعيان (من لادون أو سلاو فارس سنة ١٨٣٨ ح ١ ص ١٨٨) أن ثانيا بن سايبا
الصايبي ذكر في تاريخه أن ثانيا بن سايبا كان من الدولة قبل أن يفرس في الحرب وأحد رأسه وقبت حقه
مطروحة في ليرة حتى جاء بعض الأعراب فكعبه ودفنه (كما ورد في قول شلمبرجه) لكن رواية ابن
حذان سمي أم أبي فراس (سبيبة)، يقول إن سبيبة قلمت عينيها لما بلغت وفاته، وقبل أنها
لطمت وجهها فقلعت عينيها.

(٤) كتاب شلمبرجه السابق من ٦٩٨ ٦٩٩ ولم تذكر شلمبرجه ولا غيره من كتاب التاريخ
البيزنطي أن أم أبي فراس كانت (بيزنطية) ولا ذكر ذلك أحد من العرب، لكن أبي فراس وحده
هو الذي أعانني على تفسير كلام شلمبرجه مد يديه الساقين.

وهبطت بغير وعى مينة على ترى أبي فراس ولدها الطفل الشاعر ، يملأ أذنها صمما صوته وهو
بالك مرنة في عرض الصحراء ينشد آخر بيت قاله :

زين الشباب أبو فراس لم يمتع بالشباب

• • •

ذلك حاتم البطل الثاني من آل حمدان ، مات مهدور الدم في يد أهله (١) ، وكان الشعر
أوحى إليه مثل هذا المصير حين قال عن أهله :

أراي وقوى مرقنا مدام وإن جمعنا في الأصول المناس
فأضاهمو أنضاهمو عن مسا وأقرهم في كرهت الأقارب

• • •

لقد سمر سعد الدولة ما كسبت في نفس أنه سيف لدولة (٢) كان أبوه يمنعه العقل وتعلب
عليه الشجاعة ، خنق البطل في ظلام صميره حسده لار عمه البطل وراح من الدنيا وهو لا يظهر
منه غير المودة لأبي فراس وغير الإكرام . فما جاء أنه سعد الدولة حرج من نفسه العمل يفتح
مثل ثعبان فأصاب أبا فراس فقتله .

لحنم الدهر مجد الخدائين بعد أن ملأهم عرة شعر اهراب وقبت ذكرى هذا المجد
وهاجة مانور والنار ، حادثة في أدب العرب الذي امتاز من أدب الأمم بأصدق حماسية .
وأروع بيان ، على الزمان .

(١) رحم الله أبا فراس ، لقد كان متهوراً . فلم يخرج منه من فوق حصن حرشيه على يد
آلس ، أقدم يور ليودور في ظاهر مسج ومعه سبعون فارساً غلب ، كذلك خرج في خمس لغاه
قرعويه بمعه من الكلابيين الصنف ومن يدرى لعل أن نصيب كان يعرف به شدته المحرومة من
الرأى ويعرف لار عمه سيف لدولة الرأى والشجاعة ، وراح يقول في مدح سيف لدولة : (لرأى
قل شجاعة لشعاع) .

(٢) كان سعد لدولة طامشا في سياسته ، مات به حمدان أبيه حتى حشنت له على نفسها منه
وحاش أن يكون نصيبها كصيب ناصر الدولة من أولاده فقد أسروه ووثبوا إلى الحكمة ، ولقد كانت
فيها أعفأت أبواب (مغارفين) وكانت (د ورقي) حصنها وحصن روحها قبل موته ، ولم تمنح
لابنها سعد الدولة حتى أخذت عليه يهود والوثق بصعقتها . وكانت زوجة سيف الدولة هذه امرأة
حبيبة من بواذر النساء في الأدب والحل وهي (أخت أبي فراس الحمداني) مات أبي الغلاء سميد
ابن حمدان . وأختها زوجة أبي المشر الحمداني لدى أسره اليرطون ومات في سجنهم «عطحية» .
(راجع تحارب لأبي لاس - مكتوبه ج ٢ من ٢٠٨ الصفحة المقدم ذكرها) وكتاب شعيرة
من نيسفور فوكاس من ٧١٤ قلا من Fraytag في كتابه عن الأميرة الخديجة الذي يروي فيه أن
زوجة سيف لدولة هذه كانت تبعد الرجايا بالشجاعة وكانت لا تتفاس عن أن تقود الجيش العربي
للمعاربة بعد موت زوجها مع بذل ما لها الكثير على الجنود .

مؤلفات الحماسة القديمة

(١) كتاب الحماسة للطائي

الحماسة (أي القروية Bravour) ^(١) هي لفصائد التي تتمدح بذكر الشجاعة في القتال ، والبطولة في المعارك ويرى لويس ماسينيون أنها تصم الجزء العظيم من شعر العربي القديم وكان لها المكانة الأولى في (المنتجيات) المسماة بكتب الحماسة .

وبعد مارغوسوث أبا تمام شاعر أو (ومنتخب لشعر Anthologue) ^(٢) ويذكر أن له غير كتاب الحماسة كتاب (مختار من شعر لقياتل) وكتاب (مختار من شعر الشعراء الفحول) ولا شك أن مارغوليوت قد اخص ماقاله الآمدي في الموارنة ^(٣) من أن أبا تمام كان مشغولاً مدة عمره بتحرير الشعر ودراسته والشوق فيه وأن به دينك الكتابين . على أن لا يتمام كتب أخرى من المختارات وهي كتب اتفق فيها شعر لشعراء المقلين والقدامى والمحدثين وأن بعض كتبه هذه كانت متداولة في أيدي الناس .

ومن يوم تصور فيه هذه الكتب اني بسمها الآمدي ومارغوليوت ويرى أي دوق قد استولى على أراضي في هذه الكتب ، ويعرف أين كتبها ، وهل كان يوم ذلك يعوقه صدف أو يحبس شدة . ومن يرى أين تكون اليوم فعل بعضها في رف من رفوف المكتبات العربية وكان قد عبر البحر إلى بلاد العرب مع آلاف مثله في سلاب مصممين في أحدها من دباد . وكلف جاء الأمر من أبا تمام وقد أعاد ما حتى حين بكتب الحماسة

وقد دل على منتخب رقة : في بكتبات الحماسة يدل على أن أبا تمام كان حربي النزعة أو كان يحب شعر الحب فانتقى روعه ومن كتبه مقصوراً على الجرائم حسب ، وإعناقه غير الحماسة ، المراثي والآب ونشيد والهجاء والوصف والملح ومدة النساء . وقد غاب عنه اسم الحماسة لأن العرب بها أحق ولها آوى . ولأن شجاعة العرب ومآثرهم الحماسية أبلغ سجدهم وأعرق ما فيهم من لصدات . ولعل أن تمام أحسن في مقطوعات الهوى ثورة الحب ، ووجد في أشعار الأحرار لبيب الوجد فصيح كنهه بطابع الحماسة وليس هو المتوحد بهذا الاسم في كتب العرب الحديثة (حماسة) البحتري (وسأحلبها)

(١) الملحة الإسلامية بالفرنسية المجلد ٢ من ٢٦٠

(٢) الصدرة المجلد ١ من ١١١

(٣) طبعة الخواص من ٢٣

عند الكلام على كتابه الحماسي و (حماسة) أنى هلال العسكري وحماسة الأعمى الشنفرى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ و الحماسة للعالمين الحلبيين وهما أبو عثمان سعيد وأخوه أبو بكر محمد من شعراء سيف الدولة اخذانى أمير حلب ، وحماسهما الآتية تسمى (الاشباه والنظائر) و (الحماسة لعلى بن الحسن المعروف بشميم الحلى المتوفى سنة ٦٠١ للهجرة ، و (احماسة) لان الحجاج يوسف بن محمد الأندلسى البياسى المتوفى سنة ٦٥٣ هـ ، وآخرها (الحماسة) البصرية تصدره الدين على بن أبي المرحج البصرى المتوفى سنة ٦٥٩ هـ .

أما كتاب الحماسة لآبى تمام فقد سمي باسمه . أحدهما شرح ديوان احماسة لآبى ركريا النعمانى ، تلميذ أبى العلاء المسمى ، أقدم طبعه منه الذى طبعته مدينته (س) بأمد سنة ١٨٢٨ ووقف عليها الدكتور (ولهم فريديخ (١) والثانى ديوان أشع حماسة وأقدم طبعاته طبعة الزهار ببيروت سنة ١٨٨٩ .

وقد أفرغ التبريزى فى شرحه بحماسة كما جزمه به وأدبه فهو يذكر بيت من لفظة ويشرح ألفاظه اللغوية ثم يفسر معناه ، وإذا تضمن البيت خبر (عدم) أو ذكر يوم من أيام العرب أو ألمع إلى حادث ، استطرده فترجم لذلك (المر) وقاص فى ذلك اليوم وأحاط بالحادث . وقد يقضى به القدر إلى بقدر بلاطه ، حتى ذكر بركب أو جزم به فقهه بمرئيات معنى . فإذا مرغ من كل ذلك تنص إلى بيت آخر .

وتلك طريقة عامة قد اتبعها أكثر من لا قدم من وهى حماسة من مخرج كمالى والمقارنة ، وبعدة عن الدراسة والتحليل

وقطع هذه الحماسة بين مطولات وقصائد (أو قصائد من مخرج كمالى) فمما تقدم من الرسالة حسب اقتضاء الشواهد فى شعر الحرب ووصف وفاتح وكبر هذا الشعر الحرفى جاهليا وأويا

ولم يكن أبو تمام متبعا لطريقة أبيه فى شرحه شعر حماسة وإنما كان يحكمه جمعا بين تصنيفه فقد نجى قطعة من وصف قوس أو رمح ، ثم تلوها قطعة فى طراد الخيل . ثم من بعدها ذكره فى السيوف . وتوزع المعاني شعر الحماسة من أوله إلى آخره من غير نظام أو ترتيب .

وهو لم ينبع ترتيباً رتباً فى شعر الحماسة ، فنحن نجد له قصيدة لشاعر أموى بعدها ثانية

(١) كان أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة فريديك ولهم .

لشاعر جاهلي . ومن بعد هاتين قطعة اشاعر من عصر الجاهلية لراشدين ، أو من أعماق الجاهلية .

وإذا كان شعر الحماسة متنوع الصروب . فكان على الطائي أن يجعله عروياً حسب موضوعاته أو حسب شعراء القبائل . وكان عليه ألا يجعله من ترتيب الرمن ، نادراً بالجاهلية منهياً بعصره وأيامه . فقد بحثت الحماسة الطائية فوجدت فيها من شعر العباسيين ، المحدثين أو المولدين إلا النزر القليل . وقد جاءت هذه حماسة كلها في شعر الجاهلية وصدر الإسلام وفي عصر بني أمية حتى إذا كان عصرنا استند في هذا القصور (سيد علي المرصفي) . أحد أدباء النهضة في مصر فألف كتابه أسرار الحماسة فأصداه ريب حماسة الطائي (١) فجعل أشعار الحماسة قسمين :

أولها للموضوعات الأدبية

وثانيهما لشعراء الوقائع الجاهلية والإسلامية

وقد قسم اشعر الجاهلي على الإسلامي ، والشعر الإسلامي على العباسي ، وألزم نفسه في حواشيه إتمام أكثر القصائد الطوائ التي ، كني أطرف منها بالآيات القلائل . وقد عرّضه هذا التطويل في ذكر القصد لاجروح بها عن الحماسة التي احتارها الطائي . إذ أن الطائي عمد إلى مواطن الحماسة في تلك الطوائ فأثرها بالذكر وحدها .

ولأن المرصفي وإن يكن من أهل فائحة العصر ، في طريقة شرحه وعرضه لم يزد على ما عرف عند الأدباء الأوائل من حديق عماني النصوص مع شرح للكلمات وبيان لأوجه اللغة في الفقه ، وطرائق الإعراب . لخاء كتابه لا يختلف في كثير عن شرح التبريري ، ولا يريد عليه جدة أو طرافة .

إننا لنعذر أن تمام — على الرغم من وصف الأدباء ، الأقدمين له بأنه كان في انتحاره لشعر الحماسة أشعر منه في شعره — فإنه لم يقصد إلى الانتحاب وإنما جاءه عرضاً وحمله الزمان عليه . فقد انقطعت به الطريق وهو عائد في الشتاء من خراسان بعد أن قصد مدح عبد الله بن طاهر وزير المأمون وأعانه على هذا الأمير أبو العمثيل وأبو سعيد الصريبر . فأخذاه منه ألف دينار وكان عبد الله بن طاهر يعتمد عليهما في تدبير الشعر الذي يمدحه به الشعراء . فلما عاد من خراسان يريد العراق دخل (همدان) فاعتنقه (أبو لوفاء بن سمة) أحد أدباء البلد وممراتها فأثرله وأكرمه . فأصبح ذات يوم وقد وقع نوح عطى الطريق وقطعه على السابلة ، فعم أنا تمام سقوط الثلج فقال شعراً يدم فيه اشتاء (٢) والرد تلك النواحي خارج

(١) مذكور في ثبوت المصادر في خاتمة هذه الرسالة .

(٢) حنة الأيام للديمي من ١٣٧ وأخبار أبي عامر للموسى من ٢٢٢ (الطمغان الساخنات)

عن حد الوصف كما يقول الديدى . وأمرح الثلج أما الوفاء ليزداد لروماً نصح الشاعر العظيم فقال له (١) : « وطن نفسك على المقام فإن الثلج لا يحسر إلا بعد زمان » . وأحصره خزنة كنبه فجعل أبو تمام بطالها واشتغل فيها مدة عجبته في دار أبي الوفاء فصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات . وهذه كما يروى التبريزى طوار . ثم إن الشاعر حين نكشفت الأرض وداب الثلج هم بالذهب تدركا في حرائر آل سفة (مخطوطاته) هذه وأصرف يريد بعدد فجعل آل سفة يصنون نك المخطوطات الطائفة ولا يكادون يبرزونها لأحد حتى يعيرت أحوالهم كما يروى التبريزى ، فورد عليهم همدن رجل من أهل مدينة (دينور) يعرف (بأبي نعواد) فطهر نكتات الخمسة وحمله إلى أصحاب فأقل أدماؤها عليه ورفضوا ما عداه من نكت في معناه فشرهم ثم في من يلهم (٢) .

وقد افتح أبو زكريا التبريزى ثم حة خمسة نكت في باب سماء باب حماسة ، هذا ذكر الحماسة لغة ومعنى واصطلاحاً ، وعدة قبائل عرب التي كانت في الجاهلية مشهورة بالحماسة كغريش وكنانة وحرارة وجماعة من بني عامر بن صعصعة الذين كانوا يسمون (حمساً) لتشددهم في أحوالهم . ثم مراح بين معنى الشجاعة ومعنى حماسة باقتصاص دخل منه على شرح أول الحماسيات :

لو كنت من مازن لم تسح أبى شو للمبطنة من دهل من شيبان
وكان على التبريزى أن يعرض على ورائه أشهر المعاني التي تداوحت شعر الفروسية ، وأن يعرض إلى تحليل القبائل العربية وتقسيمها ، وبيان مواطنها لسهل فهم شعرها الحماسي . وأن يفيض القوم في ذكر المعصيات التي كانت تسود على العرب من عدائية وفحطانية ، وما كان يعترى الطبقات الاجتماعية من فوارق من أمر . وشعبيين وسوقة وصعاليك . ومثل هذه كان مطلوباً من مثله لمعاصرتة أنصر عهود العرب في العصور ، ولوجوده في أعز رومن بمؤلفاتهم القديمة .

ولقد تعذره عذرتنا لغيره من مؤلفات لعصور الذين كان عزمهم جمع والإطراف لا التقير والتصنيف .

(٢) كتاب الوحشيات

كتاب الوحشيات (٣) المسمى ، حماسة مصرى هو طوائف من لشعر الجاهلي والمحصرم

(١) ، (٢) مقدمة التبريزى على شرحه لديوان حماسة من ٢ ط أورما .

(٣) مخطوط فوتوغرافى بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٩٧ أدب لم ينشر

اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي بعد اختياره كتاب الحماسة الكبرى المتقدم ذكره .
وقد جرى فيه على وجه يقارب أبواب حماسة الأولى فقسمه إلى أبواب الحماسة والمرائي
والآداب والفسيح والسميحة (فيما يتعلق بالأصناف والمدح) والصفات والسير والملح
ومدحة السباء .

وقد وجدت في أوله (١) أن أمانته (لم يروه وإعما وجد بعده مكتوباً في مسودة بخطه
مترجماً بكتاب الوحشيات) .

وقد أورد الطائي في فاتحته قطعة يستغرق القصي وحنه بأبيات لنصب ، أما باب الحماسة
فيه فهو مجموع مقطوعات وأبيات من روح الحماسة في كتابه الأول في ذكر الحرب والغروبية
وصروب الشجاعة والفخر والسياسة والكريم وشعره لا يقتصر في أسلوبه ومعانيه
عن شعر أئدادهم في الحماسة المعروفة .

أما حريقه أي تمام في كتاب الوحشيات هذا ، فلا بد من جمع الشعر دون أن يسير فيه
طريقة عليه أو في حديث أو أن تتبع ترتيباً خاصاً ، أو أن تشير إلى منسبه في ذكر القطع
والآيات التي يوردها ، وما أوردته من " فقد عن كتاب الحماسة الكبرى ونقصه المعنى
، رد على كتاب الوحشيات هذا ، وكما ما يمكن أن يصفه هذا المخطوط ، يدعى به بشر ،
في قبعه في عام أنه يصنع ثلثه خمسة عشر شعراً من كل فن ، في حسن اختيار ،
وراعه في فنون الحماسة ، وسبب مذهبه هذا في اختيار الشعر ، اصطفاؤه به كل (ذوق)
، أهل هذا المذهب لدى هذه في شعره ، شعره يصفه بضمه في أحد شعره خمسة وفنون
أدبه وسوقه في الحماسة وعدته ، سبع وسائر فنون البلاغة ، وكل هذه الأمور مردها
إلى الدقة في سلامة الاختيار ، وكيف في الأمر في ، كما كان دأبه في هذه الفن وهو
(في اختيار الشعر ، وأليف الكتب في هذا الفن وعيوبه) .

في المجموع في (٢٤٣) ، في ، سبع شعراً عن بن حمد بن أبي الجهمش البصري في
مع لأخر سنة ٦٣٧ هـ .

(٣) كتاب التكميل في شرح أبيات الحماسة (٢)

وهو كتاب لأن المنح عثمان بن جني ، ولا أريد بالتعريف علم ابن جني وسعة (موسوعيته)
وقد كلفه أن يحمل أعباء اللغة وفنون البلاغة في عصره ، وأن يبرر ديمها حتى قال عنه مترجموه

(١) ورقة ٢

(٢) مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٤ آداب (لم يفتقر)

وفيهم عرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن (١٠١٠) له أفند زجل عصره وانصرف به وقد بلغ كتابة الإنشاء لمصمّام الدولة وابنه عند الدولة .

١١٥٠ عرفت ، بن جى هذا بقدر . فست له من شروح الشعر الحماسي وإعرابه والنظر في مشكله لكل من جاء بعده من خدم حمسة في تمام وسمي ها ريدوع ، فأن أعد سالك من جى أستاذ لأبي ركر التريبي سيد معري بنوفى سنة ٥٠٢ هـ لدى شرح ريو ان احماصة الطائفة كما تقدم ، فقد سبق ان جى شريبي إلى ظهور ر . حمسة الكرى بمائة عام أو يزيد إذ كانت وفاة ابن جى سنة ٢٩٢ للهجرة .

وقد وجدت هذا المخطوط غير كامل كراى في عدة نسخ . وقد وضع فيه من جى خلاصة محمود بن الحسى في شرحه وانه من العروص . وقد سمى (الحماصة) متروفا فيه عن العامة والدخلاء والمستندين في الآداب فقال في مقدمته وهو يشير إلى أنه لغة لأحد أصحابه المتمسكين وقد أوجعت يدك الله إلى مسميتك من حسن معنى الحماصة من إعرابه وما يلحق به من اشتقاق أو صريف ، أو شروص أو قواف وتحدثت شرح حذرهما و تسمية شيء من معانيها إلا ما شغف . لإعراب فحببت ذلك ذكره من حيث كان ذلك

ثم يقول (٢) . وبعد من هذا ككسب است حمسة بنى . ورد لموصط ، وإلما أغاظ به من قد تدرب فيكم وروى نظره .

أما وصف هذا المخطوط فقد رست صحفها الأولى بحص أحدث عهده سنة ١٢١٠ هـ وسائر المخطوط عتيق على بن عهد الر . بن عمر الجعفرى في حمدي الأولى سنة ٦٠٢ للهجرة وعدد ورقه ٢٠٤ ورقه

(٤) كتاب الحماصة للبحترى

أو تدم يسوق البحتري . فالبحترى الذى تأثر سنده الصبغ في شعره وطريفته وفي فنونه وأعراسه . هو الذى تأثره في (كتاب حمسة) . وهذا بحد البحتري قد ألف كتاباً سماه (احماصة) وكان كتبه هذا أكثر تنظيماً في موضوعات احماصة من كتاب أبي تمام فالبحترى يجعل حوادث الحرب وسجاليا المحاربين وسائل لإيراد اشعر فيها . وجملة هذه الموضوعات احماصية يدور شعرها في حل المس عى امكروه ولقتك ، وفي الإصحار للأعداء وفي الألفة والامتناع ، وفي ركوب الموت خشية العار . وفي التحريض عى القتال . وقد أورد

(١) أظن كتاب الميهج في شرح المعاني لأسماء شعراء حماسة الطائفة لأبي جى طرفة العرقى بدمشق سنة ١٣٤٨ للهجرة لإصدار القدسي وبيدر (مقدمته) .
(٢) ورقة ٢

شعرا حماسيا في ديات القتلى والامتناع من الصلح وأنه إلى شعور المراد الذي يعترى الفرسان في حومات الحروب . هذه بأشعار كثيرة في ذم الفرار وفي الاعتذار منه ، والإقرار به ، وفي الفرار عن الأرجح وعلى الخيل ، ولم يحل كتابه من حركات المعوس كالحب والبغضاء ومن سجايا العرب كالكرم والوفاء والحفاظ والعقل ، فقد أثبت من هذه الخلفات والسجايا شعرا مختارا ، إلى أن حتم حماسه بماذح من شعر النساء في الرثاء .

ويمتاز كتابه بطريقته العلمية من كتاب في تمام مدى جاء مضطربا غير طريقه ، فالبحتري قسم كتابه إلى أبواب كثيرة متعاقبة التعداد أوفت على الثلاثين بابا ، وبهذا التقسيم (العلمي) مكّن المدارس حماسه أن يتبعوا معاني أشعر اخاى خلال شواهد المتنوعة ، ويروا بطورها حسب العصور والفائين وقد ورد في حماسه بعض القطع التي أوردتها أبو تمام .

على أن البحتري — على الرغم من شأنه بدوية وصره في الصحراء العربية ومحاطته بالأعراب حتى يملك رمام المصحى — يطل في حماسه ذوق حاسة الطائي ، ولا تشمر أبيانته المنتفاه بذلك الروح الحربي الذي تشمره حاسة الطائي . ومن المفروض المقبول أنه في حياته البدوية تمرس بحياة الصحراء وثقف اللعاب بالرماح والسيوف ، وتعود ركوب الخيل ، ولقى شطط العيش الذي كان لراما لتطعيمه البدوية في عصره . وقد أفاده هذا في إجادته وصف الخيل والسلاح والإبداع في تصوير المعارك وكان حافرا له ومعينا حين كان يترك العراق ودار الخلافة لزيارة أبي سعيد الثغري في أرمينيا ويقع عنده ويشهد حروبه مع الروم ثم يقفل بجوائزه الكثيرة

أما طبعه حماسية البحتري فقد صدرت بإشراف المشرق مارغوليوت الأستاذ بجامعة كسمورد بصور هو بوعرافية عن نسخة الأصل وطبعت في لندن سنة ١٩٠٩ ثم طبع امكتب "شرفي في بيروت بوفوف الآباء اليسوعيين (حماسة البحتري) نقلًا عن نسخة مارغوليوت بكونوغرافة وطبعت حماسة البحتري ثانية ، وحماسة الطائي هي الأولى . وقد قيل (كتاب الحماسة) وقع في الدهن كتب واحد لحماسة هو ، حماسه في تمام

(٥) حماسه الخالدين^(١)

وحماسة الخالدين هي ورد ذكرها في هذه الرسالة ، هي مخطوطة تحمل اسما آخر وهو (الاشباه والاضداد من أشعار المتقدمين الجاهليين والمختصرين)

(١) مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٥٨٧ آداب

وقد أردت أن أذكرها هنا بعد حماسات الطائي لأظهر الفرق العظيم بين حماسة كُتُيب
ها الديوع والطبع والشروح على ما فيها من عيب هي ، ونقص عني ، وبعد عن التاريخ
الأدبي والنقد ، وبين حماسة كتبها الخول وأن تطل في عتمة المخطوطات كتبها الأخوان
الخالديان (أبو عثمان المتوفى سنة ٣٥٠ لهجرة ، وأبو بكر المتوفى سنة ٣٨٠) . وكأنا من
أدباء البلاط عند سيف الدولة الحمداني ، وكأنا بنعسان على أن الطبيب المثنى نعمته في حلب
ويحسدانه على شعره .

كان من عادتهما أن يؤلفا الكتاب معاً ، وهذه حادثة في أدب العرب يدها آداب الأمم
الراقية ، فإن تأليف الأخوين كتاباً واحداً أمر نادر ، وقد عرف في قرعة بعضنا الحديث
أن الآخرين (جيروم وحن تارو) كانا يؤلفان الكتاب الواحد في الأدب والسياسة والنقد
وبشرانه ، وعليه اسمهما معاً . وفي أدب القديم كما ذكر ابن الفارح والمعري أن انقطر بل وان
أبي الأزهر ألفا معاً كتاباً عن المثنى

ومن عجيب هذا الكتاب الحماسي الذي ألفه الخالديان الحلبيان أنه حماسة فنية ، وذو
طريقة عليية فقد جملاء مراجاً طريقاً لنقد الشعر الحماسي وغير الحماسي مع مقارنته بأشباهه
وطائره) ، وهذا إلى ذكر المنااسبات الأدبية ولأخبار والتحقيق في الروايات ، من أمثال
طريقتهما قولها (١) :

بكره قلوبنا يا آل بكر عاديكم بمهفة القسام

ومثله قول الحسين بن الحمام المري :

نعلق هاماً من رجال أعزة عبت وهم كانوا أعق ونطبا

أحده . مصمهم فقال

قوى هم قتلوا نميم نحى فإذا رميت أصابي سهمي

وأحده حرب بن مسعر فقال

ولما دعى لم أجبه لأنني خشيت عليه وقعة من مصمم

فأخذ هذا المعنى ديك الجن فقال في جارية يحبها فقتلها :

قر أنا استخرجته من دجثة لسيت وجلوته من حدره

فقتله وله عيب كسر منه ملء الخشا وله نهدود أمره

ثم ذكر المؤلف كيف أحد معي أبو عامر ولججري ، فلما ذكر قول ليحجري :

يا ليحجري وما قد عبت دموعها تذكرت أقرنى بمصامت دموعها

قالا بعد ذلك :

« وبيت البحرى أطرف وأسع من بيت المهمل إلا أنه هو الذى أرشده إلى
المعنى ودل عليه » .

من هذه التماذج التى أوردتها بغير أن الخليلين أورد بيتاً محاسباً للمهمل ثم كرا بعده
بأبيات لشعراء ، وقد رعا أن هؤلاء الشعراء أحدوا المعنى الأول واحداً عن الآخر . وهذا
رغم بكثر عند الأول من نقد الأدب العربى الذين لا تطلب نفوسهم إلى حسن الظن
والقول (تنوير الخواطر) وتوافع المعاني ، وتوافق النعاج

وقد يورد بيتاً من صورته بطريقى نقد العلم من ومقارنة كقولهم (١)
« وقد ذكر ، بعض قصده عندى الخساحس أنى سمهاها بعض الديقح الخسروانى .
ونكلمنا على بعض ما أحد من غيره ، وأحد منه من جاء بعده ، وقصده لخصه نقشبى
عند أطرف كلاماً منهم وسمع . . . وجه . . . ونحن نختار منه ما يستلجم ،
وإذا جئنا بحدود حشمتها هذه (٢) . . . الكلام . . . طريقتهما فى التأليف قد ذكر تو صغ
أهمها لم يكن فى سوى جمع رشت ليه ثم عرض قصصهما على من مله يأتى بعدهما (فيرذل
شبتاً بما . . . وجه شعر هؤلاء) فيقولان .

« وهذا غير رشت ولا ناقص لنا ، لأن لكل إنسان اختياره » . فواد عجى حين
انتهى من رشت هذه عصوصه شتتة فى حشمت فيم (جزء شعر) ووجدت فيها روح
صاحبها تنب ناصحة فى كل صفحة منها ، ورحلت أروعها فى نشر هذا المكتب حدمه
للأدب العربى برجيح فى آراء بعده وطريقه تأليفه وحسن عرضه ، مما يجعل قدمه بجدة ،
وقيمة دحرأ فهو كتب فى (أدب الخناسه) لاقى (تماذج من شعر الخناسى) كاتى أوردتها
أبو تمام و بهجوى ، ومن جرى على غرارهما فى حسن اختيار شعر .

(١) ورقة ٨٦ من المخطوطة

(٢) جاءت فى ٢١٥ ورقة

خاتمة

حين سمر عمرو بن العاص بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وبين قائد من قواد الروم ،
قال له أحد الشاميين من بطانة القائد ، وهو بهم بالخروج :
— أحسنت يا عمرو الدخول فأحسن الخروج .
فاتخذ عمرو أهبة لنفسه وخرج .

وليت شعري هل أحسنت الدخول إلى موضوعي فأحسن الخروج ؟
وكيف اتفق الأمر ، فإن كنت الأدب المتداولة بأساليب العلم لابد لها من فوائدها
وخوائيمها ، وهأبداً أحتم رسالتى ببحث الأمور الآتية

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| (١) تلخيص أطوار الشعر الحربى | (٢) العرف بينهما فنياً وعائياً |
| (٣) ميزات عامة لشعر الحرب | (٤) مقترحات لاستمرار الدراسة |
| (٥) فكرة عامة من الأدب المقارن | (٦) ملحمة لسان الدين بن الخطيب |
| | والمعراج النبوى ونظم السيرة شعراً |

• • •

لقد صدق ، إيبوليت نين ، من نقاد الأدب العربى المحدثين حين رد الأدب إلى طواهر
التطور الطبيعى . فقال إن الأدب وكل آثار الفن والعقل كالحیوان والنبات يولد ونمو
فتعيش وتنحدر أو تتقاعس وتموت . إنه أحصع الأدب والفن إلى مذهب التطور . ويحمل
في أن أحد برأيه في شعر الحرب وإحسانة العربية . فإن شعر الحرب عند العرب قد مر بأدوار
التطور الطبيعى ، ولم يشهد فى الأدب أو ينتمى على مقاييس العلم . فقد بدأ فى جاهليته مادجاً
حياة قائله . وقد كانت حياة الجاهلية منسطة الآفاق . على نمط واحد . شعر الحرب فيها
مماثلها . إنه فيها أندا أشودة حماسية بالفرح والبأس . وبالغرة والبطولة والعروسية ،
ممزوج ذلك بالكرم والسباحة والحفاظ على العرس والنعاني في المروءات ، هذا من حيث
المعاني التي كانت في الحماسة الجاهلية . وأما من حيث المبادئ فكل ما شئت من جرالة وحوك حر
مع إرسال للأسلوب على سجيته بغير تكلف أو تصنع إلا ما صدر عن لشعراء الناحيتين
أمثال زهير .

وقد تلقف شعراء إحسانة الأموية هذا الشعر الجاهلي من أهليه فساروا على عراهم فيه
ولسحوا مثل أرائده . إذ كانت طوائف العصر الأموى عربية محضة . وقد بصعب على دارسى

الأدب أن يقفوا على تباين واضح الخطوط بين الشعر الجاهلي والإسلامي في الصور الأولى في الديباجة والحبك

أما المعاني فقد بدا فيها تطور طاهر إذ تحسبت بأردية معاصرة ، وشاع فيها جانب من معاني القرآن الكريم والحديث الشريف وذكر الجنة والنار والثواب والعقاب وما إلى ذلك من المعاني الإسلامية ، وظهر هذا التطور بوضوح في حسانة الهجاءين وسد التطور طهراً ، المعنى والمبنى في العصر العباسي ، فكان لنجاح الشعراء بين العرب والمعجم أثر في دقة المعاني وروعة الأحياء أما أسباب القول فظلت متمسكة بأموتها حتى كان أبو تمام يجمع عليها بلاوين فنونه في صناعته المفضضة والديمية ، وبسط مسطبان منه الصنائع على كل شعر بعده ، ولما جاء أبو الضب المتنبى لمع بالحاسة العربية ذروتها .

وبدا صرح وصف هذا التطور بأدوار فيكون شعر الحرب في العصر الجاهلي ، في طور المولد والبداءة ، وفي العصر الأموي في طول النمر والنحضر ، وفي العصر العباسي في طور التكامل ، حتى إذا دمرت الحروب الصليبية انحدر شعر الحرب إلى درك التناقض على الرغم من وفرة الأسباب المفضية ، لأن شعراء العرب في عهد هذه الحروب كانوا في دور ضعف وانحدال في اللفظ والأسلوب ، وكان أغلبهم صاحب ركة في القول وصناعته تصح بالكلفة . وحين انطفأت نار الحروب الصليبية بعد نور الدين وصلاح الدين حدد كل وفد في الشعر الحربي عند العرب إلى اليوم غير صفحات في شعر البارودي ومن بعده في شعر شوقي ، فكان هذا لتطور المعاصر عهد أبعث بعد العناء .

أما المروق بين هذه الأطوار فقد تلوح فنية ونوح غائبة ، في قلبا من شعر الحامسة قبل لوجه الفن وحده . وكثيرا منه قبل لعابة من غابات الفجر أو السياسة أو منازع الحزبية . وقد أسكرت على شعر الحرب عند العرب أمور تتعلق ببواعثه ، ثم رأيتني مضطرا أن أعظم هذا الشعر الذي جاء معرا عن حلجات العصر العربية القديمة التي ما عرفت إلا الشجاعة والعناء ، والجود في سبيل الملاء . وقد يكون فرق آخر بين فنية هذه الأطوار وبين غائتها ، فنجد الشعر الحماسي في كل أدواره وأطواره يبرز لنا منه في شكل (نغم مسجع) وتمثل لنا غايته في صورة (عز مسلح) ، فإن أولئك الشعراء جميعا كانوا يصوغون شعر الحماسة من العفر . وكانت غايتهم جميعا في ذلك تخليد القوم والاعتزاز بالقوة .

وأما المبرات العامة التي يتميز بها شعر الحرب من سائر فنون الشعر العربي فهي كما أجدناها (١) متانة الديباجة وقوة التعبير ، وخامة اللفظ ، لأن ذلك مقتضى لمعاني الحماسية .

(ب) ذكر السلاح ووصف مصانه والبراعة في مقارعة .

(ج) الإشادة بمروسة البطل ، أو ، إشادة البطل نفسه بمروسته وشجاعته إن كان من الشعراء .

(د) أغلب قصائد الحماسة وأروع شعر العربي وله شعراء محاربون .

(هـ) التشابه في روايته وطوره ، بخلاف سائر الفنون الشعرية . فقد نجد هوارق كبرى بين قصائد المدح ، وهوارق بين قصائد الوصف ، ولكن لا نجد كبير فرق بين قصائد شعر الحرب والحماسة من حيث المنعم لعام ندى بسما ، لأنه يقوم على ذكر للأس والنجدة والمعر بالسلاح والكرام .

(و) شعر الحماسة لون فافع من ألوان المعر هو عربنا أبه قصيده حماسية من المعر لم يبق منها في أيدينا غير قطعة السلاح وحميات الخيل .

وإذ كان على في هذه الرسالة الجامعة هو تجربة أولى لدراسة شعر الحرب في أدب العرب وفي أرجو - كما ذكرت في المقدمة - أن أوفق بعدها إلى التوفر على أدب الحماسة العربية ، والكتابة عن عصر صلاح الدين ولصليبيين . ونعني تحبش هذا الأمل . كما أنني على علماء الأدب العربي أن يعنوا بدراسة هذا الوجه الحرفي في شعر العرب . إذ كان الصق الأشعارهم وألقاها بحميتهم في كل أعصرهم ، في ساح بداواتهم ، وميادين حصاراتهم ، لعل يوم أعمر محلا يكون فيه للعربية ملحمة جديدة تجمع بين محمدا التاد وعمرها لطارف ، فتكمل بذلك ثمرات الشعر الحماسي في أدبنا الحديث . وما رفيت آداب الأمم في قديمها وحديثها إلا برق شعر الحماسة . هذه يونان لولا الإلياذة والأوديسة لما كان لها هذا الصوت الصارح في أدب العالم منذ عتيق الدهر إلى اليوم . ولأنه ليحس من دراسي الحماسة العربية أن يجعلوا الأدب المقارن ديدما لهم ، فإن تمازج الثقافات هو لقاح الأدب الحديث . فكم بين أشعار هوميروس وشعر الحماسة العربية من أسباب التشابه في روعة المعاني وببل المقاصد تصلح أن تكون بحثاً رائعاً في الأدب المقارن . وقد وجدنا الأمة العربية في قديمها وحديثها محتفية لشعر حربها حادة على حماسها ، تجعل ذلك كنفاً لها في المبات . وملجأ في الهصات وما أجمل يومما يظل أمة العرب وهي تحت كل نجم مشدودة الأواصر بشعرها حماسي تمتاح منه قواها . ونقبس علاها ، وتشيع منه في أنفس بنينا وسانتها وقدرات البطولة ، ونعت فيهم المروءة والنجدة على الأجيال الصاعدة .

وأما إنهاء الكلام على الملحمة لعربية بعد معاناة بحثها طوال هذه الرسالة ونقصي فنونها موضوعها عند الترجمة والعرب . فأقول فيه إن العرب وإن تأخروا في نظم الملحمة إلى اليوم

وكان مقدور بعضهم أن يبرع فيها ولكن شعلته شواء عن كما اتفق لمسلم بن الوليد التي شغلته
الحسان عن حلقات لغزها وصرعته العوائق بالآعين النجلى . فمات شاعر العرب
أن يحاولوا معسرة الملحمة وأن يجربوا نظمها . كما فعل لسان الدين بن الخطيب في
ملحمته الكبيرة وابن عبد ربه . عني أنا — إذا وسعنا معنى الملحمة إلى عالم الدين وعلوما
بها عن محسوساتنا الدنيوية — وجدنا ملحمة رائعة في آثار العربية وهي قصة المعراج .
ولولا ما فيها من أحيلة لواعين ، لجاءت من أروع الملاحم العربية الدينية . وكذلك فإن
بين مؤلفي السيرة النبوية من حاول نظمها . ولكن كل ذلك لم ينجح . كاملا وكان في طي
المحاولات ، والأمل منعقد بشعراء بطلهم زماننا ، أو بعده سينظمون ملحمة العرب الكبرى
وفق ما الأسى وطريقتها القويمة . على غرار ما حدث به كبريات الملاحم الشعرية التي
مقيت سجل الفخر لآلها على الزمان .

ملحق

صنف القدامى كتباً في (احماسة) ، ولم يصنفوا كتباً في (شعر الحرب) فقد أثر عنهم حماسات كثيرة ، اهتم لم يجمعوا بحثاً ، ولم ينسقوه وفق التيارات الأدبية التي جرى فيها فكون عملهم فنياً فقد كانوا يحبون الأفراد ومطعم في هذا الصرب الذي ألغوا فيه ، فجمعوا شعر الحماسة من كل نوع منفرداً ، فحذفه عن بعض ، منقطع الصلة عن قبله وما بعده ، وكان نظامهم فيه نظام (المجاميع) .

ولم يلاحظ الفرق بين معنى شعر الحرب ومعنى شعر احماسة ، فشعر الحرب حماسي بالطبع وليس كل شعر حماسي شعر حرب ، لأن الحماسة — كما ذكرت في المقدمة — لها عند العرب المؤلفين كأبي تمام والخالديين وغيرهما معنى أعني وأشمل من الحرب ومقتضاها من سلاح وحيل وبأس وشجاعة .

فقد زاد هؤلاء على شعر الحرب في معاني احماسة شعر الفخر والعرل وما قبل في القصائل والمرايا وأخذ هذا الضمور أكثر مصني الأدب وما حنوه الأقدمون ، وليس هذا بصائر حماسة العرب فان كربات الملاحم وأروعها حماسة أشدت في أياتها حصفات النود ، ورمازم الجيوش وصلصلات السلاح إلى جانب هات الأبطال العاشقين ولواعج الهوى ربات الخيال . كذلك كانت مهمة لباحث الحديث في شعر الفروسية وقصائد احماسة مهمة شاقة في أدب العرب تجعله ينظر إلى المؤلفين الفريرين بعين حسيرة ، وقد وفق في مؤلفاتهم عن فروسية القرون الوسطى ، فصوروا وأسهبوا في وصف أولئك لشجعان الذين لازموا ظهور الخيل ، عليهم الحديد ، تغوص رؤوسهم في المغافر ، وتتحرك أجسامهم بصمحات الدروع ، رماحهم طوال وسيوفهم عراض ، وبما لهم مربوطة بنسوع تلف على الساق

فيود الباحث العربي لو يغمس البراع في مداد تاريخ العرب فمكتب سطوراً من امر يصور فيها أبطال الجاهلية وفرسان الإسلام ، على رؤوسهم الكوفيات الملونة ، ولعقل السود أو العمام البيضاء ، تلف صدورهم دروع منسوجة من السلال حفاف لا يتقلهم حديد ، يحولون كالنسور ، رماحهم العوالي دوات السكوب ، وسيوفهم الرقاق المعوجات . وهم رفيف في وجه العدى كحيوت الريح ، أشعار احماسة لسان حالهم وأفصح مقالهم ، أعربوا فيها عن معاني طويلة كأنها أسطورية . كان قوامها اشرف والحمية والتجدة ، ورعاية الذمام .

وأما أبدأ كما قرأت على حدم (أشيب) أدب هو ميروس ، أسمع في ليالى طروادة
نحوى البطل (ميكتور) لزوجته (اندروماك) وعلى رأسها الخيل الناح لوهاج الذى أهده
إليها (أفروديت) .

وكذلك ترى كما قرأت على سنن امل (قطر) راجاء (أدب الخوارج) فإني أبدأ
أسمع بحواه لزوجته (أم حكيم) تحت لبن امرق و حسن في محلات البيت الحاد لتي شعلها
أبو الطيب المتني في شعره الحرق محب روحه ، وسنت هواه . وهو يهوى إلى (حولة) أحت
سيف الدولة) مشدا شعره عند فمه حب أو ماضيا على جواده في مادية الشام



المراجع والمصادر الأدبية

مرتبة على حروف الهجاء أسماء المصنفات

أخبار أبي تمام لصولي طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ واه لصولي (٣٣٥)
أدب الكاتب لاس قتيبة المدغوري طبعة الحاجي سنة ١٣٢٢ هـ واه اس قتيبة (٢٧٦)
أسرار حماسة لسيد علي المرصفي طبعة الأولى بمصر سنة ١٩١٢ عصر المرصفي (الحماسة الحديثة)
الإعجاز والإيجاز لأبي منصور الثعالبي طبعة المعمورة بمصر سنة ١٨٩٧ واه الثعالبي (٤٢٩)
الأعاني للأصفهاني طبع مطبعة النعمان بمصر سنة ١٣٢٣ صحيح الشيخ الشافعي واه
الأصفهاني (٣٥٠)

الأعاني صمغ دار الكتب المصرية حتى الجزء الحادي عشر سنة ١٩٣٨
الباذلة هوميروس مترجمة عن سليمان السدي طبعة اهلال بمصر سنة ١٩٠٤
(عصر هوميروس القرن التاسع ق م) (عصر هيتاى اسمه الحديثة)
تمه يتيمة لدمر للثعالبي ط طهران سنة ١٣٥٣ هـ ح ١
الكلمة لشعر الأحصص عن نسخة من ان الخطبة وتعليق الأب ص ح حى السوي طبع بيروت
سنة ١٩٣٨ وفاة الأخطل سنة (٩٠)

جمهرة اشعر لم ب لوى ريد مرشى طبعة الرحمة بمصر سنة ١٩٢٣ (وهو نشر سنة ١٧٠)
حلية القردان وشعار الشجعان لعلى بن محمد بن الأندلسي تصحيح لويس ميرسيه صمغ باريس
سنة ١٩٢٢ (عدد الكتب اعلم في مكتبة جامعة مؤاد الأول رقم ١٣٥٤ وهبة الأوبركال)
(عصر ابن هذيل الأندلسي القرن الثامن للهجرة)

حماسة الجذري طبع المكتبة الشرقى بيروت بوقوف آداب لويس شيخو السوي صمغ
الطبعة الفوتوغرافية التي أخرجها مارغوليث

حرارة الأدب للبعدي طبع بولاق بمصر سنة ١٢٩٩ هـ (وفاة البعدي ١٠٩٣ هـ)
ديوان ابن الرومي الجزء الأول طبع اهلال بمصر سنة ١٩١٧ والجزء الثاني طبع مطبعة مصر
نشر محمد شريف سيم (وفاة ابن الرومي سنة ٢٨٢)

ديوان ابن المعتز طبع المحروسة بمصر سنة ١٨٩١ (وفاة ابن المعتز سنة ٣١٥ هـ)
ديوان أبي تمام الطبعة الوهية بمصر سنة ١٢٩٢ هـ (وفاة أبي تمام ٢٣١) ٨٤٦٠

- ديوان أبي تمام طبع بيروت لشاهين عطية سنة ١٨٨٩
- ديوان أبي الطيب المتنبي صبط المعز بطرس السنافي طبع بيروت سنة ١٨٦٠ (وفاة المتنبي سنة ٢٥٤)
- ديوان أبي الطيب المتنبي تصحيح الدكتور عبد الوهاب عزام طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٤٤
- ديوان أبي فراس الحمداني طبع بيروت سنة ١٩١٠ وفاة أبي فراس سنة ٣٥٧)
- ديوان البحترى طبع الجوانب القسطنطينية سنة ١٣٠٠ هـ (وفاة البحترى ٢٨٤)
- ديوان البحترى طبع هندية بمصر سنة ١٩١١
- ديوان جرير الطبعة العلمية بمصر سنة ١٣١٣ هـ (وفاة جرير ١١١ هـ)
- ديوان لأحطل رر به أبي عبد الله البريدى طبع بيروت سنة ١٨٩١ لأب صالحان اليسوعى (وفاة لأحطل سنة ٩٠ هـ)
- ديوان أشعار الحماسة للطائي طبعة الزهار ببيروت سنة ١٨٨٩
- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات شرح المحسن السكرى للدكتور Rhodokanakis
- طبع فينا سنة ١٩٠٢ وفاة ابن قيس الرقيات (٨٥) وفاة شارحه (٢٧٥)
- ديوان عترة بن شداد المعنى طبع هندية بمصر سنة ١٣١٥ هـ . وفاة عترة (٦١٥ م)
- ديوان الطرماح بشر وعلق كرامكو طبع لندن سنة ١٩٢٧ وفاة الطرماح (٨٠)
- ديوان المرردق إملأ ابن حبيب عن ابن الأعرابي نقل عن نسخة المخطوطة بأياصوفيا في القسطنطينية مع ترجمة فرنسية للسيد (ر . بوشيه) طبع باريس سنة ١٨٧٠ (نسخة مدار الكتب المصرية في أربعة أجزاء رقم ٣٠٩٠ اداب . وفاة المرردق (١١٠)
- ديوان الفطامي إحراح بارث Barth طبع لندن سنة ١٩٠٢ وفاة الفطامي (١٠١)
- ديوان مسلم بن الوليد طبع لندن سنة ١٨٧٥ وفاة مسلم بن الوليد (٢٠٨)
- رسالة العفراء لأبي العلاء المعرى طبعة الكيلاني سنن ١٩٢٣ و ١٩٢٥ . ورسالة ابن لقارح مع هذه الطبعة ، وفاة أبي العلاء (٤٤٩)
- رغبة الآمل من كتاب الكامل لسيد علي المرصى طبعة النهضة بمصر سنة ١٩٢٧
- الشاهنامه الفردوسي — رسالة دكتوراه للدكتور عبد الوهاب عزام طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر طبعة الأولى سنة ١٩٣٢ . عصر الفردوسي (٤١١ هـ)
- شرح ديوان الحماسة للطائي لأبي زكريا التبريزي الطبعة الأولى للدكتور فرايتع سنة ١٨٢٨ وفاة التبريزي (٥٠٢)

شرح ديوان حماسة البحرى طبع ليدن سنة ١٩٠٩ صفحات ١٠٩ توغرافية بوقوف مارغوليوث
(وفاة البحرى ٨٩٦)

شرح القصائد العشر لآلى زكريا التبريزى طبع كلكتة سنة ١٨٩٤ .

شرح ديوان كثير عزة لهنرى بيريس طبع باريس سنة ١٩٢٨ (وده كثير عزة (١٠٥)

الشعر والشعراء لاس قنبة الديثورى طبع الخبى سنة ١٣٢٢ هـ

شعراء النصرانية فى دولة بن أمية لآب لويس شيخو اليسوعى طبع بيروت سنة ١٩٢٥

(عصر آب شيخو النهضة الأخيرة)

طبقات الشعراء لاس سلام الحمى وقوف Heli طبع بسنة ١٩١٦ (وفاة ابن سلام ٢٣٢)

العقد الثمى فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين وقوف w ahlwardt

العقد الفريد لابن عبد ربه طبع سنة ١٣٥٢ بمصر الجزء الثالث (كتاب رفاع العرب وادبها)

العقد الفريد لابن عبد ربه طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر سنة ١٩٤٠

وفاة ابن عبد ربه (٤٢٦) هـ

الجزء الاول (كتاب الفريدة فى الحروب)

عيون الاحبار لابن قتيبة طبع دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٥

الجزء الاول (كتاب الحرب)

الفرق بين الفريقى لآلى منصور البغدادى طبع دارى بمصر عن نسخة ١٣٢٨

وفاة آلى منصور البغدادى (٤٢٩)

المصل فى الملل والاهواء لاس حرم وبن مشه المن والنحل لشهرستانى

الطبعة الادبية بمصر سنة ١٣٢٠ هـ (وفاة ابن حزم ٤٥٦) (وفاة شهرستانى ٥٤٨)

لكامل لبريد تصحيح محمد الاسيوطى طبع مصر سنة ١٣٠٩ هـ وده المرد (٢٨٥)

المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر لضياء الدين الموصلى طبع بولاق سنة ١٢٨٢ هـ

وفاة ضياء الدين الموصلى سنة (٦٣٧)

المبهم فى تفسير أسماء شعراء الخماسة لآلى الفصح بن جنى طبع دمشق البرق سنة ١٣٤٨

وفاة ابن جنى (٣٩٢)

مخطوط ديوان آلى فراس احمد دار الكتب المصرية رقم ١٨٣٢ حصوصى ادب

نسخة بخط محمد بن احمد الخياط الشافى (غير معروفة السنة)

مخطوط الصبح المنبى عن حثية المنبى للشيخ يوسف البديعى

مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٣٣ ادب . نسخة كتبت سنة ١٢٦٤ هـ (وفاة البديعى ١٠٧٣)

تاريخ حميس في أحوال أنصس حميس حسين بن عمر الديار بكرى طبعة لوجيبية بمصر سنة ١٢٨٣ هـ ، ت الديار بكرى (٩٦٦) .

تاريخ الأمم والملوك لاس جرير الطبرى طبعة الأولى الحسينية بمصر ، ت الطبرى $\frac{21}{921}$
تاريخ الأمم والملوك لاس جرير مصرى طبعة الأولى لبيس أعوام (١٨٧٩ = ١٩٠١)
تاريخ مختصر رسول له يعقوب بن هرون المنطى المعروف بالمرى وقوف الآب
صالحى اليسوعى طبع بيروت سنة ١٨٩٠ ت ٤ يعقوب بن (١٢٨٦)

تجارب الأمم لأحمد بن مكويه الجرجاني طبع شركة الهندسة بمصر سنة ١٩١٥
بوقوف أميدوز Amedroz ونشر لندن سنة ١٩٢١ ت ابن مسكويه $\frac{21}{110}$
الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى لآدم ميتز ، ترجمه الدكتور أ. ريدى طبع لجه
التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٤٠

الخطط بمصرى ت طبعة مطبعة المس بمصر سنة ١٢٢٤ هـ ج ١ ت مقارى $\frac{4}{141}$
الدر المنجاب في تاريخ حب محمد بن شحنة الخليل وقوف لاس مركيس المشيخ طبع
بيروت سنة ١٩٠٩ ت ابن شحنة $\frac{41}{42}$

السيرة النبوية رواية ابن هشام طبع هذه بمصر سنة ١٢٢٩ هـ ت ابن هشام (٢١٨)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لاس م. م. الحنبلى طبع بمصر سنة ١٣٥٠
ت الحنبلى (١٠٨٩ هـ)

صلة تاريخ القديس بطرس صبح بسعة الحسينية بمصر سنة ١٣٥٨ ت عرب (١٣٦٦)
أجرام من أصيقت لاس م. م. طبع هذه بمصر سنة ١٣٥٨
ت ابن سعد $\frac{23}{845}$

فتوح لسان لأحمد بن يحيى الأندلسى طبعه الأولى بمصر سنة ١٩٠١ ت الأندلسى (٢٧٩)
فتوح الشام للواقدي بتعبئة ت. م. د. سويدى ، تسمى صبح تلكة سنة ١٨٥٤
ت ، الواقدي (٢٠٧)

الكامل في التاريخ لاس لأثير طبعة الأثرية بمصر سنة ١٣٠١ هـ ، ت ابن لأثير $\frac{12}{1231}$
مختصر تاريخ العرب واتحد الإسلامى س. م. م. طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر
بمصر سنة ١٩٣٨

المختصر في تاريخ لاس لهداء انقيد طبعة الأولى الحسينية بمصر ، ت أبو الهداء $\frac{732}{1331}$
مروج الذهب ومعادن الجوهر لاس الحسن المسعودى طبع دارالترجمة بمصر ، ت المسعودى $\frac{310}{956}$
معجم ما استعجم للحافظ البكرى طبعة الأثرية سنة ١٨٧٧ ت البكرى $\frac{87}{694}$
مقدمة ابن خلدون الطبعة الأدبية بيروت سنة ١٨٨٦ ت ابن خلدون $\frac{1}{1406}$

النجوم الزاهرة لأبي المحاسن الأتاتكي طبع دار الكتب المصرية ح ٢ ، ت أبو المحاسن ^{٨٧٤}/_{١٤٦٩}

المصادر التاريخية الجغرافية

اتبه والإشراف سمرودي صبع بيد سنة ١٨٩٢ بوقوف de goeje
مسالك الممالك لأبي إسحق الاصطخرى اسك حى صبع بيد سنة ١٨٧٠ شره de goeje
ت الاصطخرى ^{٢٤٠}/_{٩٥١}
المسالك والممالك لأبي القاسم بن حمدادة طبع بيد سنة ١٨٨٩ شره de goeje
ت ابن حمدادة (٣٠٠)

المصادر الفرنجية

تأليف Rodolph Dvorak (فيه نص ثعدي مع شرح دهوراك ومقدمته) Abou Firās
طبع ليدن سنة ١٨٩٥ .

Arabic Lists of the Byzantine themes.

تأليف F. W. Brooks طبع صحيفة الدراسات الهيبينية 1901

Byzance et les Arabes, par Alexandre Vasiliev

(820 - 867) الأسرة العمورية

الترجمة الفرنسية عن الروسية طبع معهد التاريخ اشرقي في روكسل سنة ١٩٣٥

Histoire de l'Empire Byzantine par A. Vasiliev

طبع بيكار بباريس سنة ١٩٣٢ (الترجمة الفرنسية) tome I (324 - 1081)

Histoire de la nation Egyptienne par Gabriel Hanotaux et Gaston Wiet

طبع بلون بباريس سنة ١٩٢٧ Tome IV

La Civilisation Byzantine, par Stevan Runciman

الترجمة الفرنسية عن الانكليزية طبع يابو بباريس سنة ١٩٣٤

L'Epopée Byzantine a la fin du dixieme siècle

طبع هاشيت بباريس سنة ١٨٩٦ par Gustave Schlumberger tome (I)

طبع مكتبة هابيه بباريس ترجمة (جوركان) L'Illiade d'Homère

طبع مكتبة هانيه بباريس ترجمة (جوركان) L'Odysée d'Homère

Mulanabbi und Seifuddaula : Dieterici

طبع ليدن سنة ١٨٧٤ (فيه نص الثعالي مع تعليق ديفتيريسي ومقدمته وتحليله)

Pages choisis des Grands écrivains (Homere) par Maurice Croiset

طبع مكتبة أرمان كولان بباريس سنة ١٩٢٣ الطبعة السابعة

Patrologia Orientalis, Fascicule 3, tome VIII

كتاب (العنوان) لأعايوس المنجي في هذه المجلة شر فاسيلييف طبع بباريس سنة ١٩٠٨

وفي هذه المجلة II tome XV Patrologia Orientalis

التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ليحيى بن سعيد الاطباكي شر فاسيلييف

وكراتشكوفسكي طبع بباريس سنة ١٩٢٤ - وبديل الصفحات ترجمتها للنص العربي

"Histoire de Jean l'Antiochitain"

بالفرنسية :

Un Empereur Byzantin au Dixième siècle "Nicephor Phocas"

طبع باريس سنة ١٨٩٠ Par Gustave Schlumberger

Un Poete arabe du IVe siècle de l'Hejira (Xe siècle de J. c.)

About-tayyib al Motanabbi 'essai d'histoire littéraire'

إصدار مكتبة أمريكا والشرق باريس سنة ١٩٣٥ Par. R. Blachère

Sayf al Daula . Recueil de textes relatif à l'Emir Sayfal Daula le Hamdanide, par Marius Canard.

طبعة جول كاتوين مخرائر سنة ١٩٣٤

"al Mutanabbi" recueil publié à l'occasion de son millénaire

طبع بيروت سنة ١٩٣٦

المخطوطات الحماسية

(١) كتاب الوحشيات وهو الحماسة الصغرى احبار أبي تمام الطائي مخطوط فوتوغرافى
بدار الكتب المصرية عن نسخة خطية محفوظة فى الأستانة (رقه فى دار الكتب المصرية
٢٢٩٧ آداب) .

(٢) التنبية فى شرح مشكل أبيات الحماسة لأبى الفتح عثمان بن جنى مخطوط بخط عتيق
عهد سنة ٦٨٣ هجرية ، محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ٤٤ آداب .
(٣) حماسة الخالدين ، وهو كتاب الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين مخطوط بخط
عادى محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ٥٨٧ آداب .

(٤) شرح ديوان الحماسة الصائبة للإمام أبى الحسن عيسى بن محمد بن الحارث البيارى
صاحب أبى سعيد البيراقى من عمدة القرن الرابع الهجرى . نسخة مأخوذة بالفوتوغراف
محمولة بدار الكتب المصرية رقم ٧٤٠٩ آداب الجزء الأول وحده . ٣٧١ ورقة .



الفهرس

صفحة

٨	الامهراء
ز	مقدم الدكتور عبد الوهاب عزاصم بك
١	فاتحة الكتاب

نمبر

الملاحم والقصص الحربى

٥	(١) الملاحم فى آداب الامم القديمة والحديثة
١٤	(٢) الشعر الحربى والشعر القصصى
١٤	(٣) الملحمة فى الأدب العربى
٢٠	(٤) العرب أمة حرب

الباب الأول

شعر الحرب فى العصر الأموى

نمبر

٣٦	(١) الحياة الأموية الجديدة وشعر الحرب
٣٦	(٢) الحماسة الأموية بين الحرب والسياسة
٤٨	الفصل الأول : شعر الحرب عند الخوارج
٦٢	الفصل الثانى : شعر الحرب فى أدب الشيعة
٧٤	الفصل الثالث : شعر الحرب فى أدب الزبيريين
٨٢	الفصل الرابع : شعر الحرب فى ظل الأمويين
٨٣	كعب الأشقرى ، شاعر الحروب الأموية

صعدة	الأعشون الثلاثة
٨٧	(١) أعشى بن تغلب
٨٧	(٢) أعشى ربيعة
٨٨	(٣) أعشى همدان
٩٠	المصّل الخامس : الفروسية القبلية
	المصّل السادس : شعر الحرب عند الهجائين
٩٣	(١) حاسة الأخطل
٩٧	(٢) فروسية المرادق
١٠٠	(٣) بطولة جرير
١٠٤	(٤) حصائص شعر الحرب عند الهجائين
	المصّل السابع : شعر الحرب الخارجية زمن بني أمية
١٠٦	(١) شعر الحرب وراء خراسان
١٠٩	(٢) الشعر في حرب الروم
	ذيل
١١٤	الشعر الحزني والرجز
	خاتمة
١١٦	الخصائص العامة لشعر الحرب لأموي

الباب الثاني

شعر الحرب في العصر العباسي الأول

	المصّل الأول : تطور شعر في العصر العباسي الأول
١٢٠	(١) تحضر الدولة
١٢١	(٢) تطور الشعر وتجدده
١٢٢	(٣) هل طرأ على الحماسة التغيير
١٢٣	١ - وفوف امتوح حين ، وفوف البطولة حيناً آخر

١٢٣	ب — القواد الأعاجم
١٢٤	ج — الشعراء الأعاجم
١٢٤	د — تأثير الفارسية في الخيال العربي وأثر ذلك في شعر الحرب
١٣١	٤ (نطاق شعر الحرب في هذا العصر
١٣١	٥ (نماذج من شعر الحرب في العصر العباسي
	الفصل الثاني : شعر الحرب الداخلية
١٢٨	١ (سيوف الغرامطة
١٤١	٢ (علوى البصرة وتصوير الروى لمدمحه الروح
	الفصل الثالث : شعر الحرب الخارجية في الشرق والغرب
١٤٦	١ (فتح مكة الحزمى
١٥٠	٢ (حلود الطوسى
١٥٣	٣ (فتح عمورية
١٦١	٤ (أسد الثعور
١٧٢	٥ (روصات البحرى
١٧٩	٦ (حمة أسد الثعور
	الفصل الرابع : الحرب البحرية
١٨٢	١ (الحرب البحرية عند العرب
١٨٩	٢ (أسطول المتوكل والممكة لبحرية
	الفصل الخامس : خصائص شعر الحرب في العصر العباسي
١٩٥	١ (فن أبى تمام في شعر الحرب
١٩٩	٢ (ميايم عامة لشعر الحرب

ملحق

	الرمزية والحرب
٢٠٠	١ —
٢٠٥	٢ —

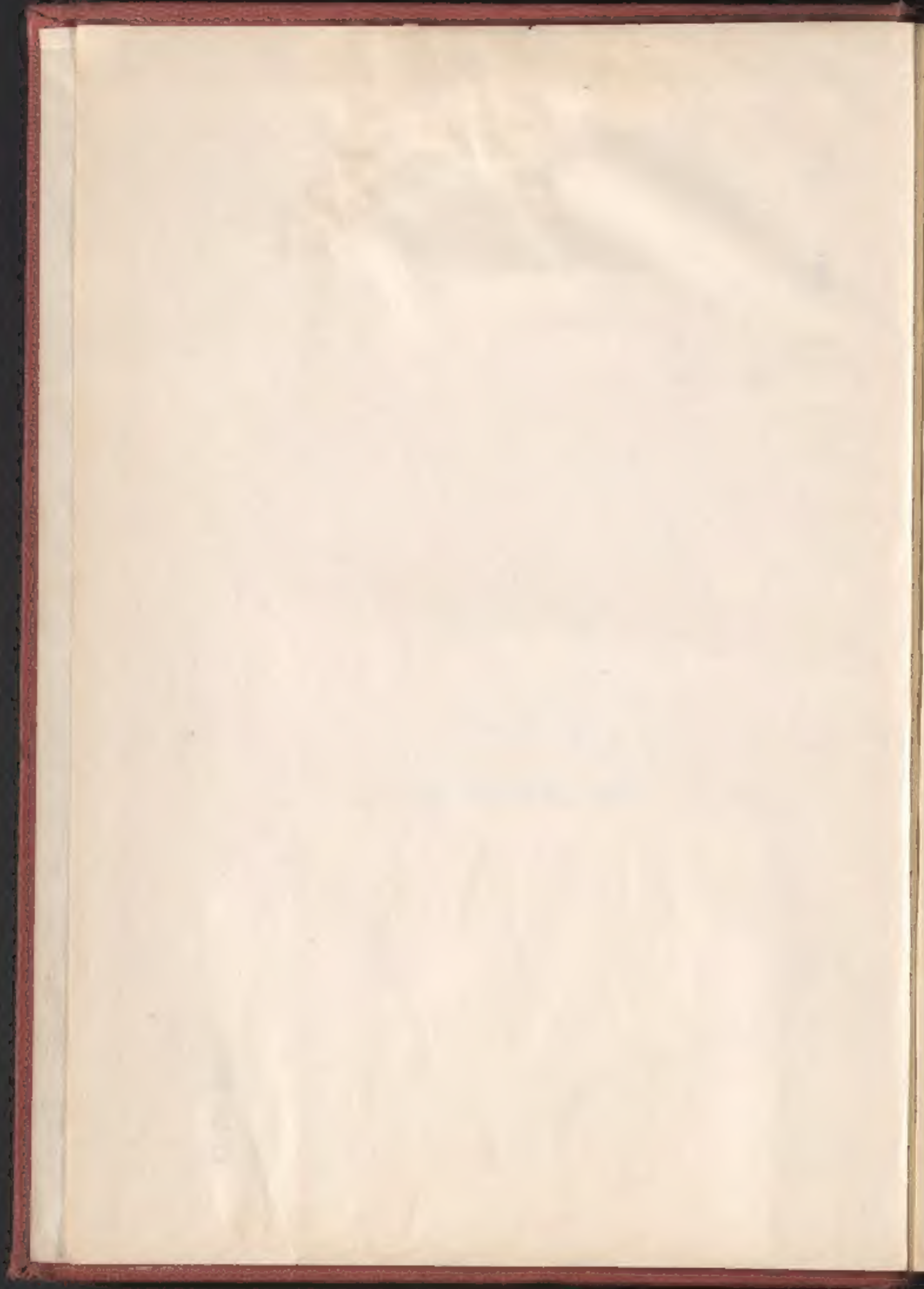
الباب الثالث

شعر الحرب في ظل الحمدانيين

	الفصل الأول : الدولة الحمدانية
٢١٣	(١) قيام الدولة الحمدانية .
٢١٥	(٢) سيف الدولة ورجال دولته
٢٢١	(٣) لون سياسة الحمدانيين
	(٤) حروب الحمدانيين مع الروم
٢٢١	١ - الجيوش العربية والبرصية في عصر سيف الدولة
٢٢٦	ب - الدمصق وقواده
٢٢٨	٥ () الأدب الحمداني
	الفصل الثاني : شعر الحرب عند المتنبي
٢٣١	(١) حروب سيف الدولة من شعر المتنبي
	المعارك
٢٣٣	١ - معركة حرشنة
٢٤٠	ب - معركة الثغور
٢٤٣	ج - معركة الحدث الحمراء
٢٤٨	د - معركة الدرب
٢٥٤	(٢) وأما أبو الطيب المتنبي فقائد عسكر
٢٦٠	(٣) من المتنبي في شعر الحرب
	الفصل الثالث : شعر الحرب عند أبي فراس الحمداني
٢٦٣	(١) فروسية أبي فراس
٢٦٤	(٢) تحت أسوار صنج
٢٦٥	(٣) روميات الأسير
٢٦٣	(٤) حرييات أبي فراس
٢٦٦	(٥) نهاية النسر الحمداني

مؤلفات الحماسة القديمة

٢٨٠	١	كتاب الحماسة للضائق
٢٨٣	٢	كتاب الوحشات
٢٨٤	٣	كتاب النسب في شرح أبنات الحماسة
٢٨٥	٤	كتاب الحماسة للبحرئ
٢٨٦	٥	حماسة الخالدين
٢٨٩		فائز
٢٩٣		ملحق
٢٩٥		المراجع والمصادر الأدبية
٢٩٨		المصادر التاريخية
٢٩٩		المصادر التاريخية الجغرافية
٣٠٠		المصادر المرجعية
٣٠٢		مخطوطات حماسية
٣٠٣		خريطة (بروك) للثغور الخمدانية والأقاليم البيزنطية



MAR



DATE DUE

26 JUL 1967

NOV 8 1989

16 DEC 1990

02 DEC 1988

6.12394828
i-137537/x

